مجلة

كلية الإمام الكاظم (ع)

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالدراسات الإنسانية

تصدر عن كلية الإمام الكاظم (ع) الجامعة

ISSN (Print) : 2518-9182
ISSN (Online) : 2708-1761

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية
(٢٢٦١) لسنة (٢٠١٧م)
المجلد (٧) العدد (١) كانون الاول
السنة ١٤٤٤هـ ٢٠٢٣ م

اقْـرَأْ بِـاسْمِ رَبِّـكَ الَّـذِي
خَـلَـقَ خَـلَـقَ الْإِنْـسَـانَ مِـنْ
عَـلَـقٍ اقْـرَأْ وَرَبُّـكَ
الْأَكْـرَمُ الَّـذِي عَـلَّـمَ
بِـالْـقَـلَـمِ عَـلَّـمَ الْإِنْـسَـانَ
مَـا لَـمْ يَـعْـلَـمْ

صدق الله العلي العظيم
سورة العلق / الايات ١-٥

حقـوق الـطبع

حقوق الملكية الأدبية والفنية كافة محفوظة لدى مجلة كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو أعادة تنضيد المجلة كاملا أو مجزءا أو تسجيلها على أشرطة كاسيت أو إدخالها على الكومبيوتر أو برمجتها على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيا وعكسه يتحمل المخالف الإجراءات القانونية أمام القضاء العراقي .

رئيس هيأة التحرير

أ. د . عبد الستار جبر عداي

مدير التحرير

أ.م. د. حيدر كاظم جاسم الجيزاني

هيأة التحرير

ت	الاسم	الجامعة – الكلية	التخصص
١	أ.د.نبيل مهدي كاظم الذبحاوي	جامعة UKM	القانون المدني
٢	أ.د.مقداد عبد الحسن باقر	جامعة الكوفة	التاريخ الحديث والمعاصر
٣	أ.د. حيدر كريم جاسم	كلية الإمام الكاظم عليه السلام	العلوم التربوية والنفسية
٤	أ.د.كريستوفر جرين	جامعة كيونغ سونغ	الدراسات الدولية
٥	أ.د.رافد مطشر سعيدان	جامعة ذي قار	اللغة العربية
6	أ.د. هدى عباس قنبر	جامعة بغداد	معلومات ومكتبات
7	أ.د. عدنان المقراني	الجامعة الحبرية الغريغورية-روما	الدراسات الإسلامية
8	أ.د. دينا هاني المولى	الجامعة الإسلامية – لبنان	الحقوق
9	أ.د.أحمد قدوري عبد	الجامعة المستنصرية	اللغة الانكليزية
10	أ.م.د.محمد كاظم كمر	كلية الإمام الكاظم عليه السلام	التاريخ الإسلامي
11	أ.م.د.نيرمين ماجد البورنو	جامعة السودان	مناهج وطرائق تدريس
12	أ.م.د. أحمد عبد السادة زوير	كلية الإمام الكاظم عليه السلام	فلسفة دين
13	أ.م.د. عبد كاطع سموم	جامعة واسط	العلوم التربوية والنفسية
14	أ.م.د. حسين ناصر حسين	كلية الإمام الكاظم عليه السلام	الإعلام
15	أ.م.د.مخلص محمود حسين	كلية الإمام الكاظم عليه السلام	القانون

تدقيق اللغة العربية

أ.م.د. هديل حسن عباس

م.د. زهراء أحمد خضير

تدقيق اللغة الانكليزية

أ.م.د.راسم تايه ججوج
م.د. عيسى عطا الله سلمان

الموقع الالكتروني

أ.م. أمجد عباس أحمد
م.م. حسن نعمان مسلم

وحدة المجلة

ابتسام غازي محمد

كمال ضامن جمعة

مرتضى مناتي صحيب

دليل المقيمين

قبل البدء بعملية التقويم، يرجى من المقوّم التأكد أكان البحث المرسل إليه يقع ضمن تخصصه العلمي أم لا، فإذا كان البحث ضمن تخصصه العلمي فهل يمتلك المقوّم الوقت الكافي لإنجاز عملية التقويم؟ إذ إنّ عملية التقويم ينبغي ألاّ تتجاوز عشرة أيام، وبعد موافقة المقوّم إجراء عملية التقويم وإنجازها خلال المدة المحدد، يرجى الالتزام بالمحددات الآتية:

١. هل البحث أصيلٌ ممّا يستدعي نشره في المجلة .

٢. هل البحث يتفق مع السياسة العامة للمجلة وضوابط النشر فيها .
٣. هل فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة ؟ وإذا كانت الاجابة نعم، يُشار إلى تلك الدراسات.
٤. مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسه ومحتواه.
٥. بيان أكان ملخص البحث يصف بوضوح مضمون البحث وفكرته أم لا.
٦. هل تصف مقدمة البحث ما يريد المؤلف الوصول إليه، وتوضيحه بنحوٍ دقيق، وهل أشار المؤلف إلى المشكلات التي قام بدراستها .
٧. مناقشة المؤلف للنتائج التي توصّل اليها خلال بحثهِ بنحوٍ علمي و مقنع .
٨. إجراءعملية التقويم بنحو سري وعدم اطلاع المؤلف على أي جانب منها .
٩. إذا أراد المقوم مناقشة البحث مع مقيم آخر يُبلَّغ رئيس التحرير بذلك .
١٠. ألاّ تكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المقوم والمؤلف فيما يتعلق ببحثه المرسل للنشر، وأن ترسل ملاحظات المقوّم الى المؤلف من خلال مدير التحرير في المجلة .
١١. إذا رأى المقوّم أنّ البحث مستلٌّ من دراسات سابقة ، فعلى المقوّم بيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلة .
١٢. إن ملاحظات المقوّم العلمية و توصياته سيُعتمد عليها بنحوٍ رئيس في قرار قبول النشر من عدمه ، ويرجى من المقوّم الإشارة الى الفقرات التي تحتاج الى تعديل بسيط والتي يمكن أن تقوم بها هيأة التحرير وإلى تلك التي تحتاج الى تعديل جوهري فتحال الى المؤلف ليقوم بإجراء التعديلات بنفسه.

تعليمات النشر في مجلة كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)

ترحّب هيأة تحرير مجلة كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) بنشر الأبحاث التي تتسم بالرصانة العلمية و القيمة المعرفية على وفق الشروط المبينة في أدناه:

١- أن يكون البحث أصيلاً وغير منشورٍ سابقًا في مجلة أخرى، وألا يكون جزءً من بحث منشور سابقا أو مستلاً من رسالة جامعية وعلى الباحث توقيع نموذج تعهد بهذا الخصوص والموافقة على نقل حقوق نشر البحث الى المجلة في حالة قبول البحث للنشر (نموذج التعهد).

٢- يُعطى المؤلف حقوقاً حصرية للمجلة تتضمن النشر والتوزيع الورقي والالكتروني والخزن وإعادة الاستعمال للبحث.

٣- ألَّا يذكر اسم الباحث أو أية إشارة تدل عليه في متن البحث لضمان سرية عملية التحكيم وحياديتها.

٤- يكتب في وسط الصفحة الأولى من البحث ما يأتي:

أ- عنوان البحث

ب- اسم الباحث ودرجته العلمية وشهادته

ت- عنوان الباحث

ث- بريد الباحث الالكتروني

ج- الكلمات المفتاحية

٥- يقدم الباحث قرص (CD) مع (٤) نسخ من ورق (A4) وألَّا تقل عدد صفحات البحث عن (١٥) صفحة ولا تزيد عن (٢٥) صفحة .

٦- أن تحتوي الأبحاث المكتوبة باللغة العربية واللغات الأخرى من غير اللغة الانكليزية على ملخص باللغة الانكليزية (Abstract) لا تتجاوز كلماته (٢٠٠) كلمة مسبوقاً بعنوان البحث واسم الباحث ومكان عمله باللغة الانكليزية وكذلك الكلمات المفتاحية أيضا. وأن تحتوي الأبحاث المكتوبة باللغة الانكليزية على ملخص باللغة العربية (الخلاصة) لا تتجاوز كلماته (٢٠٠) كلمة مسبوقاً بعنوان البحث واسم الباحث ومكان عمله باللغة العربية أيضا .

٧- تكتب الابحاث على برنامج (Microsoft Word) بخط (Arabic simplified) للأبحاث المكتوبة باللغة العربية وبخط (Times New Roman) للأبحاث المكتوبة باللغة الانكليزية وبحجم (١٤) للمتن وحجم (١٦) bold للعناوين الرئيسة والفرعية على أن تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم و المسافة بين الأسطر (١).

٨- تعتمد المجلة دليل (APA) للنشر العلمي في التوثيق، وعلى الباحث اتّباع قواعد الاقتباس وتوثيق المصادر وأخلاقيات البحث العلمي بما يتوافق مع هذا النظام .

٩- تكتب مصادر البحث في صفحة أو صفحات مستقلة مرتبة على وفق الأصول المعتمدة وكالآتي: كنية المؤلف، اسمه، (سنة الطبع)، عنوان الكتاب، رقم الطبعة (ط٣)، دار النشر

،مكـان النشـر (المدينـة)، انظـر (نظـام APA لتوثيـق المصـادر) ولمعلومـات اكثـر (https//www.apa.org).

١٠- إذا كان للمصادر العربية (أو أي لغة أخرى غير الانكليزية) ترجمة إنكليزية معتمدة يجب اعتمادها، وأما المصادر التي ليس لها ترجمة انكليزية معتمدة (مثل: الكافي) فيتم عمل (Transliteration) أي كتابة المصدر بالأحرف الانكليزية كتابة حرفية (Alkafy).

١١- تطبّق المجلة نظام فحص الاستلال باستعمال برنامج (Turnitin) إذ يتم رفض نشر الابحاث التي تتجاوز فيها نسبة الاستلال النسبة المقبولة عالميًا.

١٢- يخضع البحث لفحص أوّلي تقوم به هيأة التحرير في المجلة و ذلك لتقرير أهلية البحث للتحكيم، ويحق لها ان تعتذر عن قبول البحث من دون تقديم الاسباب .

١٣- تتبع المجلة التقويم المزدوج السري لبيان صلاحية البحث للنشر؛ إذ يعرض البحث المقدم للنشر على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص أحدهما من داخل الكلية والاخر من خارج الكلية ويجري اختيارهما بسرية مطلقة ، فضلاً عن عرض البحث على خبير لغوي لتقويم سلامته اللغوية.

١٤- تقديم سيرة علمية قصيرة (Short Biography) للباحث لا تتجاوز (٤) أسطر وبملف (Word) منفصل عن البحث في القرص نفسه.

١٥- الأبحاث التي يقترح المحكمون إجراء التعديلات عليها لتكون صالحة للنشر تعاد الى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة عليها ولايعاد البحث الى صاحبه إذا لم يكن صالحاً للنشر.

١٦- يشترط لنشر الأبحاث المستلة من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه موافقة خطية من الأستاذ المشرف على البحث على وفق النموذج المعتمد في المجلة (موافقة المشرف) .

١٧- تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها،لا عن رأْي المجلة .

١٨- يلتزم الباحث بدفع أجور النشر المحدد البالغة (٥٠,٠٠٠) خمسون الف دينار للباحث الداخلي و (١٠٠,٠٠٠) مئة الف دينار للباحث الخارجي .

١٩- يمكن تَسَلّم الأبحاث المقدمة للنشر في المجلة على وفق ما يأتي :

أ. يدويا في مقر المجلة في كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة / العراق- بغداد- حي اور.

ب . عبر تحميل البحث على البريد الالكتروني للمجلة على وفق الرابط :

Journalalimamalkadhum@alkadhum-col.edu.iq

مجلة كلية الإمام الكاظم
(عليه السلام)

(تعهد الملكية الفكرية)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .....

أني الباحث ----------
-

صاحب البحث الموسوم ----------

أتعهد

بأن البحث قد أنجز من قبلي ولم يتم نشره في مجلة أخرى داخل العراق أو خارجه وأرغب بالنشر في مجلة كلية الإمام الكاظم عليه السلام

التوقيع //

الاسم واللقب العلمي //

التأريخ //

(تعهد نقل حقوق الطبع والنشر والتوزيع)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .....

أني الباحث ----------
-

صاحب البحث الموسوم ----------

أتعهد

بنقل حقوق الطبع والنشر والتوزيع إلى مجلة كلية الإمام الكاظم عليه السلام

التوقيع //

الاسم واللقب العلمي //

التأريخ //

الفهرست

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	رقم الصفحات
١	البنية المعرفيّة (الإبستيمولوجيّة) لدوالّ العقل في القرآن الكريم ولسانيّات الأنثروبولوجيا العربيّة	ا.م. د. جواد كاظم التميمي كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)	١-٢٢
٢	موارد ابن إسحاق وثيقة لمعرفة طفولة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بين الحمل والولادة والرضاعة دراسة وتحليل	أ.م. د. علاء حسن مردان اللامي كلية الامام الكاظم (عليه السلام)	٢٣-٥١
٣	مسألة الخلاف في القضاء بشاهد ويمين (دراسة فقهية مقارنة)	د. عبد علي جباره علي البخاتي كلية الامام الكاظم (عليه السلام)	٥٢-٦٦
٤	جدليّةُ تقسيم الكلامِ بينَ أَبي الأَسود الدؤليّ وتمّام حسّان دراسة نقديَّة	أ.م.د. حيدر عودة كاطع كلّيَّة الإمام الكاظم(عليه السلام)	٦٧-٨٥
٥	الاستفهام المجازيّ بين الاحتفاظ بالمعنى والانسلاخ منه في رُؤى المفسرين دراسة في ضوء نظرية الأفعال الكلاميّة غير المباشرة	م.د.عقيل كريم حسين كليَّة الامام الكاظم (عليه السلام)	٨٦-١٠٦
٦	المنهج التمثيلي دراسة في النظرية والإجراء	م. د. جاسم جعيز منخي كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)	١٠٧-١١٧
٧	فلسفة التأصيل السنني للتاريخ (محمد باقر الصدر أنموذجاً)	م.م. هالة جاسم محمد ماضي كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)	١١٨-١٣٧
٨	صنعاء تحت حكم بنو يام (٤٩٢- ٥٨٥ هـ) (دراسة تاريخية)	م . د . محمد حسين ابراهيم الجامعة المستنصرية / كلية التربية	١٣٨-١٦٥
٩	حقيقة "عبدالله بن سبأ" في أبحاث الدكتور جواد علي	م.د. حسين علي جبر كلية الامام الكاظم (عليه السلام)	١٦٦-١٨١
١٠	حركة الاسترداد والأستنزاف الأقتصادي والعسكري والتبشيري الصليبي وأثرها على الوجود العربي الأسلامي في الاندلس	م . ناصر حسين كاظم القريشي كلية الأمام الكاظم (عليه السلام)	١٨٢-١٩٨
١١	سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه حلف الناتو ١٩٩٠-٢٠٠٠م	د.عبد حسين عبد محسن سوسه المديرية العامة للتربية في الانبار	١٩٩-٢٢٨
١٢	أثر استراتيجية التنبؤ الموجه في تحصيل مادة	م. قاسم ارزوقي قاسم	٢٢٩-

	التاريخ لطلاب الصف الرابع الادبي	كلية الامام الكاظم(عليه السلام)	٢٤٥
١٣	محو الأمية الرقمية ودعمها الكترونيا وفقا لنظرية التقرير الذاتي لدى طلبة المرحلة الاعدادية	م. د. ميثاق عيسى عبد الحسين كلية الامام الكاظم (عليه السلام)	٢٤٦- ٢٦٨
١٤	التغيرات التطورية في ما وراء الدافعية لدى الاطفال والمراهقين	م. د. مريم هاشم حمد البدري كلية الامام الكاظم (عليه السلام)	٢٦٩- ٢٩٤
١٥	أثر التصيد الاحتيالي في الاعتداء على الخصوصية في المجال الرقمي	م. د. علياء زامل مشتت كلية الامام الكاظم (عليه السلام)	٢٩٥- ٣٢٥
١٦	النمذجة في الإعلان دراسة مسحية لتأثير الشخصية الظاهرة في الإعلان على الشاب العراقي	م.د. علياء هاشم عبد الامير كلية الامام الكاظم (عليه السلام)	٣٢٦- ٣٤٦
١٧	الرقابة القضائية على سلطات الضبط الإداري في الظروف العادية	د. تامر محمد إبراهيم كلية الرشيد الجامعة	٣٤٧- ٣٧٠
١٨	عدم تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية كعارض من عوارض تحقيق الأمن القضائي	م.م. لقاء عبد الساده جالي (الجامعة المستنصرية / كلية القانون) بلال سعد قاسم (وزارة العمل والشؤون الاجتماعية)	٣٧١- ٣٨٧

البنية المعرفيّة (الإبستيمولوجيّة) لدوالّ العقل في القرآن الكريم ولسانيّات الأنثروبولوجيا العربيّة

ا.م. د. جواد كاظم التميمي*

The structure Knowledge (Epistemology) of the mind functions, in the holy Quran and the Arab linguistics anthropology

كلمات مفتاحية: عقل، وقرآن كريم، ولسانيات، وأنثروبولوجيا، وبنية قيمية، وسببية.

Keywords: mind, the Holy Qur'an, linguistics, anthropology, value structure, and causality.

مستخلص

تُعدُّ قضية (التفكير العلميّ) واحدة من الإشكاليّات الثقافيّة الأنثروبولوجيّة التي تُقسَّم على وفقها الأممُ، والشعوب، والجماعات. ويجري الأمر بقسوة معرفيّة (إبستيمولوجية) مفرطة عند تعلّقه بالتسقيط الفكريّ؛ المرافق البَدَهيّ لصراع الحضارات، ويعني ذلك أنّه تسقيط منطوٍ على موقف تصنيفيّ مسبَّق، بمرجعيّة إيديولوجيّة استعلائيّة.

تَعرّضَ (العقلُ العربي) إلى شيءٍ ليس باليسير من هذا النقد المعرفيّ الهادم، بدرجات متفاوتة، وفي أزمنة متعددة، وقد حدث ذلك –بسوء نية تارة، وبحسْنِها تارة أخرى– في حقبتي التاريخ العربيّ؛ الأولى السابقة للإسلام، والثانية المنبثقة عنه.

نحاول في هذه الدراسة الكشف عن جانب من حقيقة (العقل العربي)، بمنهج لسانيّ أنثروبولوجيّ، حياديّ، بعيد عن جلد الذات الحضاريّة من جهة، وعن نرجسيّتها التبشيريّة المؤدلَجة من جهة أخرى.

Abstract

The issue of scientific thinking represents one of the cultural and anthropological problems according to which nations, peoples, and groups are divided. This is done with excessive epistemological severity when it comes to intellectual projection that is the associated concomitant of the clash of civilizations. This means that it is a projection that involves a preconceived categorical position, with a superior ideological reference.

In the two periods of Arab history; The first preceded Islam, and the second emanating from it. The Arab mind has been exposed to something not easy from this destructive epistemological criticism, to varying degrees, and at various times, and this happened - sometimes with bad intentions, and at other times with good intentions -

In this study, we are trying to reveal an aspect of the reality of the Arab mind with a linguistic, anthropological, neutral approach, far from civilized self-

* كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)

البريد الإلكتروني: dr.jawadkadhim@alkadhum-col.edu.iq

punishment on the one hand, and its ideological missionary narcissism on the other.

أولاً: المقدمة

يرى بعض المفكرين العرب أنَّ العقل العربي عقلٌ قيميٌّ أخلاقي، وتأملي استنباطي، غير معنيٍّ بالكشف عن قوانين السببية في هذا العالم، وغير منتج للعلوم الطبيعية، المبنية على الاستقراء الناقص، والتجربة الحسية، المُفضية إلى تحسين وسائل الإنتاج، بخلاف العقل الغربي بتمظهريه؛ اليوناني القديم، والأوربي المعاصر، ولمّا كان القرآن الكريم قد نزل "بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ/ الشعراء ١٩٥"، فإنَّ أيّ تطابق متحقق بين حقلَي دوالّ العقل[١] في القرآن الكريم، ولسانيات الأنثروبولوجيا العربية[٢]، سيكون مدعاةً لدعم حقيقةِ تفرّد (البنية القيميّة)، والمنهج الاستنباطيّ، بالعقل العربيّ، في قبالة غيابٍ بَيِّنٍ للمنهج العلميّ التجريبيّ، كما أنّه سيفضي إلى تأكيد دعوة قرآنيّة، (مظنونة الوقوع)، للاستمرار على العمل ببنية التفكير المألوفة في الحياة العقليّة العربيّة السابقة لنزول الكتاب الكريم، ما يعني تشكّل موقف معرفيّ (إبستيمولوجيّ) تأصيليّ خطير، قد يترتب عليه –في حال ثباته أمام البحث–انسداد علميّ راسخ في الحياة العربيّة، مفضٍ إلى اكتفاء الشعوب العربيّة، في شؤون حياتها اليوميّة، باقتفاء أثر منتجات العقل الغربيّ، واستيعابها، والانتفاع بها، في مجالات العلوم الطبيعيّة، والإنسانيّة كافة.

تحاول هذه الدراسة تبيانَ حقيقة الأمر، في المنتج اللسانيّ الأنثروبولوجيّ العربيّ من جهة، وفي النصّ القرآنيّ المقدّس من جهة أخرى، بمنهج لسانيّ كاشف عن التناظر بين المنظومة الاصطلاحيّة لدوالّ العقل، والبنية المعرفيّة (الإبستيمولوجية) المنتجة لها[٣]. وتسلك في محاولة تحقيق هذا الهدف مسلكاً محدَّداً، يتلخص بأخذ شروح دلالات مصطلحات العقل، من كتاب مُخْتصٌّ بألفاظ القرآن الكريم حَصْراً، هو: (مفردات ألفاظ القرآن)، وتكمن مزيّة هذا المصدر في كونه متناً تخصصيًّا ضخماً، لمؤلف كان موجوداً في القرن الخامس الهجري، هو الراغب الأصفهانيّ (ت ٤٢٥ هـ)، ولاختيارٍ كهذا قيمة علميّة، ذات أثر كبير في البحث، والتحليل، بحِساب أنّ حياة المؤلف في الربع الأول من ذلك القرن وفّرت له فرصة كبيرة لجعل كتابه أحد مصاديق مرحلة النضج العلميّ المتقدم في حقول الدراسات الدلاليّة العربيّة. وممّا له مغزًى معرفيّ مهمّ أنَّ الكتاب –كما يظهر من معالجاته النصّيّة–يأخذ بالحسبان النظرَ إلى الدلالة ببعديها؛ الأول: الثقافيّ الأنثروبولوجيّ الممثل لعقليّة (رجل الشارع) العربيّ، والثاني: الدينيّ العقائديّ المفضي إلى فهم دلالات النصّ القرآنيّ. ونستعين –لضرورة علميّة–بكتابين يعملان في خدمة مسار دراستنا المعرفيّ (الإبستيمولوجيّ)، وهما: التعريفات للشريف الجرجانيّ (ت ٨١٦ هـ)، ولسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ)، ويمثل الأول مرحلة اصطلاحية متقدمة، أما الثاني فهو متن معجميّ،

يمكن عدّه أحد أشهر الموسوعات الاستيعابيّة الشاملة للدلالة العربيّة، فضلاً عن مزيّة التأخّر الزمنيّ. ولتحقيق الغرض من الدراسة لا مناص من البحث في المطالب الآتية:

١–الكشف الدلالي المزدوج عن إحالات دوالّ العقل في لسانيّات الأنثروبولوجيا العربيّة، وعن إحالاتها في القرآن الكريم، أثناء وقت التنزيل، بوصفه نصًّا سماويًّا منتظِماً بلسان عربيّ مبين.

٢–استلال البنية العقليّة البسيطة؛ (غير المركّبة)، من بين تعدد الدوالّ اللسانيّة، واستعمالاتها المتكاثرة، وبيان حالّي التطابق، والاختلاف في البنية المفهوميّة لدوالّ العقل بين القرآن الكريم، والمتداول اللسانيّ الأنثروبولوجيّ العربيّ.

٣–الإجابة عن السؤال المهمّ الآتي: هل اكتفى القرآن الكريم بدوالّ العقل العربيّة المعروفة في أوان نزوله، أم استحدث دوالاً أخرى، من اللغة العربيّة نفسها، ما يعني في حال حدوث ذلك، إمكان الكشف –نظريًّا في أقل تقدير–عن بنية معرفيّة دلاليّة أخرى، مفارقة، وغير مألوفة الاستعمال في المتداول اللسانيّ العربيّ، في زمان التنزيل.

ثانياً: العقل العربيّ و(فرضية وورف و سابير) الثقافيّة الأنثروبولوجيّة

تُعدُّ البنية العقليّة للشعوب، التي يمكن كشفها عن طريق دوالّ العقل اللسانيّة، واحدة من الإشكاليات المعرفية (الإبستيمولوجية)، الخطيرة التي تُصنَّف –على وفقها–الجماعات البشريّة تصنيفاً ثقافيًّا أنثروبولوجيًّا، كما ترى فرضيّة وورف وسابير، التي تقول "إنّ العالم الحقيقيّ قائم إلى حد بعيد وبصورة لاشعوريّة على العادات اللغويّة لدى الجماعة"[٤]، فبحسب هذه الرؤية المعرفيّة تستحيل اللغة آلة مُجسِّدة لـ(روح الشعب) الذي يتكلمها[٥]، وتكون بنيتُها مُحدِّداً عميقاً لبنيةِ طريقةِ مَن يتكلمها في التفكير[٦]، وهذا بعينه ما تكرَّسَ موقفاً معرفيًّا جليًّا على مستوى الدرس اللسانيّ الغربيّ المبكِّر في أعمال الفيلسوفين الألمانيّين؛ جوتفريد هيردر (ت ١٨٠٣ م)، وفريدريك همبولدت (ت ١٨٣٥ م)[٧].

ويُعَدُّ ظهور الأنثروبولوجيا "في النصف الثاني من القرن الثامن عشر إشارةً أخرى لما هو موضع نقاش هنا؛ فجزء مما أدَّى إلى نشأة الأنثروبولوجيا هو الوعي بأن اللغة الطبيعية لشعبٍ ليست مجرد وسيلةٍ لقولِ الأشياء نفسها التي يمكن قولها بلغة أخرى، فلغة الشعب هي أيضاً نتاج مواجهاته الخاصة مع العالم"[٨]، ويترتب –على وفق هذه الرؤية التصنيفيّة، ذات النزعة الاستعلائيّة الثقافيّة الصريحة، والنزعة العرقيّة المبطنة الضمنيّة–النظرُ إلى أممٍ بعينها على أنَّها أممٌ مُفكِّرة، ومتقدمةٌ، وقادرةٌ على إنتاج المعرفة، وأممٍ أخرى على أنَّها أممٌ غيرُ قادرةٍ على ممارسة التفكير العلميّ الاستقرائيّ، وعاجزةٌ عن التعامل بالتجربة الحسيّة المختبريّة[٩]، لعلّةٍ تتعلق بتكوينها العقليّ الحيويّ (البايلوجيّ)، وبنيتها المعرفيّة (الإبستيمولوجيّة)، المتحدِّرة عن الحتميّة اللغويّة الضاغطة، المستندة إلى (دوالّ لسانيّة) متحكمة في حياة

الناس العقليّة، والشعب العربي، واحدٌ من بين تلك المجموعات البشرية الخاضعة لهذا النوع من النقد المعرفي (الإبستيمولوجي).

ولمّا كان القرآن الكريم قد نزل على الشعب العربيّ أولاً، فإنّ ما استعمله من دوالّ عقلية لسانيّة عربيّة يمكن أن يُعدّ (حزمةً علاميّة سيميائية) مهمّة، ماثلة للتحليل اللسانيّ الكاشف عن تلك الإشكاليّة الخطيرة، بما تمثّله (الحزمة) من (حقيقة استعماليّة) شاخصة، وشاهدة على تصنيف عقل (الشعب المخاطَب)؛ العربيّ، من حيث التكوين الأخلاقيّ القيميّ، أو التكوين العلميّ التجريبيّ.

ثالثاً: إشكالية دوالّ العقل بين المتداول اللسانيّ العربيّ والغربيّ

ذهب المفكر الراحل الدكتور محمد عابد الجابريّ[١٠] –بالبناء الضمنيّ على فرضيّة وورف وسابير – إلى إجراء موازنة معرفيّة لسانيّة أنثروبولوجيّة خطيرة، ذات بعد تأسيسيّ مهمّ، بين ماهيّة العقل العربيّ، والعقل الغربيّ؛ قال الجابري: "إذا كان مفهومُ العقل في الثقافة اليونانيّة، والثقافة الأوربيّة الحديثة، والمعاصرة يرتبط بـ(إدراك الأسباب) أي بالمعرفة...فإن معنى (العقل) في اللغة العربيّة، وبالتالي في الفكر العربيّ يرتبط أساساً بالسلوك والأخلاق. نجدُ هذا واضحاً في مختلف الدلالات التي يعطيها القاموس العربيّ لمادة (ع، ق، ل)، حيث يكاد يكون الارتباط بين تلك الدلالات وبين السلوك الأخلاقيّ عامًّا ضروريًّا"[١١]، وجاءت (الضرورة) في النصّ بالمعنى الفلسفيّ كما هو بيِّن، ما يعني أنَّ الدكتور الجابريّ يجرّد موقفاً قاطعاً، وصريحاً، وحاسماً مؤيِّداً لأثر الحتميّة اللسانيّة في صياغة الوعي العربيّ بالأشياء، وأنَّه يذهب –بالموازنة بين العقلين– إلى أنَّ العقل الغربيّ عقل علميّ، منشغل بالمنهج الاستقرائيّ، والتجربة الحسيّة، بقصد الكشف عن الأسباب المُفضية إلى حدوث الأشياء في العالم[١٢]. وينقل الدكتور الجابري عن اللغات الغربيّة، لاسيما ذات الأصل اللاتينيّ أنّها تعبّر عن العقل بكلمة (raison) التي تعني بالفرنسيّة: العقل، والسبب، فتارة تدلُّ على مَلَكة للكائن العاقل، وتدلُّ تارة أخرى على علاقة بعض الأشياء ببعضها الآخر، بحيث يمكن القول بأنَّ عقل الإنسان، أو (العقل الذاتي) يتتبع، ويدرك عقل الأشياء، أو (العقل الموضوعي)[١٣].

وتستعمل اللغة الإنكليزية في هذا الشأن لفظة (reason)، ومن دلالاتها؛ المبرِّر، والسبب، والعقل، والإدراك[١٤]، ما يعني اتحادها بالحقل اللسانيّ الدلاليّ الفرنسيّ، في تشكيل ماهيّة العقل الغربيّ، وقد يكون في هذا الاستشهاد ما يُعدُّ دعماً لسانيًّا متماسكاً لموقف الدكتور الجابريّ.

وخلاصة هذه الموازنة اللسانيّة ذات التأصيل المعرفيّ هي القول بأنَّ العقل العربيّ عقلٌ أخلاقيٌّ، وعظيٌّ، قيميّ، تأمليّ، وليس عقلاً سببيًّا علميًّا، تجريبيًّا، فهو غير مهتمّ كثيراً بدراسة ظواهر العالم الماديّة، وغير معنيٍّ بالمنهج الاستقرائيّ، والتجربة الحسيّة التي يتوصل بها الإنسان إلى التمكّن من

العلوم الطبيعيّة، فلا شأن للعقل العربيّ بالكشف عن الأسباب، والقوانين المحركة للظواهر الفيزيائيّة، والكيميائيّة، والحيويّة (البايلوجيّة)، كدرجة غليان الماء، أو قانون الجاذبيّة، أو دورة المياه في الطبيعة، أو التركيب الضوئيّ في النبات، أو كيفيّة تصنيع المحرك المشتغل بحرق الوقود الأحفوريّ، وغير ذلك من حقول العلوم التجريبيّة، فهذه النشاطات العلميّة غائبة عن ساحة حضور أولويات العقل العربيّ، ما يعني أنّ العلماء العرب، أو المستعربين الذين برزوا في أزمنة لاحقة لظهور الإسلام، في حقول العلوم الطبيعيّة المختلفة، كجابر بنِ حيان الكوفيّ في الكيمياء، والحسن بن الهيثم في الفيزياء، وأبي القاسم الزهراويّ في الطب هم الاستثناء الذي يدعم وجودَ القاعدة[١٥]، كما أنَّ أولئك العلماء قلةٌ ضئيلة لا تمثل إلا نفسها، وحالاتٌ علميّة عابرة، إذا ما أخذنا بالحسبان العمرَ المديد لنشاط الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وأعدادَها البشرية الهائلة. ومما له مغزى غياب تحوّل أولئك العلماء إلى مدارس في اختصاصاتهم، فليست حالهم كحال نظرائهم الغربيّين من أمثال إسحاق نيوتن الإنكليزيّ في الفيزياء، وإنطوان لافوازيه الفرنسيّ في الكيمياء، وغريغور مندل النمساويّ في علم الوراثة، وهذا التحليل جارٍ بحسب رؤية الدكتور الجابريّ، المستندة إلى (فرضيّة وورف و سابير)، الحتميّة اللسانيّة.

فما مدى صحةِ هذا الكشف المعرفيّ؟ وما قوة انطباقِه على استعمال القرآن الكريم لدوال العقل في اللسان العربيّ؟ وهل ينطبق استعمالُه لها انطباقاً تامًّا مع حقيقةِ العقلِ اللسانيةِ الأنثروبولوجية في المتداول اليوميّ للحياة العربيّة؟

رابعاً: دوالّ العقل في العربية وفي القرآن الكريم

دوال العقل في العربيّة –على حدِّ الاجتهاد في حصرها–هي: (العقل، والقلب، والفؤاد، والحِجْر، والنُّهى، واللُّب، والبصيرة، والفِقه، والفِكر، والنَّظر، والحِجا، والذِّهْن)، وقد استعملها القرآن الكريم كلَّها، إلَّا دالتي (الحِجا)، و(الذِّهْن)، فلا وجود لهما في القرآن الكريم.

ويحتم البتُّ في شأن الموقف الدلاليّ، ذي المنحى البنيويّ، من دوالّ العقل العربيّة التنقيبَ المعجميّ عن إحالاتها الاستعماليّة، وعلى النحو الآتي:

الدالة الأولى: العقل

العقل–بنصِّ الراغب الأصفهاني–القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، وأصل العقل: الإمساك، والاستمساك، كعَقل البعير بالعقال، وعَقَلَ فلان لسانه[١٦]، ويقول الشريف الجرجاني: "العقل مأخوذ من عقال البعير، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل"[١٧]، فدلالة (عقل) مقترنة بالسلوك الأخلاقي، وكفِّ اللسان عن الكلام السيئ، ما يعني أنَّ النشاط العقلي –

بحسب هذه الدالة اللسانية–نشاط قيمي، غير معني بالنشاط العلمي التجريبي المفضي إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج. وتدحض عبارة: (العقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم) فكرةَ وجود أي أثر للتجربة الحسية، فما العقل إلا قوة مهيأة لتقبل المعلومات، التي هي –من منظور عربي إسلامي–العلم بالدين، والفقه، والشريعة، ولا شأن لها بعلوم الفيزياء، والكيمياء، بل هي معدودة من العلوم الإنسانية.

ولم ترد لفظة (عقل) في القرآن الكريم بشكلها هذا، بل وردت مشتقاتها، كـ(يعقل، ونعقل، ويعقلون، وتعقلون، وعقلوا)، ومن الأمثلة على ذلك الآيات الكريمة الآتية :

"أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ" البقرة/١٧٠. و"صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" البقرة/ ١٧١. و"اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ" المائدة/ ٥٨. و"يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" المائدة/ ١٠٣. و"إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ" الأنفال/ ٢٢. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدلّ على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج [١٨].

الدالة الثانية: القلب

قَلْبُ الشيءِ: تصريفُهُ، وصرْفُه عن وجهٍ إلى وجهٍ، كقلب الثوب، وسُمّي قلبُ الإنسان قلباً لكثرة تَقَلُّبِه، ويُعبَّر بالقلب عن المعاني التي تختصّ بالروح، والعِلم، والشجاعة[١٩]، وقد وردت دالة القلب –بهذه الدلالة–في القرآن الكريم بصيغة (قلب)، و(قلوب)، ومن ذلك:

"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" آل عمران/١٥٩. و"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِها" الأعراف/ ١٧٩. و"وَطُبِعَ على قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" التوبة/ ٨٧. و"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ، لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا، أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" الأعراف/ ١٧٩. وليس في هذه الدالة اللسانية، ولا في الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج، وما جاء من ذكر لبعض الحواس البشرية مرهون بالجانب التربوي من الإنسان[٢٠].

الدالة الثالثة: الفؤاد

الفؤاد كالقلب، ولكن يُقال له: الفؤاد إذا اعتُبِرَ فيه معنى التفؤُّد، أي التوقّد، يقال: فأدتُ اللحم: شويته، ولحم فئيد: مشويٌّ[٢١]. وجاءت هذه الدالة في القرآن الكريم بصيغة فؤاد، وأفئدة، ومن ذلك: "مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ" النجم/ ١١. و"وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ" الأنعام/ ١١٠. و"وَلِتَصْغَىٰ

إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ" الأنعام/ ١١٣. و"وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ" هود/ ١٢٠. و"فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ" إبراهيم/ ٣٧. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج [٢٢].

الدالة الرابعة: البصيرة

يُقال: البصر للجارحة الناظرة، أي العين، وجمع البصر: أبصار، أما البصيرة –وهي ما يخصُّ الدلالةّ على العقل–فجمعها بصائر[٢٣]، وجاء في لسان العرب: البصيرة: عَقيدة القلب، وهي اسم لما اعتُقد في القلب من الدين، وتحقيق الأمر، وهي كذلك الفِطْنة، والعِبْرة، والثبات في الدين، والتبصُّر: التأمُّل، والتعرّف[٢٤]. وقد وردت هذه الدالة بصيغ صرفية متعددة في كتاب الله المجيد، كما في الآيات الكريمة الآتية:

"قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" يوسف/ ١٠٨. و"قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ" الأنعام/١٠٤. و"تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ" ق/ ٨. و"وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا" الإسراء /٥٩. و"هٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ" الجاثية /٢٠. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج[٢٥].

الدالة الخامسة: اللُّبّ

اللُّب: العقل الخالص من الشوائب، وقيل هو ما زكى من العقل[٢٦]، وجاءت هذه الدالة في القرآن الكريم بصيغة (أولو الألباب)، كما في الآيات الكريمة الآتية:

"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" البقرة/ ١٧٩. و"وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ" البقرة/ ١٩٧. و"وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" البقرة/ ٢٦٩. و"يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" آل عمران/ ٧. و"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" آل عمران /١٩٠. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج [٢٧].

الدالة السادسة: النُّهى

النهى: الزجر عن الشيء، أي (الردع)، والنُّهيَة: العقل الناهي عن القبائح، جمعها: نُهًى[٢٨]. وجاءت هذه الدالة في القرآن الكريم بصيغة أولي النُّهى، وعلى النحو الآتي:

"كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ" طه/ ٥٤. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ" طه/ ١٢٨. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج.

الدالة السابعة: الحِجْر

الحجر: المنع، وقيل للعقل حِجْرٌ لكونه يمنع الإنسان ممّا تدعوه إليه نفسه[٢٩]، وجاء في لسان العرب: الحِجْر: العقل، واللب، لإمساكه، ومنعه، وإحاطته بالتمييز[٣٠]. أما الصيغة التي وردت بها هذه الدالة في القرآن الكريم فهي (ذي حِجر)؛ كما في قوله تعالى: "هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ" الفجر/٥. وليس في هذه الآية الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج.

الدالة الثامنة: الفِقه

الفِقه: هو العلم بأحكام الشريعة؛ يقال: فَقُه الرجل فقاهةً: إذا صار فقيهاً[٣١]. وجاء في لسان العرب: الفِقْه: العلم بالشيء، والفهم له، وغلبَ على عِلْم الدين[٣٢]، فالتفقه بالآيات هو تفقه ديني. ولم ترد هذه الدالة في القرآن الكريم بصيغة (فقه)، بل بصيغ صرفية أخرى، كما في الآيات الكريمة الآتية:

"فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ" التوبة/ ١٢٢. و"وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" الأسراء/ ٤٤. و"قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا" هود/ ٩١. و"فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا" النساء/ ٧٨. و"انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ" الأنعام/ ٦٥. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج[٣٣].

الدالة التاسعة: الفِكْر

التفكّر لا يقال إلا فيما يُمكن أن يحصُل له صورة في القلب[٣٤]، وجاء في لسان العرب: الفكر إعمال الخاطر في الشيء، والتفكّر: التأمل، والخاطر: ما يَخطُر في القلب من تدبير، أو أمر، والخاطر كذلك: الهاجس[٣٥]، ولم تأتِ هذه الدالة في القرآن الكريم بصيغة (فكْر)، بل بصيغة فعلية، كما في الآيات الكريمة الآتية:

"فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" الأعراف/ ١٧٦. و"كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" يونس/ ٢٤. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" الرعد/ ٣. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" النحل/ ١١. و"وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" النحل/ ٤٤. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج [٣٦]، فكل ما مذكور دعوة للتفكر التأملي في المخلوقات العظيمة، بقصد الوصول إلى عقيدة توحيد الخالق تبارك وتعالى.

الدالة العاشرة: النَّظَر

النظر: تقليب البصر، والبصيرة لإدراك الشيء، ورؤيتِه، وقد يُراد به التأمل والفحص[٣٧]، ولم تأتِ هذه الدالة في القرآن الكريم بصيغة (النَّظَر)، بل بمشتقاتها، ومن ذلك مثلاً:

"قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" يونس/ ١٠١. و"أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض" الأعراف/ ١٨٥. و"انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ" المائدة/ ٧٥. وليس في هذه الآيات الكريمة ما يدل على المنهج الاستقرائي، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج، فكل ما مذكور دعوة للنظر التأملي في المخلوقات العظيمة، بقصد الوصول إلى عقيدة توحيد الخالق تبارك وتعالى.

الدالة الحاديةَ عشرةَ: الحِجا

وهي دالة لغوية عقلية غير مستعملة في القرآن الكريم، ومعناها: العقل، والفِطنْة. وليس لهذه الدالة ارتباط بالسببية العلمية الطبيعية، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج.

الدالة الثانية عشرة: الذِّهْن

وهي دالة لسانيّة عقلية غير مستعملة في القرآن الكريم، ومعناها: الفهم، والعقل، وحِفْظ القلب. وليس لهذه الدالة ارتباط بالسببية العلمية الطبيعية، والتجربة الحسية، المفضية إلى الاختراع، وزيادة الإنتاج.

خامساً: تجريد البنية الدلالية

تظهر النتيجة المبدئية المستخلصة من دراسة دوال العقل المستعملة في القرآن الكريم؛ (العقل، والقلب، والفؤاد، والحِجْر، والنُّهى، واللُّب، والبصيرة، والفِقه، والفِكر، والنَّظَر) أنّها دوال مُحيلة على بنية أخلاقية، قيمية، وعظية، تتمحور وظيفتها المجتمعية حول تقويم سلوك الناس، كما أنها بنية علمية، ولكن بطبيعة تأملية، استنباطية، تعمل بـ(الجدل النازل)[٣٨] في محاولة فهم الأشياء، وتلقّي المعلومات، وليست بنيةً داعية إلى التجربة المختبرية، المبنية على تجميع البيانات الحسية، الكاشفة عن القوانين الفيزيائية، والكيميائية، والحيويَّة، وليست داعية لاستلال قانون السببية، وإلى التجريب، والاستقراء الناقص، وليست عاملة بـ(الجدل الصاعد)[٣٩]، ما يعني تحقق الفرضية التي بدأنا بها هذه الدراسة، فالعقل العربي عقل تأملي، قيمي، وعظي، أخلاقي. وليست هذه الحال ناتجة عن خلل عضويّ، أو تركيبة جينيّة، بل هي نتيجة منطقيّة للطبيعة الجغرافيّة الصحراويّة، وما يتمخض عنها من شحّ الموارد الغذائية، المفضي إلى تشكّل تلك السلسلة الطويلة من الحروب الأهليّة؛ (القبلية) التي يطلق عليها في اللسانيات الأنثروبولوجية

العربية بـ(أيام العرب)، فليس بمستطاع الإنسان الباحث عن لقمة العيش في أجواء متواصلة من غياب عناصر الاستقرار ممارسة البحث العلمي التجريبي. وينبني هذا التحليل على فرضيّة صحة علم السلوك، الذي يرى "أن الإنسان هو ابن الظروف"[٤٠]، بمعنى أن الوقائع الطبيعيّة هي التي تتولّى صياغة الجنبة السلوكيّة للإنسان، وبالبناء على ذلك فإن الراعي البدوي الذي يعيش في الصحراء، ورائد الفضاء المنطلق في مركبة فضائية نحو السماء شخصان مختلفان اختلافاً كبيراً، قد يصل إلى درجة التناقض، ولكن، لو استُبدل أحدهما بالآخر، في اللحظات الأولى من الحياة، لصار الراعي البدوي رائد فضاء، وصار رائد الفضاء راعياً بدويًّا يهيم مع قطيعه في الصحراء الشاسعة[٤١]. لذا لم يكن انشغال العرب بالنشاط العلمي التجريبي، والبحث في قوانين الطبيعة جزءاً من يوميات حياتهم الطويلة، كما هي حال الشعوب الغربية، التي تكلّم الدكتور محمد عابد الجابري على بعضٍ منها، وهي شعوب تمتلك –بسبب الطبيعة الجغرافية الأوربية–عناصر الاستقرار، وأسباب المعيشة الجيدة، والقدرة على إنشاء المدن القابلة للحياة، ومن ثمَّ إنشاء مختبرات الفيزياء والكيمياء الثابتة القادرة على الاستمرار.

وفي حال نقل دراسة دوال العقل العربية إلى الحقبة الإسلامية، التي تميزت بإنشاء الدولة المنظمة، وتسيّد المدينة العربية، فإن الأمر يتعالق بشبكة معقدة من الأسباب التي حالت دون تحوّل العقل العربي إلى منهج التفكير الحسي التجريبي المُنتِج للعلوم الطبيعية. ولعل الطغيانَ السياسيَّ المتمثّلَ بالحكومات (الإسلامية) السُّلاليّة الجبريّة، ذات الملك العضوض، التي قهرت الناس، واستعبدتهم، وكثرةَ الحروب الأهلية التي شغلت جانباً كبيراً جدًّا من حياة الناس سببان كافيان لتشتيت نشاط الإنسان العربيّ المسلم، فضلاً عن غياب الشعور بالأمان المعيشي المرتبط بالإخفاق الاقتصاديّ المزمن، الناتج عن الطريقة الريعيّة في إدارة الموارد المالية. إن بيئة حياتية كهذه كافية لإضعاف قدرة أي شعب على الإبداع العلميّ، وقد ظلت آثارها فاعلة في الأزمنة الحديثة من حياة الإنسان العربي[٤٢].

وكيفما كانت الأسباب الموضوعية فإن العرب –في نهاية المطاف البحثي–لم يفكروا بطريقة تجريبية استقرائية كاشفة عن خفايا العلوم الطبيعية، ولم يخترعوا الآلات المشتغلة بحرق الوقود المستخرج من باطن الأرض، بحسب القوانين الفيزيائية، والكيميائية، ولم يُحسنوا تصنيع الأدوية العلاجيّة بطريقة مختبريّة، فقد بقي جابر بن حيان الكوفي، وأضرابه من العلماء، والأطباء العرب والمسلمين لحظات مضيئة عابرة في التاريخ العربيّ الإسلاميّ، يجري استدعاؤها في مواضع التفاخر، والعنعنات الحضارية.

ولمّا كان المستعمل من دوال العقل في العربية في المستوى الأنثروبولوجي الثقافي العربي هو عينه المستعمل في النص القرآني المقدّس، كما تبيَّن من سيرورة البحث، فإن أمراً كهذا يدفع باتجاه القول بتطابق البنية الدلاليّة في هذين الحقلين اللسانيّين، حتى هذه المرحلة من البحث في أقل تقدير. فهل هذه النتيجة معطًى معرفي نهائي، بحيث يمكن الجزم بخلو القرآن الكريم من الدعوة إلى التفكير العلمي السببي التجريبي الذي يفضي إلى فهم الظواهر الطبيعية، ومعرفة قوانينها الفيزيائية والكيميائية والإحيائية،

التي تتسبب في انبثاق الاختراعات التقنية، وزيادة الإنتاج في الأطعمة، والأدوية، وسائر البضائع الحياتية المتباينة، أم ثمة شيء آخر؟

يتطلّب فكّ هذه الإشكالية المعرفية (الإبستيمولوجية) الإجابة عن الأسئلة الآتية:
السؤال الأول: لماذا استعمل القرآن الكريم دوال العقل المتداولة في اللسانيات العربية؟
السؤال الثاني: ما وظيفة الكتب السماوية؟
السؤال الثالث: هل اكتفى القرآن الكريم فعلاً بالدعوة إلى تفعيل العقل الأخلاقي السلوكي فقط؟
إجابة السؤال الأول:

إن استعمال القرآن الكريم لدوال العقل المتداولة في اللسانيات العربية جاء من منطلق موافقته لواقع حال الشعب العربيّ، بوصفه الشعب المتلقي الأول لصدمة التنزيل، ومسوّغ ذلك هو قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ" إبراهيم/ ٤، ويُعرف هذا التأصيل المعرفي اللساني في الثقافة العربية الإسلامية بعبارة (كلَّم اللهُ العربَ بكلامها)، ففي رواية علمية متداولة في التراث العربي الإسلامي، سُئِل عالم العربية؛ أبو عبيدة معمر بن المثنى عن قوله تعالى: "طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ" الصافات/ ٦٥، كيف وقع هذا التشبيه؛ (تشبيه طلعِ شجرة في نار جهنم برؤوس الشياطين)، مع أن المشبَّه به؛ (رؤوس الشياطين) غير معروف؟ وفي المعتاد أنَّ الوعد والوعيد يقعان بالأشياء المعروفة، فقال أبو عبيدة للسائل: إنما كلَّم اللهُ العربَ على قدر كلامها، فالعرب –في كلامها–قد تُشبّه شيئاً محسوساً بشيءٍ وهميٍّ، ومما يُستدَّل به في شأن كهذا قول امرئ القيس:
أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي .. وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ.

المشرفي سيف منسوب إلى المشارف وهي قرًى من أرض العرب، تدنو من الشام، تصنع فيها السيوف. والزرق المسنونة: السهام المحدودة، جعلها زرقاً لصفائها، وشبَّهَها بأنياب الأغوال تشنيعاً لها، ومبالغةً في وصفها، والأغوال: الشياطين، والعرب لم يروا الغول قطّ، ولكنّهم لمّا كان أمره يهولهم أَوْعدوا به[٤٣]. إنّ استعمال دوالّ العقل الأخلاقي في القرآن الكريم جاء موافقاً لاستعمال العرب في حياتهم اليوميّة، بمعنى الموافقة للمتداول اليومي في حياة الشعب العربيّ القديم، بوصفه المتلقي الأول لصدمة التنزيل القرآنيّ، ولمسؤوليّة الوعي بالرسالة السماويّة، والنهوض بأعباء نشرها بين الشعوب، والأمم، ما يتطلب مخاطبته بما يستطيع فهمه في تلك المرحلة المتقدمة، أو المبكِّرة.

إجابة السؤال الثاني:

القرآن الكريم كتاب هداية للجماعة البشرية؛ قال تعالى "إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" النحل/٩٠، وقال تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً" الأحزاب/٢١، وقال تعالى:

"اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ" العنكبوت/٤٥. وغير ذلك كثير من الآيات الداعية إلى تهذيب النفس الإنسانيّة، وتيسير سبل التعامل بين الناس[٤٤]، فالقرآن الكريم كتاب للتربية البشريّة، هادف إلى إقامة مجتمع العدل والكفاية، وليس كتاباً في نظريات علوم الطبيعة، وإن لم يكن خالياً في بعض نصوصه من إشارات علمية طبيعية مهمّة جدًّا، بل هو كتاب يتضمن كشوفاً علميّة، تمكنت الحضارات الإنسانية، غير الإسلامية، من إدراكها في أوقات متأخرة من التاريخ الإنساني، لكنه غير معني بإنشاء مختبرات الفيزياء، والكيمياء، والعلوم الطبية، فهذه شؤون حياتية يومية، يقوم بها الناس من تلقاء أنفسهم، وتحرّكهم المصالح الفردية والجماعية نحو ذلك، أي هي شؤون عارضة تنتظم بحسب حاجات الناس، وطبيعة الظروف السياسية، والطبيعية المحيطة بهم.

إجابة السؤال الثالث:

ليست مقولة ترك القرآن الكريم تركاً كاملاً الدعوةَ إلى منهج البحث الاستقرائي، والاكتفاء بالجنبة القيمية الأخلاقية، على قدر واسع من الدقة العلمية، بل هي مجافية لواقع عدد من النصوص القرآنية. ويتطلب حلُّ هذه الإشكاليّة البحث عن دوالّ أخرى غير الدوال التي جرى الحديث عنها حتى هذه اللحظة، بمعنى البحث عن دوالّ من نوع مختلف، يمكن أن تتعلق بحواريّة قرآنية معينة، أو بنصٍّ متعدد الجُمل، ويمكن بيان الأمر بعرض عدد من الآيات التي تثبت ذلك، وعلى النحو الآتي:

أ-آيات المنهج الاستقرائي

ثمة آيات -في القرآن الكريم- دالة على التفكير بمنهج تجريبي استقرائي، مضمونها الدعوة إلى تقصّي جزئيات الكون، بيد أنها لم تَسْتَعمل أي دالة من دوال العقل المألوفة في المتداول اللساني اليومي من الحياة العربية، وهي آيات -حتى لو كان الهدف الأول من استعمالها الوصول إلى عقيدة التوحيد- تؤسس منهجاً عقليًّا جديداً، يفضي في بعض نتائجه إلى التدريب على فهم موجودات العالم؛ من ذلك مثلاً: قوله تعالى "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ" فصلت/ ٥٣، فهذه الآية غير مشتملة على دالة من دوال العقل في العربية، لكنَّ المنهج الاستقرائي يبدو فيها واضحاً بأجلى صُوَرِه الممكنة، فثمة دعوة لرؤية كل شيء في النفس البشرية، وفي الآفاق الكونية، للوصول إلى المعرفة.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: "أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهاداً، وَالجِبَالَ أَوْتَاداً، وَخَلَقْناكُمْ أَزْوَاجاً، وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً، وَجَعَلْنا اللَّيْلَ لِباساً، وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعَاشاً، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً، وَجَعَلْنا سِرَاجاً وَهَّاجاً، وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ماءً ثَجَّاجاً، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتاً وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً" سورة النبأ/ ٦-١٦، فهذه الآيات غير مشتملة على دالة من دوال العقل العربية المعهودة، لكنها تدعو الإنسان المسلم المخاطب عربيًّا كان أم

غير عربي، إلى البحث الاستقرائي التجريبي في جزئيات العالم، لاستخراج دليل إثبات الخالق، بدعوتها الإنسان إلى تقصّي تلك الجزئيات المحيطة بحواسه الخمس، التي هي –في حقيقة الأمر، وفي نهاية المطاف–أدوات المنهج الاستقرائي التجريبي.

ب–آيات الجدل الصاعد والنازل

العقل العربي –على وفق المُعطى البحثي–عقل تأملي استنباطي، يعمل بالجدل النازل، في طريقته لفهم العالم، ولهذا تأتي الصفة بعد الموصوف في اللغة العربية، فيقال: هذا كتابٌ جيدٌ، بخلاف اللغة الإنكليزية التي تضع الصفة قبل الموصوف في الجملة، فيقال: (This is a good book)، أي: هذا جيدٌ كتابٌ، وسبب ذلك أن العقل الإنكليزي عقل استقرائي، يشتغل بالجدل الصاعد، ولعلّ في هذا التركيب النحويّ شيئاً من توكيد (فرضية وورف و سابير). والإنكليزي يقول أيضاً: (This is a beautiful comfortable home)، أي: هذا جميلٌ مريحٌ منزلٌ. أما العربي فيقول: هذا منزلٌ جميلٌ مريحٌ[٤٥].

وبغضّ النظر عن القيمة المعرفية (الإبستيمولوجية) لهذا الفهم[٤٦]، ومدى صحة دعمه لحقيقة (دوال العقل) التي تَقَدَّمَ البحث بشأنها، وانفرادها بالسيطرة على العقل العربي، وتأكيد قضية كونه عقلًا استنباطيًّا، فإن ثَمَّة آفاقاً معرفية خطيرة، يمكنها أن تدحض –على قدر تعلق الأمر بالقرآن الكريم– انفراد هذه البنى المنهجية به، كتلك الآيات الحوارية الكريمة التي تدفع باتجاه التعامل بالمنهج التجريبيّ الاستقرائيّ الحسيّ، مع موجودات هذا العالم، ولعل من أبرزها المناظرة الشهيرة المتعلقة بمسألة إثبات الخالق، التي جرت بين الفرعون المصري المدّعي للألوهة المطلقة[٤٧]، ونبيّ الله تعالى؛ موسى بن عمران (عليه السلام)؛ قال تعالى: "قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ" الشعراء/ ٢٣–٢٤، فهذا النص القرآني الكريم لا يشتمل على أي دالة من دوال العقل العربية المعروفة، ولكن –ومن الواضح جدًّا، وبقليل من النظر المعرفي في مضامينه الدلالية– يمكننا رؤية أن الفرعون المصري سأل نبي الله موسى (عليه السلام) عن الذات الإلهية، بمورفيم الكينونة؛ (ما)، في قوله "وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ"، ما يعني أنه استعمل الجدل النازل العقلي الاستنباطي، أما النبيُّ الكريم موسى الكليم (عليه السلام) فأجاب الطاغية المصري بالتنبيه إلى ضرورة الفهم بالصفات الإلهية، في قوله "رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ" مستعملاً الجدل الصاعد، وهو جدل استقرائي، مبني على تجميع الوقائع، وهي مخلوقاتُ الله تعالى من أجل السعي في محاولة الوصول إلى معرفته، وصولاً إلى الإذعان البشري للتوحيد، فكأنَّ النص من حيث هو نصٌّ، وليس من حيث هو جمل عربية متقطّعة، جاء على وفق التركيبة النحوية الإنكليزية، التي تُقَدِّم، في بنيها النحويّة، الجزئياتِ الحسية على الحقيقة الكليّة.

وفي نصٍّ قرآني آخر يَروي قصةَ المناظرة نفسها؛ قال تعالى: "قَالَ فَمَن ربّكُمَا يا مُوسَى، قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" طه/ ٤٩-٥٠، ففي هذا النصِّ الكريم نرى الأمر نفسه متكرراً، فسؤال الفرعون المصري كان عن (الذات) بقوله: "فَمَن ربّكُمَا يا مُوسَى"، وجواب نبي الله موسى كان بذكْر (الصفات) في قوله "رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ"، والمغزى من هذا كله أنَّ نبي الله موسى (عليه السلام) استعمل دليل الاستقراء، وتقصي جزئيات الكون، لإثبات وجود الخالق. وليس -في النص كما هو بيِّن- من دالةٍ من دوال العقل المعهودة في المتداول اليومي العربي، ولكنه نصٌّ يحثُّ على اتخاذ المنهج الاستقرائي وسيلةً لفهم العالم.

وفي قصة نبي الله إبراهيم الخليل (عليه السلام) ثمة حوار داخلي بين هذا النبي الجليل ونفسه[٤٨]، أو بينه وبين جزئيات هذا الكون الفسيح، بمسارات منطقية استقرائية، تتوخى الجدل الصاعد، وصولاً لمعرفة الحقيقة الإلهية؛ قال تعالى: "وكَذلكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً، قَالَ هذا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى القمَرَ بازِغاً قَالَ هذا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هذا رَبِّي هذا أَكْبَرُ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" الأنعام / ٧٥-٧٩، فبعد إعمال الفكر-لدى نبيّ الله؛ إبراهيم (عليه السلام)-في جزئيات العالم، انتهى البحث إلى إدراك الحقيقة الكلية، والإيمان بالله الواحد الأحد الذي فطر السماوات والأرض.

وفي القصة نفسها ثمة تحشيد واضح لمنهج الجدل الصاعد في استكناه أثر الحقيقة الإلهية المفسِّرة لخلق العالم، وفي نمط بثّها من نبيّ الله؛ الخليل (عليه السلام) إلى مواطنيه الكلدانيين، في المملكة البابلية، السادرين في تقديس الأوثان، من دون الله الواحد الأحد، فقد درج هذا النبيّ الكريم، مرة بعد أخرى، على استعمال الجدل الصاعد لتبيان الحقيقة الإلهيّة، وقد حكى القرآن الكريم -في هذا الشأن- مناظرة حواريّة لافتة للنظر المعرفي (الإبستيمولوجي)، في ذلك الزمن البعيد؛ قال تعالى: "إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما هذهِ التَّمَاثِيلُ الَّتي أَنتُمْ لَها عَاكِفُونَ" الأنبياء/ ٥٢، فسأله قومه -في حالٍ من التشكيك الحثيث- عمَّا جاء به من طروحات جديدة تتعلق بالخلق والوجود؛ قال تعالى: "قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ" الأنبياء/ ٥٥، فكان الردُّ ردًّا استقرائيًّا قائماً على الجدل الصاعد، إذ ذكر النبيّ الكريم -في ردّه- جزئيات العالم، التي يتوصل الإنسان ببحثها إلى الإيمان الحق بالله الواحد الأحد؛ قال تعالى: "قالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنا على ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ" الأنبياء/٥٦. وإتماماً لتبليغ الرسالة الإلهيّة انتقل هذا النبي العظيم؛ نبيّ الجدل الصاعد، والإقناع الحسي، إلى مرحلة إجرائيّة ذات وقع سيميائيّ خطير، عندما شرع بتكسير التماثيل المعبودة من دون الله تعالى، ليثبت للناس -بالأثر الحسي الملموس-حقيقة الوهم العقائدي المنوط بتلك الكتل الحجريّة الصنميّة، التي لا تغني من الحق

شيئاً؛ قال تعالى: "وتاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلّوا مُدْبِرِينَ، فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ" الأنبياء/ ٥٧-٥٨، ليتحطم بتحطيمها النسقُ الثقافيُّ الحامي لها في العقول الوثنيّة. ولما صَدَمَ مشهدُ التحطيم الكامل للأوثان قومَ النبيّ الخليل (عليه السلام)، "قالوا مَن فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ" الأنبياء/٥٩، و"قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنَا يا إِبْرَاهِيمُ" الأنبياء/٦٢. لكن نبيّ الجدل الإيمانيّ الصاعد أحال -إتماماً للحجة المنطقية -فعلَ التكسير على الصنم الأكبر، ليضع قومه الكلدانيين في حرج البحث عن الإجابة الصحيحة، التي يعرفها الإنسان العاقل بالمعتاد من الخبرة (الحسيّة التجريبيّة) اليوميّة، فليس ثمةَ صنمٌ يكسر صنماً آخر؛ الأمر الذي لا يعدو سوى كونه شيئاً من بدائه العقل البشري؛ قال تعالى: "قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ" الأنبياء/٦٣.

وقد يُطرح سؤال على المستوى المعرفيّ (الإبستيمولوجي) عن علاقة هذا الفعل اللساني بالدعوة إلى البحث الفيزيائي، والكيميائي وغيرهما، وبالحثّ على التجربة الحسيّة المختبريّة؟

ولمعرفة حقيقة هذه المسألة لابد من إدراك أنّ التحولات الثقافية الكبرى في حياة الأمم تتساوق مع انبثاق لحظات التأسيس الجديدة، واللحظة القرآنية، كانت في وقتها، لحظة تأسيس عربيّ إسلاميّ من العيار الثقيل، فبها، وبعدها، تغيّرت معطيات ثقافيّة، ومنهجيّة، ووجوديّة (بالمعنى الأنطولوجيّ) في الحياة العربيّة، والطريقة الذي تُعدُّ منهجاً جديداً في إثبات الخالق، لا مناص من تحوّلها -فرضيًّا في أقل تقدير- في حالِ تمثّلِها التمثّل المعرفيّ (الإبستيمولوجيّ) الصحيح إلى منهج للوعي العلميّ في حقول المعرفة الحياتيّة الدنيويّة المختلفة، وهذا جزء من سُنن الطبيعة البشريّة، فالمنهج النافع في الوصول إلى معرفة شيء ما سيكون -بالبداهة البشريّة-منهجاً مستثمَراً في معرفة أشياء أخرى، والعالم بطبيعته الفيزيائيّة، والكيميائيّة، والحيويّة، يمكن أن يكون -من الناحية النظريّة في أقل تقدير- موضع اهتمام الإنسان العربي، والمسلم، لكشف ما فيه من قوانين السببية المحركة لحدوث الأشياء.

سادساً: نقصان العقل النسوي

من البنيات الثقافية الإسلامية المتفق عليها بين المذاهب الإسلامية وَسْمُ المرأة بنقصان العقل والدين، فـ"النساء ناقصات عقل، ودين"[٤٩]، وبقيت سيرورة هذا النصّ في الثقافة العربية الإسلامية مثار نقاش طويل على امتداد الزمان والمكان الإسلاميين، ما يجعل من فهمه مطلباً من مطالب التحليل اللسانيّ الأنثروبولوجيّ. ويرتبط حلّ هذا الإشكال -كما نرى-بما كَشَفَ البحثُ عنه من كون العقل العربيّ عقلاً قيميًّا، وليس عقلاً سببيًّا، ما يعني أن المرأة غير موصوفة بنقصان العقل السببي، ولا ضعف الذكاء التجريبي، فدالة العقل في نصّ "ناقصات عقل ودين" علامة سيميائية مُحيلة على معنى (العقل) الذي تُحيل عليه في الأنثروبولوجيا العربية، وكذلك في فريق من آيات كتاب الله العزيز، الذي هو العقل القيمي. ومما يدعم انصراف دالة (العقل) في النص الحديثي عن الإحالة على معنى السببية، ما متعارف

عليه من ذلك التزايد المطّرِد في أعداد النساء اللواتي يتفوَّقْنَ على كثير من الرجال، في مجالات الهندسة، والكيمياء، والفيزياء، والطب، واللسانيّات، وعلوم الصرف، والصوت، والمحاماة، والتحقيق الجنائي، والطاقة النووية.

ويضمر نص "ناقصات عقل ودين" حكايةَ حالٍ عن المرأة، وليس قدحاً، أو ذمًّا، أو تقريعاً، بدليل أنّ (نقصان الدين) كما هو مُقرر فيه يتمظهر بنقصان في أداء فروض الصلاة والصيام، مع عدم ترتّب أية مؤاخذة عَقَدية، أو فقهية عليه، فقد رُفع التكليف الشرعي عن المرأة المسلمة، في مدة حيضها، من حيث كونه قضية تكوينية، خَلْقية، جارية على وفق قوانين حيوية (بايلوجية) حتميّة، وإذا كان الأمر كذلك في قضية (نقصان الدين)، فإن التحليل الدلالي ينسحب على (نقصان العقل)، بحكم وجود أداة عطف النسق؛ (الواو)، في متن الحديث، ومن المهم الانتباه إلى أن المتبوع هو نقصان العقل، والتابع هو نقصان الدين، والمتبوع –بحكم تقدمه اللفظي–أرسخ في الدلالة على حقيقة الموضوع، فإن كان التابع غير دالٍّ على منقصة قدح، أو ذم، فإن المتبوع غير دال على ذلك من باب أوْلى. إن نقصان عقل المرأة حكاية حال عن عقلها القيمي الوعظي، من حيث كونها الجنس البشري الذي تتفوق فيه العاطفة الغريزية في قبال العقل؛ الذي هو ليس العقل السببي، أو الذكاء الذهني، بل هو (العقال) المتحكم بالمنظومة القيمية، التأملية للثقافة العربية.

ويتبدى لنا أمر الموقف العقلي النسوي من جدلية الخير والشر بشكل مقلوب لافت للنظر الوجودي (الأنطولوجي)، فنقص العقل النسوي بالمعنى اللساني العربي ليس شرًّا، بل هو خير عميم داعم للوجود للبشري في هذا العالم، لأن الزيادة العاطفية المفرطة، التي هي نقيض صريح للعقال، أو فلنقل للانضباط، العقلي، ما هي إلا الوسيلة الفضلى التي رَكَزَها الخالق جلَّ وعلا في النفس البشرية النسائية لحفظ النوع[٥]، لتكون باعثاً مستداماً لذلك النشاط النفسي والحيوي (الجسدي) الذي مكّننا به الله تعالى من الاستمرار في هذا العالم. فالمرأة تتمتع بقدرة فائقة على التضحية الحسية الجسدية من أجل المحافظة على استمرار النسل. ومن لطف التدبير الإلهي، في تشكيل المرأة أنها تصحو ليلاً لترضع ولدها الصغير، وليس من أحد يرغمها على إطعامه قبل أن تطعم نفسها، وفي ذلك العمل الليلي المتواصل توكيد شديد الوضوح للسطوة الغريزية، المخالفة للمنطق العلمي، الذي ينبغي أن يفضي بها –في حال انتهاجه–إلى تفضيل النفس على الآخر، كيفما كان ذلك الآخر حتى لو كان ولدها الرضيع.

ولا يبدو الأمر مقنعاً من وجهة نظر منطقية أن تحتمل نساء كثيرات بؤس حياة مديدة مليئة بالتعاسة الاجتماعية، والمعاناة النفسية، مع أزواج يمارسون ضدهن أصنافاً من العنف الجسدي والمعنوي، وليس من سبب للبقاء معهم في حلبة صراع حياتي واحدة سوى التضحيةً المقدَّمة منهن على مذبح استمرار النوع البشري، ولكن بدافع غريزي، غير خاضع لسيطرة التحكم المنطقي.

ومما له مغزى أن (الأم العَزَبة)[٥١] في المجتمعات الغربية، هي التي تتولى تربية أولادها غير الشرعيين المنتمين إلى عدد من الآباء الذين عاشرتهم سفاحاً في مسيرة حياتها، فهذه المرأة لم يستطعْ تكوينها الثقافي الغربي–غير المعنيٍّ بالالتزام الدينيّ– دفعها إلى إسقاط التزاماتها المادية، والمعنوية نحو أولادها غير الشرعيين، فهي لا تفعل ذلك. ولو جرى الحال بحكم التفكير المنطقي، وليس بحكم الغريزة العاطفية فإن النتيجة ستكون تركها عبء تربية أولادها لتعيش حياتها، وتتمتع بما متاح لديها من وقت ومال في هذه العالم الغربي المتسارع، وهذه الحضارة الغربية التي تقدّم اللذة الحسية على مبدأ التضحية، والواجب الديني.

إنّ المرأة –بحسب العقل السببي–ليست أقل ذكاء من الرجل، ولا أكثر منه، فذلك يتحدد بحسب الحالة الفردية لكل إنسان في هذا العالم.

سابعاً: الخاتمة

تشير دوال العقل العربية إلى بنية قيمية أخلاقية وعظية، منشغلة بتقويم السلوك البشري، وغير مهتمة بالبحث عن الأسباب المنتجة لحدوث الأشياء في هذا العالم، وقد استعملها القرآن الكريم كلها، باستثناء دالة (الحجا)، ودالة (الذهن)، ما يعني تحصّل تطابق البنية الدلالية بين استعمال القرآن الكريم، والاستعمال اللساني الأنثروبولوجي العربي. وجاء هذا التوجه منسجماً مع حقيقة نزول القرآن الكريم على العرب، بوصفهم الشعب الأول المتلقي للصدمة الحضارية الإسلامية، في مرحلة البعثة النبوية الشريفة، لكن القرآن الكريم –على الرغم من ذلك كله– لم يُهمل الدعوة إلى التفكير بمنهج استقرائيّ تجريبيّ حسيٍّ، بل عمد إلى الحث على ذلك باستعمال صياغات لسانيّة حواريّة جديدة، لم تعهدها الثقافة العربيّة آنذاك في الحقبة الجاهلية، وفي صدر الإسلام. وإجمالاً لكل ما سبق من البحث يمكننا الزعم بأن القرآن الكريم، ولسانيات الأنثروبولوجيا العربية يتضمنان بنياتٍ عقلية متنوعة، وعلى النحو الآتي:

١–بنية دلالية قيمية، أخلاقية، تأملية؛ (عربية أنثروبولوجية، وقرآنية).
٢–بنية دلالية علمية استنباطية؛ (عربية أنثروبولوجية، وقرآنية)، عاملة بالجدل النازل.

٣–بنية دلالية علمية استقرائية؛ (قرآنية) فقط، عاملة بالجدل الصاعد، كاشفة عن قوانين السببية، وهي غير موجودة في النشاط اللسانيّ الأنثروبولوجي العربيّ، وتُعدُّ –من حيث كونها دعوة إلهية قرآنية–إحدى العلامات الفارقة في تعزيز (الشكل الجديد الافتراضي) المرجو حدوثه للعقل العربي، بعد نزول القرآن الكريم، وانقضاء الحقبة الجاهلية.

الحواشي

[١]) دوالّ العقل: هي المصطلحات اللسانيّة المعبرة عن ماهيّة العقل في اللغة العربيّة، أما العقل: فهو القضية المستهدفة بالكشف عن حقيقة بنيتها الدلالية في القرآن الكريم، وفي الثقافة العربية القديمة، في هذه الدراسة. ودوال العقل أوسع من أن تُصنَّف على أساس المورفيم الحر، والمورفيم المقيد، فبعضٌ منها كـ(يعقلون) مثلاً يتشكّل من النوعين كليهما.

[٢]) تُعد اللسانيات الأنثروبولوجية فرعاً من فروع اللسانيات الموسَّعة، وتُعرَّف بأنها "دراسة الكلام واللغة في سياق الأنثروبولوجيا" الأنثروبولوجيا الألسنية (ألساندرو دورانتي) ٢١. وهي كذلك دراسة اللغة بوصفها ثروة ثقافية، والكلام بوصفه ممارسة ثقافية. ينظر: الأنثروبولوجيا الألسنية (ألساندرو دورانتي) ٢٢. أمّا الثقافة فهي بحسب تعريف عالم الأنثروبولوجيا البريطاني إدوارد بارنات تايلور (ت ١٩١٧): "هذا الكلّ المركّب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادات، وكل القدرات، والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع" مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية (دنيس كوش) ٣٠ –٣١، ويُعدُّ هذا التعريف مفتاحاً معرفيًّا (إبستيمولوجيًّا) شديد الأثر في دراسة علاقة اللسانيّات بالأنثروبولوجيا.

[٣]) الكشف عن هذا التناظر هدف رئيس من أهداف اللسانيات الأنثروبولوجية.

[٤]) مدارس اللسانيات، التسابق والتطور (سامسون) ٨٠–٨١. وينظر: دليل السوسيولسانيات (كولماس) ٧٦٣–٧٦٤.

[٥]) ينظر: دليل السوسيولسانيات (كولماس) ٧٦٣.

[٦]) ينظر: دليل ميسر إلى الفكر والمعنى (راي جاكندوف) ١٤١.

[٧]) ينظر: دليل السوسيولسانيات (كولماس) ٧٦٣.

[٨]) الفلسفة الألمانية، مقدمة قصيرة جدًّا (أندرو بووي) ٢٦.

[٩]) ينظر: تكوين العقل العربي (الجابري) ١١.

[١٠]) يُعدُّ الدكتور محمد عابد الجابري –في سلسلة مؤلفاته عن العقل العربي–علامة فارقة في التأليف المعرفي العربي في العصر الحديث، بغض النظر عن تنوّع مواقف الباحثين بشأنه، لذا فرأيه يمثل مساحة حوار جدلية واسعة، بل إشكالية من عيار معرفي (إبستيمولوجي) ثقيل، ويصلح بسبب قوة تأثيره في الحقل المعرفي (الإبستيمولوجي) العربي أن يكون محوراً رئيساً للوصول إلى كشوف معرفية متنوعة بين النقض، والتأييد، والمناصفة.

[١١]) تكوين العقل العربي ط ١٠، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٩–٣٠. وإدراك الأسباب: معرفة قوانين حدوث الأشياء، كقوانين الفيزياء، والكيمياء مثلاً.

[١٢]) المنهج الاستقرائي الحسي، أو التجريبي: منهج يرى –في مقابل المنهج العقلي الاستنباطي–أنّ المعرفة تشتق من الخبرة، والخبرة هي ما تمدّنا به حواسُّنا من معرفة، لأن العقل (صفحة بيضاء) ليس فيه إلّا ما تنقله إليه الحواسّ، وأنّ حقائق الرياضيات، والهندسة، والمنطق وحدها التي لا تحتاج إلى الخبرة. ينظر: مدخل إلى فلسفة العلوم (الجابري) ١٢، والفلسفة، موضوعات مفتاحية (جوليان باجيني) ٧٦.

[١٣]) ينظر: تكوين العقل العربي (الجابري) ٢٠.

[١٤]) ينظر: القاموس، إنكليزي – عربي (The dictionary, English–Arabic) ٦٠٩.

[١٥]) القاعدة التي لا استثناء لها ليست قاعدة، بل مسلَّمة معرفيّة، والمسلمات ليست مقصودة بالبحث، والنقاش.

[١٦]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٥٧٧–٥٧٨.

[١٧]) التعريفات (الجرجاني) ١٥٥.

[١٨]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ" يونس/ ٤٢. و"وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ" يونس/ ١٠٠. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" الرعد/ ٤. و"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ

يَعْقِلُونَ بِهَا" الحج/ ٤٦. و"أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ" الفرقان/ ٤٤. و"قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" العنكبوت/ ٦٣. و"كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" الروم/ ٢٨. و"وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ" يس/ ٦٨. و"قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ" الزمر ٤٣. و"إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" الحجرات/ ٤. و"تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ" الحشر/ ١٤. و"أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" البقرة/ ٤٤. و"يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ" البقرة/ ٧٥.

[١٩]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٦٨١.

[٢٠]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" التوبة/ ٨٧. و"صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" التوبة/ ١٢٧. و"كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" الروم/ ٥٩. و"وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ" الزمر/ ٤٥. و"ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" المنافقون/ ٣.

[٢١]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٦٤٦.

[٢٢]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ" إبراهيم/ ٤٣. و"وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" النحل/ ٧٨. و"إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" الأسراء/ ٣٦. و"وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ" المؤمنون/ ٧٨. و"كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا" الفرقان/ ٣٢. و"وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا" القصص/ ١٠. و"وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ" السجدة/ ٩. و"وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" الأحقاف/ ٢٦. و"قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ" الملك/ ٢٣. و"الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ" الهمزة/ ٧.

[٢٣]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ١٢٧.

[٢٤]) ينظر: لسان العرب (ابن منظور) ٤/ ٦٥.

[٢٥]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" القصص /٤٣. و"وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا، قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي، هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" الأعراف /٢٠٣. و"قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا" الإسراء /١٠٢. و"بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ" القيامة/١٤. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ" آل عمران/ ١٣. و"يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ" النور/٤٤.

[٢٦]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٧٣٣.

[٢٧]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" المائدة/ ١٠٠. و"لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" يوسف/ ١١١. و"إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ" الرعد/ ١٩. و"وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" إبراهيم/ ٥٢. و"لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" ص/ ٢٩. و"وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" ص/ ٤٣. و"إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ" الزمر/ ٩. و"أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ" الزمر/ ١٨. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" الزمر/ ٢١. و"هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" غافر/ ٥٤. و"فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا" الطلاق/ ١٠.

[٢٨]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٨٢٧.

[٢٩]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٢٢٠.

[٣٠]) ينظر: لسان العرب (ابن منظور) ٤/ ١٧٠.

[٣١]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٦٤٢.

[٣٢]) ينظر: لسان العرب (ابن منظور) ١٣/ ٥٢٢.

[٣٣]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ" الأنعام/ ٩٨. و"لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا" الأعراف/١٧٩. و"يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ" الأنفال/٦٥. و"قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ" التوبة/٨١. و"وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" التوبة/٨٧. و"صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" التوبة/ ١٢٧. و"وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا" الكهف/٩٣. و"فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا" الفتح/ ١٥. و"ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" الحشر/١٣. و"ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" المنافقون/ ٣. و"وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ" المنافقون/ ٧. و"وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا" الأنعام/ ٢٥. و"فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ" التوبة/ ١٢٢. و"قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ" هود/٩١. و"وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" الإسراء/ ٤٤. و"عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا" الإسراء/٤٦. و"إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا" الكهف/ ٥٧. و"يَفْقَهُوا قَوْلِي" طه/ ٢٨.

[٣٤]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٦٤٣.

[٣٥]) ينظر: لسان العرب (ابن منظور) ٥/ ٦٥.

[٣٦]) ومن الآيات الأخرى في هذا السياق: "فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" النحل/ ٦٩. "وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" الروم/ ٢١. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" الزمر/ ٤٢. و"إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" الجاثية/ ١٣. و"وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" الحشر/ ٢١. و"كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" البقرة/ ٢١٩. و"كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" البقرة/ ٢٦٦. و"الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" آل عمران/ ١٩١. و"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ" الأنعام/ ٥٠. و"أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ" الأعراف ١٨٤. و"أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ" الروم/ ٨. و"أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا" سبإ/ ٤٦. و"إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ" المدثر/ ١٨.

[٣٧]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الأصفهاني) ٨١٢.

[٣٨]) الجدل النازل، أو الهابط: الانتقال من المفهوم المجرد إلى الواقع الملموس. ينظر: موسوعة لالاند الفلسفية ٢٧٣، والمعجم الفلسفي (مراد وهبة) ٢٣٨، والمعجم الفلسفي (مصطفى حسيبة) ١٥٤. والاستنباط: منهج تفكير ليس له أثر كبير في العلوم الطبيعية، التي تعتمد بشكل رئيس على المنهج الاستقرائي، الذي يجمع بعض جزئيات ظاهرةٍ ما وصولاً إلى القانون الضابط لها، الذي يمكن تطبيقه على سائر جزئيات الظاهرة الأخرى. ينظر: مدخل إلى الفكر الفلسفي (جوزيف بوخينسكي) ٧٠، و٧٢-٧٣.

[٣٩]) الجدل الصاعد: الانطلاق من الواقع الملموس إلى المفهوم المجرد. ينظر: موسوعة لالاند الفلسفية ٢٧٣، والمعجم الفلسفي (مراد وهبة) ٢٣٨، والمعجم الفلسفي (مصطفى حسيبة) ١٥٤.

[٤٠]) تكنولوجيا السلوك الإنساني (ب.ف. سكينر) ١٦١.

[٤١]) ينظر: تكنولوجيا السلوك الإنساني (ب.ف. سكينر) ١٦٢.

[٤٢]) نرى في العصر الحديث -على مستوى العالم- أن البلدان ذات النُّظُم الشمولية أقل أثراً في إنتاج العلوم الطبيعية، والتكنولوجية، وغاية ما تبدع فيه تطوير ما هو منتج أصلاً في بلدان ذات نُظُم ديمقراطية.

[٤٣]) ينظر: معجم الأدباء (ياقوت الحموي) ٢٧٠٦-٢٧٠٧.

[٤٤]) قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً" النساء/٩٧، وقال تعالى: "وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً" الإسراء/٣٤. وقال تعالى: "يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ

بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ" لقمان/ ١٧. وقال تعالى: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً" الفرقان/ ٦٣ –٦٤.

[٤٥]) ينظر: سايكولوجية اللغة والمرض العقلي (جمعة سيد يوسف) ١٥١.

[٤٦]) مما يضعف حتمية هذه القضية، ويجنح بها نحو النسبية اللسانية أنّ الفرنسية –وهي ضمن مساحة العقل الغربي– تُشبه العربية في هذه المسألة اللغوية. ينظر: سايكولوجية اللغة والمرض العقلي (جمعة سيد يوسف) ١٥١.

[٤٧]) كان ذلك الفرعون يسوّق نفسه إلهاً واحداً متفرداً؛ تقول الآية الكريمة: "وَقالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّها الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ" القصص/ ٣٨.

[٤٨]) نعتقد –والله أعلم–أنَّ هذه المناظرة من أجلنا نحن، لأنَّ سيدنا إبراهيم (عليه السلام) مؤمن موحِّد بالمناظرة، وبدونها.

[٤٩]) صحيح البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري) رقم الحديث ٣٠٤.

[٥٠]) ولعلّ ذلك موجود في سائر الأجناس الأخرى، غير البشرية، فالدأب على استمرار الأنواع مرتبط بالأنثى.

[٥١]) يقال: امرأة عَزَبٌ، وعَزَبةٌ، التي لا زوج لها. لسان العرب (ابن منظور) ١/ ٥٩٥. وظاهر (الأم العزبة، أو غير المتزوجة) شائعة في العالم الغربي.

المصادر والمراجع:

–القرآن الكريم

– الأنثروبولوجيا الألسنية، ألسندرو دورانتي، ترجمة: فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٣.

–التعريفات، الشريف علي بن محمد الحسيني الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٣ م.

–تكنولوجيا السلوك الإنساني، ب. ف. سكينر، ترجمة: د. عبد القادر يوسف، مراجعة: د. محمد رجا الدرني، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب–الكويت، ١٩٩٨.

–تكوين العقل العربي، د. محمد عابد الجابري، ط ١٠، بيروت، ٢٠٠٩.

–دليل السوسيولسانيات، فلوريان كولماس، ترجمة: د. خالد الأشهب، ود. ماجدولين النهيبي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دارسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٩.

–دليل مُيسّر إلى الفكر والمعنى، راي جاكندوف، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط ١، عمان، ٢٠١٩.

–سايكولوجية اللغة والمرض العقلي، د. جمعة سيد يوسف، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٤٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب–الكويت،١٩٩٠.

–صحيح البخاري=الجامع المسند الصحيح، محمد لن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) بحاشية السهارنفوري، وحاشية السندي، كراتشي–الباكستان، ٢٠١٦.

– الفلسفة الألمانية، مقدمة قصيرة جدًّا، أندرو بووي، ترجمة: محمد عبد الرحمن سلامة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠١٥.

– الفلسفة، موضوعات مفتاحية، جوليان باجيني، ترجمة: أديب يوسف شيش، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط١، دمشق، سوريا، ٢٠١٠.

-القاموس، إنكليزي – عربي (The dictionary, English–Arabic)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٤.
-لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
-مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة: د. محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٤١٤هـ.
-مدخل إلى الفكر الفلسفي، جوزيف بوخينسكي، ترجمة: د. محمود حمدي زقزوق، دار الفكر العربي، ط ٣، القاهرة، ١٩٩٦.
-مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانيّة المعاصرة وتطور الفكر العلميّ، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٦، بيروت، ٢٠٠٦.

-معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلاميّ، ط ١، بيروت، ١٩٩٣.
-المعجم الفلسفي، د. مراد وهبة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، مدينة نصر–القاهرة، ٢٠٠٧.
-المعجم الفلسفي، د. مصطفى حسيبة، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط ١، الأردن–عمان، ٢٠٠٩.
-مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط ٤، دار القلم–دمشق، والدار الشامية –بيروت، ٢٠٠٩.
– مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنيس كوش، ترجمة: د. منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
– موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، المجلد الأول A–G، تعريب: خليل أحمد خليل، بإشراف: أحمد عويدات، منشورات عويدات، ط ٢، بيروت –باريس، ٢٠٠١.

موارد ابن إسحاق وثيقة لمعرفة طفولة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بين الحمل والولادة والرضاعة دراسة وتحليل

أ.م. د. علاء حسن مردان اللامي*

Ibn Ishaq's resources a document to know the Prophet Muhammad's childhood (may God's prayers and peace be upon him and his family) from the pregnancy, childbirth, and breastfeeding. Analytical study

الكلمات المفتاحية: موارد ابن إسحاق، طفولة النبي محمد(ص)، الفكر الإسلامي

Keywords: Ibn Ishaq's resources, the Prophet Muhammad's childhood, Islamic thought

المستخلص:

اعتمد ابن إسحاق على مجموعة من الرواة الذين نقلوا الخبر التاريخي بشأن طفولة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وهذه الاخبار جاءت بهدف إعطاء نمط معين من الفكر المنسجم مع الطفولة لا سيما وفيها ما يميزها عن غيرها باعتبارها طفولة خاتم الأنبياء والرسل، والنتيجة مجموع رواياته كانت قليلة وفيها شيء من الاعجاز الحاصل، وكأنها متأثرة بنسق القداسة والعناية بأفكارها او جعل الروايات اكثر مقبولية في الفكر الإسلامي، كونها تتحدث عن نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، فهل يا ترى ان محمد بن إسحاق قدم كل معلوماته التاريخية التي نقلها من مصادرها الأولية وهم الرواة من أبناء الصحابة والتابعين، او اجتهد في تنسيق ما سمع وقدم معلوماته بصورة مختصرة او لم يتمكن من تقديم روايات تاريخية قادرة على تشخيص طفولة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بكل جزئياتها، فظهرت رواية تاريخية تحاكي طبيعة الطفولة وبما انها تخص خاتم الأنبياء فجعل لها فكرة مقدسة تعتني بتجسيدها بشكل ظاهري يرتكز عليه الفكر الإنساني اذا ما وصل الى طبيعة الظاهرة المقدسة للعلاقة الزوجية التي تمت بين ابوي النبي ومن ثم ولادته ورضاعته، فكانت أخباره التي دونها في كتاب السير والمغازي هي نواة لتأصيل الاخبار الخاصة بالسيرة النبوية، لتعتمد من قبل السلطة العباسية وبعدها أصبحت المرجع الأساس لكل من دون او نقل اخبار عصر الرسالة، وقسم البحث الى ثلاثة مباحث في محاولة لمعالجة الصورة الأولية التي ظهرت عليها اخبار النبوة قبل الولادة ومن ثم ساعة اجتماع الابوين ليكونا سببا لولادة النبي ومن ثم نشأته ورضاعته في بادية بني سعد.

Abstract:

Ibn Ishaq relied on a group of narrators who transmitted the historical news about the childhood of the Prophet Muhammad (peace and blessings of God be

* lecbasra7@alkadhum-col.edu.iq

كلية الامام الكاظم (عليه السلام)

upon him and his family). As a result, the totality of his narrations was few and had something of a miraculous nature, as if they were influenced by the system of holiness and the attention to its ideas or to make the narrations more acceptable in Islamic thought, as they talk about the Prophet of Islam Muhammad (peace and blessings of God be upon him and his family), so do you think that Muhammad ibn Ishaq provided all his information The historical narrative that he received from its primary sources, namely, the narrators from among the sons of the Companions and the Followers, or he endeavored to coordinate what he heard and presented his information in a concise manner, or he was unable to provide historical narratives capable of diagnosing the childhood of the Prophet Muhammad (peace and blessings of God be upon him and his family) in all its details, so a historical narrative appeared that simulates The nature of childhood, and since it belongs to the Seal of the Prophets, he made for it a sacred idea that takes care of its apparent embodiment, on which human thought can focus if it reaches the nature of the sacred phenomenon of the marital relationship that took place between the Prophet's parents and then his birth and breastfeeding. His news, which he wrote down in the Book of Al-Sir and Al-Maghazi, was a nucleus for authenticating the news of the Prophet's biography, to be approved by the Abbasid authority, and then became the main reference for everyone who wrote or transmitted the news of the era of the message. Birth and then the hour of the parents meeting to be a reason for the birth of the Prophet and then his upbringing and breastfeeding in the desert of Bani Saad.

المقدمة

فكرة البحث محاولة في الوقوف على مصادر ابن إسحاق المطلبي (ت١٥١هـ) على اعتباره من أوائل مدونو أخبار السيرة النبوية بطلب من الدولة العباسية، فيكون اهتمامه تحت رعاية السلطة الحاكمة، وبعد مدة زمنية تمكن من جمع مادة تاريخية عن السيرة النبوية من بيئة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) مكة والمدينة، فاخذ يدون اخباره وفق ما سمع من أبناء الصحابة والتابعين، على اعتبارهم وثائق تاريخية حية نقلت الاخبار عن جيل الصحابة الذين شهدوا حوادث عصر الرسالة الإسلامية، وهذا يعني انهم اعتمدوا على ذاكرتهم في الحفظ، فربما نسوا شيئاً من الاخبار والحوادث الحاصلة، وربّما زادوا على ما يحفظون من مادة تاريخية توهموا فيها او نسبة الى تشويه بعض الحقائق التي ادركوها او وفق ما تأثروا به من ميل النفس وهواها، وهذا امر وارد فيما نقله الرواة والمؤرخين في جانب التوثيق التاريخي، هذا فيما يخص عصر الرسالة وحوادث الدعوة الإسلامية، لكن فيما يخص ولادة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ومدة طفولته، فهل اعتمد على الرواة الذين نقلوا اخبار سمعوها من غيرهم وظنوا انها حقائق لاشك فيها، ام انهم استعانوا بالقران الكريم على اعتباره نزل على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فكانت آياته تحاكي طفولة رسول الله او لها علاقة في كشف بعض من جوانبها، ام انهم اعتمدوا على الحديث النبوي الشريف باعتباره قدم مادة تاريخية عن طفولة النبي (صلى الله عليه واله وسلم)

وتنشئته في مكة او غيرها من الأماكن المتاحة آنذاك. فالدراسة محاولة في الكشف عن موارد ابن إسحاق باعتباره قدم أقدم وثيقة تاريخية نقلت اخبار السيرة النبوية وهي متداولة بروايته في مختلف كتب التراث الإسلامي، وان ما كتبه ابن إسحاق يعد ضمن الكتب المدونة المفقودة، وهناك دراسة تحقيقية بشأن سيرة ابن إسحاق لكنها ليست الأصل انما هي دراسة جمع وتحقيق فتبقى تختلف عن الأصل بصورتها المكتوبة وفكرتها المنشودة من قبل صاحبها.

قسم البحث على ثلاثة محاور من أجل الالمام بالمادة التاريخية المراد دراستها، فالمحور الأول جاء تحت عنوان: موارد ابن إسحاق عن طفولة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، اما المحور الثاني: اهتم بدراسة ولادة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في رواية ابن إسحاق، بينما المحور الثالث: عن رضاعة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) برواية ابن إسحاق. مع مناقشة ما ذكره ابن إسحاق ودراسته دراسة تحليلية فكرية لتقديم مادته التاريخية بشكل قريب من الحقيقة، فضلاً عن الخاتمة وقائمة المصادر ومن الله التوفيق.

المحور الأول: موارد ابن إسحاق لروايات طفولة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

اعتمد ابن إسحاق على مجموعة من الرواة الذين نقلوا الخبر التاريخي بشأن طفولة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وهذه الاخبار جاءت بهدف إعطاء نمط معين من الفكر المنسجم مع الطفولة وفيها ما يميزها عن غيرها باعتبارها طفولة خاتم الأنبياء والرسل، والنتيجة مجموع رواياته كانت قليلة وفيها شيء من الاعجاز الحاصل، وكأنها متأثرة بنسق القداسة والعناية بأفكارها او جعل الروايات اكثر مقبولية في الفكر الإسلامي، كونها تتحدث عن نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، فهل يا ترى ان محمد بن إسحاق قدم كل معلوماته التاريخية التي تلقها من مصادرها الأولية وهم الرواة من أبناء الصحابة والتابعين، او اجتهد في تنسيق ما سمع وقدم معلوماته بصورة مختصرة او لم يتمكن من تقديم روايات تاريخية قادرة على تشخيص طفولة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بكل جزئياتها باعتبار ان حياة الأطفال لا احد يهتم لها في ذلك الزمن، او انها حياة هادئة بعيدة عن الصراع السياسي والفكري، ثم ان هناك العديد من الأطفال الذين ولدوا أيام ولادة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فلا أحد يعلم بشأنهم شيئاً، وهذا الامر يجعل المهتم للسيرة النبوية يدور في الاستغراب والتشكيك بشأن التأصيل التاريخي للطفولة، فربما هناك اخبار كاذبة جاءت لتتحدث عن الطفولة النبوية فقدمتها بصورة تليق بنبي ليس الا، فأحيطت بهالة من القداسة والاهتمام الكبير لا سيما من قبل أصحاب الديانات الأخرى كالديانة اليهودية.

ومع الاخبار التي نقلت عن ابن إسحاق قد اعتمد على مصادره في تحري الخبر الواحد، فلم يأتِ به تلقاء نفسه حسب الاسناد الظاهر في مروياته التاريخية، بل أشار الى من حدثه فثبت ما سمع ودونه في

كتابه الذي ألفه للدولة العباسية أيام الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦– ١٥٨ هـ)، اذ يروي ان الخليفة طلب من محمد بن إسحاق ان يؤلف لولده المهدي كتاباً جاء في نص الرواية: (قال: اذهب فصنف له كتابا منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا. قال: فذهب فصنف له هذا الكتاب. فقال له: لقد طولته يا ابن إسحاق اذهب فاختصره. قال فذهب فاختصره فهو هذا الكتاب المختصر، وألقى الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين) (١). وان يكن هناك خلط في رواية الخبر التاريخي تم نقله من قبل الخطيب البغدادي، اذ في رواية ان ابن إسحاق دخل على الخليفة العباسي المهدي وبين يديه ابنه، فطلب منه ان يؤلف له الكتاب، ولكن هذا الخبر لم يكن عين الصواب بتقدير الراوي (٢). والظاهر ان ابن إسحاق قصد الخليفة المنصور، اذ في خبر اخر يتضح انه قصد الخليفة في الحيرة، وبعدما التقى به طلب منه ان يكتب له المغازي، فكتبها وحدث اهل الكوفة آنذاك (٣). والشيء الذي يثير الأهمية ان ابن إسحاق أصبح يحدث اهل الكوفة بالمغازي، فهل هذا يعني انه كلف من قبل الخليفة العباسي فكان خطابه او حديثه يمثل الاتجاه العباسي في تشييد الرواية التاريخية للسيرة النبوية؟

للإجابة عن هذا التساؤل يتضح أكثر عندما تأتي رواية أخرى تصف ابن إسحاق انه كان في المدينة لكنه لم يكن يتحلى بالمكانة التي وصل إليها في ظل حكومة المنصور العباسي، اذ لم يروِ عنه اهل المدينة الا راوٍ واحد فقط وهو إبراهيم بن سعد (٤)، مما يعكس نظرة اهل المدينة الى ما يتحدث به ابن إسحاق بشأن المغازي النبوية، لكن هذا الحال تغير كثيرا بعدما التحق بالبلاط العباسي، اذ أصبح يحدث اهل الكوفة، وسمع منه أهل الجزيرة (٥)، حين كان مع العباس بن محمد (٦)، وسمع منه أهل الري، فرواته من هؤلاء البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة (٧)، وهذا يعكس الأثر الإعلامي الذي رفع شأن ابن إسحاق وهو ينعم بمباركة الخلافة العباسية ورعايتها، ووفق هذا الأثر فمعلومات ابن إسحاق في السيرة النبوية جعلها بصورة او بأخرى تخدم مصلحة الدولة العباسية على المستوى السياسي والشرعي.

ويبدو من بعض الاخبار ان ابن إسحاق كان مطعون عليه عند البعض، حتى روي ان امير المدينة لم يكن راضياً على أفعاله، فنهاه عنها وقيل ضربه اسواطا ومنعه من الجلوس مؤخر المسجد لأنه كان يغازل النساء (٨). ونسب لابن إسحاق بعض الأفعال التي أقدم عليها وهي تقلل من شأنه وتجعله شخصا لا يتحلى بالصدق والأمانة العلمية، اذ قيل كان يعمل له الاشعار ويطلب منه ان يدخلها في كتابه السيرة فيفعل، فضمن كتابه من الاشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر، وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه، وكان يعتمد على اليهود في إتمام المادة التاريخية (٩).

وبما ان الآراء تتهم ابن إسحاق في موارده التاريخية فهذا يعني أنّ هناك امراً لم يكن يتفق عليه كل من ذكر ابن إسحاق ووثق لدوره في كتابة السيرة النبوية، ومن ثم سنقف عند بعض تلك الإشارات او

الاقوال الصادرة بحقه في مجال كشف مدى ثقله في النقل التاريخي وهل كان يمتلك المؤهلات الفاعلة في تدوين اخبار السيرة النبوية من حيث الأمانة والدقة في قبول الاخبار او انه لم يتحرى واخذ بكل الاخبار والروايات التي سمعها عن الذين حدثوه فنقلها على انها اخبار حياة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

قال ابن عدي: (وقد فتشت أحاديثه كثيرا، فلم أجد من أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ، أو يهم في الشيء بعد الشيء، كما يخطئ غيره، ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة، وهو لا بأس به) (١٠). ونقل عن هشام بن عروة (١١) قوله: (ابن إسحاق كذاب) (١٢). وقيل: (كان يحيى بن سعيد القطان(١٣)، ومالك يجرحان محمد بن إسحاق) (١٤). وعن محمد بن مسلم بن أبي الوضاح (١٥)، قال: كنت عند يحيى بن سعيد الأنصاري (١٦)، فقيل له: إن أهل العراق يروون عن ابن إسحاق. فقال يحيى: تروون العلم عن محمد بن إسحاق؟ تروون العلم عن محمد بن إسحاق؟!) (١٧). وقيل: (من أكبر ذنوب ابن إسحاق، فإنه يكتب عن كل أحد، ولا يتورع سامحه الله) (١٨).

وكان مالك صاحب المذهب المالكي ينال من ابن إسحاق كثيرا ويراه بدرجة الدجال، اذ جاء في الرواية:(كنت عند مالك، فقال رجل: كنت بالري عند أبي عبيد الله وزير المهدي، فقال ابن إسحاق: هاتوا اعرضوا علي علوم مالك، فإني أنا بيطارها. فقال مالك: دجال من الدجاجلة يقول هذا!) (١٩). والظاهر أنّ هناك اختلافاً كبيراً بين مالك وابن إسحاق، وربما هذا الاختلاف نشأ أثر التقرب من البلاط العباسي، اذ كان مالك من المقربين من الخليفة المنصور وكان فقيه الدولة العباسية، ثم اختلف معهم في شأن الفتوى فبعدوه وقربوا أبو حنيفة النعمان الذي أصبح فقيه البلاط العباسي ولكن لمدة وانتهت لينقلب عليه أبو جعفر المنصور بتهم سياسية وانه ساند أعداء الدولة العباسية (٢٠). فالتشهير والتسفيط بين رجال العلم وغيرهم كان حاضرا في ظل التزلف للسلطة العباسية، وهذا يعطي صورة فكرية يشوبها الغموض بشأن ما نقلوه او رووه من الاحداث التاريخية لا سيما وإذا كان بعضهم يحاول الدفاع عن نفسه، ويكيل التهم للآخرين بداعي انهم اقل شأناً منه، ومن ثم أصبح هناك اضطراب واضح على مستوى تفكيرهم وهذا بدوره أثر على نقل الحقائق التاريخية وربما غير بعضها بداعي التعصب للرأي او مخالفة الاخرين.

ويتضح ان ابن إسحاق لم يراعي الدقة في نقل اخبار السيرة والمغازي، بل كان يكتب كل ما يسمع او ينقل اليه، وهذا الامر يتضح أكثر من اقوال بعض الرواة عندما حاولوا تقييم عمل ابن إسحاق ومدى وثاقته في نقل الاخبار التاريخية، وأنه لا يتردد من نقل الحديث عن المجهولين أحاديث باطلة (٢١). حتى روي عن يحيى بن سعيد يقول لعبيد الله: (إلى أين تذهب؟ قال: اذهب إلى وهب بن جرير، أكتب السيرة. قال: يكتب كذبا كثيرا) (٢٢). ويقول الذهبي في تعقيبه على هذه الرواية: (قلت: كان وهب يرويها عن

أبيه، عن ابن إسحاق، وأشار يحيى القطان إلى ما في السيرة من الواهي من الشعر، ومن بعض الآثار المنقطعة المنكرة) ([٢٣]). وروي ايضاً أن ابن إسحاق كان يدفع إلى شعراء وقته أخبار المغازي ويسألهم أن يقولوا فيها الاشعار ليلحقها بها على انها حوادث حصلت في عصر النبوة ([٢٤]). وروي عن ابن أبي فديك قال: (رأيت محمد بن إسحاق يكتب عن رجل من أهل الكتاب) ([٢٥]). وجاء عن ابن إسحاق انه كان يقول: (حدثني الثقة. فقيل له: من؟ قال: يعقوب اليهودي) ([٢٦]). وجاء في رواية مسندة بشأن ثقة ابن إسحاق فكان الرد :(ما تقول في ابن إسحاق؟ قال: هو كثير التدليس جدا. قلت: فإذا قال: أخبرني، وحدثني، فهو ثقة؟ قال: هو يقول أخبرني، فيخالف) ([٢٧]).وهناك الكثير من النصوص التاريخية تضعف ابن إسحاق من ناحية الوثاقة اذ جاء في بعضها: (لا ترو عن ابن إسحاق فإنه كذاب) ([٢٨]). ويروى ان مالك بن أنس ذكر عنده محمد بن إسحاق فقال: (دجال من الدجاجلة) ([٢٩]). وجاء عن يحيى بن سعيد القطان أنّه يقول: (ما تركت حديث محمد بن إسحاق الا لله) ([٣٠]).

في صورة هذه النصوص التاريخية يتضح ان هناك اختلافاً كبيراً بشأن وثاقة ابن إسحاق من عدمها في اقوال اهل الجرح والتعديل وفي الكتب الرجالية التي ترجمت له، والفكرة التي تتشكل من هذا الاختلاف ممكن اختزالها في النقاط الآتية التي نلاحظها على موارد ابن إسحاق التي تلقها وساعدته في كتابة السيرة النبوية وهي كالاتي: –

١–ان تصنيف كتاب السيرة والمغازي جاء وفق رغبة السلطة العباسية التي أوكلت تلك المهمة لابن إسحاق فحملته مسؤولية كبيرة في جمع مادة تاريخية تكشف طبيعة سيرة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من الطفولة الى الوفاة، وهذا الشيء جاء بعد أكثر من مائة وعشرين سنة، مما يعني ضياع أصل الاخبار سواء عن طريق موت الصحابة والتابعين او النسيان، فربما سمع كلاماً ليس حقيقياً انما اقوال على هامش حقيقة فدونها في كتابه.

٢–سمعة ابن إسحاق غير الحميدة عند اهل المدينة جعلتهم يتهمونه بالخيانة ومغازلة النساء، وهذا الامر أثر عليه كثيرا، اذ تعرض للطرد من المدينة مع معاقبته من قبل والي المدينة التابع للدولة الاموية، وهذا الحدث له ردود سلبيه لا سيما فيما يستوجب التوثيق والركون لحديثه بشأن اخبار السيرة النبوية والحديث النبوي الشريف.

٣–يتضح ان موارد ابن إسحاق هم الرواة الذين حفظوا احداث عصر الرسالة الإسلامية، فالتقى ببعض الصحابة وابنائهم من التابعين ليتحدث إليهم بشأن سيرة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وهؤلاء هم أساس المادة التاريخية التي شكلها ابن إسحاق او ألف بين افكارها لإخراجها بشكلها الاولي ككتاب قدم للخليفة العباسي المنصور.

٤-اعتمد ابن إسحاق على أصحاب الديانات الأخرى كالديانة اليهودية بالذات اذ كان يثق برجالهم كثيرا ويعتبرهم أصحاب العلم الاولي، فلم يتوانى عن نقل اخبار السيرة النبوية عن بعضهم كما في الرواية التي ذكرنها والتي ذكرت اسم يعقوب اليهودي، وهذا الامر يعطي تصوراً للمادة التاريخية التي تلقاها ابن إسحاق من رجال الديانة اليهودية اذ داما ينظرون الى دينهم على انه الأفضل والأكيد في تصوراتهم هناك أفكار غير منصفة بالمرة للديانة الإسلامية ولرسولها محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، فليس من المنطق التسليم بكل ما صدر عنهم بشان توثيق اخبار السيرة النبوية.

٥-من خلال الروايات يتبين ان ابن إسحاق اعتمد على بعض الشعراء او الذين لديهم إمكانية في قول الشعر على ان ينظمونه وفق احداث عصر الرسالة الإسلامية منذ ولادة الرسول الى وفاته، وكان يعطيهم بعض الاخبار التاريخية ليتأملوها وعلى اثرها ينظمون اشعارهم ليضيفها الى اخبار عصر الرسالة الإسلامية وحياة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ومثل هذه الأفعال تكشف عن ضعف ابن إسحاق في الأمانة العلمية او انصحت الروايات لم يتردد في إشاعة بعض الاخبار جاعلها كواقع لحياة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) مما يعني انه عمل على تأصيل اخبار تاريخية لم تحدث انما هو ومن معه ابتدعها ونسبها لواقعة محددة من وقائع السيرة النبوية.

٦-اشتهر ابن إسحاق بأنه كثير التدليس فربما نقل الخبر مسندا عن بعض الرواة ولكنه سرعان ما ينسى ذلك ويغيره، وهذا يعني إذا صحت اقوال الرجال فيه انه كذب في توثيقه التاريخي عن الاخرين، لا سيما وان الاسناد في عصر ابن إسحاق يعد الشهادة التي يقبل معها الحدث التاريخي او الحديث المراد نقله.

٧-تتضح فكرة الصورة الأساس في روايات ابن إسحاق من خلال المعرفة التامة بشخصه وطبيعة تعاطيه مع الاخبار التاريخية التي اطلع عليها، او حاول تسويقها على انها البيئة المثالية التي أحاطت بشخصية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) منذ الطفولة او قبل ذلك بداعي ذكر اجداده وطريقتهم في الحياة العامة.

٨-صورة ابن إسحاق في مخيلة الذين ذكروه في اقوالهم انما هي تجسيدٌ لتجربته في تدوين اخبار السيرة النبوية، وأيضا تعكس امكانياته الفكرية التي تتضح أكثر في كيفية تعامله مع الرواية التاريخية التي كان يتحايل عليها لجعلها رواية تليق بعصر الرسالة الإسلامية او تعد مقبولة في رؤية السلطة العباسية، وهذا ما جعله يتعامل مع الاخبار بنمط عقلية الشاعر ورجل الديانة اليهودية لاعتبار انهم مثلوا الطبقة المثقفة في المجتمع العباسي آنذاك.

بعد الوقوف على فحص شخصية ابن إسحاق وادراكاته الفكرية انكشف على انه كان يتعامل مع اخبار السيرة النبوية من بوابة الحكاية التي يتناقلها البعض او التي حاولوا تزيينها بشكل ينسجم مع

صاحبها المقصود في التدوين، فكان التعاطف حاضرا على مستوى إنضاج الأفكار التاريخية كواقع لحياة أعظم شخصية على مستوى عمر الإسلام والمسلمين. وسوف نقف عند الشخصيات التي نقل عنهم ابن إسحاق رواية طفولة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم). وهم كالاتي: –

أولا: إسحاق بن يسار.

إسحاق بن يسار، هو والد محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، مولى محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ([٣١]). روى عن مجموعة من الصحابة والتابعين، وقيل عنه انه ثقة، وهو اوثق من ابنه محمد ([٣٢])، وكان ابنه يعده من اهل العلم ([٣٣])، جاء في رواية ان يسار والد إسحاق وجد محمد، وفد على النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فمسح على رأسه ودعا له بالبركة ([٣٤])، يظهر من بعض الروايات ان إسحاق بن يسار كان يحدث الاخرين بشأن الأنبياء كالنبي إبراهيم عليه السلام وانه كان بزازا ([٣٥]). وبعض الروايات كانت اسطورية بعض الشيء ومبالغ فيها كثيرا لا سيما على مستوى احداث الإسلام ومعاركه الكبرى كالرجل المسلم الذي لحق أحد المشركين اثناء فراره من ارض المعركة فقبل ان يضربه بالسيف سقط رأسه عن جسده دون فعل فاعل! ([٣٦]). وكان ابنه محمد يروي عنه اخبار السيرة النبوية ([٣٧])، وجاءت عنه بعض روايات اباء وطفولة النبي ورضاعته التي سنذكرها لاحقا.

ثانيا: هشام بن محمد بن السائب الكلبي.

هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر، عالم بالنسب واخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها. اخذ عن أبيه وعن جماعة من الرواة، له العديد من المدونات والمصنفات التاريخية ومن ضمنها مدونات تخص النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وهي: (كتاب أمهات النبي صلى الله عليه وسلم)، (كتاب كنى آباء الرسول صلى الله عليه وأله وسلم)، (كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم)، (كتاب زيد بن حارثة حب النبي صلى الله عليه وأله وسلم) ([٣٨]).

بالرغم من اشتهار الكلبي بالتأليف والتدوين التاريخي الا انه لم يسلم من الانتقاد الموجه له لا سيما من قبل أصحاب المصنفات الرجالية الذين يهتمون لدراسة مدى وثاقتهم في نقل الحديث النبوي الشريف، فاتهموه بالتقصير وانه متروك وليس بثقة، قال أحمد بن حنبل فيه: (من يحدث عنه؟ إنما هو صاحب سمر ونسب) ([٣٩]). وقيل بحقه: (من يحدث عنه إنما هو صاحب سمر ونسب ما ظننت أن أحدا يحدث عنه) ([٤٠]).وقيل عنه: (يروي عن أبيه ، ومعروف مولى سليمان، والعراقيين، العجائب والاخبار التي لا أصول لها... أخباره في الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الاغراق في وصفها، وكان هشام بن الكلبي يقول: حفظت ما لم يحفظ أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد) ([٤١]). وانتقده أبو الفرج الأصبهاني اذ قال

بشأنه: (الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبيّ موضوعة كلَّها، والتوليد بيّن فيها وفي أشعارها) ([٤٢]). وقيل في بعض الاخبار الغريبة: (ولعل هذا من أكاذيب ابن الكلبي، أو حكاه عن رجل ادّعى فيه ما لا يعلم) ([٤٣]). ويبدو ان الاعتراف من قبل ابن الكلبي بالكذب كان حاضرا اذ يقول: (أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله القسري سألني عن جدته أم كريز وكانت أمه بغيا لبني أسد يقال لها زرنب، فقلت له هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين، فسر بذلك ووصلني) ([٤٤]). وهذه النص ورد عند ابن حمدون ضمن فقرة نماذج من الكذابين ([٤٥]).

ثالثاً: سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة.

هو سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي وربما نسب إلى جد أبيه وإلى جده من الطبقة الثالثة في الرواة، عد من المقبولين، ولم يقدح في روايته ([٤٦]). روى رواية عن طفولة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في رضاعته من ثويبة مولاة أبي لهب مع الحمزة بن عبد المطلب وجده أبو سلمة زوج السيدة ام سلمة زوجة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ([٤٧]). وسوف نناقش هذه الرواية ضمن رضاعة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ومدى مصداقيتها في النقل التاريخي.

رابعا: المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة.

هو المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي ([٤٨])، روى عنه ابن إسحاق رواية ينقلها عن ابيه عن جده من ان ولادة رسول الله الله (صلى الله عليه واله وسلم) في عام الفيل ([٤٩])، وقيل: ما روى عنه سوى ابن إسحاق ([٥٠]).

خامسا: عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

هو عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أبو محمد الأنصاري صاحب المغازي وشيخ ابن إسحاق، عد من الثقات ، وقيل عنه: (كان من أهل العلم ، ثقة ، فقيهاً محدثاً مأموناً حافظاً وهو حجة فيما نقل وحمل) ([٥١])، بلغ من العمر سبعين سنة ومات عام ١٣٥هـ ([٥٢]). روى عنه ان السيدة امنة بنت وهب توفيت وعمر النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ست سنين ([٥٣]).

سادسا: جهم بن ابي الجهم.

قيل هو جهيم بن أبي جهيمة الأسلمي ويقال ابن أبي جهمة كوفي، كان على ساقة غنائم حنين ([٥٤])، وقيل هو مولى لامرأة من بني تميم، وقيل هو مولى الحارث بن حاطب ([٥٥])، وقال عنه الذهبي: (لا اعرفه وله قصة حليمة السعدية) ([٥٦])، هذا كل ما قيل بشأنه وهو الذي اعطى تصورا عن رضاعة النبي في بادية بني سعد.

سابعا: ثور بن يزيد.

هو ثور بن يزيد ابن زياد الكلاعي ويقال الرحبي، أبو خالد الحمصي، ممن روى عنه ابن إسحاق في السيرة والمغازي، وكان حافظاً، محدّثاً، فقيهاً، وهو الذي شهد عند يزيد الناقص على الوليد ابن يزيد بن عبد الملك بالكفر، وذُكر انّه كان قدَرياً، فأخرجه أهل حمص لذلك من بلدهم سحباً وأحرقوا داره، فانتقل إلى المدينة، ويروى وكان جدُّ ثور قد شهد صفين مع معاوية وقتل يومئذ، قيل: وكان ثور إذا ذَكَر علياً، قال: لا أحب رجلًا قتل جدي ([٥٧]). ويروى ان جماعة كانوا يجلسون ويسبّون علي بن أبي طالب، وكان ثور بن يزيد لا يسبّ علياً، فإذا لم يسبّ جرّوا برجله ([٥٨]). وفي بعض الاخبار ان ابن إسحاق كان سيء القول بشأن ثور ([٥٩])، ومع ذلك روى عنه.

فهؤلاء الرواة الذين ذكر عنهم ابن إسحاق اخبار طفولة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، ويبدو عليهم بعض الجرح والانتقاد فيما يرون حسب اقوال أصحاب الكتب الرجالية، ومع ذلك فإعادة تقييم الرواة ضرورة ملزمة لمن يريد ان يعطي استقراء للحقيقة التاريخية او الذي يبحث فيها، لان المادة التاريخية المدونة هي كل ما نقله أولئك الرواة، فقد يصيبوا او يخطئوا في حقيقة ما تحدثوا به او وصفوه من حالات تنتمي للسيرة النبوية، وما يمكن ملاحظته هو توجه الرواة الفكري والعقائدي، اذ انه كثيرا ما يؤثر على مخيلة الراوي وحديثه اذ ما أراد تقييم أفعال عصر النبوة او الحديث عنه، وبهذه الصورة نكون امام إشكالية تاريخية اصل لها في المعرفة للماضي الإسلامي، لا سيما عصر النبوة.

المحور الثاني: دراسة ولادة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في رواية ابن إسحاق.

جاءت الروايات التاريخية لتتحدث عن مقدمات ولادة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وهي بطبيعة الحال تحاول ان تعكس أهمية النبوة لذلك غلب عليها شيء من القداسة التي تجسدت في مرويات ابن إسحاق بشكل مادي له أثره الظاهر في جبين عبد الله والد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وحتى تكتمل الصورة المقدسة نقرأ في كتب السيرة النبوية والشمائل المحمدية ذلك النمط السائد من الأفكار، وهي وكما تبدو محاولة في الفات انتباه المتلقي للصورة المقدسة التي لا يمكن التشكيك بمصداقيتها.

ويبدو من الرواية التي نقلها ابن إسحاق عن ابيه يسار، تؤكد على ان عبد الله بن عبد المطلب كان متزوجا من زوجتين امنة بنت وهب ام النبي (صلى الله عليه واله وسلم) والاخرة لم يذكر اسمها، جاء في نص الرواية: (محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار أنه حدث ان عبد الله انما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة وقد عمل في طين له وبه آثار من الطين فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لما رأت به من آثار الطين فخرج عنها فتوضأ وغسل عنه ما كان به من ذلك وعمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم مر بامرأته تلك فقال هل لك فقالت لا مررت بي وبين عينيك غرة فدعوتني فأبيت ودخلت على آمنة فذهبت بها فزعموا أن

امرأته تلك كانت تحدث أنه مر بها وبين عينيه مثل غرة الفرس قالت فدعوته رجاء أن يكون بي فأبى على ودخل على آمنة بنت وهب فأصابها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم) ([٦٠]).

فهذه الرواية هي الأكثر تنظيما للمادة التاريخية المنقولة بتفاصيل قد لا تتلاءم مع واقع الحال الصحيح آنذاك، لا سيما بشأن المعاشرة مع الزوجة وهل الوقت كان ملائما تماما إذا ما عرفنا ان عبد الله رجع للتو من العمل، فبدل ما تستقبله زوجته بالكلام الذي يزيح ثقل الحياة عن كاهل الزوج، تراها تعرض نفسها عليه وهو متسخ بالطين ومن هذا القبيل، فالنص فيه رؤية منساقة الى الغرة الظاهرة على جبين عبد الله وهي كما يرون علامة النبوة التي تعرفها تلك المرآة القرشية دون سواها، فما ان رأتها دعته الى نفسها، المهم في الرواية انها تؤكد على انها زوجته الثانية، بينما في رواية أخرى انها ليست زوجته بل دعته لنفسها لكن عبد الله لم يتمكن منها آنذاك كونه بصحبة ابيه عبد المطلب، تقول الرواية الثانية: (عن ابن إسحاق قال ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبد الله فمر به فيما يزعمون على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي وهي عند الكعبة فقالت له حين نظرت إلى وجهه فيما يذكرون أين تذهب يا عبد الله قال مع أبي قالت لك عندي مثل الإبل التي نحرت عنك وقع علي الآن فقال ان معي أبي الآن ولا أستطيع خلافه ولا فراقه ولا أريد أن أعصيه شيئا فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهره ووهب يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا وهي إبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ابن قصي وأم برة أم حبيب بنت أسد بن عبد الغزي بن قصي وأم حبيب بنت أسد لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي قال ابن إسحاق فذكروا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقع عليها عبد الله فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج من عندها حتى أتى المرأة التي قالت له ما قالت وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهي في مجلسها فجلس إليها وقال مالك لا تعرضين علي اليوم مثل الذي عرضت علي أمس قالت فارقك النور الذي كان فيك فليس لي بك اليوم حاجة)([٦١]).

في هذه الرواية تتضح بعض الأفكار التي قدمت عبد الله والد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في بداية زواجه، اذ لم يذكر بصورة متكررة في احداث تاريخ العرب قبل اسلام، رغم انه شخصية مهمة انحدرت من نسله أعظم شخصية في الفكر الإسلامي، ومع ذلك ذكره اقترن بالنبوة وسوف نسجل بعض الملاحظات على الروايتين اللتين ذكرهما ابن إسحاق وكالاتي: –

١–ان عبد المطلب هو المبادر في تزويج ابنه عبد الله من السيدة امنة بنت وهب، وهذا يعطي تصورا عن دور الاب في اختيار الزوجة المناسبة لابنه وفق معرفته بالأصلح والانسب من غيرها.

٢–الرواية أصرت على ان عبد المطلب وابنه عبد الله كان طريقهم على الكعبة المشرفة، جرت حينها محادثة بين عبد الله وامرأة من بني اسد بن عبد العزى، وهي دعت عبد الله لنفسها وان فعل ستعطيه مائة

من الإبل، فكان الرد انه لا يستطيع بسبب والده عبد المطلب، فلو كان الامر بيده لفعل حسب فكرة الرواية التاريخية.

٣-ذكر مصطلح زعموا، وهذه المصطلحات عادة ما تستخدم من قبل الرواة الذين يرون في الاخبار الشيء الغريب او غير المقبول، فهل ابن إسحاق نقل الخبر التاريخي وعندما وصل للمرأة الاسدية شكك بوجودها وما جرى بينها وبين عبد الله؟ فهذه الأمور قابلة للنقاش، وربما الرفض من الأساس، لكن ما هو مهم لماذا ذكر ابن إسحاق خبر المرأة الاسدية اذ كان شاكا بحقيقة ما وقع بينها وبين عبد الله؟ في الرواية الأولى التي ذكرنها جعلها ابن إسحاق الزوجة الثانية لعبد الله، وكانت قد رغبت ان يواقعها لكنه كان عائدا من العمل وعليه اثار الطين فرفضته الا ان يغتسل، وبعدما اغتسل ذهب وواقع السيدة امنة بنت وهب وحملت برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وعند الرجوع للزوجة الاسدية رفضته بداعي ان الغرة التي كانت بين عينيه قد ذهبت!!!! وهنا يأتي السؤال هل المعاشرة كانت قائمة على علامة مميزة كتلك الغرة ام ان هذه الزوجة كانت قد تزوجت من عبد الله لرغبتها في ان تكون هي من تحمل بالنبي؟ وأيضا نتساءل من اين عرفت ان عبد الله سيكون والداً لنبي؟ هل هي من اتباع الديانات التوحيدية؟ او انها عرفت ذلك الخبر عن شخص اخر أكثر دراية منها في مسألة الأنبياء والرجال الصالحين؟

٤- في الرواية معلومة ان المرأة الاسدية هي اخت ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ([٦٢])، وقيل اسمها قتيلة بنت نوفل ([٦٣])، وقيل اسمها ام قتال بنت نوفل ([٦٤])، وقيل بشأنها انها كانت تنظر بالكتاب ([٦٥])، وقيل معنى تنظر هو الكهانة أي تتكهن([٦٦])، فاذا صدقوا في مقولتهم انها تعرف القراءة والكتابة وعلى درجة كبيرة من الثقافة بالأديان السماوية وأيضا تعرف ما مكتوب في الكتاب وهو الانجيل او ربما التوراة وفي بيئة مكة المكرمة، وهذه الثقافة اكتسبتها من اخيها ورقة بن نوفل الذي كان على الديانة النصرانية فيما ينقلون واتبع الكتب([٦٧])، وفي رواية الأخت تعلمت من الأخ بشأن الديانات السماوية وان نبي هذه الامة من ولد إسماعيل ([٦٨])، لكن هل كانت معرفتها تؤهلها للوقوف على اثر النبوة في جبين الرجال؟!!! المؤهلات تكشف عن إمكانيات كبيرة قد تحققت في بيت نوفل بن عبد العزى، بل هي تفوق بيت عبد المطلب على مستوى الثقافة الدينية، ويبقى التساؤل لماذا لم يكن النبي من ال نوفل كونهم مؤهلين لمعرفة الأديان السماوية واسرار النبوة بدلا من ال عبد المطلب الذين لا يعرفون سوى عبادة هبل حسب تصوير الرواية التاريخية؟ فهذه من الأمور الغريبة التي ثبتت في اخبار السيرة النبوية وبشأن سيرة والد رسول الله عبد الله بن عبد المطلب.

٥-هل ثمة توجه اخر في ابراز المرأة الاسدية لا سيما من طرف الرواية الزبيرية، على اعتبار ان ال الزبير ينحدرون عن جدهم خويلد بن عبد العزى، فأعطوا مبالغة كبيرة في تصوير الإمكانيات الدينية لدى

اسلافهم، وانما هم امتداد لهم في عصر الدولة الإسلامية لا سيما على مستوى حكم الدولة الاموية، اذ مثّلَ عروة بن الزبير الرواية الأكثر نقلا في كتب السير فيما يخص السيرة النبوية، وهو قد التحق بالدولة الاموية وكان أحد رجالها المقربين وحتى قيل ان أقدم مغازي هي له، والرواية نقلت مسندة عند البعض عن عروة بن الزبير ([٦٩])، ففكرهم حاضر في تأصيل الخبر التاريخي فيما يخص المرأة الاسدية، لهذه الاعتبارات ظهرت روايات غريبة سواء فيما يخص اباء النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) او بداية البعثة النبوية الشريفة، فهناك مبالغة كبيرة في عرض الاحداث التاريخية وتصويرها بشكل لا يليق بمكانة نبي انما جعلوه خائف من كل شيء ويهرب من مصيره الذي اختاره القدر له، وهذه الأفكار تتقاطع مع سيرة الأنبياء والاولياء كما صورتهم آيات القران الكريم.

٦-الإشكالية على الرواية هي إذا كانت المرآة الاسدية على درجة من الكهانة والمعرفة الدينية بشأن مستقبل الناس آنذاك، وإنها تعرف نبي الامة الذي سيبعث فيها، فهو من ولد إسماعيل النبي (عليه السلام)، فكيف طاوعتها نفسها لان تقع في الحرام وتحاول ان تعمل عمل الفحاشة وفي الكعبة المشرفة حسب تقدير الرواية ([٧٠])، حتى أصبحت عند البعض تذكر وفق التعريف بنكاح الاستبضاع ([٧١])، المعروف في الجاهلية، فاين حلمها وفراستها امام أفعال لا تليق بمعرفتها واهتمامها للكتب السماوية، حتى عرضت على عبد الله مائة من الابل اذا وقع عليها، وكأنها ايضاً امرأة ثرية تمتلك من الانعام ما يؤهلها ان تدفع هذا العدد الكبير من الابل وفي بيئة مكة المعروفة بفقرها وضيق معاشها.

يبدو ان الخبر التاريخي كان قد أصل لهذه التصورات في محاولة لإبراز النبوة في صلب عبد الله بن عبد المطلب، فكثرت الالفاظ الداعية للمقصود نقله كحقيقة تاريخية، فاستخدم ابن إسحاق روايتين تتطابق مع التصورات المراد نقلها كرواية مدونة عن علامة النبوة التي جعلها تظهر بشكل علامة على جبين عبد الله، ومن ثم أضاف عنصر التشويق في تثبيت هذه الخبر من خلال المرأة الوحيدة التي شاهدة أثر الغرة في جبين عبد الله فعرفتها على انها النبوة التي أخبرها عنها اخيها ورقة، وان المعرفة بالنبوة هي نتيجة اطلاعهم على الكتب السماوية كالتوراة والانجيل، وكأن العرب لا يمتلكون ادنى تصور عن الأديان السماوية وحركة الأنبياء، وهذا ما اغفلته الرواية، وبالتالي فهي أسست لحالة عبادة الاصنام والاوثان الطاغية على جميع اهل قريش وما حولها من القبائل العربية، ولم تقترب من التوحيد كونهم مفقود في بيئة قريش آنذاك، لهذا كانت الرواية قاسية جداً مع عبد المطلب وبنيه وجعلتهم لا يعلمون من شريعة التوحيد الا ما تناقله الاخرين من كتب اليهود والنصارى، بينما هناك شريعة التوحيد والديانة الحنفية التي كانت منتشرة في قريش منذ أيام النبي إسماعيل (عليه السلام) وبقي بعض من اهل مكة يتعبدون بها ويأنفون من عبادة الاوثان لاسيما جد النبي عبد المطلب ([٧٢]).

اما باقي الروايات التي تحدثت عن ولادة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ووفق ما جاء عند ابن إسحاق، فهي تلك الرواية التي أعطت تفاصيل كثيرة عن الصورة الاعجازية التي تحققت مع موعد الولادة، والذي غلب على الرواية تفاصيل تخص كيفية حمل السيدة امنة بنت وهب، وصورة الولادة آنذاك، ولم تغيب العناية اليهودية عن موعد الولادة، ويبدو ان اليهود كان يعرفون الكثير عن مستقبل النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، فهم لم يتوانوا في تتبع اخباره وتحديد ساعة ولادته بالدقة ومكانه بالتحديد، وكأن فكرة الرواية مصدرها رجال اليهود او اهل العلم الاولي كما وصفهم ابن إسحاق عندما نقل بعض الاخبار عن بعض رجالهم، وهو بذلك أسس للخبر التاريخي بدراية بنو إسرائيل او وفق ما يرونه هو الامر الواقع الذي لا جدال فيه، مما يعطي انطباع اخر عن ابن إسحاق انه كان يحمل كل الثقة عن رجال اليهودية الذين التقى بهم وحدثوه عن نبي الإسلام وطريقة ولادته وما ينتظره في المستقبل.

جاء في الرواية ان السيدة امنة بنت وهب واثناء حملها بالنبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) كان من يحدثها عن مستقبل حملها، ولم يذكر من يحدثها، هل هو ملك مرسل او وحي او الهام او رؤية تشاهدها في المنام، ولكن الذي سمعته: (إنك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الأرض فقولي...) ([٧٣]). بشأن ما تقول نقل ابن إسحاق ابيات من الشعر وهي عبارة عن تعويذة تستخدمها الامة حالة ولادة مولودها كما في الرواية ([٧٤])، وربما هذه التعويذة يغلب عليها التصور الذهني الأسطوري، او هي من مختلقات الشعراء الذين التقى بهم ابن إسحاق وطلب منهم ان ينظموا الشعر ليدونه في كتابه الذي سيقدمه للسلطة العباسية وكما تقدم.

اما باقي الرواية التي نقلها ابن إسحاق بشأن ساعة الولادة فقد جاء فيها: (فإن آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام فإذا وقع فسميه محمدا فان اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض وأسمه في الإنجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل والأرض واسمه في الفرقان محمد فسميه بذلك فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها وقد هلك أبوه عبد الله وهي حبلي ويقال ان عبد الله هلك والنبي صلى الله عليه وسلم ابن ثمانية وعشرين شهرا فالله أعلم أي ذلك كان فقالت قد ولد لك الليلة غلام فانظر اليه فلما جاءها أخبرته خبره وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه فأخذه عبد المطلب فأدخله على هبل في جوف الكعبة فقام عبد المطلب يدعو الله ويشكر الله الذي أعطاه إياه) ([٧٥]). والرواية تستمر بشأن بعض الشعر الذي يزعم ابن إسحاق انه من قول عبد المطلب.

الملاحظ على الرواية التي وثقها ابن إسحاق انها جعلت السيدة امنة بنت وهب قد حدثها أحدهم، والظاهر من الرواية انه ملك او الهام او نفث في الروع كأم موسى عندما طلب منها ان تلقي طفلها في البحر ()، والفكرة الأخرى ان النور الذي يخرج ساعة الولادة يملأ قصور بصرى من ارض الشام، ولم

يملأ مكة وشعابها، وفي رواية ان اهل مكة او بعضهم على تقديرها استطاعوا أن يروا عنق الابل وهي في الشام ([٧٦])، والمفروض ان الابل تكثر في مكة وما حولها وليس في المدن كالشام مثلا، وهذا يعطي انطباعا عن اهتمام ابن إسحاق وتأثره بالشام لا سيما بصرى منها بالذات، اذ تكرر ذكرها في حادثة حفر الخندق ايضاً ([٧٧])، فهل هذا النور الذي خرج هو نفسه الذي كان على جبين والده عبد الله، والذي لا حظته اخت ورقة بنت نوفل عندما مر بها قبل زواجه؟ ام ان هذا النور ما هو الا علامة من علامات النبوة؟ فالظاهر من الخبر محاولة في ابراز ساعة الولادة وجعلها محط اهتمام جميع الخلق آنذاك، بما فيهم اليهود، ولكنها في الوقت نفسه أخفقت في اظهار اهتمام جده عبد المطلب، وانه لم يكن يعلم بولادة حفيده، مما عملت السيدة امنة على ارسال مولاتها لتبلغه بالأمر.

الذي يثير التساؤل أكثر هو موضوع النور الذي اضاء مكة وأهلها شاهدوا قصور بصرى بسببه، الم يعلموا بمصدر ذلك النور، فالأجدر بالرواية تجعل عبد المطلب اول الناس معرفة كونه الأقرب بالسيدة امنة وبحملها الذي وضع في تلك الليلة باعتباره كان في بيته، الا ان يكون مشغولا بأمر اخر لم يذكره ابن إسحاق في رواية، فهذا له نسق اخر.

الملاحظة الأخرى على الرواية انها شهّرت بولادة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في حين لو استعرضنا ولادات الأنبياء والرسل لنجدها تمت دون علم الاخرين، سواء بشأن ولادة عيسى النبي (عليه السلام) او باقي الأنبياء، حتى ساعة ولادة النبي موسى (عليه السلام) ورغم مراقبة السلطة الحاكمة للولادات وبصورة دقيقة الا انها لم تعلم بولادته آنذاك، فتمكنت امه من رميه في البحر، فلماذا هذه الصور التاريخية التي أحاطت بساعة ولادة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وفيها ما فيها من الإساءة للسيدة امنة بنت وهب، اذ لم تراعي الوالدة وحرمة الوليد ساعة ولادته، فجعلت منها حديث اهل مكة بل حديث حتى اهل الشام كونهم انكشفوا بنور المولود في الليل المظلم، بل الشياطين والملائكة الكل في شغل بتلك الليلة، وكأنها ليلة الخلاص من امر يراد تحقيقه، وهذه هي الفكرة الأساسية من رواية ابن إسحاق، انها محاولة في إعطاء صورة مؤثرة عن ولادة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) تليق به وبالدعوة الاسلامية التي تنتظره.

وفي الرواية اجحاف بحق عبد المطلب أيضا، محتوى بدايتها تؤكد أنّ السيدة امنة قد حدّثت بأمر المولود، ما يعني انها كانت على درجة من الوعي والادراك العقلي وأنها على الدين الصحيح، وان تلك العلامات الحاصلة تدل على امر عظيم، فما ان وصل المولود الى جده عبد المطلب، اخذه لحضرة الصنم هبل ليحصل على بركاته فطاف من حوله، ثم في نهاية الرواية اختلاف في كلماتها اذ انها تحدثت عن هبل وبعدها تعطي تصورا اخر ان عبد المطلب كان يشكر الله تعالى على ما أعطاه، فلو كان هبل موجوداً وهو يعتقد به لقرب له القرابين وشكره كونه إله منّ عليه بالمولود الذكر، فيبدو هناك

خلط في نقل الخبر التاريخي قد حاول ابن إسحاق او غيره جعله منسق مع بيئة قريش واهتمامها بالآلة التي يعبدونها، فجاء ذكر هبل صورة واقعية لا بد منها في معبودات المشركين والملحدين، ومن دفع ضريبة تلك العبادة هو جد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عبد المطلب الذي جعلوه ممن يعبد الاصنام ويقدسها ويقدح امام هبل ليهتدي للحق ([٧٨])، في حين أنّ ابن هشام عندما ذكر هذه الرواية وموقف عبد المطلب من هبل شكك بالموضوع وقبل ذكره للخبر قال: (فيزعمون ان عبد المطلب اخذه....) ([٧٩])، وهي التفاتة تدل على ان الرواة قد ذهبوا بعيدا في أحاديثهم ورواياتهم بشأن هبل، التي فيها مزاعم كثيرة لا تليق ببعض الاخبار التي تُروى بشأن الولادة المباركة.

اما بشأن تاريخ الولادة فابن إسحاق نقل رواية عن المطلب بن عبد الله بن قيس، عن ابيه عن جده قيس بن مخرمة ان ولادة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) صادفت بنفس وقت ولادة جده قيس والتي كانت عام الفيل، ويقول بنهاية الرواية انهما كانا لدين ([٨٠]). وقيل ان هذا الحديث غريب لا يعرف الا عن ابن إسحاق ([٨١]). ونسبة لهذا الحديث جعل البعض في مؤلفاتهم عنوان مناقب قيس بن مخرمة ([٨٢])، على أنّه ولد مع رسول الله بوقت واحد، وقيل انه من المؤلفة قلوبهم ([٨٣])، مما يعني انه تأخر إسلامه، فتكون علاقته برسول الله وحسب هذه المعطيات ضعيفة، حتى قيل: (أحمق بيت في قريش آل قيس ابن مخرمة) ([٨٤]). ويبقى التساؤل لماذا صرح بهذا القول: إنّه وُلد مع رسول الله بوقت واحد؟ هل كان يصنع لنفسه المناقب بداعي التقرب، أو أنّ ابناءه هم من فعلوا ذلك، في محاولة منهم للحصول على مكانة تليق بجدهم نسبة لمكانته من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، فليس من المبالغة ان تخرج اخبار تاريخية يراد منها المفاضلة آنذاك للحصول على اعطيات الخلفاء كما فعل الخليفة عمر بن الخطاب ([٨٥])، حتى اصبح اهتمام بعض المؤلفين للكتب والانساب ترتيب كتبهم وفق قاعدة الأقرب من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ([٨٦])، وجاء عن أبناء قيس بن مخرمة عن ابيهم وجدهم خبر اخر بان عبد الله قد توفي والسيدة امنة حبلى برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ([٨٧]).

المحور الثالث: رضاعة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) برواية ابن إسحاق.

قدم ابن إسحاق روايات مهمة بشأن ما بعد ولادة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) تعطي انطباعاً عن حياة اهل مكة قبل الإسلام، اذ تستعرض صوراً من الاهتمام بالوليد واختيار المرضعة القادرة على رعايته وتنشئته، وفي المقابل يعطونها اجراً معلوماً لقاء خدماتها للطفل، وهذا التصور المفهوم والسائد عن طفولة رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) اذ ان رواية ابن إسحاق أصبحت الوثيقة الوحيدة التي اعتمدها اهل التاريخ والسير في مدوناتهم، ولم يخالفه احد في نقل معلومات مغايرة او تشكك بما نقله ابن إسحاق الا ابن هشام في حديثه عن الرضاعة، اذ مع حديثه عن الموضوع ذكر في بدايته قوله: (المراضع، وفى كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام: وحرّمنا عليه

المراضع) ([٨٨]). وكأنّه يشير الى مسألة رضاعة الأنبياء وما ينبغي ان يصاحبها من عناية الهية ينبغي أن تكون مع النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) كونه خاتم الأنبياء والرسل.

ذكر ابن إسحاق رواية تفصل خبر الرضاعة يقول فيها: (فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمه والتمس له الرضعاء واسترضع له حليمة ابنة أبي ذؤيب وأبو ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة ابن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر واسم أبي رسول الله الذي أرضعه الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة ابن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن واخوته من الرضاعة عبد الله بن الحارث وانيسة ابنة الحارث وحذافة ابنة الحارث وهي الشيماء غلب عليها ذلك ولا تعرف في قومها الا به وهي لحليمة أم رسول الله وذكروا أن الشيماء كانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه إذ كان عندهم) ([٨٩]).

اما الرواية ثانية وهي تحوي تفاصيل قدوم المرضعة حليمة من البادية الى مكة، وهي ما نقله ابن إسحاق عن جهم بن ابي الجهم الذي مر ذكره، اذ يعد هو مصدر المعلومة دون غيره، وسوف ننقل الرواية بتفاصيلها اذ يقول ابن إسحاق: (حدثني جهم بن أبي جهم مولى لامرأة من بني تميم كانت عند الحارث بن حاطب فكان يقال مولى الحارث بن حاطب قال حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يقول حدثت عن حليمة ابنة الحارث أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته أنها قالت قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس بها الرضعاء وفي سنة شهباء فقدمت على أتان لي قمراء كانت أذمت بالركب ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ما نجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قيل إنه يتيم تركناه وقلنا ماذا عسى أن تصنع الينا أمه انما نرجو المعروف من أبي الوليد فأما أمه فما عسى أن تصنع الينا فوالله ما بقي من صواحبي امرأة الا أخذت رضيعاً غيري فلما لم أجد غيره قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى والله اني أكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه فقال لا عليك فذهبت فأخذته فوالله ما أخذته الا أني لم أجد غيره فما هو الا أن أخذته فجئت به رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب اخوه حتى روى وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا أنها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا فبتنا بخير ليله فقال صاحبي يا حليمة والله اني لأراك قد اخذت نسمة مباركة ألم تري إلى ما بتنا به الليلة من الخير حين أخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا حتى خرجنا راجعين إلى بلادنا فوالله لقطعت أتاني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار حتى أن صواحبي ليقلن ويلك يا بنت أبي ذؤيب أهذه أتانك التي خرجت عليها معنا فأقول نعم والله انها لهي فيقلن والله ان لها لشأنا حتى قدمنا أرض بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله عز وجل أجدب منها فان كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فنحلب ما شئنا وما حولنا

أحد تبض له شاه بقطرة لبن وأن أغنامهم لتروح جياعا حتى أنهم ليقولون لرعيانهم ويحكم انظروا حيث تسرح غنم أبي ذؤيب فاسرحوا معهم فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فيريحون أغنامهم جياعا وما فيها قطرة لبن وتروح غنمي شباعاً لبناً نحلب ما شئنا فلم يزل الله عز وجل يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فو الله ما بلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن اضن شيء به مما رأينا فيه من البركة فلما رأته أمه قلنا لها يا ظئر دعينا نرجع ببنينا هذه السنة الأخرى فانا نخشى عليه أوباء مكة فو الله ما زلنا بها حتى قالت فنعم فسرحته معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة فبينا نحن خلف بيوتنا وهو مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاءنا أخوه يشتد فقال ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاه فشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فأعتنقه أبوه وقال أي بني ما شأنك قال جاءني رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيأ فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب انطلقي بنا فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما يتخوف قالت فاحتملناه فلم ترع أمه الا به قد قدمنا به عليها فقالت ما رد كما به قد كنتما عليه حريصين فقلنا لا والله يا ظئر الا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا نخشى الإتلاف والأحداث نرده إلى أهله فقالت ما ذلك بكما فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شأن ألا أخبركما بخبره قلنا بلى قالت حملت به فما حملت حملا قط أخف منه فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا ما يقعه المولود معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء فدعاه عنكما) ([٩٠]).

في مضمون هذه الرواية مجموعة من الملاحظات التي فيها مأخذ قابلة للنقد وبناء الأفكار التاريخية الخاصة بها من جديد، لا سيما هناك بعض التفاوت في ترتيب احداثها التي تجافي العقل والمنطق، ويغلب عليها نوع من المبالغة، كما في الاتي:

١-في سند الرواية راويها عد مجهول الحال، وهو أيضا رواها عمن حدثه ولا نعلم من هم الذين نقلوا له الخبر، وأيضا نقلها عمن سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي بدوره يقول حدثت، فيتضح ان الذي حدثه مجهول وغير معروف حتى نتبع حاله في ميزان الجرح والتعديل، وهذه البداية في نقل الرواية مرتبك وبحاجة الى إعادة تقييم للرواية بصورة كاملة نسبة الى الذين وثقوها واخرجوها بشكلها النهائي.

٢- في الرواية الأولى يتضح ان عبد المطلب هو من سعى لمرضعة حتى وجد حليمة، بينما الرواية الثانية المطولة تعكس الخبر، وحليمة تقص خبرها بالقدوم مع النسوة الى مكة من اجل رضاعة الأطفال لقاء اجر محدد من قبل الاب دون سواه، وهذا يعني هناك ارتباك في ترتيب اخبار الرواية بين اول من سعى للحصول على المرضعة وبين التي ترغب باستصحاب طفل من مكة الى البادية.

٣-الإشكالية على ما ذكرته حليمة انها قدمت من البداية في سنة شهباء أي قليلة الامطار وهم في ضيق من العيش، اذ لم يكن صدرها يدر الحليب لصبيها، وأيضا لا يتوفر لديهم حتى اللبن لشربه، فاذا صحت هذه الحالة الاقتصادية التي عاشوها كيف لهم ان يأتوا الى مكة وتأخذ غلام ترضعه من صدرها وهو لا يدر الحليب! اليس هذا الامر فيه مخاطرة كبيرة على الرضيع؟ حتى الحمار الذي قدموا عليه هي وزوجها والطفل الذي ترضعه كان ضعيف من شدة الجوع وكان في اخر القافلة غير قادر على متابعة الطريق والنساء الباقيات يطلبن من حليمة ان تستعجل بالمسير.

٤-التعارض الحاصل في توثيق خبر الرضاعة، ذكر ابن إسحاق بعد الولادة بحث عن مرضعة فأخبر ان بنت ابي ذؤيب هي من تعمل في الرضاعة، لكن في هذه الرواية اتضح ان حليمة لم تأتِ قاصداً النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) انما جاءت شأنها كباقي النسوة من البادية ومقصدهن رضاعة الأطفال، ويبدو من الاختلاف الحاصل أيضا، ان جميع النسوة عرض عليهن الطفل فزهدن فيه لأنه يتيم فلم تأخذه أي امرأة آنذاك، بينما في حقيقة الامر كان وليه سيد مكة عبد المطلب فهو من يشرف بنفسه على رعاية ابن ابنه، ومن تأخذه ستحصل على نفقه جيدة وعناية الجد، وهذا الامر غفل عنه واضع الرواية في توثيقها المدون في كتاب ابن إسحاق ومن نقلها عنه في كتب التراث الإسلامي.

٥-في ألفاظ الرواية يتضح مقصدها وهو البركة الحاصلة من اصطحاب الرضيع، اذ ما ان غيرت حليمة رأيها بسبب عدم حصولها على طفل، وافقت على اليتيم، فما ان اخذ ثديها حتى در حليبها بصورة عجيبة لم تحصل لدى حليمة من قبل وهي كانت قد جف لبن صدرها، وهنا مقصد الراوي جعل التشويق في قصته يكون اكثر حضورا، ويتعاطف معها المتلقي اذ سينسجم مع هذه البركة انها النبوة، فتعامله بهذه الكيفية يعكس عنايته لروايته واخراجها بشكل لائق بطفولة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فرتب كملته برؤية تؤمن بالغيبيات التي تعنى بشأن الأنبياء والرسل، وهذا الاعتقاد سائد لدى اهل الدين الإسلامي وباقي الديانات السماوية.

٦-لم تنتهِ البركة عند لبن حليمة المرضعة، بل شملت حتى انعامهم في البادية، بل حلت البركة حتى في مراعي اغنامهم، فكانت تشبع ويدر لبنها، وفي المقابل اهل البادية حرموا من هذه البركات اذ لم تكن انعامهم تشبع فحرموا لبنها، حتى أصبحوا يحرضون رعيانهم بان ينزلوا حيث ترعى اغنام حليمة، ففعلوا ذلك لكن الأغنام أيضا لم تشبع وكأنه الوادي يعلم ان مهمته هي لأغنام حليمة السعدية دون سواها.

٧-في الرواية بعض الجفاء من قبل السيدة امنة بنت وهب، اذ اظهرتها وكأنها لم تحن على ولدها الذي انجبته، بل زهدت فيه، وسلمته لامرأة غريبة لا تعلم عنها سوى انها تعمل برضاعة الأطفال وترعى شؤونهم في البادية، اذ لم تذهب اليه او تقصده لتطمئن على حالته، وعندما بلغ السنتين من العمر ارجعوه لامه، واقنعوها بأنّهم يخشون عليه الوباء في مكة، فرجعوا به الى البادية، وما ان خرج بعمر

السنتين وشهرين او ثلاثة شهور على تقدير الرواية، خرج يلعب مع اخ له خلف الخيام، فتعرض لحادثة شق الصدر، وخافوا عليه من ان ينزل به سوء فأرجعوه الى امه في مكة، والسبب انهم يخافون ان ينزل به امر لا يحمد عقباه فتخلصوا من مسؤوليته.

٨-الرواية أظهرت النبي محمد (صلى الله عليه و اله وسلم) قادر على الكلام ووصف ما يدور من حوله وهو بعمر السنتين فقط، والتقدير حسب الرواية انه كان ينمو بصورة خارقة لنواميس طبيعة الأطفال، فكان يفوقهم في كل شيء، فالوصف يعطي الخبر رؤية تليق بأصل النبوة في طفولتها فخرجه ابن إسحاق بهذه الكيفية، ولو صح هذا التوثيق فأين اثره في بادية بني سعد، وعلاقتها برسول الله عندما بعث نبيا، اذ ان العلاقة منقطعة وغير ودودة حتى لم نجد أي تعاطف من اهل البادية تجاه النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بشأن ما حصل معه من كرامات وآيات أيام طفولته ونشأته في البادية، مما يجعل الامر اكثر تعقيدا، لا سيما وفي حرب هوازن في الرواية التاريخية كان الحضور لأهل البادي ضد الإسلام والمسلمين، فمن عليهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

٩-في نهاية الرواية دار الحديث بين السيدة امنة وحليمة وزوجها، واخبرتهم بما رأته اثناء الحمل والولادة، وان الشيطان لا يمكنه ان يصل اليه، بمعنى ان السيدة امنة كانت على قناعة تامة بفضل وليدها والعناية التي حاطته، وهنا كان عليها ان تزداد تمسك به لأنها فقدت زوجها ولم يبقى لها الا ولدها الذي انجبته، فكيف تبقى بعيدة عنه لمدة سنتين؟ فالظاهر هناك خلط كبير في توثيق اخبار السيرة النبوية وجعلوا منها رواية تاريخية متطابقة مع عظمة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

١٠-هل كانت الرواية مقصودة في إقصاء أمه السيدة آمنة وجده عبد المطلب وعمه أبو طالب من تربية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والعناية التي شملته من قبل اهله، فكانت الاخبار قد جعلت رسول الله بعيدا عنهم، وليس لهم الفضل في تربيته والعناية به، إذ إنّ البادية هي من غذت باللبن، وبركاتها غير المتناهية سادة هناك وحرم منها اهله وذويه، فكان التبرير الرضاعة في البادية تحميه من الامراض المنتشرة في المدينة ويقصدون مكة، وأيضا ينشأ فصيح اللسان وصحيح البنية، وهذه الأفكار غير مناسبة للطفل في عمر السنتين، اذ ما زال صغيراً وفي القرآن الكريم سمي بالأمي ([٩١])، نسبة الى ام القرى وهي مكة، فتكون الرواية اضعف واكذب امام النص القرآني.

١١-يبقى هناك امر قد يكون له أثر في صياغة هذه الروايات واظهارها بشكلها النهائي، الأثر اليهودي في مرويات ابن إسحاق، اذ كان يسلم بما يقولون بداعي انهم اهل العلم الاولي، فهل جاءت رواية الرضاعة لتجعل الفضل لليهود في تربية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لا سيما وان بادية بني سعد كانت على الديانة اليهودية حتى أيام معركة هوازن السنة الثامنة من الهجرة، بل قيل انه شب ونشأ في هوازن ([٩٢]).

١٢-لم نعرف عن الذين رضعوا بالبادية مع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) اذ اغفلت الروايات ذكرهم اذ لم يذكر سوى الحمزة بن عبد المطلب على انه رضع عند حليمة في البادية حسب توثيق الرواية التاريخية، وحتى حمزة جاء ذكره مقترنا بحديث زواج رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من ابنته، لكنه رفض بداعي انها أبنة أخيه من الرضاعة، ومن يرجع للرواية يجدها تدور حول الأفضلية والمفاضلة واي شخص احق بها من غيره ([٩٣]).

والظاهر من حادثة الرضاعة انها لم تكن تقتصر على حليمة بل سبقتها ثويبة مولاة ابي لهب اذ تقدر الرواية انها ارضعته بلبن ابنها مسروح، وفي هذا الخبر تأكيد على ان ثويبة هي التي ارضعت الحمزة ورسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فكانا أخوين بالرضاعة ([٩٤])، بداعي انهما ولدا في السنة نفسها، مع الاختلاف في نقل البعض من ان حمزة قد رضع عند ثويبة بسنتين او اكثر من ذلك ([٩٥]).

بهذه الكيفية تم توثيق طفولة رسول الله، وغلب على الرواية تغييب أثر امه السيدة امنة بنت وهب، اذ اعطي الدور لثويبة في البداية، ثم لامرأة من البادية تسمى حليمة، ليبقى عندها لأكثر من سنتين او حسب تقدير البعض خمس سنوات، بعدها ارجعوه الى امه، ولم يبقى معها طويلا انما في عمر السادسة توفيت في مكان الابواء بين مكة والمدينة ([٩٦])، ليبقى يتيم الابوين.

الخاتمة

فكرة البحث وما قدمه ابن إسحاق في توثيقه لطفولة النبي محمد، يبدو ان هناك بعض المبالغة في اظهار الرواية التاريخية وبشكل يناسب شخصيته ويمكن اجمالها بالنقاط الاتية:

١- يتضح ان محمد بن إسحاق حاول تقديم كل معلوماته التاريخية التي تلقها من مصادرها الأولية وهم الرواة من أبناء الصحابة والتابعين، او اجتهد في تنسيق ما سمع وقدم معلوماته بصورة مختصرة او لم يتمكن من تقديم روايات تاريخية قادرة على تشخيص طفولة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بكل جزئياتها باعتبار ان حياة الأطفال لا احد يهتم لها في ذلك الزمن، او انها حياة هادئة بعيدة عن الصراع السياسي والفكري، ثم ان هناك العديد من الأطفال الذين ولدوا أيام ولادة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فلا احد يعلم بشأنهم شيئاً، وهذا الامر يجعل المهتم للسيرة النبوية يدور في الاستغراب والتشكيك بشأن التأصيل التاريخي لمدة الطفولة.

٢- قصور ابن إسحاق في توثيق الاخبار التاريخية اذ لم يتحلى بالأمانة العلمية، انما كان يتأثر بقول الشعراء او يتفق معهم في قول الشعر ليجعله مادة تاريخية تضاف للأخبار التي شكل مادتها عن السيرة النبوية.

٣- اعتمد على الرواية اليهودية، وهو كان يميل لليهود ويثق بمعارفهم بداعي انهم اهل العلم الاولي، فمثلوا له وثيقة في توثيق اخبار عصر الرسالة الإسلامية وما يعلمون في كتبهم السماوية بشأن نبي اخر الزمان.

٤- وقع ابن اسحاق تحت تأثير السلطة العباسية وهذا ا جعله يرتكب أخطاء في توثيق عصر الرسالة، اذ ان السلطة ضغطت عليه كثيرا من اجل حذف اخبار واضافة أخرى على مستوى حوادث الإسلام واسلامهم وموقفهم من الدعوة الإسلامية، فضلاً عن الأفضلية في السنة النبوية، فاحتاجوا الى اخبار تنسق شرعيتهم في حكم الدولة الإسلامية، فأوجدوا روايات تاريخية تخدم أرادتهم.

٥- كانت الرواية التي قدمها ابن اسحاق قاسية جداً مع عبد المطلب وبنيه وجعلتهم لا يعلمون من شريعة التوحيد الا ما تناقله الآخرون من كتب اليهود والنصارى، بينما هناك شريعة التوحيد والديانة الحنفية التي كانت منتشرة في قريش منذ أيام النبي إسماعيل.

٦- غلب الطابع المقدس على رواياته لا سيما في تجسيد النبوة بشكل النور الظاهر على جبين والد النبي عبد الله، وهذه الأفكار لم يكن يعلم بها أحد من اهل مكة سوى اهل الديانات السماوية الأخرى اليهودية والنصرانية، وهذا تجسيد لثقافة ابن إسحاق بشأن اهل العلم الاولي كما جاء في النقل التاريخي.

٧- في ساعة الولادة وثق لخبر تاريخي يعكس عظمة المولود، وتجسدت تلك العظمة بالنور الذي خرج معه لتشرق بلاد الشام في العتمة المظلمة، فغلب على روايته الفكر العاطفي بحيث كل من يقرأها يرى فيها عظمة لابد منها لولادة نبي.

٨- إقصاء وإساءة للسيدة امنة بنت وهب في روايات ابن إسحاق، اذ حرمها من مولودها وجعله تحت عناية باقي النسوة، لينفصل عن امه ويعيش في البادية لمدة طويلة، وما ان ارجعوه لم يمكث معها طويلاً فتوفيت امه، وكأنه حاول التأصيل لفكرة اليتم والحرمان.

هوامش البحث:

[١]-الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٢٣٧.

[٢]-الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٢٣٧.

[٣]-ابن قتيبة، المعارف، ص٤٩٢؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، ص٢٧٧.

[٤]- ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج٢٤، ص٤٢٦؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٤٨.

[٥]-المزي، تهذيب الكمال، ج٢٤، ص٤٢٦.

[٦]– هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، كان من رجالات بني هاشم، وولى إمارة الجزيرة في أيام الحاكم هارون العباسي، تنتسب اليه العباسية، توفي في بغداد سنة ١٨٦هـ. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٢٤.

[٧]–الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٤٨.

[٨]– ابن النديم، الفهرست، ص١٠٥.

[٩]– ابن النديم، الفهرست، ص١٠٥.

[١٠]الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٤٨؛ وينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج٢٤، ص٤٢٧؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٩.

[١١]–هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو المنذر: عد من التابعين، ومن أئمة الحديث من علماء المدينة ولد وعاش فيها، وزار الكوفة فسمع منه أهلها، ودخل بغداد، وافدا على المنصور العباسي، فكان من خاصته، وتوفي بها سنة ١٤٦ هـ، روى نحو أربعمئة حديث، وأخباره كثيرة. خير الدين الزركلي، الاعلام، جـ٨، ص٧٨.

[١٢]–العقيلي، الضعفاء، ج٤، ص٢٣؛ وينظر: عبد الله بن عدي، الكامل، ج٦، ص١٠٣.

[١٣]–هو يحيى بن سعيد بن فروخ، أبو سعيد القطان الأحول، يقال مولى بنى تميم، من أهل البصرة، قيل انه اول من تكلم في علم الجرح والتعديل وكان يعلم حال الرجال أكثر من غيره، توفي بالبصرة سنة ١٩٨هـ. ابن قتيبة، المعارف، ص٥١٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٤٠.

[١٤]–العقيلي، الضعفاء، ج٤، ص٢٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٩، ص٥٩١.

[١٥]– هو أبو سعيد المؤدب، واسمه محمد بن مسلم بن أبي الوضاح، وكان أصله جزريا فلما تولى أبو جعفر المنصور على الجزيرة ضم أبا سعيد إلى المهدي والمهدي يومئذ بن عشر سنين أو نحوها فقدم معه إلى بغداد، ثم جعله مؤدبا لعلي بن المهدي فلم يزل معه إلى أن مات أبو سعيد ببغداد في خلافة موسى بن الهادي العباسي، فدفن في مقابر الخيزران وكان منزله في الرصافة. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٣٢٦.

[١٦]– وهو يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو، أبو سعيد الأنصاري المديني، عمل قاضيا عند الخليفة أبو جعفر اذ ولاه القضاء بالهاشمية قبل ان تبنى بغداد فارتفع شأنه، وقيل كان قاضي أبي العباس بالأنبار وأقره أبو جعفر، كنيته أبو سعيد، وكان من فقهاء أهل المدينة، ومتقنيهم مات بالعراق سنة ١٤٣هـ. ابن حبان، مشاهير علماء الامصار، ص١٣٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٠٦.

[١٧]-الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٤٩.

[١٨]–الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٥٠.

[١٩]–الذهبي، سير الاعم النبلاء، ج٧، ص٥٠. وينظر: العقيلي، الضعفاء، ج٤، ص٢٤.

[٢٠]–ينظر: أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٢٤٣؛ اسد حيدر، جامعة الامام الصادق ومدارس الإسلام الأخرى، ص١٥٠.

[٢١]–المزي، تهذيب الكمال، ج٢٤، ص٤١٩.

[٢٢]–الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٥٢.

[٢٣]–سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٥٢؛ وينظر: الاميني، الغدير، ج٧، ص٣١٩.

[٢٤]–الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٤٧١.

[٢٥]–العقيلي، الضعفاء، ج٤، ص٢٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٥٣.

[٢٦]–عبد الله بن عدي، الكامل، ج٦، ص١٠٤؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٤٧١.

[٢٧]–الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٧، ص٥٤؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٣١٩.

[٢٨]–عبد الله بن عدي، الكامل، ج٦، ص١٠٣.

[٢٩]– العقيلي، الضعفاء، ج٤، ص٢٤. ابن حبان، الثقات، ج٧، ص٣٨٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٢٣٩.

[٣٠]–عبد الله بن عدي، الكامل، ج٦، ص١٠٣.

[٣١]–المزي، تهذيب الكمال، ج٢، ص٤٩٥.

[٣٢]–المزي، تهذيب الكمال، ج٢، ص٤٩٥؛ الذهبي، المغني في الضعفاء، ج١، ص١١٤.

[٣٣]–الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص١٤٥؛ أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، ج٤، ص٣٨٥.

[٣٤]–ابن الاثير، أسد الغابة، ج٥، ص١٢٥.

[٣٥]–ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦، ص١٧٦.

[٣٦]–ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٧، ص٢٧٧.

[٣٧]–الطبري، المنتخب من ذيل المذيل، ص١٣٩.

[٣٨]–ابن النديم، الفهرست، ص١٠٨–١١٠.

[٣٩]–العلل، ج٢، ص٣١؛ وينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٤٠.

[٤٠]–العقيلي، الضعفاء، ج٤، ص٣٣٩.

[٤١]–السمعاني، الانساب، ج٥، ص٨٦.

[٤٢]–الأغاني، ج١٠، ص٢٦٨.

[٤٣]–أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٢٨٦.

[٤٤]–أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص٢٨٠.

[٤٥]– ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٣، ص٦٠.

[٤٦]–ابن حجر، تقريب التهذيب، ج١، ص٣٧٧.

[٤٧]–ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، ج١٠، ٢٢٢.

[٤٨]–المزي، تهذيب الكمال، ج٢٨، ص٨٥.

[٤٩]–الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٥٧٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ج١٥، ص٤٥٦.

[٥٠]–الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٤، ص١٢٩.

[٥١]–السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج٢، ص٢٣.

[٥٢]–الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٥، ص٣١٤.

[٥٣]–ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٠٩.

[٥٤]–ابن حجر، الإصابة، ج١، ص٦٢٦.

[٥٥]– الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٤، ٢١٤.

[٥٦]–المغني في الضعفاء، ج١، ص٢١٩.

[٥٧]–ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤٦٧.

[٥٨]–العقيلي، الضعفاء، ج١، ص٢٦.

[٥٩]–الذهبي، ميزان الاعتدال، ج١، ص٣٧٤.

[٦٠]– الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٦. والرواية منقولة باختلاف قليل جداً من: ابن إسحاق، السيرة، ج١، ص٢١.

[٦١]– ابن إسحاق، السيرة، ج١، ص١٩.

[٦٢]–ابن إسحاق، السيرة، ج١، ص١٩.

[٦٣]–ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٩٥.

[٦٤]–الطبري، الأمم والملوك، ج٢، ص٥؛ الزمخشري، الفايق في غريب الحديث، ج٣، ص٣١٠.

[٦٥]–البلاذري، انساب الاشراف، ج١، ص٨١.

[٦٦]–الزمخشري، الفايق في غريب الحديث، ج٣، ص٣١٠.

[٦٧]–البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص١٠٣.

[٦٨]–ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٨.

[٦٩]–للتفصيل ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٩٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣، ص٤٠٦.

[٧٠]–ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٥.

[٧١]–الاستبضاع: كان في الجاهلية، وهو أن الرجل المرغوب في بضعه كان يقع على المرأة ويأخذ منها شيئا. الزمخشري، الفايق في غريب الحديث، ج٣، ص٣١٠.

[٧٢]–ابن حبيب، المنمق، ص٤٢٢.

[٧٣]– ابن إسحاق، السيرة، ج١، ص٢٢.

[٧٤]- الابيات الشعرية هي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

في كل بر عامد وكل عبد رائد

نزول غير زائد فإنه عبد الحميد الماجد

حتى أراه قد أتى المشاهد. ابن إسحاق، السيرة، ج١، ص٢٢.

[٧٥]– ابن إسحاق، السيرة، ج١، ص٢٢.

[٧٦]-ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٠٢.

[٧٧]–ابن عربي، الفتوح المكية، ج٤، ص١٠١.

[٧٨]–ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٩٨.

[٧٩]–السيرة النبوية، ج١، ص١٠٤.

[٨٠]– ابن إسحاق، السيرة، ج١، ص٢٥.

[٨١]–الترمذي، السنن، ج٥، ص٢٥٠.

[٨٢]–الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٣، ص٤٥٥–٤٥٦.

[٨٣]–ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص١٢٩٩.

[٨٤]–ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص١٦٣.

[٨٥]–للتفصيل ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص١٩٤.

[٨٦]–ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٦.

[٨٧]–الزيلعي، تخريج الأحاديث والاثار، ج٤، ص٢٢٨.

[٨٨]–السيرة النبوية، ج١، ص١٠٤.

[٨٩]- السيرة، ج١، ص٢٥.

[٩٠]- ابن إسحاق، السيرة، ج١ ص٢٦-٢٨.

[٩١]-القران الكريم، سورة الأعراف، الآيات (١٥٧-١٥٨).

[٩٢]-الصدوق، الامالي، ص٥٩١.

[٩٣]-ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٥٩.

[٩٤]-ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص٢٦٠.

[٩٥]-الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٥٧٣.

[٩٦]- ابن إسحاق، السيرة، ج١، ص٤٢.

المصادر:

المصادر الأولية:

-القرآن الكريم.

-ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

1-اسد الغابة في معرفة الصحابة (مطبعة، انتشارات اسماعيليات، طهران د.ت) .

2-الكامل في التاريخ (مطبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٦م).

-ابن إسحاق، محمد بن إسحاق المطلبي (ت١٥١هـ/٧٦٨م) .

3-السيرة النبوية -السير والمغازي-، تحقيق: محمد حميد الله (مطبعة معهد الدراسات والأبحاث للتعريف د.ت).

-البلاذري، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).

٤-انساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله (مطبعة مطابع دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٦م).

-البيهقي، ابي بكر احمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) .

٥-دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق وتعليق: عبد المعطي قلعجي (الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٥م).

-الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ/٨٩٢ م) .

٦-السنن، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان (المطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٣م).

-الجرجاني، احمد عبد الله بن عدي (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م).

٧-الكامل في ضعفاء الرجال، قراءة وتدقيق: يحيى مختار غزوان (الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨٨م).

-ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) .

٨-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا (الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٢م).

-الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن حاكم الضبي (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م) .

٩-المستدرك على الصحيحين، اشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي (مطبعة دار الفكر، بيروت د.ت).

-ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م) .

١٠-مشاهير علماء الامصار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم (مطبعة دار الوفاء-المنصورة، الطبعة الأولى ١٩١٩م).

-ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ/٨٥٩ م) .

١١-المنمق، (صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق، مطبعة عالم الكتب، د.ت).

- ابن حجر، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) .
١٢-الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض (الطبعة الأولى ١٩٩٥م).
١٣-تقريب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٥م).
١٤-تهذيب التهذيب (الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٤).
-ابن أبي الحديد، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).
١٥-شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الطبعة الاولى ١٩٧٨م).
-ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م).
١٦-جمهرة انساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء (مطبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٣م).
-ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م) .
١٧-التذكرة الحمدونية، تحقيق: احسان عباس، بكر عباس (الطبعة الأولى ١٩٩٦م).
-ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، الحافظ أبو عبد اللَّه الشيباني (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) .
١٨-العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله بن محمود عباس (مطبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧م).
-الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .
١٩-تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (مطبعة دار المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٧م).
-ابن خلكان، احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكر البرمكي الاربلي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) .
٢٠-وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس (مطبعة دار الثقافة، بيروت د.ت).
-الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .
٢١-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (مطبعة لبنان، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧م) .
٢٢-سير اعلام النبلاء، تحقيق: علي أبو زيد، اشراف وتخريج: شعيب الأرناؤوط (الطبعة التاسعة، بيروت ١٩٩٣م) .
٢٣-المغني في الضعفاء، تحقيق: أبي الزهراء حازم القاضي (مطبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٧).
٢٤-ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي (الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٣م).
-الزمخشري، جار الله محمود عمر (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م).
٢٥-الفايق في غريب الحديث، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين (مطبعة درا الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٦).
-الزيلعي، جمال الدين الزيلعي (ت٧٦٢هـ/) .
٢٦ -تخريج الأحاديث والآثار، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد (مطبعة الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ).
-ابن سعد، محمد بن سعد (٢٣٠هـ/٨٤٤م) .
٢٧-الطبقات الكبرى (مطبعة دار صادر، بيروت د.ت).
-السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م) .
٢٨-الانساب، تقديم وتعليق؛ عبد الله عمر البارودي (الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨م).
-السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) .
٢٩-التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (الطبعة الأولى ١٩٩٣م).

-الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ/ ٩٣٠م).
٣٠-الامالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية -مؤسسة البعثة (الطبعة الأولى، قم ١٩٩٦م).
- الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م).
٣١- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي (مطبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية د. ت).
-الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .
٣٢- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء (الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٣م).
٣٣-المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت).
-ابن عبد البر، أبو يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م).
٣٤-الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي (مطبعة دار الجبل، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٢م).
-ابن عربي، محمد بن علي الحاتمي الطائي (ت٦٣٨هـ/) .
٣٥-الفتوح المكية، (مطبعة دار صادر، بيروت، د.ت).
-ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م) .
٣٦-تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري (مطبعة دار الفكر، بيروت ١٩٩٤م).
-العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م) .
٣٧-الضعفاء، تحقيق: عبد المعطي امين قلعجي (مطبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٧م).
-أبو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن الأموي (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) .
٣٨-الأغاني (دار احياء التراث العربي د.ت).
-ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).
٣٩- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة (مطبعة دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر ١٩٦٩م).
-المزي، جمال الدين ابي الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م) .
٤٠-تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف (الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٥م).
-ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق (ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م) .
٤١- الفهرست، تحقيق: رضا تجدد (مطبعة مهر، طهران ١٩٧١ م).
-ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) .
٤٢- السيرة النبوية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (مطبعة المدني، القاهرة ١٩٦٣ م).
ثانيا: المصادر الثانوية (المراجع).
٤٣-الاميني، عبد الحسين احمد
- الغدير في الكتاب والسنة والادب (الطبعة الرابعة ١٩٧٧م).
-حيدر، اسد
٤٤-الامام الصادق ومدارس الإسلام الأخرى، اعداد وتلخيص: عباس الموسوي (مطبعة مؤسسة انصاريان، الطبعة الأولى، قم ٢٠٠٧م).
-الزركلي، خير الدين
٤٥-الاعلام (الطبعة الخامسة، بيروت ١٩٨٠م).

مسـألة الخـلاف في القضـاء بشـاهـد ويميـن
(دراسـة فقهيـة مقـارنـة)

الكلمات المفتاحية: الخلاف، الشاهد واليمين، الفقه المقارن

The disagreement issue in the judiciary based on witness and oath (Comparative jurisprudential study)

د. عبد علي جباره علي البخاتي*

Keywords: disagreement, witness and oath, comparative jurisprudential

المستخلص :

كيفية حل الخلاف بين الفقهاء : (في القضاء بشاهد ويمين)

فان القاضي اذا أراد ان يحكم بقضية ما ، فعليه ان يعتمد على بينة المدعي وهي عبارة عن شاهدين عادلين ، فاذا لم تكتمل البينة ، وطلب المدعي يمين المدعى عليه ، فان حلف سقطت دعوى المدعي وهذا لاخلاف فيه ، لكن الخلاف بين العلماء فيما اذا لم تكن بينة المدعي كاملة ولم يطلب يمين المدعى عليه ، ففي هذه الحالة هل بإمكان الحاكم ان يقضي له بشاهد مع يمين المدعى عليه ؟ ام لا ؟ وهنا لابد من التفصيل : ففي الحدود فلا قول للعلماء بسماع الدعوى مجردة عن البينة الكاملة ، اما في غير الحدود فهناك قولان بين الفقهاء وهي :

أولا : المنكرون : وهم فريق من علماء الجمهور وقد استدلوا بايات من القران الكريم وبالسنة الشريفة

ثانيا : المجوزون : وهم الامامية وبعض من علماء الجمهور وقد استدلوا على رأيهم بالرد على قول المنكرين ، وبالقران والروايات الصحيحة من السنة الشريفة ، وهي كافية في الاعتماد عليها ، لأّن عدم القضاء بالشاهد واليمين يؤدي الى ضياع الكثير من الحقوق ؛ لعدم توافر البينة الكاملة في كثير من الأحيان

Abstract :

(Inferring the dispute in the judiciary by witnessing with the oath through inductive jurisprudence)

How to resolve the dispute between scholars: (in judging by witness with an oath)

* كلية الامام الكاظم (عليه السلام)
quranscienmaysan11@alkadhum-col.edu.iq

If the judge wants to rule on a case, then he must rely on the evidence of the plaintiff, which is two just witnesses. The plaintiff's evidence is complete and he did not ask for the defendant's oath. In this case, can the judge pass a witness for him with the defendant's oath? or not ? Here it is necessary to be in detail: with regard to the limits, there is no saying of the scholars to hear the claim abstracted from the complete evidence. As for other than the limits, there are two sayings among the scholars:

First: Those who deny permissibility, and they are a group of scholars from among the common people, and they infer verses from the Noble Qur'an and prophetic hadiths.

Second: Those who say that it is permissible, and they are the Imamiyya and a group with them from among the scholars from among the common people. Often .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على اشرف خلقه وافضل بريته المصطفى الامين ابي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

الانسان مدنيّ بالطبع، فلا يمكن لنا ان نتصور حياته الاّ ضمن مجتمعات بشرية على هيئة قرى او مدن، أي ان الانسان لابدّ ان يعيش الى جانب اخيه الانسان وهذه الطريقة الضرورية من العيش، تحتاج ان يعرف الانسان ماله من حقوق وما عليه من واجبات سواء كان ضمن الدائرة الصغيرة لحياة الانسان وهي الاسرة او ضمن الدائرة الاجتماعية الاكبر من خلال حياته مع الآخرين وهو المجتمع، وهذا يؤدي في كثير من الاحيان الى حصول الخصومات والنزاعات او على الاقل المعاملات بين الطرفين .

ومن هنا كانت حاجة الانسان الى السلطة كما قال امير المؤمنين عليه السلام : "وانه لابد للناس من امير بر او فاجر" (١) والتي من ابرز واجباتها، القضاء بين الناس، والحكم والفصل لما يحصل بينهم من خصومات ،وما يحتاجون اليه من مقومات القضاء كالشهادة واليمين وما يتعلق بهما لتتحقق العدالة المنشودة في المجتمع الإنساني ، فجاء بحثنا المتواضع والموسوم بـ(مسألة الخلاف بالقضاء بالشاهد مع اليمين) لأهميته في حياتنا الاجتماعية .

فقد انتظم البحث على ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الاول: التعريف بمفردات البحث

المبحث الثاني : فيما يكون فيه القضاء

المبحث الثالث : القضاء بالشاهد مع اليمين ومسألة الخلاف فيه

مشكلة البحث : وهي مسألة الخلاف في القضاء بالشاهد مع اليمين واقوال الفقهاء فيه ، ومدى صحة القول فيه .لأثبات هذا الموضوع .

سبب اختيار الموضوع : ان عدم القضاء بالشاهد واليمين يؤدي الى ضياع الكثير من الحقوق والدماء ، وذلك لعدم توفر البينة الكاملة في كثير من الأحيان ،لذا وجب ان يبحث في الموضوع .

الدراسات السابقة : كتاب نظام الإثبات في الفقه الإسلامي، عوض عبدالله أبو بكر

وحكم القضاء بالشاهد واليمين وأثرها في استحقاق المال : سليم محمودي

والقضاء بالشاهد الواحد واليمين : دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون السودانى وغيرها من الدراسات الأخرى

المبحث الاول: التعريف بمفردات البحث

(القضاء ، الشاهد ، اليمين)

المطلب الاول: تعريف القضاء لغة واصطلاحا

اولا : القضاء لغةً :

قال ابن منظور: "القضاء: الحكم، واصله قضاي لأنه من قضيت ، الاّ ان الياء لما جاءت بعد الالف همزت... واصله القطع والفصل ، يقال: قضى يقضي قضاء فهو قاض اذا حكم وفصل ،وقضاء الشيء: احكامه وامضاءه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق " [٢]

وقال ابن فارس: " قضى :القاف والضاد والحرف المعتل اصل صحيح يدل على احكام امر و اتقانه وانفاذه لجهته، قال الله تعالى " قَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ " [٣] اي احكم خلقهن.

والقضاء : الحكم، قال الله سبحانه في ذكر من قال: " فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ " [٤] اي اصنع واحكم. ولذلك سميّ القاضي قاضياً، لأنه يحكم الأحكام وينفذها. " [٥]

ثانيا : القضاء اصطلاحاً :

قال الشهيد الثاني في المسالك: " وعرفوه شرعاً: بأنه ولاية الحكم شرعاً لمن له اهلية الفتوى بجزئيات القوانين الشرعية على اشخاص معينة من البرية، باثبات الحقوق واستيفائها للمستحق" [٦]

المطلب الثاني: تعريف الشاهد لغة واصطلاحا

اولا : الشاهد لغةً :

قال ابن فارس: " شهد: الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم واعلام لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه من الحضور والعلم والاعلام. يقال شهد يشهد شهادة"[٧]

وقال الفيومي:" شهدت الشيء اطلعت عليه وعاينته فأنا شاهد والجمع اشهاد او شهود " [٨]

ثانيا :الشاهد اصطلاحاً :

هو من يشهد على وقائع عرفها معرفة شخصية إما لكونه رآها بعينه أو سمعها بأذنه وإما لأنه رأها وسمعها في آن واحد.

فالشهادة ببساطة تعني العلم والبيان. وهي إثبات واقعة معينة من خلال ما يقوله أحد الأشخاص أو ما شاهده أو سمعه أو أدركه بحواسه من هذه الواقعة بطريقة مباشرة. وشهد فلان عند الحاكم: أي بين ما يعلمه وأظهره، يدل على هذا قوله تعالى: "شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ" سورة التوبة آية (١٧). [٩]

المطلب الثالث: تعريف اليمين لغة واصطلاحا

اولا : اليمين لغةً

قال في لسان العرب: " سمو الحلف يميناً لأنه يكون بأخذ اليمين " [١٠]

وقال ابن فارس: " يمن: الياء والميم والنون: كلمات من قياس واحد، فاليمين : يمين اليد. واليمن البركة، وهو ميمون. واليمين: الحلف، وكل ذلك من اليد اليمنى " [١١]

ثانيا :اليمين اصطلاحاً :

اليمين هو الحلف، قال الراغب: " الحلف اصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها لعهد ثم عبر به عن كل يمين " [١٢]

وقد ورد هذا المعنى في كلام المحقق في شرائع الاسلام وقد خصه بالحلف بالله إذ قال: في اليمين: " ولا يستحلف احد الاّ بالله ولو كان كافراً " [١٣] وقد اكدت الروايات ذلك كما في الوسائل: صحيح الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام قال : " لا ارى ان يحلف الرجل إلا بالله" [١٤]

المبحث الثاني

فيما يكون فيه القضاء

قال ابن رشد: " والقضاء يكون بأربع : بالشهادة، وباليمين وبالنكول، وبالاقرار، او بما تركب من هذه " [١٥]

فحينما يسمع الحاكم دعوى المدعّي يستدعي المدعى عليه ويسأله ، فيكون جوابه اما ان يقر بما ادعي عليه وبذلك يقضى عليه بالحق، واما ان يسكت – وهنا ليس محل بحثه – واما ان ينكر وعند ذلك يطالب القاضي من المدعي البينة فان لم تكن له بينه، عرفه القاضي بان له احلاف المدعى عليه ، وان كانت له بينه فهي على صور عدة :

اولاً: ما كان من حقوق الله فيثبت بما يلي:

١. بشهادة اربعة رجال
٢. بثلاثة رجال وامرأتين
٣. برجلين وأربع نساء
٤. برجلين

ثانياً: ما كان من حقوق الناس ، فيثبت بما يلي:-

١. ما يثبت بشاهدين
٢. بشاهد وامرأتين
٣. بشاهد ويمين
٤. ما يثبت بالرجال والنساء منفردات ومنضمات
٥. بشهادة امرأتين مع رجل
٦. بشهادة امرأتين مع اليمين
٧. بشهادة امرأة واحدة

المبحث الثالث

القضاء بالشاهد مع اليمين

تصوير المسألة :

ان القاضي اذا اراد أن يحكم في قضية ما، فيعتمد أولاً بيّنة المدعّي وهي شاهدان عادلان ، واذا لم تكتمل البيّنة، وطلب المدعّي يمين المدعّى عليه، فان حلف سقطت دعوى المدعّي وهذا مما لا خلاف فيه بين الفقهاء، ولكن الكلام والخلاف فيما اذا لم تكن بيّنة المدعّي كاملة ولم يطلب يمين المدعّى عليه ففي هذه الحالة، هل بأمكان القاضي أن يقضى له بشاهد ويمين ؟ اما في الحدود فلا يوجد من يقول بسماع الدعوى مجرّدة عن البيّنة الكاملة واما في غير الحدود فهناك اقوال وجعلتها في مطالب :

المطلب الأول: المانعون

فالمانعون : يرون عدم جواز القضاء باليمين مع الشاهد ، ويُنسب هذا الرأي إلى الثوري والنخعي والأوزاعي وابن شبرمة والليث بن سعد، وبه قال الحنفية وبعض المالكية.[١٦]

وقد استدلوا بالكتاب الكريم و بالسنة الشريفة :

اولا: الكتاب الكريم :

قوله تعالى : " وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى " [١٧]

وجه الاستدلال بالآية الكريمة:

تُشير الآية الكريمة إلى نِصاب الشهادة، ولم يرد في الآية الكريمة ذكر للشاهد واليمين، والآية مُحكمة، والقول بالقضاء بالشاهد واليمين زيادة على هذه الآية، والزيادة عليها نسخ لها، والقرآن الكريم لا يُنسخ بأخبار الآحاد. [١٨]

و يمكننا أن نرجع هذا الاستدلال إلى نقاط ثلاث لكي تتحدد المناقشة فيها.

الأولى: أن الله تعالى قسم الشهادة التي أمر بها الى قسمين: رجلان، أو رجل و امرأتان، و لم يذكر قسما ثالثا ، و لو كان هناك قسم ثالث لذكره، لأن المقام مقام بيان و الاقتصار في مقام البيان يفيد الحصر.

الثانية: أننا إذا قبلنا شهادة المدعي مع يمينه فقد زدنا على الكتاب، والزيادة على الكتاب نسخ و هو لا يجوز إلا بمتواتر أو مشهور.

الثالثة: أنه ليس في المسألة ما يصلح لنسخ هذا النص، فلا متواتر و لا مشهور.[١٩]

ثانيا: السنة الشريفة :

قد استدل الفقهاء بثلاثة أحاديث .

الأول : " عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لو يعطى الناس بدعواهم لادّعى أناس دماء رجال وأموالهم ، ولكن البينة على المدعى واليمين على من انكر " [٢٠]

فهذا الحديث يجعل ((اليمين)) على ((المدعى عليه)) أي أن جنس اليمين و جميع أفرادها لا تتوجه إلا إلى المدعى عليه، فإذا جعلنا المدعي يحلف مع الشاهد فقد جعلنا فردا من أفراد اليمين متوجها إلى غير الناحية التي قصر رسول الله صلى الله عليه واله جميع الأفراد عليها.[٢١]

الثاني : عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله " البينة على المدعي و اليمين على من أنكر " فالرسول ' حصر جميع أفراد البينات على المدعي و جميع أفراد الأيمان على من أنكر – أي المدعى عليه – و هذا تقسيم و توزيع يتضمن أنه لا تتوجه يمين إلى المدعي، فكيف يقبل منه شاهد و يمين.[٢٢]

الثالث :عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لمدع شاهداك او يمينه " رواه أحمد وابن ماجه والترمذي ، فقد جعل الأمر دائرا بين شيئين ليس منهما شاهد و يمين من جانب هذا المدعي، و لو كان الحكم بالشاهد و اليمين جائزا لذكره الرسول صلى الله عليه واله للمدعى و فتح له بابه.[٢٣]

وبهذا استدل المنكرون لجواز الحكم بالشاهد واليمين، و استمسكوا برأيهم في ذلك حتى حسبوا القضية من المسلمات، و أن القول بقبول الشاهد و اليمين قولٌ منكر في الدين.

فقد سئل الزهري عن اليمين مع الشاهد فقال : هذا شيء أحدثه الناس، لا بد من شاهدين، و زعم عطاء أن أول من قضى به عبدالملك بن مروان، وأنه بدعة، و أن أول من حكم به معاوية ، و قال محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة:" من قضى بالشاهد و اليمين نقضت حكمه " و قد قرر الحنفية لذلك أن من حكم به لا ينفذ حكمه، و إذا رفع إلى قاض آخر أبطله ، قال في متن التنوير و شرحه

ولمخالفته للحديث المشهور " البينة على المدعي و اليمين على من أنكر " فإنهم مع قولهم بإنفاذ حكم القاضي المخالف لمذهبهم، يرون في مثل هذا الفرع عدم جواز التنفيذ، و يوجبون على القاضي الحنفي أن يبطله، كأن هذا الفرع ليس من المسائل الاجتهادية .[٢٤]

المطلب الثاني: المجوزون وهم:

اولاً :فقهاء الامامية:

يقضى بالشاهد واليمين في الجملة استناداً الى قضاء رسول الله (صلى الله عليه واله) وقضاء علي عليه السلام بعده ، وهو ما عليه فقهاء الامامية .

ويثبت الحكم بذلك في الاموال، كما ذكر الشيخ الطوسي في الخلاف إذ قال: " يحكم بالشاهد واليمين في الاموال عندنا " [٢٥]

كما أن المحقق الحلي ذكر ذلك بقوله : " ويثبت الحكم بذلك في الاموال كالدين والقرض والغصب و في المعاوضات كالبيع والصلح و الاجارة و القرض و الهبه والوصية له والجناية الموجبة للديّة :كالخطأ وعمد الخطأ وقتل الوالد ولده والحر والعبد وكسر العظام، والجايفة والمأمومة. وضابطه ما كان مالاً أو المقصود منه المال " [٢٦]

"ولعلّه لا تجد مخالفاً من الامامية في ذلك بل وافقهم عليه اكثر فقهاء الجمهور كما قال صاحب الجواهر " [٢٧]وقد استدلوا عليه بالاحاديث التالية :

١-سال أبي جعفر عليه السلام عن القضاء بشاهد ويمين فقال :- قضى به رسول الله صلى الله عليه واله ،وقضى به علي عليه السلام عندكم بالكوفة الحديث " [٢٨]

٢-صحيح محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام : " كان رسول الله يجيز في الدين شهادة رجل واحد ويمين صاحب الدين _ الحديث " [٢٩]

٣-صحيح حماد بن عثمان عنه (عليه السلام) : " كان علي (عليه السلام) يجيز في الدين شهادة رجل ويمين المدعي " [٣٠]

٤-خبر القاسم بن سليمان عنه (عليه السلام) :- "قضى رسول الله بشهادة رجل مع يمين الطالب في الدين وحده " (٣١)

٥-صحيح محمد عن الامام الباقر (عليه السلام) : " لو كان الامر إلينا أجزنا شهادة الرجل الواحد إذا علم منه خير مع يمين الخصم في حقوق الناس، فأما ما كان من حقوق الله عز وجل أو رؤية الهلال فلا " (٣٢)

٦-موثق أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن الرجل يكون له عند الرجل الحق وله شاهد واحد؟ فقال : " كان رسول الله' يقضي بشاهد واحد ويمين صاحب الحق وذلك في الدين " (٣٣)

٧-صحيح محمد بن قيس المتضمن لادعاء أمير المؤمنين عليه السلام من عبد الله بن قفل التميمي: عند شريح درع طلحة حيث وجدها بيده فطلب شريح البينة فشهد الحسن عليه السلام بذلك وقال شريح: انه واحد ولا أقضي بشاهد واحد – وساق الكلام إلى أن قال الأمير عليه السلام : هذا قضى بجور ثلاث مرات – وعد منها عدم قبول شهادة الامام الحسن عليه السلام قائلا: – انه قد قضى رسول الله صلى الله عليه واله بشهادة واحد مع يمين " (٣٤).

ثانياً :غير الامامية:-

لقد ذهب الى القول بالقضاء بالشاهد مع اليمين اكثر فقهاء الجمهور وهم:

المالكية، والشافعية، والحنابلة والزيدية والظاهرية غيرهم،(٣٥) وهؤلاء يثبتون الجواز للحكم بشاهد ويمين في الاموال والديون من غير الحدود والطلاق والقصاص .

قال ابن رشد: " فقال مالك والشافعي واحمد وداود وابو ثور والفقهاء السبعة المدنيون وجماعة: يقضى باليمين مع الشاهد في الأموال " (٣٦)

وقال الشربيني وهو شافعي : " والقضاء بالشاهد واليمين قال به جمهور العلماء سلفاً وخلفاً منهم الخلفاء الاربعة، وكتب به عمر بن عبد العزيز الى عماله في جميع الامصار وهو مذهب الامام مالك واحمد وخالف في ذلك ابو حنيفة : (٣٧)

ويستدلون على مذهبهم بالسنة الشريفة ، و بالرد على أدلة مخالفيهم.

الاول: ما استدلوا به من السنة الشريفة :

١- روى مسلم وأحمد وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قضى بشاهد ويمين" [٣٨]

٢- عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) "أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قضى بشَهادة شاهد واحد، ويَمين صاحب الحق"[٣٩]

٣- رُوي عن أبي هريرة قال: "قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باليمين مع الشاهد الواحد"[٤٠]

إلى غير ذلك من النصوص فلا اشكال في الحكم، كما لا ريب في عدم القضاء بهما في حقوق الله تعالى وقد صرح بذلك في صحيح محمد بن مسلم

الثاني: رد المجوزون على ما يقوله مخالفوهم، فإنه يرجع إلى ما يأتي:

١-فيما يتعلق بالاستدلال بالقرآن:

ألف - ليس في قول الله تعالى : " وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ " [٤١] ، فليست القسمة في الآية حاصرة، و لم تفد العبارة الحصر، و يؤيد ذلك أن العلماء أجمعوا على أنه إذا لم يأت المدعي ببينة، و توجهت اليمين على المدعي عليه فنكل عنها، أنه يقُضى عليه بنكوله و يمين الطالب، و ليس القضاء بالنكول و يمين الطالب مما يتناوله نص الآية، فكيف يقال مع هذا الإجماع أن الآية حاصرة؟

ب - وما دامت الآية غير حاصرة، فإذا زادت السنة طريقا فلا تكون معارضة للنص، و من ثم لا تكون ناسخة، لأن النسخ معناه إزالة الحكم الأصلى و رفعه ، و هنا لا رفع و لا إزالة، و إنماهو إضافة طريق ثالث لا مانع من إضافته، مادام التعبير القرآني لم يفد أن الحكم إنما يكون بأحد الطريقين اللذين ذكرهما وأنه لا ثالث لهما.[٤٢]

٢- فيما يتعلق بالسنة الشريفة :

الف - "أما الحديث الذي يقول : " شاهداك أو يمينه " على فرض صحته - فإنه كان في واقعة عجز فيها المدعي عن البينة و رضى المدعى عليه فتخوف المدعي و قال: " إذن يحلف و لايبالي " فقال الرسول صلى الله عليه واله : " شاهداك أو يمينه " أي ليس لك إلا ذلك في هذه الحالة، و هي غير موضع النزاع،لأن النزاع إنما يقتضي هناك شاهد واحد و أراد المدعي الحلف مع هذا الشاهد أما هنا فقد عجز المدعي عن إقامة أي شاهد، فليس هناك إلا الإنتقال إلى يمين المدعى عليه.

ب- و أما الحديثان الآخران فقد جاءا على الشأن في مبدأ الخصومة، فإن الأصل أن تبدأ الخصومة بدعوى المدعي ، ثم ببينته، فإن عجز عن البينة توجهت اليمين على المدعى عليه، فإن نكل انقلبت اليمين على المدعي، و قضى له بيمينه مع نكول صاحبه، و هذا لا ينافي أن المدعي قد يأتي بشاهد واحد و يضم إلى هذا الشاهد يمينه فيحكم له به ، فليس في الحديثين تعارض مع هذه السنة المشهورة المقضي بها على عهدالرسول صلى الله عليه واله و من بعده.

ج- هذا ما استدل به الفريق الثاني: فريق القائلين بالحكم بالشاهد و اليمين ، و هم يرون ذلك واضحا لاينبغي أن يصار إلى خلافه، و يعجبون من موقف المعارضين فيه، فيقول القرطبي: العجب مع شهرة الأحاديث و صحتها التظنن بدعوي من عمل بها حتى نقضوا حكمه و استقصروا رأيه، مع أنه قد عمل بذلك الخلفاء الراشدون و ... الخ." (٤٣)

و يقول ابن قدامة في كتابه المغني: " و قول محمد في نقض من قضى بالشاهد و اليمين يتضمن القول بنقض قضاء رسول الله صلى الله عليه واله و الخلفاء الذين قضوا به " ، و قد قال الله تعالى: " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا " (٤٤) و القضاء بما قضى به رسول الله صلى الله عليه واله ، أولى من قضاء محمد بن الحسن المخالف له." (٤٥)

ويقول الشوكاني في نيل الأوطار: "جميع ما أورده المانعون من الحكم بشاهد و يمين غير نافع في سوق المناظرة عند من له أدنى إلمام بالمعارف العلمية، و أقل نصيب من إنصاف ، فالحق أن أحاديث العمل بشاهد و يمين زيادة على ما دل عليه قوله تعالى : " وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ " الآية و على ما دل عليه قوله صلى الله عليه واله : " شاهداك أو يمينه" غير نافية للأصل فقبولها متحتم " .(٤٦)

المطلب الثالث: القول الراجح في الشاهد مع اليمين :

وفي نهاية البحث وبعد ان تناول قضية هامة وهي: مسالة الخلاف بين العلماء بالقضاء بشاهد ويمين ، تعرضنا لما يثبت المطلوب من آراء الفقهاء واقوالهم فيه فكانوا بين منكر ومجوز :

أولا : ان المنكرين قد استدلوا بالآية في قوله تعالى : " وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ " (٤٧)

وقالوا :ان القول بالشاهد مع اليمين يكون زيادة والزيادة نسخ ولا ينسخ القران بالسنة الغير متواترة. وقد ذكرنا في محله رد المجوزون الذين قالوا: ان النسخ رفع للحكم ولا رفع هنا بل زيادة والزيادة في الشيء تقرير له لا رفع.

كما ان خبر قضاء النبي صلى الله عليه واله في الشاهد واليمين – لكثرته– كما ذكرنا اخرجه عن كونه حديث آحاد بل، ربما بلغ حد التواتر او الشهرة على الاقل وبهذا ممكن ان يكون موسعاً لمدلول الآية.

ثانياً :ان ماورد من الصحيح من سنة النبي صلى الله عليه واله ، قولاً وفعلاً من الامامية وغيرهم كافية في الاعتماد عليها والقضاء بالشاهد واليمين.

ثالثاً :ان عدم القضاء بالشاهد واليمين يؤدي الى تضييع الكثير من الحقوق والدماء لعدم توفر البيّنة الكاملة في كثير من الاحيان.[٤٨]

فكان المحصل من البحث هو القول بالشاهد واليمين لما ذكر من اقوائية الأدلة ،وان انكاره سوف يؤدي الى ضياع الكثير من الحقوق .

والله ولي الاحسان وصلى الله على المصطفى محمد واله الاطهار واصحابه الاخيار .

خاتمة البحث

تبين من البحث ان هنالك قولان في الحكم :

احدهما: الانكار،اي بعدم الجواز في قبول الحكم بشاهد ويمين مطلقا،وذلك لوجود ادلة استدلوا بها من القران الكريم والسنة المطهرة ،وهم ابوحنيفة واصحابة، والشعبي والاوزاعي، وغيرهم.

وثانيهما: الجواز بالحكم بالشاهد واليمين ولكن في الاموال والديون ماعدا الطلاق والحدود والقصاص. وهم: الامامية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة وغيرهم، واستدلوا بالروايات الكثيرة الصحيحة، وبردهم على ادلة مخالفيهم. فثبت ان القول المختار هو الثاني لصحة ادلته وعمل به الكثير من الصحابة والتابعين والقضاة .

والحمد لله رب العالمين والصلاة على المصطفى واله الطيبين الطاهرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المصادر

القرآن الكريم

١. ابن رشد، محمد ابن احمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، ١٤٠٩هـ
٢. ابن فارس، احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ
٤. الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام، دار احياء التراث العربي، ١٤١٨هـ
٥. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، ١٤١٤هـ
٦. الحلي، جعفر بن الحسن، شرائع الاسلام، دار الفكر، ١٤٠٠هـ
٧. الراغب الأصفهاني، حسين بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ
٨. الشربيني، محمد بن احمد، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ
٩. الشيخ الطوسي ، الخلاف، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٧هـ
١٠. العاملي، زين الدين بن علي، مسالك الافهام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ
١١. العسقلاني، احمد بن علي، فتح الباري، ، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ
١٢. الفيومي، احمد ابن محمد، المصباح المنير، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ
١٣. الكاساني، ابو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ
١٤. صبحي، ابراهيم الصالح، نهج البلاغة، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٢م
١٥. الزنجاني :
١٦. البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (سنن البيهقي الكبرى) (ط. العلمية)
١٧. الناشر: دار الكتب العلمية سنة النشر: ١٤٢٤ – ٢٠٠٣م
١٨. ابن جوزي :
١٩. الدار قطني : أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد ، سنن الدارقطني ،ت ٣٨٥ ، الطبعة: الأولى ، سنة الطبع: ١٤١٧ –١٩٩٦ م

[١] - صبحي صالح ، نهج البلاغه ، ج١ ، ص ٧٩، الخطبة ٤٠
[٢] - ابن منظور ،محمد بن مكرم بن منظور ، ت ١١٧هج، لسان العرب ج١٣ ص٤٦٠،الناشر :ادب الحوزة ،سنة الطبع ،١٤٠٥ هجرية
[٣] - سورة فصلت، اية ١٢
[٤] - سورة طه، اية ٧٢
[٥] - ابن فارس ،ابو الحسين احمد، معجم مقاييس اللغه ج٥ ص ٩٩ ، (ت ٣٩٥هـ) الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ
[٦] العاملي زين الدين بن علي، مسالك الافهام ج١٣ ص٣٢٥ ، مؤسسة المعارف الاسلامية. ط /١ ، ١٤١٦ هـ. ق.
[٧] - ابن فارس ابو الحسين احمد، معجم مقاييس اللغة ج٣ ص ٢٢١ ، (ت ٣٩٥هـ) الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ
[٨] - الفيوميي احمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،(ت نحو ٧٧٠ هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت ،ص١٦٩
[٩] - مجلة البحوث الإسلامية نسخة محفوظة ٢٠٢٠-٠٧-١٩ على موقع واي باك مشين

[١٠]- ابن منظور ،محمد بن مكرم بن منظور ، ت ١١٧هج، لسان العرب ج١٣ ص٤٦٠،الناشر :ادب الحوزة ،سنة الطبع ،١٤٠٥ هجرية

[١١]- ابن فارس ابو الحسين احمد، معجم مقاييس اللغة ج٦ ص١٥٨ ، (ت ٣٩٥هـ) الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ

[١٢]- الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، مفردات الفاظ القرآن ص ١٢٩ الناشر : دار القلم بيروت ،ط/١، ١٤١٢ هـ

[١٣]- المحقق الحلي ابو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن، ت ٦٧٦ هجرية ، شرائع الاسلام ، ج٤ ص٧٨

[١٤] - الحر العاملي محمد بن الحسن ت،١١٠٤، وسائل الشيعة ، ج١٥ ص ١٣٢ ، الباب ٣٠ من كتاب الايمان، الحديث ٤

[١٥]- ابن رشد محمد ، بداية المجتهد ، ت ٥٩٥ ، ج٢ ص٤٦٢ ، مكتبة البحوث والدراسات، سنة الطبع :١٩٩٥م

[١٦] - البدائع (٦ / ٢٢٥)، والكمال بن الهمام: فتح القدير (٧ / ٣٦٩)، وابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار (٥ / ٤٠١)، وابن رشد: بداية المجتهد (٢ / ٤٦٧)، وابن فرحون: تَبصرة الحكام (١ / ٢٦٨)، ود. محمد الزحيلي: أصول المُحاكمات الشرعية (ص: ١٥٩)، وأحمد إبراهيم: طرق القضاء (ص: ٢٧٠)، ود. عبدالكريم زيدان: نظام القضاء في الشريعة الإسلامية (ص: ١٨٩

[١٧] -البقرة ٢٨٢

[١٨] -مقالات متعلقة : تاريخ الإضافة: ٢٠١٦/١/٦ ميلادي - ١٤٣٧/٣/٢٥ هجري

[١٩] - الزنجاني: تخريج الفروع على الأصول (ص: ٥١، ٥٢)، والآمدي: الإحكام في أصول الأحكام (٣ / ١٨٤، ١٨٥)، والغزالي: المستصفى من علم الأصول (١ / ١١٧

[٢٠] - البيهقي؛ أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر،٣٨٤ ــ ٤٥٨هجرية ، السنن الكبرى ؛ج١٠ ،ص ٢٥٢، ط/٣، دار الفكر ،١٣٥٥ هجرية

[٢١] - الكاساني: البدائع (٦ / ٢٢٥)، والسرخسي: المبسوط (١٧ / ٢٨).

[٢٢] - النووي : كتاب شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) - باب اليمين على المدعى ، ص٣الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت "ط/٢، ١٣٩٢

[٢٣] - فتح الباري بحث في شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : (١١/٥٥٩).

[٢٤] - ابن عابدين : حاشية رد المختار على الدر المختار ت ١٢٥٢، ج٤ ،ص٧٠٤

[٢٥]- الطوسي ، أبو جعفر محمد (٣٨٥ -٤٦٠هـ الخلاف ، ج٦ ، ص٢٥٤ ،الطبعة: الأولى ، ١٤١٧

[٢٦]- المحقق الحلي، أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلي (٦٠٢ ــ ٦٧٦ هـ)، شرائع الاسلام، ج٤ ، ص٨٣ ،ط/ ٢ ، ١٤٠٩هجرية

[٢٧]- ينظر: الجواهري، محمد حسن، النجفي ، المتوفى سنة ١٢٦٦ جواهر الكلام ج٤٠ ، ص٢٦٨ ، الناشر دار الكتب الاسلامية تهران

[٢٨] - السيد محسن الأمين العاملي ،عجائب أحكام أمير المؤمنين (ع) - الصفحة ١٠٢، مركز الغدير ، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ -

[٢٩] - الكافي - محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (توفي سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م) - ج ٧ - الصفحة ٣٨٦

[٣٠] - المصدر نفسه - ج ٧ - الصفحة ٣٨٥

[٣١] - القضاء في الفقه الإسلامي - السيد كاظم الحائري - الصفحة ٧٠٦

[٣٢]- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤ هـ) باب ١٤، من ابواب كيفية الحكم

[٣٣] - المصدر نفسه ، باب ١٤، من ابواب كيفية الحكم

- [٣٤] وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤ هـ) باب ١٤، من ابواب كيفية الحكم

[٣٥] - ابن جوزي: القوانين الفقهية (ص: ٢٠٤)، وابن قدامة: المغني (٩ / ١٥١)، وابن حزم: المحلى (٩ / ٤٠٣) ، والشوكاني: السيل الجرار (٤ / ١٨٧).

[٣٦] - ابن رشد : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت ٥٩٥هـ) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ج٢، ص١٦٨
الناشر: دار الحديث ــ القاهرة ، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م

[٣٧] - الشربيني محمد ،مغني المحتاج الى معرفة معاني الفاظ المنهاج ج٤ ص٤٤٣

[٣٨] - الدارقطني : سنن الدارقطني ج٣ ص٢١٤، نيل الأوطار ومنتقى الأخبار ج١٠ ص٢٨٢ ط الطباعة الفنية.

[٣٩] - أبو داود: سنن أبي داود (٢ / ١١٩)، وابن ماجه: سنن ابن ماجه (٢ / ٧٩٢)، والدارقطني: سنن الدارقطني (٤ / ٢١٢)، والشوكاني: نَيل الأوطار (٩ / ١٩٠).

[٤٠] - الدارقطني: سنن الدارقطني (٤ / ٢١٤)، وابن العربي: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (٦ / ٨٩).

[٤١] سورة البقرة، اية ٢٨٢

[٤٢] - ميرزا حبيب الله الرشتي ، كتاب القضاء ،ج١ ،ص ٥ ،ا الناشر : دار القران

[٤٣]- القرطبي : الجامع لاحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ج٣، ص٢٩٢ دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م

[٤٤] -النساء / ٦٥

[٤٥]- المغني، ابو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٥٤١ – ٦٢٠ه) ج٢، ص ١١، الطبعة الأولى مطبعة المنار سنة ١٣٤٨ هـ.

[٤٦]-الشوكاني : نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ،محمد بن علي الشوكاني ، ت ١٢٥٥ هـ ،ج٨ /ص ٢٥٦- دار الجيل بيروت – لبنان ١٩٧٣.

[٤٧] - سورة البقرة، اية ٢٨٢

[٤٨] - الشوكاني : نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ،محمد بن علي الشوكاني ، ١٢٥٥ هـ ،ج٨ /ص ٢٥٦- دار الجيل بيروت – لبنان ١٩٧٣.

جدليّةُ تقسيم الكلامِ بينَ أَبي الأَسود الدؤليّ وتمَّام حسَّان
دراسة نقديَّة

أ.م.د. حيدر عودة كاطع*

الكلمات المفتاحيّة: جدليَّة، تقسيم الكلام، أبو الأسود الدؤلي، تمَّام حسَّان، دراسة نقديَّة

The dialectic of the division of speech between Abu Al-Aswad Al-Du'ali and Tammam Hassan: Critical study

Keywords: dialectics, division of speech, Abu Al-Aswad Al-Du'ali, Tammam Hassan, critical study

المستخلص:

يعنى البحث بدراسة موضوع أَقسام الكلام في التراث العربي عند أَبي الأسود الدؤلي تحديداً، وما تمثله صحيفته المملاة عليه من أمير المؤمنين عليٍّ υ من وثيقة تحديدية لأقسام الكلام العربي رسمت ملامح المسألة بعيداً عن الفلسفة والمنطق العقليين، فكانت خارطة طريق لمن جاء بعدها من النحاة الذين أعطوا المسألة تأسيساً معيارياً حين انبروا للدفاع عنها متوسّلين بالقواعد المنطقية العقلية؛ فكان هذا الأَمر سبباً لفتح باب النقاش عند المحدثين الرافضين أَنْ يكون النحو منقاداً للتقعيد المنطقي، فراحوا يبحثون عن البدائل التقسيمية حتى وصلت النوبة إلى الدكتور تمَّام حسَّان وكتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) عندما أوصل الأَقسام الثلاثة إلى سبعة بمنهجه الوصفي بعد أَنْ ذكر المبررات التي دعته لهذا.

وقد سعى البحث للخوض في المسألة ومناقشتها وتحليلها بين أَبي الأَسود وتمَّام حسَّان بطريقة نقدية، وبيان حقيقة الأمر بالجمع وبين المنهج المعياري والوصفي، مع التسليم بوصفية ما ورد في الصحيفة الدؤلية.

Abstract:

The research is concerned with studying the subject of the divisions of speech in the Arab heritage specifically with Abi Al-Aswad Al-Du'ali, and what his newspaper dictated to him from the Commander of the Faithful Ali, Ali, represented a defining document for the divisions of Arabic speech that drew the features of the issue away from rational philosophy and logic. normative foundation when they went to defend it, invoking rational rational rules; This matter was a reason to open the door for discussion among the modernists who refused to be submissive to logical strictness, so they went to search for divisional alternatives until the Nuba reached Dr. Tammam Hassan and his book (The Arabic Language and Its Meaning) when he brought the three

* كلّيَّة الإمام الكاظم(عليه السلام)
lecbasra23@alkadhum-col.edu.iq

sections to seven with his descriptive approach after the justifications that called him to mention For this.
The research sought to delve into, discuss and analyze the issue between Abi Al-Aswad and Tammam Hassan in a critical manner, and to clarify the truth of the matter by combining the normative and descriptive approach, while accepting the descriptiveness of what was mentioned in the Al-Dawliah newspaper .

المقدمة :

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أَجمعين محمَّدٍ وآله الطاهرين.
شكَّلت قضية أَقسام الكلام في التراث العربي زخماً جدليَّاً واسعاً أَخذ أَكثر من مساحته العلمية في ميدان الجدل والمغالطة والبرهنة العقلية، على الرغم من وضوح بعض جذورها كما سيتبين لاحقاً، غير أَنَّ هذا الوضوح قد يكون وضوحاً لطالبه ومريده، وليس كذلك حين يبحث المستقصي عن المقدِّمات التي تسند مراده وتشبع نهمه فيما يذهب ويعتقد، وهنا يتّسع الخرق على الراقع؛ لأَنَّنا نجافي الحقيقة آنذاك ونضحّي بالثوابت الحقّة من أَجل الجدل والمغالطة، فسيكون الجدل حاضراً من أَجل الجدل نفسه لا للبحث عن الحقائق العلمية في الميدان اللساني، وهذه الحالة الجدلية قد تجلَّت واضحةً في موضوع أَقسام الكلام بين المتقدِّمين من علماء النحو؛ ولذا كان الخوض في هذا البحث لتناول المسألة على وفق المعطى العلمي موائماً بين المنهجين الوصفي والمعياري، وذلك بين شخصيتين متباينتين زمانياً؛ إِذْ يُعدّ أَبو الأَسود الدؤلي باكورة التأَصيل النحوي البصريّ بشذراته الأُولى التي تحمل تأَصيلاً تاريخياً لولادة النحو آنذاك، فيما يشكِّل تمّام حسّان الفكرة التجديدية المتمردّة على الثابت التاريخي النحوي في هذه المسألة؛ ومن هنا ففكرة البحث في مضمونها التقسيمي هي رؤية نقدية بين اجماع تاريخي ذي جذور بصرية أَخرجته الصحيفة الدؤلية إِلى ميدان البحث والدراسة، وبين الرؤية المعاصرة ذات النزوع التجديدي الرافضة لذلك الثابت التقسيمي كما سيتبيَّن.

تقسيم الكلام:

يعود أَصل التقسيم إِلى ما قبل سنة ٤٠هـ، وذلك فيما روي عن أَبي الأَسود الدؤلي البصريّ، وما ذكره من دخوله على أَمير المؤمنين عليٍ(ع) في بعض الأَيَّام:(فرأيته مطرقاً متفكِّراً، فقلت: فيمَ تفكِّر يا أَمير المؤمنين؟ قال: إِنِّي سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردتُ أَنْ أَصنع كتاباً في أصول العربية. فقلت: إِنْ فعلتَ هذا أَحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثمَّ أَتيته بعد ثلاث فألقى إِليَّ صحيفةً فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. الكلام كلُّه اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ، فالاسمُ: ما أنبأ عن المسمَّى، والفعل: ما أَنبأ عن حركة المسمَّى، والحرف: ما أَنبأ عن معنى ليس باسم وليس بفعل، ثمَّ قال: تتبَّعه وزِدْ فيه ما وقع لك. واعلمْ يا أَبا الأسود أَنَّ الأسماء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإِنَّما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر، قال أبو الأسود: فجمعتُ منه أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف

النصب، فذكرتُ منها إنَّ، وأَنَّ، وليت، ولعلَّ، وكأنَّ، ولمْ أذكرْ لكنَّ، فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم أَحسبها منها، فقال: بل هي منها، فزدها فيها)[١].

على الرغم من التشكيك في نسبة هذه الصحيفة إلى الإمام علي، كما يذهب لذلك أَحمد أَمين[٢] وخديجة الحديثي[٣]، وإنّ الولادة النحوية تعود لأَبي الأَسود حصراً، فهذه الصحيفة تمثِّل الرشحة الأولى لموضوع التقسيم، لا سيمَّا أَنَّ الزجَّاجي(ت٣٣٧هـ) أَوردها في أَماليه معنعنةً من حيث السند، وذكرها ابن النديم(ت٣٨٤هـ) في الفهرست[٤]، والسيوطي في الأشباه والنظائر[٥]، وهذه الصحيفة تمثِّل رؤية وصفية أولى لم يتسنَّ للمعيارية تطويقها أَو تأطيرها، فقد تضمّنت أَموراً، منها:

تقسيم الكلام وذلك في قوله: (الكلام كلُّه اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ).

عرَّفت الأَقسام الثلاثة، وذلك في قوله: (فالاسمُ: ما أنبأ عن المسمَّى، والفعل: ما أنبأ عن حركة المسمَّى. والحرف: ما أنبأ عن معنى ليس باسم وليس بفعل).

تضمَّنت بعض أَفراد الاسم وذلك في قوله:(واعلمْ يا أَبا الأسود أَنَّ الأسماء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنَّما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر).

ذُكرت فيها حروف النصب .

وقفة مع تقسيم الكلام:

جاء الكلام منقسماً على أَنواعه الثلاثة، والكلام –كما هو معروف– يساوق المعنى التَّام أَو الجملة، أَي أَنَّ الكلام هو الداخل في التركيب الوظيفي السياقي، ومن هنا يكون التقسيم ناظراً إلى المعنى الوظيفي والشكل معاً أَو على الترتيب، فلو أَراد الشكل وحده لقال: الكلمة تقسم على كذا وكذا؛ لأَنَّ الكلمة قولٌ مفرد تُجمع على الكَلِم لا الكلام[٦]، ومع هذا يمكن القول: أَنَّه يشير إلى أَنَّ أَصل الكلام المستعمل في السياق لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة، أَو أَنَّ التراكيب الإسنادية إنَّما تتشكَّل من هذه الأَقسام الثلاثة، فيكون مقصوده –حينها– الكلام في أَصل الوضع، ويكون التقسيم على أَساس الشكل الوضعي، وقد يراد بالكلام من قبيل اطلاق اللفظ وإرادة ما سيؤول إليه فيما بعد على أَساس علاقة الأَوْل والمشارفة، وهذا المعنى لا يمنعه الاستعمال؛ فنقول للولدِ الذكيِّ المجدِّ: أَنتَ أستاذ، وذلك بلحاظ الاستشراف المستقبلي له، ومنه قوله تعالى:[قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً][٧]، فالخمر هو المآل الأخير لعملية العصر؛ لأَن العصر يقع على العنب لا على الخمر، وبعبارة منطقية: هذه الأقسام هي أَقسام للكلمة بالفعل، وأَقسام للكلام بالقوَّة، فالكلمة(لفظة مجازية، وجمعها كَلِم تُذكّر وتُؤنَّث. يُقال: هو الكَلِم وهي الكَلِم)[٨]، كما أَنَّها(تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من

جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها)[٩]، فلا مانع من الجمع بين الكلمة والكلام في هذا التقسيم ما دامت الكلمة في طول الكلام وليس قسماً منه كي يقع التضاد.

التقسيم بينَ المنهجين الوصفي والمعياري:

لا شكَّ أَنَّ الصحيفة الدؤلية هي رؤية وصفية للتقسيم، فعلى الرغم من أَنَّ الرواية دالة على العموم والشمول، وأَنَّ الكلام كلّه مشمول بهذا التقسيم بقرينة(الكلام كلّه)، لا سيَّما أَنَّ لفظة (كلّ) تدل على العموم والشمول، فيكون الكلام بمثابة الكلّي الذي تندرج تحته الجزئيات الثلاثة، فهو من قسمة الكلِّيِّ إلى جزئياته، لا من قسمة الكلِّ إلى أَجزائه كقسمة الماء إلى الهيدروجين والأوكسجين، فتقسيم الحيوان على إنسانٍ وفرسٍ وغزالٍ يكون تقسيماً بهذا المعنى الأَوَّل، وعلامته صحَّة الإخبار بالكلِّيِّ عن الجزئيّ، فيقال: الإنسانُ حيوانٌ، كما يقال: الفعل كلمة[١٠]؛ ولا يصحّ الإسناد على المعنى الثاني للقسمة؛ ولذا فالعطف بالواو لا يعني أَنَّ الأَقسام الثلاثة تجتمع معاً في الآن نفسه، بل هي ممَّا تجتمع في الحكم كما في قولنا: حضر محمدٌ وزيدٌ، فيجتمع المعطوفان بوصفهما محكوماً عليهما في الجملة، فالعطف بالواو يحقِّق الانسجام الحكمي في السياق، ولا يحصل هذا التعليق في الحرف(أَو)؛ لأَنَّه سيثبت الحكم لواحد من المعطوفات –لو قال: الكلمة اسم أَو فعلٌ أَو حرف– دون القسمين الآخرينِ[١١]، وهذا المعنى ليس مراداً للواضع كما يبدو.

ولكنَّ هذا العموم لا يخرج التقسيم عن الوصفية في هذا المعنى؛ بدلالة ذيل الرواية حين قال له –بعدما عرَّف له الأَقسام الثلاثة–: تتبَّعه وزد عليه، ولا شكَّ أَنَّ توجيهه الإرشادي هذا إشارة واضحة إلى وصفيَّة هذه الوثيقة الاملائية، كما تشير إلى أمرٍ مهم وهو أَنَّ التقسيم الدؤليَّ هو تقسيم استقرائي قائم على تتبّع الجزيئات بغية الوصول للنتائج، وليس تقسيماً عقلياً، كما أَنَّ في زمن صدور الصحيفة لم تكن المعياريَّة مأذونة لفرض هيمنتها على اللغة؛ لأَنَّ عملها يتجلَّى في الحدود والتقعيد والتبويب وهذه فترة متأخِّرة عن زمن صدور الصحيفة، وعن(تاريخ دراسة اللغة العربية ليعرض علينا في بدايته محاولة جدية لإنشاء منهج وصفي في دراسة اللغة)[١٢].

وقد شكَّل التأثير المنطقي في الدرس النحويِّ –فيما بعد– جدليَّةً حقيقيَّة بين معظم الدراسين، ولعلَّ أَوار هذا الجدل يبدو جليَّاً عند الرافضين لهذا التأثير العقلي ممَّن يتبنّون المذهب الكوفيّ لا البصريّ، ويعلو ذلك الصوت عند المحدَثين تحديداً كالدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي[١٣]، بدعوى أَنَّ الفصائل النحوية والمنطقية لا تلتقي إلاّ نادراً[١٤]، أَو لأَنَّ المنطقي معنيٌّ بوضع الأَبواب التي تندرج تحتها الأَشياء الحقيقيَّة[١٥]، وأَنْ يكون التقسيم العلمي نابعاً من اللغة نفسها لا من التقسيم المنطقي[١٦]، وغيرها من دعوات رفض الحضور المنطقي العقلي في المنظومة النحوية، إلّا أَنَّ المسألة قد تُناقش ضمن محورين:

١- المنطق آلة للعلوم وشرعة لكلِّ واردٍ فهو واقع في طريق التقعيد النحوي بلا ريبٍ، على أَنْ لا يُخرج الدرس النحويَّ من إطاره الوصفي إلى صرامة المعيارية وحزمها، ولا يكون كلاًّ على الدرس اللساني حين يُصار له في معظم المسائل النحوية كنظريَّة العامل وظاهرة العلل؛ كالعلل الثواني والثوالث التي نادى ابن مضاء القرطبي(ت٥٩٢هـ) بإلغائها[١٧] وغيرها ممَّا لا تنسجم مع الميزان المنطقي العقلي الذي صار ميداناً رحباً لنحاة البصرة، ومنها أقسام الكلام التي هي أَصل الكلام العربي؛ بيد أَنَّها لم تنل حقَّها من الدراسة؛ عندما درسها المتقدِّمون على أَساس نظرية العامل[١٨].

٢- لمَّا كان النحو القديم تأسيسيَّاً فهو يوظِّف القواعد النحويَّة لا محالة في رسم بعض كبريات الأَحكام المعيَّنة لدى الواضع؛ لتكون معياراً قانونيَّاً كلِّيَّاً[١٩] يُحتذى به -فيما بعد- في البيئة اللغويَّة، سواء كان ذلك في الحدود والتعريفات أَم في تقسيم الأَبواب النحويَّة.

مع ذلك فقد وقع الدرس النحوي عندهم في شَرَك المعيارية[٢٠]، وهذا ما يبدو جليَّاً عند تقسيم الكلام في ضوء القسمة العقلية الحاصرة، والتي تعني من المحال أَنْ تعطي أَقساماً سوى ما تفرزه هذه القسمة من تقسيمات، وسميِّت حاصرة؛ لأَنَّها تحصر الأَقسام بأسلوبٍ خاصٍّ يتعسَّر على المريد أَنْ يأتي بغيرها، كتقسيم الزمان مثلاً: إِمَّا متصرِّم فهو الماضي، وإِمَّا أَنت فيه فهو الحاضر، وإِمَّا لم يأتِ بعد فهو المستقبل، ومن هنا فقد ذهب معظم المتقدِّمين من النحاة البصريِّين كالمبرد(ت٢٨٥هـ)[٢١]، والزجَّاجي(ت٣٣٧هـ)[٢٢]، والاستراباذي(ت٦٨٦هـ)[٢٣]، والسيوطي(ت٩١١هـ)[٢٤] إلى اعتماد هذا النمط من التقسيم، على الرغم من أَنَّ الصحيفة الدؤليَّة لم تشر إلى هذا النوع من التقسيم حين أَشارت -التزاماً- إلى أَنَّ الواقع اللغوي يؤيِّد هذا التثليث الاستقرائي ويمتنع -أَي الواقع- أَنْ يأتي بقسمٍ رابعٍ، ولكنَّ النحاة فيما بعد ذهبوا بها عريضةً، حين درسوا المسألة على محورين:

١- التسليم بالتقسيم الثلاثي للكلام، ولم يحاولوا حتى مناقشة الأمر؛ وذلك للتسالم العقلي الذي صاروا فيه إزاء المسألة، سوى ما ورد عن أحمد بن صابر النحوي المعروف بـ(أَبي جعفر النحوي)(ت٦٦٢هـ) الذي ذهب إلى وجود قسمٍ رابعٍ أسماه الخالفة[٢٥]، وهو يعني بالخالفة ما يسميه النحاة بـ(اسم الفعل)، وقد كان للتأثير المنطقي في تحديد أَقسام الكلام الثلاثة حضوره الواسع بين معظم المتقدمين من النحاة، وقلَّما تجد كتاباً في النحو لم يشر إلى عقلية المسألة واستحالة إيجاد قسمٍ رابع لها أَو أَنْ تكون الأقسام اثنين لا ثلاثة، ما خلا سيبويه(ت١٨٠هـ) الذي جعل التمثيل كاشفاً عن الأَقسام واكتفى بالتمثيل لها حين قال:(الكلم اسم وفعل وحرف ليس باسم ولا فعل، فالاسم: رجل، وفرس، وحائط)[٢٦]، فكان تمثيله مبنياً على البعد الشكلي البنائي، بينما قوله:(الاسم هو المحدّث عنه)[٢٧]روعي فيه البعد الوظيفي[٢٨]، وأَمَّا المبرِّد(ت٢٨٥هـ) فلم يقف عند حدود العربية في التقسيم بل قال(لا يخلو الكلام عربيَّاً كان أَو أَعجميَّاً من هذه الثلاثة)[٢٩]، فكأَنَّه قد تتبّع الكلام غير العربي، لا سيما أَنَّ كلمة الأَعجمي تطلق على الأقوام غير العربية[٣٠].

٢-سلكوا سبيل الاستدلال على القسمة الثلاثية، تحت مسمّى دليل الانحصار، فقد ساقوا مجموعة من الأَدلّة على ثلاثية التقسيم منها الأثر الروائي لأَبي الأَسود، والاستقراء التام والإجماع عن أَئمّة العربية[٣١]، والدليل العقلي للقسمة الحاصرة القائمة على الترديد بين النفي والاثبات، كقولهم في دليل الانحصار:(لأَنَّها إِمَّا أَن تدل على معنى في نفسها، أَو، لا، الثاني الحرف، والأَوَّل إِمَّا أَنْ يقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، أَو، لا، الثاني الاسم، والأَوَّل الفعل)[٣٢]، كما ذهبوا إِلى ضرورة أَنْ يكون للقسمة أَساس يقع التقسيم به، وإِلى وجود جهة جامعة، وينبغي -كما يقولون- أَنْ تكون الأَقسام متباينة، وهذه الشرائط تعطي حصانة للقسمة كي لا تأتي متداخلة؛ ولذا كان تمّام حسّان قد عاب على النحاة المتقدِّمين خلو تقسيماتهم من أَساسٍ للقسمة[٣٣]، وهذا المصطلح -كما هو معروف-من المفاهيم ذات الجذور المنطقية وجوداً واستعمالاً ممَّا يجافي المنهج الوصفي الذي اعتمده تمَّام حسّان في تقسيمه السباعي وصار معياراً لتقسيمه البديل فيما بعد؛ والسبب لأَنَّ وصفيَّته التي جعلها مقابلةً للمعيارية لم تكن تشكِّل ضدّية التغاير بينهما لسانياً بل هي ضدِّية التأمّل الفلسفي العقلي[٣٤].

فعلى الرغم من أَنَّ تقسيمه السباعي كان خاتمة مشواره الوصفي لقضية التقسيم الكلامي في (اللغة العربية معناها ومبناها)، فقد بدأه رباعياً في كتابه(مناهج البحث في اللغة) والذي يبدو فيه أَنَّه كان متأثِّراً بتقسيم ابراهيم أنيس[٣٥]، فقد كان تقسيمه للكلمة على الاسم والفعل والضمير والأداة هو التقسيم المعتمد عند ابراهيم أنيس عينه [٣٦].

وبعد ذلك فالتقسيم ينطوي على موضوعين رئيسين هما التعريف والعلامات[٣٧]، ومن هنا يأخذ البحث على عاتقه بيان هذين المفصلين، وذلك بعد دراسة الأَقسام الثلاثة منفردة:

أَوَّلاً: الاسم

لم يشكِّل(ما أَنبأ عن المسمَّى)حدّاً تسويريَّاً لمفهوم الاسم، حين ذهب النحاة باحثين عن البديل التعريفي له (ووجدوا تعريف(الاسم) لا يكاد ينطبق على كل الأَسماء، كما وجدوا أن من الأسماء ما ينطبق عليه تعريفهم(للأفعال))[٣٨]، فقد سمي الاسم اسماً؛ كونه مشتقَّاً من السمو وهو العُلُوُّ والارتفاع، وهذا مذهب البصريِّين، أَو أَنَّه مشتقٌّ من الوَسْم وتعني العلامة وهو مذهب الكوفيِّين[٣٩]، أَمَّا معناه الاصطلاحي فقد حدَّ النحاة الاسم بحدود كثيرة غير أَنَّها ليست مستغرقة لأَقسامه كلِّها[٤٠]، فذهب ابن السراج (ت٣١٦هـ) إِلى أَنَّ الاسم هو(ما دلَّ على معنى مفرد)[٤١]، وقد ردّ الزجاجي هذا التعريف وعدَّه غير صحيح؛ لأَنَّ الدلالة على المعنى المفرد ليست محصورةً بالأسماء، فيمكن لبعض حروف المعاني أَنْ تدلَّ على معنى الاسم، مثل: أَنَّ، لمْ[٤٢]، فـ(أَنَّ) تدلّ على التوكيد، و(لم) على النفي والجزم والقلب، و(كأَنَّ) على التشبيه، وهذه الدلالات المستوحاة من الحروف بأصل الوضع أَسماء بلا شكٍّ؛ ومن هنا لا يكون هذا التعريف مانعاً من دخول الأَغيار بعد دخول الحروف في دلالة المعنى المفرد؛ كما قد تدلّ

بعض الأَسماء على معنيين عند الاستعمال كدلالة بعض أَسماء الزمان المشتقَّة على الزمن والحدث حين نقول: آتيكَ مَقْدَمَ الحجَّاجِ، فقد دلّت كلمة(مَقْدَمَ) على الزمان، وعلى الحدث الذي هو(القدوم)، وليس على معنى مفرد[٤٣]، ما دفع ابن الشجري (ت٥٤٢هـ) لقوله:(وأَسلم حدود الاسم من الطعن قولُنا: الاسم ما دلّ على مسمًّى به دلالةَ الوضع)[٤٤]، ويبدو هذا التعريف منسجماً مع ما جاء في الصحيفة الدؤليَّة من أَنَّ (الاسم ما أَنبأ عن المسمَّى)، فالإنباء يعني الإخبار[٤٥]، والمسمَّى غير الاسم؛ ولأَنَّ التعريف من المفاهيم الانتزاعية الكلِّية، فليس فيه لحاظ أَساس المبنى أَو المعنى، فكلُّ ما أخبر عن مسمّاه فهو الاسم وضعاً أَو تركيباً، بدلالة معنى الإخبار ذات المدلول السياقي، وتكون مراعاة انطباق المصاديق على المفهوم الكلِّي مرحلة متأخرة عن وضع المفهوم، شأن الفقيه الذي يعطي الحكم الشرعي إزاء مسألة ما، وعلى المكلَّف تحديد موضوع تلكم المسألة، وإِنْ تذبذب النحويون في مراعاة هذه الانطباق فلا يعني أَنَّ التعريف قاصر عن المجاراة، بل القصور في تحديد الأَفراد التي ينطبق عليها التعريف كما سيتَّضح عند مناقشة تمّام حسّان.

وينبغي الإشارة –هنا–إلى أَهمية التعريف عند الدخول لكلِّ علمٍ، فلا تجد علماً من العلوم إِلّا وهو يولي الحدود أَهمية قصوى؛ سواء للعلم نفسه أَو لموضوعاته، ما يجعل المتلقِّي عارفاً بموضوعات العلم الذي يقرأ له، واشترط المناطقة للتعريف أَنْ يكون جامعاً مانعاً[٤٦]؛ لأَنَّ التعريف يتطابق تماماً مع الشيء المعرَّف، فهما يختلفان مفهوماً ويتَّحدان مصداقاً، وأَمَّا التعريف الدؤلي للاسم فذكر الاسم بوصفه مخبراً عن المسمَّى، وأَنَّ الأَسماء منها ما هو ظاهر ومضمر ومنها ما ليس بظاهر ومضمر، ومرجع ذلك لتفاضل العلماء، إِذْ يكون المعيار فيه هو انطباق المفهوم على مصداقه، فكلُّ ما دلَّ على مسمّى داخل في حيثية هذا التعريف مبنىً ومعنىً بلا مراعاة لأَيِّ اعتبار آخر سوى الدلالة على المسمَّى.

أَمَّا تمَّام حسَّان فكانت محاولته للخروج على الثابت النحوي القديم في التقسيم الثلاثي محلًّا للثناء والعناية بوصفها محاولةً جريئةً، وجهداً كبيراً جاء متكاملاً من حيث النظرية والتطبيق، وبقيت هذه الخطوة واقفة على قدميها ولا زال الدم يجري في عروقها[٤٧]، مع ذلك فقد كان تناوله للاسم في تقسيمه السباعي على نحو التعريف بالمثال بلا توضيح للضابطة التي تجعل ما ذكره اسماً وما عداه ليس كذلك، كما في قوله عن الاسم:(ويشتمل على خمسة أَقسام: الأول: الاسم المعين،...، الثاني: اسم الحدث: وهو يصدق على المصدر واسم المصدر واسم المرة واسم الهيئة،....الثالث: اسم الجنس،...، الرابع: مجموعة من الأسماء ذات الصيغ المشتقة المبدوءة بالميم الزائدة وهي اسم الزمان واسم المكان واسم الآلة ،...،الخامس: الاسم المبهم وهذه هي الأَنواع الداخلة تحت مفهوم الاسم فلم تعد منها الصفات ولا الضمائر ولا أَسماء الأَفعال وأَسماء الأصوات ولا الإشارات والموصولات والظروف)[٤٨]، ولو كان قد وضع لها تعريفاً ليكون التعريف هو الذي يحدِّد ما يدخل منها وما يخرج عن دائرة الاسمية لكان أولى به من هذا التوسع الاستقرائي المسهب، وقد أَخذ النحويّون على سيبويه ترك الاسم بلا تعريف

والاقتصار على التمثيل له[٤٩]، وهذا النحو من التعريف لا يبيِّن الحقيقة العلمية للمَقْسم، عندما يُعتمد على الأقسام في تبيانه، والحال أَنَّ الأَولى بالتعريف هو بيان حقيقة المعرَّف قبل التقسيم.

ويذكر تمّام حسّان أَنَّ للاسم –بأَقسامه المذكورة– سماتاً تميِّزه عن كلِّ ما عداه من أَقسام الكلم من حيث المبنى والمعنى وهي – باختصار شديد–على النحو الآتي:

١– الصورة الاعرابية : فالاسم يقبل الجرَّ وتشاركه الصفات فقط.
٢–من حيث الصيغة الخاصة: فإِنْ كان مجرَّداً لا يتجاوز خمسة أَحرف، وإِنْ كان مزيداً لا يتجاوز سبعة أَحرف، وتشاركه الصفات كذلك.
٣–قابلية الدخول في جدول : وهي ثلاثة أَنواع (إلصاق – تصريف– إسناد)، والصفات تشترك مع الاسم في التصريف والاسناد دون الإلصاق.
٤–الرسم الإملائي: يشترك الاسم والصفة بقبول التنوين إملائياً رفعاً ونصباً وجراً.
٥–من حيث اتصاله باللواصق وعدمه: يشترك الاسم والصفة في ذلك.
٦–التضام: الصفة تشترك مع الاسم بهذه الميزة لكن على سبيل التوسّع، كوقوع الصفة بعد أَداة النداء.
٧–الاسم من حيث الدلالة على المسمَّى: فيقول حسّان:(لقد وجدنا أنّ الصفة في كل ما سبق من السمات تشارك الاسم على صورة ما، فيما يمتاز به عن باقي أقسام الكلم أَما هنا فيفترق الاسم عن الصفة)[٥٠].
٨–من حيث الدلالة على الحدث: وهي موضع افتراق الاسم عن الفعل والصفة؛ لأَنَّ الاسم حين يكون مصدراً يدل على الحدث المجرد من أَي دلالة أُخرى، والفعل يدل على الحدث والزمن، والصفة تدل على موصوف بالحدث.
٩–من حيث التعليق: وهي عبارة عن العلاقات السياقية كالنسبة والاسناد والتبعية والتخصيص، فيشترك الاسم مع الصفة فيها[٥١].

ويمكن مناقشة تمّام حسّان في موضوع اخراج الصفة عن الاسمية، بأَنَّ العلّة التي أَخرج بها الصفات عن دائرة الاسميَّة علّة معنوية وهي دلالتها على موصوف بالحدث، وهذا تفريق معنوي، في حين أَنَّه بنى تقسيمه على معياري المبنى والمعنى، كما أَنَّ الاسم إِنْ كان مشتقّاً من السمة والعلامة فقد تميَّز محمَّدٌ، حين نقول: محمَّدٌ الصادقُ أَو صادقٌ، لا سيَّما أَنَّه جعل الحدث من الأَسماء فيكون مسمَّى محمَّدٍ قد امتاز باسم الحدث لا بوصفه بناءً على الاسمية له، فضلاً عن ذلك أَنَّ خارج الذهن ليس فيه إِلّا المسمَّيات؛ فإِنْ كان المراد من الموصوف بالحدث هي المسمَّيات كالأَعيان والذوات الخارجية فلا يوجد بالخارج غيرها وهي نفسها الموصوفة بالحدث(المسمّى) فلا فرق –حينذاك– بين الموصوف الذي تلبّسَ بالصفة وهي الأَعيان الخارجيَّة نفسها وبين المسمَّى، أَمَّا إِنْ كان المرادُ أَنَّ الاسم موضوع للمسمّى الذهني، أَي لمفهوم المسمّى في الذهن، فهذا خارج موضوع النقاش؛ لأَنَّ الكلام عن المسمَّيات لا

الأَسماء، فاللغة استعمال للفظ في المعنى الخارجي وليس في المعنى الذهني، كما أَنَّ تركيز فرضيَّة دلالة الصفة على موصوفٍ بالحدث كي تكون سبباً لإخراجها عن الأَسماء سيفضي إلى مغايرة بين المسمَّى وبين الموصوف، والحال أَنَّهما واحد حين نقول: محمَّدٌ عالمٌ، سوى أَنَّ المسند إليه هو اسم لـ(محمَّد) والمسند وصف له، فكما أَنَّ الاسم عين مسمَّاه فإنَّ الوصف عينُ موصوفه، فثمّة اثنينية على كلا التقديرين، وهو أَمر مشترك بين الاسم والصفة، أَمَّا إذا كان الاسم غير مسمَّاه، والصفة غير موصوفها، بل هو أَمر ثالث فيلزم منه أَنْ لا تصحَّ نسبة شيءٍ إلى غير ما هو له، فنسبة العلم لذات (محمَّد) في المثال السالف نسبة باطلة حين يكون الموصوف غيرَ المسمّى؛ ومن هنا لا تصحّ النسبة أَصلاً للمغايرة المدّعاة بين الموصوف والمسمّى و لعدم وجود الوحدة بينهما، وعليه فالصفة هي عين الموصوف لا سيَّما أَنَّها تُحمل(تُسند)عليه بحمل المواطاة، يعني أَنَّ المسمَّى والموصوف واحد، فهذا ذاك عينه، فيتواطآن، وهذا معنى حمل المواطاة أَو حمل (هو هو)، فلا تغاير بينهما في الإسناد سوى التغاير اللفظي لا المعنوي، زِدْ على ذلك أَنَّ تمَّاماً قد حصر الصفة بالمشتقَّات الخمسة المعروفة وهي :اسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة واسم التفضيل والصفة المشبَّهة، من دون ذكر لطبيعة هذا الحصر الخماسي هل هو وضعي أَم استعمالي فـ(صفة الفاعل تدل على وصف الفاعل بالحدث منقطعًا متجددًا، وصفة المفعول تدل على وصف المفعول بالحدث كذلك على سبيل الانقطاع والتجدد، وصفة المبالغة تدل على وصف الفاعل بالحدث على طريق المبالغة، والصفة المشبهة تدل على وصفه به على سبيل الدوام والثبوت، وصفة التفضيل تدل على وصفه به أيضًا على سبيل تفضيله على غيره ممن يتصف بالحدث على طريقة أي من الصفات السابقة)[٥٢]، وهذا الكلام يعطي معناه البنائي الوضعي، بيد أَنَّه يذكر بعد ذلك:(ولا شكّ أن الانقطاع والاستمرار، أو الدوام والتجدد والثبوت والمبالغة والتفضيل، مما يمكن عدَّه من معاني الجهة)[٥٣]، وقد جعل الجهة من القرائن السياقية الزمنية التي تحدِّد زمن الفعل قرباً وبعداً من الزمن الحاضر[٥٤]، وهذا الأَمر يجعل الصفة الحسّانية غير جامعةٍ لكلِّ أَفرادها؛ لأَنَّ مصطلح الصفة ليس حكراً على المشتقات الخمسة(فالكلمة الواحدة قد تكون اسماً أو صفة ولا يوضح المراد منها إلا الاستعمال اللغوي. قارن بين العبارتين(الطفل الملك، والملك الطفل))[٥٥]، ففي المثال صلاحية كلٍّ من الكلمتين لتكونا صفةً وهذه وظيفة السياق لا البنية الصرفية.

كما أَخرج حسَّان الضمائر عن دائرة الأَسماء لعدم دلالتها على مسمَّى بل تدل على المعاني الصرفية العامة[٥٦]، بعد أَنْ قسَّم الضمير إلى حضور وغيبة، والحضور إلى تكلّم وخطاب، وإشارة، والغيبة إلى شخصيَّة، وموصوليَّة[٥٧].

إذ ترك الضمائر بلا تعريف واكتفى بهذه القسمة المرتضاة عنده، فلم يضع حدَّاً جامعاً أَو مانعاً للضمير، وجعل الضمير قسيماً للاسم، والحال أَنَّه مِنْ أَقسامه، وقد أَشارت الصحيفة إلى هذا المعنى

حين ذُكِر فيها أَنَّ(الأَسماء ثلاثة: ظاهرٌ ومضمرٌ وشيءٌ ليس بظاهرٍ ولا مضمر وإنّما تتفاضلُ العلماءُ في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر) فالاسم تارةً ظاهرٌ، وتارة يُضمر فيكون الضميرُ كاشفاً عنه، فليس الضميرُ غير الاسم حتى يُقال: هذا اسم وهذا ضمير، بل هما واحد، ومقسمهما واحد فلا تغاير بينهما، كما في قوله تعالى:[لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ][٥٨]، فالهاء في كلمة (إخوته)أَنبأت عن مسمَّى يوسف، كما أَنبأ اسم يوسف عن مسمَّاه، فهو يدخل في دائرة الاسمية حيث يقبل الجرَّ كما يقبله الاسم، فلو أُريد حذف الضمير واستبداله بالاسم الظاهر لظلَّ المعنى سليماً، وهذا الأَمر سيَّان بين الضمير المتَّصل والمنفصل: فهو دالّ على مسمّاه بلا تكلّف، فـ(هو) دالّ على الغائب المذكَّر الذي هو مسمَّاه، و(أَنت) دالّ على المخاطب المذكَّر، وهكذا في بقيَّة الضمائر، ومن هنا جعلها النحاة من أَعرف المعارف[٥٩].

ويزداد الأَمر تعانقاً بين اسم الإشارة وبين المسمّى، وإِنْ عدَّه تمَّام حسَّان من أَقسام ضمائر الحضور، وهذا كلام فيه نظر؛ فاسم الإِشارة ليس من المعارف فقط بل هو ممَّا يسهم في تعريف النكرات أَو المبهمات من الأَسماء شأنه شأن الأَسماء الدالَّة على الذات، فكلمة (رجل) النكرة تكتسب التعريف حين يُقال: هذا رجل فقد عُرّف بالإشارة، ولعلَّ هذه الخاصيَّة التعريفية لأَسماء الإشارة قد وظَّفها المناطقة في مبحث المفاهيم الكلّيّة والجزئية، حين مثَّلوا للجزئيّ: محمّد، هذه الوردة، بغداد، هذا الكتاب؛ فصار المشار إِليه في عرض الأَسماء المفردة دالّاً على مسمًّى واحدٍ، مع أَنَّه قبل التضام مع اسم الإشارة كانت ألفه ولامه جنسيَّة حين كان يدلّ على العموم الاستغراقي، وقد صيَّرتها الإِشارة عهديَّةً؛ ولذا يقول ابن يعيش(ت٦٤٣هـ):(وأَسماء الإشارة أَعرف ممَّا فيه الأَلف واللام)[٦٠]، فلا يُستعمل اسم الإِشارة في الدلالة على الحضور فقط كما يذهب حسَّان؛ لأَنَّ الاستعمال يمنحه دلالات أُخر، كما لو قلت لشخصٍ –معاتباً إِيَّاه على إِخلاله باتفاقٍ سابقٍ بينكما،–: هل هذا كان اتِّفاقُنا؟ وأنت تعني بـ(هذا) الاتِّفاق السابق، ومنه قوله تعالى:[قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً][٦١]، وغيرها من الأَمثلة التي تدلّ على أَنَّه لا يرد في سياق الحضور فقط، فمسمَّاه هو المشار إِليه.

أَمَّا في الاسم الموصول فيبدو الكلام مختلفاً كونه مفتقراً مبهماً، وكلٌّ من الافتقار والابهام يدنيانه من الحروف لا سيَّما مع حالة البناء التي عليها، فهو يفتقر إِلى جملة توضيحية تبيينية تكون سبباً لرفع اللبس عنه وهي جملة الصلة، ويكون بدونها لا دلالة واضحة فيه، ومن هنا ليس للاسم الموصول الصلاحية لمجاراة الأسماء في مرحلة البنية الصرفيَّة وهي مرحلة مهمَّة تدرس الكلمة لذاتها قبل البيئة الاستعمالية، ولا شكَّ أَنَّ الوظيفة الاستعمالية ليست مقياساً للتقسيم التأسيسي فهي مرحلة متأَخِّرة عن مرحلة التقسيم، كما أَنَّها قد تعطي الكلمات وظائف تخرجها عن بعدها التقسيمي.

وكان تمَّام حسَّان مصيباً حين أَخرج الاسم الموصول من الأسماء على أَنْ يكون من أقسام الحروف وليس قسيماً لها؛ لأَن معناه يتجلَّى بالسياق حين يضام جملة الصلة –بوصفها لاحقةً لا غنى له عنها–، وعندما يأخذ موقعه من الجملة وهذا هو منشأ افتقاره الحرفي، و(معنى الموصول أن لا يتِمّ بنفسه، ويفتقرُ إلى كلامٍ بعده، تصله به ليتِمّ اسمَاً، فإذا تمَّ بما بعده كان حكمه حكمَ سائر الأسماء التامّة)[٦٢]، فلا معنى له قبل السياق فضلاً عن اسميته، وهذا الأَمر يسري على الظروف الجامدة التي حصرها تمَّام حسّان بـ: إِذْ، إذا، إذاً، لمَّا، أَيَّان، متى، وهي ظروف الزمان، أَمَّا ظروف المكان فهي –عنده–:أَين، أَنّى، حيث[٦٣]، فكان تحديده للظرف انتقائياً لا على أساس الجامع المانع، ولعلَّ هذه الانتقائية كانت سبباً لخلو دراسته من التعريف الجامع لمسائل الموضوعات، ومع ذلك فقد أَجاد حين أَخرجها من دائرة الاسمية، ولكنها لا ينبغي أَنْ تكون قسماً قائماً برأسها؛ ذلك لأَنَّ الظروف غير مقتصرة على هذا العدد المذكور، كما أَنَّها تقترب من الحروف كثيراً كما يذهب تمَّام حسان نفسه[٦٤]، فيكون حكمها حكم الأَسماء الموصولة التي مرَّ ذكرها على أَساس الافتقار والشبه المعنوي.

أَمَّا الخالفة وافتراقها عن الأَسماء، فقد قسَّم تمَّام حسَّان الخوالف أَربعة أَقسام هي: الإخالة(اسم الفعل)، الصوت(اسم الصوت)، التعجّب(صيغة التعجّب)، المدح والذمّ(فعلا المدح والذمّ)[٦٥]، وذهب إلى خلوّها من العلامات التي تجعلها أَسماءً أَو أَفعالاً أَو حروفاً؛ ولذا يقتضي أَنْ تكون قسماً قائماً برأسها، والحال أَنَّ الواقع اللغوي يتوافق مع فعليَّة صيغتي التعجَّب؛ لأَنَّ التصرف ليس شرطاً في الأَفعال كي يكون التركيب المحدَّد لهما كفيلاً بإخراجهما عن الفعلية، وهذا الكلام يسري على صيغتي المدح والذمِّ، فجمودهما لا يخرجهما عن دائرة الفعلية ما داما يؤدِّيان الوظيفة الفعلية داخل السياق.

وفيما يخصّ خالفة الإخالة فما كان منها يؤدِّي الوظيفة الطلبية الأَمرية فهو داخل بلا ريب في معنى الأمر النحوي عند البصريِّين ذي الزمن الاستقبالي المرتبط بأصل الصيغة عند مرحلة الامتثال لا مرحلة النطق بالطلب، أَي أَنَّ مثل (صه، مه، آمين) صيغ دالّة على طلب السكوت والتمهل والاستجابة المطلوب تحقّقها من المخاطب فيما بعد زمن النطق، ولكنَّ هذا المعنى لا يجري على ما قرّره النحاة لبقية ما أسموه بأَسماء الأَفعال المضارعة والماضوية: فمثل هيهات، شتَّان، وي، هي أَسماء خالصة دلّت على معانٍ(مسمَّيات) محدّدة هي البعد، والافتراق، والدهشة، وهي لا تحمل معنى الزمن المقرّر نحوياً، لا سيمَّا أَنَّ نقلها من المعنى الصرفي لها إلى المعنى المقرّر سيفضي لتغييرٍ في الوظيفة السياقية لها(فالفرق بين (شتّان زيد وعمرو) وبين (افترق زيد وعمرو) هو فرق بين الإنشاء والخبر فلا تصلح الثانية لشرح الأولى إذ لا تساويها في المعنى)[٦٦]، ويمكن ارجاع بعض الخوالف إلى الحروف كما هي الحال مع أَسماء الأصوات (عاهْ، كخ، بس، وهلا) فكما أَنَّ حرف الجرِّ (إلى) موضوع للدلالة على انتهاء الغاية؛ و(في) موضوعة للدلالة للظرفية و(على) للفوقية؛ كذلك يمكن جعل الخوالف أَعلاه تشير

للدلالة على معاني الزجر (للإبل)، والزجر (للطفل)، والزجر (للقطّة)، والزجر (للخيل)[٦٧]، فهذا المعنى ليس مسمّى الأَصوات الآنفة بل هو مدلول التزامي لها؛ لأَن المخاطب فيها ليس عاقلاً، فاستعمالها في الزجر لأَداء الوظيفة الزجرية لا المعنى الحرفي الزجري، ووظيفتها حرفية افتقارية لشبهها بالحروف من جهة عددها فهي تتكون من حرفين؛ ومن دلالتها وعدم ظهور معناها إلّا في السياق؛ فكما أَنَّ الحروف موضوعة لمعنى استقلالي مثل معنى الفوقية في الحرف (على) فهو وإِنْ كان موضوعاً وضعاً آلياً أَي يحتاج إلى طرفي الجملة كي يظهر معناه إلّا إنَّه يدلّ على معنى استقلالي وهي الفوقية.

ثانياً: الفعل

جاء في الصحيفة الدؤلية أَنَّ الفعل ما أَنبأ عن حركة المسمَّى، والحركة ما تقع بالضدِّ من السكون[٦٨]، وتشير إلى الفاعل(المسمَّى) للحركة؛ كونها لا تقع بلا محرِّكٍ لها، وهي تدلّ –التزاماً–على معنى الزمن الفعلي الذي لا تخلو الحركة منه البتّة، إِذْ يُستلزم منها أَنَّ حركة المسمَّى لا تتحقّق خارج إطار الزمن؛ لأَنَّها تعني الحدوث والاستمرار المستفادين من دلالة الفعل، ومن الثابت أَنَّ الاستمرار من المعاني الزمنية للأَفعال ومن لوازمه[٦٩]، على أَنَّ مدلول الزمن ونسبة الحركة للفاعل هي الصيغة أَو الهيأة الصرفية للأَفعال لا المادة؛ لأَنَّ المادة لا تدل على غير الحدث المجرد، و(الأفعال عبارة عن حركات الفاعلين، وليست في الحقيقة أفعالاً للفاعلين)[٧٠]، فما يحمله الفعل من معنى التجدّد والحدوث المشعر من معنى الحركة، يقع في قبال الثبوت والدوام للوصف والاسم حيث (يثبت به المعنى للشيء من غير أن يَقْتضيَ تجدُّدُه شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدُّدُ المعنى المثبتِ به شَيئاً بعد شَيء)[٧١].

ولم يخرج تمَّام حسَّان عن الخارطة النحوية للأفعال –في الجملة– سوى إخراجه للفعل الناسخ (كان) عن دائرة الفعلية وإلحاقه بالأدوات المحولة عن الفعلية كونها لا تحمل غير الدلالة الزمنية المجردة من المدلول الحدثي[٧٢]، فضلاً عن دخول هذه النواسخ على الأَفعال مثل: كان يفعل، فكيف يضام الفعلُ الفعلَ[٧٣]، وليس لها بيئة خارج نطاق السياق فهي تفتقر تأصيلاً للضمائم[٧٤]، بل هي صيغة متمحّضة بالزمن فقط.

وحقيقة الأَمر أَنَّ(كان) من الأَفعال التي تدلّ بمادتها على الحدث المجرد وهو الكون المطلق، وبهيأتها على نسبة ذلك الحدث للطرف الأَوَّل من معموليها في زمن يكون محكوماً من السياق، فلو كانت تدل على الزمن المجرد من الحدث لكان الزمن فيها مطابقياً كالظروف تماماً، ومعنى ذلك أَنَّ الزمن بعض دلالة الفعل وكلّ دلالة الظرف، ولكانت من الأَدوات الجامدة شأنها شأن كثير من الظروف الزمانية ذات المدلول الزماني فقط، ولا أَدري ما المانع من دخول (كان) على الفعل فلي أَنْ أقول: محمَّد جاءَ يمشي، ولو كانت تعطي المعنى الزمني فقط كيف تُسند للذات المقدَّسة غير المتزمِّنة كما في

النصِّ:[وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً بَصِيراً] [٧٥]؟، وإذا تخلّت عن زمنيتها عند اسنادها هذا فلا قيمة لها حين ذاك، ولا داعي لوجودها في مثل هذ الإسناد أَصلاً؛ لأَن افراغها الزمني سيفضي إلى جعلها بلا معنى بعدما أُفرغت من دلالتها الحدثية –كما يرى حسّان– ولا تحمل دلالةً البتّة فيكون وجودها في السياق بلا مبرِّرٍ، وهذا يجانب مذهب القدماء القائلين بماضويتها الصرفية حين تأتي على صيغة (فَعَلَ)(وإنَّما دخلت (كان)؛ لتُخبر أنَّ ذلك وقع فيما مضَى)[٧٦]؛ وعند ذلك سيمتنع اتِّصاف الله تعالى بالسمع والبصر بعد زمن المضي، وهذا ما لا يريده حسَّان قطعاً فكان عليه أَنْ يعطي لـ(كان) بعدها الزمني الذي يتناسب وطبيعة الإسناد[٧٧].

ثالثاً: الحرف

ذكرت الصحيفة أَنَّ الحرف هو ما أَنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل، أَي أَن معناه غير واضح أَو هو خلو من المعنى خارج التعليق؛ فجعل الحرف من الأَدوات الأَصلية غير المحوّلة كما يذهب تمَّام حسَّان[٧٨] هو ترجيح بلا مرجِّح وخلاف الاجماع اللغوي على حرفية حروف النسخ والعطف والجرِّ، ولمَّا كانت تؤدي معنى التعليق للتعبير عن علاقات سياقية تعود للوظيفة التركيبيّة[٧٩]، فهذا يعني أَنَّها ذات طبيعة افتقارية يجعلها حروفاً، ولا داعي للتغيير الاصطلاحي ما دامت الوظيفة واحدة، فلا جدال في الاصطلاحات.

الخاتمة

- التقسيم الثلاثي الأَوَّل ذو النشأة البصريَّة صدر من حريصٍ على السلامة اللغوية؛ فيكون حرصه سوراً تقسيمياً.
- حين تكون الأَقسام عاجزة عن مجاراة التعريفات للأقسام الثلاثة فهذا نتيجة القصور النحوي عن تطبيق مصاديق الأقسام إلى مفاهيمها.
- لا مانع من التوظيف المنطقي للتقعيد اللغوي على أَن لا تُفرض المعايير المنطقية على المسائل اللغوية فنكون كمن يلوي عنق النصِّ ليأتي منسجماً مع مقاصدنا لا مقاصد النصّ.
- التقسيم الحسَّاني خلا تماماً من الحدود المبيِّنة لطبيعة كلِّ قسمٍ منها.
- التداخل بين الأَقسام جعل التقسيم عاجزاً عن مجاراة الواقع اللغوي.
- حين يقع واحد من الأَقسام في مرمى النقد اللغوي يكون سبباً لإبطال التقسيم برمَّته، فلا داعي لنقد كلِّ قسمٍ على حدة.
- استشهاد تمَّام حسَّان بالنصوص القديمة يجعله معيداً للتراث النحوي بالذهنية التيسيريَّة، ولا يكون سالكاً للرؤية الوصفيّة كما يقول.

- التفكير النحوي لتمَّام حسَّان على وفق البعد التقسيمي الجديد يجعل نتاجه إثراءً للمدرسة النحوية الحديثة، وعملاً متكاملاً قد يقع رديفاً إلى نتاج التراث النحوي القديم، إذا تسنَّى له التطبيق على الواقع اللغوي.

الهوامش

[١]) أَمالي الزجّاجي:٢٣٨- ٢٣٩.
[٢]) ينظر: ضحى الاسلام:٢: ٢٨٦.
[٣]) المدارس النحويَّة:٤٨.
[٤]) ينظر: الفهرست:٤٦.
[٥]) ينظر: الأَشباه والنظائر:٢ : ٣.
[٦]) أَمالي الزجّاجي:٢٣٨- ٢٣٩.
[٧]) سورة يوسف: ٣٦.
[٨]) لسان العرب، ابن منظور:١٢: ٥٢٣(كلم).
[٩]) المصدر نفسه:١٢: ٥٢٤(كلم).
[١٠]) ينظر: شرح الكافية:١: ٢٠.
[١١]) المصدر نفسه:١: ٢٠.
[١٢]) اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمَّام حسَّان: ٢٨.
[١٣]) ينظر:في النحو العربي نقد وتوجيه، د.مهدي المخزومي:١٢٩، الفعل زمانه وأَبنيته، د. إبراهيم السامرائي:١٩.
[١٤]) ينظر: اللغة، فندريس:١٥٣.
[١٥]) ينظر: اللغة:١٥٣، ومناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان:٢٣٦.
[١٦]) ينظر: العلامة الاعرابية في الجملة بين القديم والحديث، د. محمد حماسة عبد اللطيف:٦٨.
[١٧]) ينظر: الرد على النحاة:١٣٠.
[١٨]) ينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي:٤٥.
[١٩]) ينظر:شرح الكافية:١: ١٨.
[٢٠]) ينظر: قضايا نحوية، د. مهدي المخزومي:٢٠.
[٢١]) ينظر: المقتضب:١: ١٤١.
[٢٢]) ينظر: الإيضاح في علل النحو:٤٢.
[٢٣]) ينظر: شرح الكافية:١: ٢٢.
[٢٤]) ينظر: الأَشباه والنظائر:١: ٣.
[٢٥]) ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي:١: ٣١١ .
[٢٦]) الكتاب:١: ١٢.
[٢٧]) المصدر نفسه:١: ١٢.
[٢٨]) ينظر: أَقسام الكلام من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل الساقي:٢٩.
[٢٩]) المقتضب:١: ١٤١.

[٣٠]) ينظر: لسان العرب:١٢: ٣٨٥(عجم).

[٣١]) ينظر: الصاحبي، ابن فارس: ٨٩، الاستقراء التام هو استقراء لأئمة العربية كأبي عمرو والخليل وسيبويه، ومن بعدهم، وليس استقراءً للكلام؛ لأَنَّ استقراء غير المحدود مستحيل.

[٣٢]) شرح الكافية:١: ٢٢، وينظر: الحدائق الندية في شرح الفوائد الصمدية، علي خان المدني:٥٨.

[٣٣]) ينظر: مناهج البحث في اللغة:٢٣٠.

[٣٤]) ينظر: تمَّام حسَّان في معيار النقد اللسانيّ(بحث)، د. خالد خليل هادي، د. مؤيد آل صوينت، مجلّة الأستاذ، العدد٢٠٣، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م:٢٥٤.

[٣٥]) ينظر: المنوال النحوي العربي قراءة لسانية، د. عزّ الدين مجدوب: ١٩٢- ١٩٣.

[٣٦]) ينظر: من أَسرار اللغة، د. ابراهيم أنيس: ٢٤٤- ٢٥٠.

[٣٧]) ينظر: مبادئ اللسانيات، د. أَحمد محمد قدور:٢٠٧ .

[٣٨]) من أَسرار اللغة:٢٣٨.

[٣٩]) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري:١: ٦.

[٤٠]) ينظر: الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، البطليوسي: ٦٠.

[٤١]) الأصول في النحو:١: ٣٦.

[٤٢]) ينظر: الإيضاح في علل النحو: ٥٠.

[٤٣]) ينظر: أَمالي ابن الشجري:٢: ١٦.

[٤٤]) المصدر نفسه:٢: ١٦.

[٤٥]) ينظر: لسان العرب:١: ١٦٣(نبأ).

[٤٦]) ومعنى الجامع: هو الجامع لكل الأفراد التي تدخل في التعريف، والمانع: الحاجز عن دخول غيرها من الأفراد.

[٤٧]) ينظر: تمَّام حسَّان ورأيه في تقسيم الكلمات العربية، سريهاني ولنداري، بحث مقدَّم إلى كلِّيَّة الآداب والعلوم الثقافية، جامعة كاليجاكا الإسلامية الحكوميَّة، جوكجارتا، ٢٠١٤،:٢

[٤٨]) اللغة العربية معناها ومبناها:٩٠- ٩٢.

[٤٩]) ينظر: الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل:٦٥- ٦٦.

[٥٠]) اللغة العربية معناها ومبناها:٩٤- ٩٥.

[٥١]) المصدر نفسه: ٩٢- ٩٥.

[٥٢]) اللغة العربية معناها ومبناها:٩٩.

[٥٣]) المصدر نفسه:٩٩.

[٥٤]) ينظر:المصدر نفسه:٢٤٥.

[٥٥]) من أَسرار اللغة:١٤٧.

[٥٦]) ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها:١٠٨.

[٥٧]) ينظر:المصدر نفسه:١٠٩.

[٥٨]) سورة يوسف:٧.

[٥٩]) ينظر: شرح المفصَّل، ابن يعيش: ٣: ٣٥١.

[٦٠]) شرح المفصَّل: ٣: ٣٥٠.

[٦١]) سورة الكهف: ٦٤.

[٦٢]) شرح المفصَّل:٢: ٣٧١.

[٦٣]) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١١٩.

[٦٤]) ينظر: المصدر نفسه:١٢١.

[٦٥]) ينظر: المصدر نفسه: ١١٣– ١١٥.

[٦٦]) المصدر نفسه:١١٦.

[٦٧]) المصدر نفسه:١١٤.

[٦٨]) ينظر: لسان العرب:١٠: ٤١٠.

[٦٩]) الزمن واللغة، د. مالك المطلبي:٥٥.

[٧٠]) الإيضاح في علل النحو: ٥٣.

[٧١]) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني:١٧٤.

[٧٢]) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها:١٢٩.

[٧٣]) ينظر: المصدر نفسه:١٣١.

[٧٤]) ينظر: المصدر نفسه:١٢٧.

[٧٥]) سورة النساء:١٣٤.

[٧٦]) المقتضب:٣: ٩٧.

[٧٧]) ذهب علماء الأصول إلى تخلِّي الفعل(كان) عن الزمن عندما يُسند للذات المقدَّسة ليدلّ على الاتِّصاف المجرد، وسمّوها بـ(كان) الشأنية.

[٧٨]) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها:١٢٣.

[٧٩]) ينظر: المصدر نفسه:١٢٧.

المصادر

- القرآن الكريم
- الأصول، أَبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي(ت٣١٦هـ)، تحـ: د. عبد الحسين الفتلي،ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م.
- الأَشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، وضع حواشيه: غريد الشيخ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ٢٠٠٧م.
- أَقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، الدكتور فاضل مصطفى الساقي، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- أَمالي بن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي(ت٥٤٢هـ)، ط١، مطبعة المدني، المطبعة السعودية بمصر، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.
- أَمالي الزجاجي، أَبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجّاجي(ت٣٣٧هـ)، تحـ: عبد السلام هارون، ط٢، دار الجيل، بيروت–لبنان، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري(ت٥٧٧هـ)، (د.ط)،١٩٨٢م.

- الإيضاح في علل النحو، عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، تحـ: الدكتور مازن المبارك، ط٢، دار النفائس، بيروت – لبنان، ١٣٦٣ هـ.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ)، تحـ: محمد أَبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- تمَّام حسَّان في معيار النقد اللسانيّ(بحث)، د. خالد خليل هادي، د. مؤيد آل صوينت، مجلّة الأستاذ، العدد٢٠٣، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م.
- تمَّام حسَّان ورأيه في تقسيم الكلمات العربية، سريهاني ولنداري، بحث مقدَّم إلى كلِّيَّة الآداب والعلوم الثقافية، جامعة كاليجاكا الإسلامية الحكوميَّة، جوكجارتا، ٢٠١٤.
- الحدائق الندية، الشيخ محمد بن الحسين البهائي(ت١٠٣١هـ)، في شرح الفوائد الصمدية، السيد علي خان المدني(ت١١٢٠هـ)، تصحيح وتحقيق وتعليق الدكتور السيد أبو الفضل سجّادي، ط٢، منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٣٢هـ.
- الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، أبو محمد بن محمد بن السيد البطليوسي(ت٥٢١هـ)، تحـ: سعيد عبد الكريم سعودي،(د.ط)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،(د.ت).
- دلائل الإعجاز، الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ)،قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- الرد على النحاة، أَبو العبَّاس أَحمد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي (ابن مضاء)(ت٥٩٢هـ)، تحـ: د. محمد ابراهيم البنا، ط١، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- الزمن واللغة، الدكتور مالك يوسف المطلبي،(د.ط)،الهيأة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٦م.
- شرح كافية ابن الحاجب، محمد بن أَحمد الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، وضع هوامشه: د. أميل بديع يعقوب، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت– لبنان،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- شرح المفصل، يعيش ابن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الصاحبي، أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحـ: السيد أحمد صقر،(د.ط)، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (د. ت).
- ضحى الاسلام نشأة العلوم في العصر العباسي الأَوَّل، أَحمد أَمين،(د.ط)، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف،(د.ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الكويت، ٢٠٠١م.
- الفعل زمانه وأبنيته، الدكتور إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

- الفهرست، محمد بن إسحق النديم (ت٣٨٥ هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
- في النحو العربي قواعد وتطبيق، الدكتور مهدي المخزومي، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت–لبنان،١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، الدكتور مهدي المخزومي، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥م.
- قضايا نحويَّة، الدكتور مهدي المخزومي،(د.ط)، مكتبة آفاق للغة العربية، (د.ت).
- كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحـ:عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١ هـ)، (د.ط)، نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.
- اللغة بين المعياريّة والوصفيّة، الدكتور تمَّام حسَّان، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.
- اللغة، جوزيف فندريس، تعريب:عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، (د.ط)، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٣٧٠هـ –١٩٥٠م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمَّام حسَّان،(د.ط) مطبعة النجاح الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء–المغرب، ١٩٩٤م.
- مبادئ اللسانيات، الدكتور أَحمد محمد قدور، ط٣، دار الفكر، دمشق– سوريا، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.
- المدارس النحويَّة، الدكتورة خديجة الحديثي، ط٣، دار الأمل للنشر والتوزيع،الأردن، ٢٠٠٢م.
- من أَسرار اللغة، الدكتور إبراهيم أنيس، ط٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- مناهج البحث في اللغة، الدكتور تمام حسان، (د.ط)، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- المقتضب، محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحـ: محمد عبد الخالق عظيمة،(د.ط)، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ–١٩٩٤م.
- المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، عزّ الدين المجدوب، ط١، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، كلية الآداب للعلوم الإنسانية، تونس، ١٩٩٨م.

الاستفهام المجازيّ بين الاحتفاظ بالمعنى والانسلاخ منه في رُؤى المفسرين
دراسة في ضوء نظرية الأفعال الكلاميّة غير المباشرة

م.د.عقيل كريم حسين*

كلمات مفتاحيّة: (الاستفهام، المجازيّ، الاحتفاظ، الانسلاخ، الأفعال الكلاميّة)

The metaphorical question Between retaining meaning and breaking away from it in the commentators opinions: a study in light of the theory of indirect speech

Keywords: (Interrogative, metaphorical, correction, break-up, bad sentence)

المُستخلَص:

إنَّ الحديث عن الاستفهام الحقيقي والاستفهام المجازيّ في التراث اللُّغويّ العربيّ يقابل الحديث عن الأفعال الكلاميّة المباشرة وغير المباشرة في أدبيات البحث التداوليّ، ذلك أنَّ الملفوظ إذا كان معناه مطابقًا لما يريد المرسِل أنْ ينجزه مطابقة تامّة، دالّا على قصده فهو فعل كلاميٌّ مباشر، أمّا إذا خالف قصدُ مرسِلِه ظاهرَ معناه فهو فعل كلاميّ غير مباشر، وكذا الحال بالنسبة للاستفهام الحقيقيّ والمجازيّ، فالمجازي لا يطابق ظاهرُ معناه قصدَ المتلفظ به، وعند الحديث عن تداولية الأفعال الكلاميّة غير المباشرة لا بُدّ من الحديث عن مسألة احتفاظ الفعل الكلاميّ غير المباشر بالمعنى الحرفيّ إضافة إلى المعنى الجديد الذي قصده المتكلم (الإنجاز المتزامن للفعلين المباشر وغير المباشر)، أو انسلاخه من معناه الحرفيّ انسلاخاً تامّاً، وتحوّله كليّا للدلالة على المعنى المقصود من المتكلم، فقد أثارت هذه المسألةُ جدلاً كبيراً بين أرباب التداوليّة، وطال الحديث فيها، وانقسم التداوليون اتجاهها فريقين، الأوّل يرى أنَّ الملفوظ يبقى محتفظاً بالمعنى الأصل، وكلّ ما يحصل في حال اللامباشرة هو استخدام المعنى الحرفي لإنجاز معنى ثانٍ عن طريقه، والفريق الآخر يذهب إلى أنّ الملفوظ ينسلخ عن أصل معناه ويتحول إلى المعنى الجديد. ومثلما بُحثتْ نظرية الفعل الكلاميّ غير المباشر بشكلها العام في التراث العربيّ، ووجدت إشارات واضحة إلى هذه النظرية، جاءت هذه الدراسة لتبحث هذه الجزئية في أسلوب الاستفهام الوارد في الخطاب القرآنيّ، وتكشف عن كيفية معالجة تلك المسألة في تراثنا التفسيريّ، وما دوّنه المفسرون في رؤيتهم لاحتفاظ الاستفهام المجازيّ بمعناه الحرفي أو الانسلاخ منه كليّاً في النصّ القرآنيّ، متخذة من نظرية الأفعال الكلامية غير المباشرة سبيلاً لبيان معالجتهم لتلك المسألة.

Abstract : Talking about direct and indirect verbal acts in the pragmatic research literature corresponds to talking about literal interrogation and

* كليّة الامام الكاظم (عليه السلام)
:lecwasitma@alkadhum-col.edu.iq

metaphorical interrogation in the Arab linguistic heritage because if the meaning of the utterance is the same as what the sender wants to achieve in complete conformity, indicating his intent, then it is a direct verbal act, but if it contradicts what the sender wants to achieve, it is an indirect verbal act. Since it was sent indirectly, the sender's goal was clear in what it meant. The same is true of both literal and metaphorical questioning. The speaker's freshness of mind (the simultaneous realization of direct and indirect verbs) could be completely divorced from its literal meaning and transformed to signify the speaker's intended meaning. The deliberative have separated themselves into two groups due to the intense debate that this problem has caused among the masters of deliberation. The other team maintains that the utterance is separated from its original meaning and given a new meaning. Indirectness is using the literal meaning to attain a second meaning through it. Similarly to how the concept of indirect speech action was articulated in broad terms in Arab heritage and how this theory was clearly referenced،

With the theory of indirect verbal acts as a guide, this study sought to investigate this aspect of the interrogative style found in the Quranic discourse, as well as demonstrate how this issue is addressed in our exegetical heritage and what the commentators wrote about their interpretation of whether the metaphorical interrogation in the Quranic text retained its literal meaning or was completely detached from it. The purpose of this is to show how they handled this matter.

المقدّمة:

لا يمكن إغفال أهمية المناهج اللُّغويّة الحديثة التي ظهرت في المدارس الغربيّة ومساهمتها في تحديث الأدوات المعرفيّة لدى القارئ العربيّ لتراثه القديم بشكل عام، وتراثه التفسيريّ بشكل خاص، مما أدّى إلى تجديد الفهم والتلقي للخطاب التفسيريّ، فهماً يُثري دلالاته بما يتناسب والتطور المعرفيّ، فضلاً عن أنَّها فتحت آفاقاً جديدة جعلت القارئ ينفذ من خلالها ليتلمس ما في تراثه الثرّ من إشاراتٍ دقيقة، ولطائف لغويّة كثيرة، يمكن أنْ تكون بذرة لنظريّات لغويّة عربيّة، تأخذ على عاتقها تجديد الفهم العربيّ للتراث العتيق، مما يوطّد اعتزاز العربيّ بتراثه، ويشحذ هممه لإعادة قراءته قراءةً جديدة، ومن انعكاسات تلك المناهج ما أثاره المنهج التداوليّ لدى الباحثين العرب من البحث عن تجليات نظرية الأفعال الكلاميّة في التراث العربيّ، بنوعيها المباشرة وغير المباشرة، فاكتُشِفت مظاهرَ كثيرة لتلك النظريّة، ووُجِدت مواطن تقارب كثيرة، بل وصلت إلى حد المطابقة في أحايين كثيرة، وقد انمازت الرؤية العربيّة بنُضج التجربة، ووضوح الرؤية، والإدراك المبكِّر لقدرة اللُّغة على تأدية أفعال يظهر أثرها في الواقع الخارجيّ، ومن المسائل التي بُحِثت في ثنايا تلك النظرية ما يتعلق بالدلالة الضمنية التي تشتمل عليها الملفوظات إضافة إلى الدلالة الحرفيّة لها، وما يحدث لتلك الملفوظات من الانسلاخ من معناها الأصل والتحول كلياً إلى الدلالة الجديدة في بعض السياقات، فجاءت هذه الدراسة لبيان مظاهر تلك المسألة في التراث التفسيريّ؛

لكونه معنيّاً ببيان مقاصد الخطاب القرآنيّ، وما لهذا الخطاب من خصوصية تحتم على المتصدي لتحليله الغور في أعماقه؛ لاستخراج دقيق لطائفه، والاقتراب من مقاصده، وهذا يتطلب من المفسر الإحاطة بكلّ ما يتعلق بالنصّ، من مقام الخطاب ومختلف الملابسات المرتبطة بعلاقة المرسل بالمرسَل إليه، وعلاقة الحدث بسائر الأحداث، مستعيناً بأسباب النزول وغيرها، فجاء الاستدلال على المعاني الضمنية لتراكيب النصّ القرآنيّ متسماً بالدقة، لا سيما المعاني التي يخرج لها الاستفهام المجازي، فكان التراث التفسيريّ ميدانا خِصباً لبحث تلك المسألة، وبيان مظاهرها فيه، وبيان وجوه الالتقاء والافتراق بين ما جاءت به نظرية الأفعال الكلاميّة غير المباشرة وما وجدناه في ثنايا كتب التفسير، دون الانزلاق إلى لَيِّ عُنُق النصّ وتطويعه لما نريد اثباته.

العلاقة بين الاستفهام المجازيّ والفعل الكلاميّ غير المباشر:

قبل الولوج إلى بيان الرؤية العربيّة لخروج الاستفهام لمعاني مجازية غير الاستخبار، واحتفاظه بأصل معناه والانسلاخ منه لا بدَّ من التعريج على نظريّة الأفعال الكلاميّة غير المباشرة، وبيان أسسها في أدبيّات البحث التداوليّ بشكلٍ موجز، وإيضاح العلاقة بينها وبين الاستفهام المجازيّ، ذلك أنَّ الدراسات التداوليَّة عُنيتْ بمعالجة مسألة الاختلاف الواقع بين معنى الملفوظ وقصد المتلفِظ، أو بمعنى آخر بين المعنى الحرفيّ للملفوظ، وبين المعنى الذي يقصده المتكلّم، فضلًا عن بيان آليات الانتقال بين المعنيين، وهي المسألة نفسها التي أراد المفسرون معالجتها فيما ورد من الملفوظات الاستفهاميّة المجازيّة في الخطاب القرآنيّ، لكونها تؤدي معانيَ غير معناها الحرفيّ تابعةً لقصد المرسِل، وكانت لكلّ منهم طريقته الخاصّة بمعالجة تلك المسألة، ففي الدراسات التداوليّة قد تجلت هذه المعالجات بإيجاد نظرية سياقيّة، تستطيع أنْ تسد الثغرة بين ما نقوله وما نقصده، وقد كانت تلك النظريَّة هي نظريَّة الأفعال الكلاميَّة غير المباشرة التي أكّد أصحابها على ضرورة التفريق بين ((معنى الجملة أو معنى الكلمة من ناحية، وبين معنى المتكلّم أو معنى المنطوق من ناحية ثانية))[١]، مع الأخذ بالاعتبار الظروف التي أحاطت بالملفوظ وقت التلفظ، وفي مقدمتهم أوستن(Austin) الذي أكّدَ على أنَّ ((ظروف النطق بالعبارة هو أهم مُعِين لنا على معرفة الغرض منها))[٢]، ومن بعده تلميذه سيرل (Searle)، الذي أشار في نظريته إلى أنَّ المُتلفِّظ في الفعل غير المباشر باستطاعته ابلاغ المتلقي أكثر ممّا يقول بالفعل، بواسطة الاعتماد على المعارف المشتركة بينهما، والاستناد إلى قدرات المتلقّي في الاستدلال والاستنتاج[٣]. فالمتكلم إنْ لم يتيقن من توافر القرائن الحاليّة التي تأخذ بالمتلقّي إلى فهم المقصود فإنَّه لا يستطيع العدول من الاستراتيجيَّة المباشرة إلى غير المباشرة، فضلًا عن تيقُّنه بقدرة المتلقّي في إقامة الاستدلالات المطلوبة، وعلى المتلقّي تحديد الفعل المقصود منه، لذا قال: ((إنَّنا نحتاج لتفسير أفعال الكلام غير المباشرة إلى نظريَّة فعل الكلام، ومبدأ التعاون في الحوار، والمعلومات المتبادلة بين المتكلم والمخاطَب، إضافةً الى قابليّة المخاطَب في الاستنتاج))[٤].

أمّا عند المعنيين بتحليل الخطاب القرآنيّ فقد وجدنا في معالجاتهم للاختلاف بين معنى الاستفهام والمعنى الجديد المتولّد عنه تقارباً كبيراً في جوانب كثيرة مع ما طرحه الدرس التداوليّ مع التميز بنضج الرؤية والتعمق في التحليل؛ لما للنص القرآنيّ من خصوصية تحتم عليهم اجتهاد وطول تأمل للوصول الى المعنى الذي يقرب من قصد المرسل، فكانت العناية بما يتعلق بالنص من عوامل غير لغوية تمثلت بتعيين المخاطِب والمخَاطب، والظرف المحيط بالخطاب من أسباب النزول وغيرها تماثل عنايتهم بلغة النص نفسه.

تأسيساً على ما تقدّم فإنَّ جوهر نظرية الافعال الكلامية غير المباشرة يتمثل بالألفاظ التي تؤدي معاني خارجة عن مقتضى ظاهرها، تابعة لقصد المتكلم، ويمكن للمتلقي إدراكها في ضوء القرائن السياقيّة والحاليّة، فضلا عن طرق الاستدلال العقلي؛ لذا اتخذت الدراسة هذه النظرية منهجاً لمعالجة تلك المسألة.

الملفوظات الاستفهاميّة بين الاحتفاظ بمعناها والانسلاخ منه:

إنَّ ما تقدّم من خروج معنى الملفوظ إلى غير ما يقتضيه ظاهره، وتأديته لمعنى آخر مقصود من المتلفظ، بالاعتماد على قدرة المخاطَب في فهم ذلك المعنى، يثير تساؤلا هامّاً مفاده: أنَّ الملفوظ في حال تأديته لمعنى آخر غير معناه فهل يحتفظ بمعناه الحرفيّ أو ينسلخ منه انسلاخاً تامًّا؟ أي: لو جاء الملفوظ استفهاميًا، والاستفهام فيه جاء لغرض آخر غير الاستخبار، أيحتفظ بمعنى الاستفهام إضافة للمعنى الآخر؟ أم يتحول الاستفهام كليًّا لإفادة معاني تلك الأفعال الكلاميّة غير المباشرة، وهذا ما يسعى البحث إلى بيانه، بعد أنْ طُرح بوصفه اشكالاً دلالياً اختلف إزاءه أرباب نظرية الأفعال اللُّغويّة، إذْ ذهب بعضهم الى القول باحتفاظ الفعل غير المباشر بمعناه الحرفيّ فضلاً عن المعنى الجديد الذي قصده المتكلِّم، وهذا القول تبناه سيرل (Searle)، إذْ يرى أنَّ الفعل الكلاميّ غير المباشر يحتفظ بالمعنى الحرفيّ لصيغة الجملة إضافة إلى المعنى غير المباشر، بل يرى أنَّ المعنى الإضافيّ لا يُعدُّ جزءًا من دلالة الملفوظ ومعناه، وإنَّما هو استنتاج يتوصل إليه المخاطَب عن طريق المعنى الحرفيّ. أمَّا الدلاليّ التوليديّ سادوك (Sadock)[٥] فيرى أنَّ الأفعال غير المباشرة تنسلخ عن معناها الحرفيّ، وتتحول كليّاً إلى المعنى الجديد (الطلب)؛ لأنَّه يصبح مثل المصطلح المسبَّك والمتعارف عليه في إفادة الطلب[٦].

إنَّ المسألة المذكورة آنفًا قد وجدنا تمثلاتها في التراث التفسيريّ بصورة واضحة وجلية في أسلوب الاستفهام، وبعض صيغ الأمر، وقد اتسمت تلك المعالجة بالنضج ووضوح الرؤية، إذْ أشاروا إلى أنَّ خروج الاستفهام عن معنى الاستخبار نوعان، أولهما خروجه لمعانٍ يقتضيها المقام، مع بقاء معنى الاستفهام إلى جانب المعنى الجديد، والآخر انسلاخه عن أصل معناه انسلاخًا تامًّا بتأثير عوامل لغويّة وأُخرى غير لغوية، فلا يبقى ما يدلُّ عليه غير شكله. ويمكن أنْ نكشف عن تلك الرؤية العربيّة ممثلةً بمفسري الخطاب القرآنيّ، والأُسس التي انبنت عليها رؤيتهم، بواسطة أمثلة مختارة من خلال بعض

النصوص التي ناقشوا فيها خروج الاستفهام لمعانٍ مجازيّة أخرى، لنصلَ إلى قاعدة معينة تفرّق لنا بين نوعي الملفوظات الاستفهاميّة.

أولاً: احتفاظ الملفوظ الاستفهاميّ بمعناه الحرفيّ وتأديته للمعنى الجديد:

وقفَ المفسرون طويلاً عند المعاني التي يؤديها الاستفهام المجازيّ، وتحديد الغرض الذي يؤديه داخل التراكيب اللُّغويّة، غير غافلين عن أهمية المقام وتعيين طرفي الخطاب، والعناية بكلّ العناصر المحيطة بالخطاب، فكانت نظرتهم نظرة تداوليّة تجاوزت حدود التركيب لتمتدَّ إلى كلّ ما يحيط بالنصّ، ولسنا بصدد الحديث عن بيان كيفية استدلالهم على المعاني المجازية للاستفهام بقدر ما نحن معنيون ببيان رؤيتهم لاحتفاظه بمعناه او الانسلاخ منه، ولعلّ الرائي لما رقّنه الزمخشريّ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ الصافات: ١١﴾ يجد تلك الإشارات الدقيقة إلى احتفاظ الاستفهام بأصل المعنى وعدم انسلاخه منه، إذْ قال: ((الهَمزةُ وإنْ خرجتْ إلى مَعنى التَّقريرِ، فهيَ في مَعنى الاستفهامِ في أصْلِها، فلذلك قيلَ: (فاسْتَفْتِهِمْ) أيّ: اسْتَخبِرهم))[٧]، فعبارته تشير بوضوح إلى أنَّ الاستفهام قد احتفظ بمعناه الأصل مع إفادته للمعنى الجديد التقرير، لكنّه لم يشر إلى ما جعل الاستفهام يخرج لمعنى التقرير دون غيره من المعاني، وهذا ما استدركه الطيبيّ في شرحه لعبارة الزمخشريّ بقوله: ((الهمزةُ في ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ وإنْ خرجَتْ عن موضوعِها الأصليِّ وهي الاستفهام؛ لأنَّه طلبٌ في الخارجِ لينتقشَ مثلُ ذلكَ في الذّهن إلى تقريرِ الثّابت؛ لأنَّ هذا الأمَر المسؤولَ مقرّرٌ معيّنٌ لم يحتجْ إلى أنْ يُستفهمَ منه، لكن أجريَت على الاستفهام ظاهرًا؛ ليُجعلَ المقرّرُ غيرَ مقرّرٍ فيصحَّ دخولُ (اسْتَفْتِهِمْ) عليها، والفائدةُ الإنكار والتّوبيخ، كأنَّه لم يعلمْ ذلكَ فاستفهمَ وهو مُعيَّنٌ مقرَّر، والأسلوبُ من بابِ سَوقِ المعلومِ مساقَ غيرِه وعليه قولُ الخارجيّة:

أيَا شجرَ الخابُورِ، ما لكَ مورقًا؟ كأنَّك لم تَجزعْ على ابنِ طريفِ))[٨]

فمعنى الاستفهام بحسب الطّيبيّ باقٍ فيه بالرغم من تولّد معنى الانكار والتوبيخ الذي اقتضاه سياق الحال، وما نلحظه في نصّ الطيبيّ وجود ملمحٍ تداوليٍّ في تحليله للنصّ القرآني لم نلحظه عند الزمخشريّ، وذلك بالإشارة الى قصد المرسل (ليُجعلَ المقرّرُ غيرَ مقرّرٍ)، فضلاً عن مراعاة العلاقة التي تربط بينه وبين المرسَل اليه، فمثّل علم السائل بما يسأل عنه وكذا الحال بالنسبة للمسؤول موجِّهًا تداولياً في حمل الاستفهام على الإنكار والتوبيخ؛ لأنَّ المرسِلَ إذا أراد معنى غير المعنى الظاهر للملفوظ فإنّه يعتمد على خلفية المعلومات المشتركة بينَهُ وبين المرسَلِ إليه تحرزاً من أيّ لبس قد يقع، فضلاً عن اعتماده على قدرة المرسَل إليه في الإدراك والاستدلال والتأويل، التي تجعله مدركاً لقصد المرسِل ومعرفة المعنى المقصود من الملفوظ الموجّه إليه[٩]، فمعرفة المخاطَبين بضعف خلق بني البشر عامةً بالنسبةِ للمخلوقات السماويّة المذكورة في الآيات السابقة يمثل معرفة مشتركة بين أطراف الخطاب، لذا حمله الزمخشريّ على التقرير، وتابعه كثير من المفسرين منهم أبو حيان بقوله: ((الِاسْتِفْتَاءُ نَوْعٌ مِنَ السُّؤَالِ، وَالْهَمْزَةُ، وَإِنْ خَرَجَتْ إِلَى مَعْنَى التَّقْرِيرِ، فَهِيَ فِي الْأَصْلِ لِمَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ، أَيْ فَاسْتَخْبِرْهُمْ))[١٠]، وحمله

آخرون على الإنكار والتوبيخ كما مرَّ بنا عند الطيبيّ، وبالرغم من الاختلاف في توجيه المعنى إلّا أنَّ الإشارة إلى أصل معنى الاستفهام مثَّل عاملاً مشتركاً بين النصوص السابقة، وهذا يؤكد إدراكهم لاحتفاظ الاستفهام بمعناه فضلاً عن المعنى الجديد الذي فرضته ملابسات السياق بنوعيه الحاليّ والمقاليّ.

إنَّ معاني الإنكار، والتقريع، والتوبيخ، وغيرها من المعاني التي تؤديها أدوات الاستفهام هي أفعال كلاميّة غير مباشرة في أدبيات المنهج التداوليّ، ويمكن لمحلل الخطاب أنْ يُعيِّنَ الغرض منها بـ((معرفة حقيقة المقام المعين ومختلف الملابسات المرتبطة بعلاقة المتكلم بالمخاطَب وعلاقة الحدث بسائر الأحداث والأوضاع الخاصة أو العامة التي تكتنفه))[١١]، وهذا ما كان حاضراً في تحليل الكثير من المفسرين للخطاب القرآنيّ، فالناظر إلى ما رقّنوه في بيان معنى الاستفهام الوارد على لسان الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ البقرة:٣٠﴾ يجد أنَّ العلاقة بين المستفهِم والمستفَهَم منه، وما يتمتع به المستفهم من قدسية لديهم، فضلا عن ملابسات المقام مثلت موجّهات تداوليّا لتعيين الغرض المقصود من الاستفهام، مع عدم إغفالهم الإشارةَ إلى احتفاظ الملفوظ الاستفهاميّ بمعناه الحرفيّ مع تأديته لمعنى جديد، ومن ذلك ما دوّنه البيضاويُّ في بيان معنى الآية قائلاً: ((قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ تَعَجُبٌ من أنْ يستخلِفَ لعِمَارةِ الأرضِ وإصلاحِها مَنْ يُفسِدُ فِيها، أو يَستَخلِفَ مكانَ أهلِ الطَّاعَةِ أهلَ المَعصِيةِ، واسْتِكشَافٌ عمّا خَفِي عليهِم مِنَ الحِكمَةِ التي بَهرتْ تلكَ المَفاسِد وألغَتْها، واستخبارٌ عمَّا يُرشِدُهم ويزيحُ شُبْهَتَهم كسُؤالِ المُتَعلِّم مُعلِّمَه عمَّا يَختَلِجُ في صَدرِهِ، وليسَ باعتراضٍ على اللهِ تَعالى جلَّتْ قُدْرَتُه، ولا طعنٍ في بني آدمَ على وَجْهِ الغيبَةِ، فإنَّهُم أعلَى مِنْ أنْ يُظنَّ بِهم ذَلك))[١٢]. فالنصُّ يشير إلى تولُّد معنى التعجب عن الاستفهام، لاقتضاء المقام ذلك المعنى، وتعيين التعجب دون غيره جاء بناءً على مراعاة نوع السائل وما يمثله بالنسبة للمرجعيّة العقديّة للمفسِر، ذلك أنَّ الاعتقادَ بإذعان الملائكة، وعدم اعتراضهم على الله (جلّ وعلا)، أو إنكارهم لأيِّ أمرٍ صادرٍ عنه في أيّ حال من الأحوال، جعل محلل الخطاب يحمل الاستفهام على معنى التعجب دون غيره من المعاني الأخرى، لأنَّ الاستفهام ورد بعد إخبار الله تعالى لهم بجعل خليفة في الأرض، فيكون الردُّ عادةً عن أمر مستَغرَب، إمَّا انكارًا له، وإمَّا تعجبًا منه، وهنا تتدخل معرفة متلقّي الخطاب للسائل في تعيين أحد المعنيين، لئلا يستلزم ذلك الطعن بالملائكة. ولعلّ تلك القدسية التي يتمتع بها الملائكة لدى محللي النصّ المقدّس يظهر بشكل أكثر وضوحاً عند العلّامة الطيبيّ، إذْ قال: ((وَلَّدَتِ الهمزةُ معنى التعجُّب؛ لأنَّه لا يجوزُ أنْ يُحْمَلَ على الإنكارِ لئلّا يلزَمَ مِنه اعتراضُهم على حُكْمِ الله تعالى، وهذا لا يليقُ بمَرْتَبَةِ الملائكةِ))[١٣]. فمرتبة السائل وما قرَّ عنه في الذهن من الإخلاص والطاعة والتسليم مثّلت مرتكزا تداولياً اعتمده الطيبيّ لتعيين المعنى المجازي المتولّد عن همزة الاستفهام، ذلك أنَّ المرجعيّة العقديّة لمحلل الخطاب المتمثلة بعدم جواز وقوع المعصية أو الإنكار من الملائكة مطلقاً، وهم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ الأنبياء: ٢٧﴾؛ لذا حمله على التعجُّب. فضلاً عن الإشارة الواضحة إلى احتفاظ الهمزة بمعنى الاستفهام وعدم

الانسلاخ عنه بقوله: (ولّدتِ الهمزة)؛ لعدم ورود أيٍّ من العوامل التي تُخرجُ الهمزة عن معنى الاستفهام كليّاً.

يمثّل الاستفهام في أعراف المنهج التداوليّ فعلاً كلاميّا توجيهيّاً يهدف لتوجيه المخاطَب لضرورة الإجابة عن السؤال الذي يطرحه المتكلم، لكنّه قد يُستعمل لإنجاز أفعال أخرى غير التوجيه، بحسب ما يقتضيه المقام، فيكون للمقام الذي يكتنف الخطاب الأثر الأكبر في معرفة خروج الملفوظات الاستفهاميّة إلى معانٍ غير ما يدلّ عليه ظاهرها، ولعلّ الرائي لما دوّنه المفسرون في بيان معنى (أينَ) في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ الانعام: ٢٢﴾ يُدرك تماما أهمية تعيين المقام والعناصر المرتبطة به في تعيين غرض الاستفهام، إذْ ذكر الرازي أنَّ قولَهُ تعالى:((ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ التَّقْرِيعُ وَالتَّبْكِيتُ لَا السُّؤَالُ))[١٤]. وهذه المعاني الإضافية لصيغة الاستفهام تُحدَّد وفقاً للمقام الذي اكتنف الخطاب، ذلك أنَّ مكان الخطاب وزمانه هو عرصة يوم القيامة، وهو مقام لا يقتضي معنى الاستخبار، وبذلك يكون السؤال موجَّها للذين اتخذوا إلٰها غيرَ الله، والسائل لا يقصد الاستخبار عن الشركاء بل قصدَ توبيخ المسؤولين عن سوء اختيارهم، وابتعادهم عن الحق، وعلم السائل يمثّل قرينة مانعة من حمل الاستفهام على معنى الاستخبار، وهذا ما أشار إليه البيضاويّ في قوله: ((والمُراد من الاستِفْهامِ التَّوبِيخُ، ولَعلّه يُحَال بَينَهم وبينَ آلهَتِهم حِينَئذٍ ليَفقدُوها فِي السَّاعَةِ التي علّقُوا بها الرَّجاءَ فيها، ويُحتَمَل أنْ يُشَاهِدُوهُم ولكن لمَّا لم يَنفَعُوهُم فكأنَّهم غُيَّبٌ عَنهُم))[١٥]. فهو يستحضر في ذهنه مقام الخطاب، والعلاقة الرابطة بين طرفيه، مفترضاً أمرين أولهما: غياب أولئك الذين اتخذوهم شركاء لله في ساعة الحاجة إليهم، وهذا توبيخ شديد لسوء اختيارهم، والثاني: حضورهم من دون أنْ ينفعوهم شيئاً وهم بذلك بمنزلة الغائبين، وافتراض الحضور يعطي الاستفهام معنى آخر غير التوبيخ، وهذا ما أشار إليه شهاب الدين في حاشيته إذْ قال: ((الأوّلُ أنْ يُقالَ لَهُم ذلكَ على سبيلِ التَّوبيخِ كقوله: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء}، والثاني أنَّه قيلَ لَهم وهُم يُشَاهِدُونَهُم تَعييراً كما تقُولُ لِمَنْ جَعلَ أحداً ظَهِيرَه يُعِينهُ في الشَّدَائِدِ إذا لَمْ يُعِنْهُ وقد وَقعَ في وَرطَةٍ بحَضْرَتِه أينَ زيدٌ؟ فَجعَلْتَهُ لِعدمِ نَفْعِهِ وإنْ كانَ حَاضِراً كالغَائِبِ))[١٦]. فالمعنى الآخر المتضمّن في الاستفهام في حال الحضور هو التعيير، وكلا المعنيين يُعدان في أدبيات المنهج التداوليّ فعلاً كلاميّاً غيرَ مباشر تولّد عن الاستفهام، وأنَّ هذا الاستفهام له قوتان إنجازيتان، ((قوة إنجازيّة حرفيّة هي الأولى، وله قوة إنجازيّة مستلزمة هي الثانية، ولكنَّ هذه القوة تصبح في بعض السياقات هي القوة الأولى؛ لذلك فإنّها تُصبِحُ قصد المرسِل من ملفوظ الخطاب))[١٧]؛ لذا أصبح مَعْنَيَا التوبيخ والتعيير هما القوة الإنجازيّة الأولى وفقاً للسياق الذي اكتنف الملفوظ الاستفهاميّ. وما يلحظ في النصّ الأخير استحضار ما يحصل في الواقع المعاش من طريقة التعيير للمخاطَب المخذول ممن اتخذه عوناً ولم ينفعه بشيء، وهذا الاستحضار للوقائع المُشاهَدة استراتيجيَّة تخاطبيّة تنماز بقوتها الإقناعيّة، ذلك أنّ طرق الإقناع اللُّغويّة التي يستعملها المتكلّم في خطابه تختلف من حيث القوة والضَعف في درجة الإقناع[١٨]، والاستعانة

بالأمثلة المستوحَاة من الواقع من الاستراتيجيات التي تتسم بدرجة إقناع عالية، لكونها تمثل افتراضا مسبقاً عند طرفي الخطاب.

إنَّ ما تقدّم من الأمثلة السابقة يعطي تصوراً واضحاً عن رؤية المفسرين لاحتفاظ الملفوظ الاستفهاميّ وعدم انسلاخه من معناه، وبقائه محتفظاً به وإنْ اختلفوا في تعيين المعنى المتولِّد عنه، لعدم ورود ما يخرجه عن معناه من عوامل لغويّة أو غير لغويّة كما سيتبين لاحقاً، وأنَّه النوع الأكثر شيوعاً في الخطاب القرآنيّ، فضلاً عن معالجتهم التداوليّة لتعيين المعنى الجديد المتولّد عن الاستفهام.

ثانياً: انسلاخ الملفوظ الاستفهاميّ عن معناه الحرفي وتحوله للمعنى الجديد:

اتضح فيما تقدم أنَّ الاستفهام يخرج لمعانٍ غير الاستخبار يحدّدها المقام وملابساته المتعلقة بطرفي الخطاب وعناصر أخرى تحيط بالنص، لكنّه يبقى محتفظاً بمعناه الحرفي، وهو القوة الإنجازيّة الأصلية فيه، التي قد تتحول إلى قوة ثانية نظراً لمقتضيات مقام الخطاب، إلّا أنَّ هذا الحال لا تطرّد في الملفوظات الاستفهاميّة جميعها، بل إنَّ هناك ملفوظات استفهامية تنسلخ عن معناها الحرفيّ وتتحول كليّاً إلى المعنى الجديد الذي دلّت عليه، فلا يبقى من الاستفهام إلَّا شكله، والمتتبع لما دوّنه المفسرون يجد أنّهم قد أشاروا إلى تدخل عوامل مختلفة تُخرج الملفوظ الاستفهاميّ من معناه وتُخلصه للمعنى الجديد، ويمكن تقسيم هذه العوامل إلى نوعين:

أوَّلاً: العوامل اللُّغويّة:

أشار المفسرون في ثنايا تفاسيرهم إلى وجود عناصر لغويّة ترافق الملفوظات الاستفهاميّة داخل التركيب، تجعلها تنسلخ عن معنى الاستفهام وتتحول كليّا إلى المعنى الجديد، ولا يبقى من الاستفهام إلّا شكله، ويمكن تلمس هذا المعنى في حديثهم عن بعض الملفوظات الاستفهاميّة، فالقارئ لما دوّنوه عن الاستفهام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة:٦﴾ يُدرك تنبههم إلى هذا الانسلاخ وعدم غيابه عن أذهانهم، فقد ذكر الواحدي أنَّ ((قوله تعالى: {ءَأَنذَرتَهُم}: لَفْظُهُ لَفظُ الاسْتِفهَامِ، ومَعناهُ الخَبَر، ومِثْلُ ذلكَ قولُكَ: ما أُبَالِي أَشهِدتَ أَمْ غِبْتَ، وما أَدرِي أَأَقْبَلتَ أمْ أَدْبَرتَ. وإنَّمَا جَرى عليهِ لَفْظُ الاستِفهَامِ وإنْ كانَ خَبَراً، لأنَّ فيهِ التَّسويَةَ التي فِي الاستِفْهَامِ))[١٩]. وفي هذا النصّ إشارة واضحة إلى أنَّ الاستفهام لم يحتفظ بمعنى الاستخبار، بلْ خرج لمعنى التسوية، وقد نُقِل من الإنشائيّة إلى الخبريّة، وإنْ كانت صورته الإنشاء. أمّا صاحب الكشّاف فيرى أنَّ الاستفهام في الآية المُباركة قد تجرّد من معناه وخَلُص لمعنى الاستواء، ولم يبقَ منه إلّا صورته بقوله: ((وسَواءٌ اسمٌ بمَعنَى الاسْتِواء وُصِفَ به كمَا يُوصَفُ بالمَصَادِرِ. ومِنهُ قولُه تَعالى: (تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ) بمَعنَى مُستَوِيَة وارتِفَاعهُ على أنَّه خَبرٌ لإنّ، ... أو يكون أأنذَرْتَهُم أمْ لمْ تُنْذِرْهُم في مَوضِعِ الابْتِدَاء، وسواءٌ خبراً مقدّماً بمَعنَى: سَواءٌ عَليهِم إنْذَارُكَ وعَدَمِه، والجُملَةُ خَبرٌ لإنَّ ... والهَمْزَة وأمْ مُجرّدَتانِ لِمَعنَى الاسْتِواء وقَدْ

انْسَلَخَ عَنهُما مَعنَى الاستِفهَامِ رَأساً))[٢٠]. فلفظ (انسلخ) فيه دلالة واضحة على أنَّ معنى الاستخبار قد اندثر تماماً، ولم يَبقَ في الهمزة من دلالتها على الاستفهام سوى شكلها؛ لذا سميت همزة التسوية. ولزيادة الاقناع وتعزيز فكرة الانسلاخ انتقل إلى وسيلةٍ إقناعيّة لسانيّة تمثلت بعقد المشابهة بين موضوعين، وذلك بحمل هذا الانسلاخ عن المعنى في الاستفهام، على الانسلاخ في النداء لمعنى الاختصاص، وذلك باستدعائه لقول سيبويه:((قَالَ سِيبَوَيْهِ: جَرَى هَذَا عَلَى حَرْفِ الِاسْتِفْهَامِ كَمَا جَرَى عَلَى حَرْفِ النِّدَاءِ قَولُكَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا أَيَّتُهَا الْعِصَابَةُ، يَعْنِي أَنَّ هَذَا جَرَى عَلَى صُورَةِ الِاسْتِفْهَامِ وَلَا اسْتِفْهَامَ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ جَرَى عَلَى صُورَةِ النِّدَاءِ وَلَا نِدَاءَ))[٢١]. فالاستفهام الوارد في الآية المُباركة جارٍ على ما جرى عليه النداء في الاختصاص، من التجرد عن أصل معناه، ذلك أنَّ أصْلَه تخصيصُ المنادى بطَلَبِ الإقبال، ثمَّ نُقِلَ إلى معنى الاختصاصِ مُجرَّدًا عن معنى طلبِ الإقبالِ في (أيُّها) (وأيتُها)[٢٢]. ولعلَّ هذا الانسلاخ هو من سمح بتقدم كلمة (سَوَاء) على الهمزة، إذْ وقعت خبراً مقدّماً، والنظام اللغويّ العربيّ لا يُجيز تقدم أيّ حرف أو كلمة على همزة الاستفهام، وهذا ما أشار إليه الآلوسيّ في ردّه لشبهة أنَّ تقدُّمَها مبطلٌ لصدارة الاستفهام بقوله: ((الأوَّل: أنَّ الفعلَ لا يُسنَد إليه. الثاني: أنَّه مُبطِلٌ لصَدَارةِ الاستِفهَامِ. الثَّالِث: أنَّ الهَمزَةَ وأَمْ مَوضُوعَان لأحَدِ الأمرَينِ وكلّ مَا يَدُلُّ على الاستِواءِ لا يُسنَدُ إلّا إلى مُتَعدد ... وأمّا عَن الثَّانِي والثَّالِث فبأنَّ الهَمزَةَ وأَمْ انْسَلخَا عَن مَعنَى الاستِفْهَامِ عَن أحَدِ الأَمرَينِ ولمَّا كَانَا مُستويين فِي عِلْمِ المُستَفهِم جُعِلا مُستوَيينِ فِي تَعلُّق الحُكمِ بكِلَيهِما، ولهذا قِيلَ تَجُوز بِهِما عَن مَعنَى الواو العَاطِفَة الدَّالَّة على اجتِمَاعِ متعَاطفِيها في نِسبَةٍ ما من غَيرِ مُلاحَظَةِ تَقدّمٍ أَو تأخُّرٍ))[٢٣]. وبذلك يكون سببُ انسلاخ الهمزة عن معنى الاستخبار وقوعها بعد كلمة (سواء)، وهو ما اقتضاه النظام اللُّغويّ القارُّ في الذهن، فنُقل الاستفهام من الطلب إلى الإخبار، أيّ تأديته معنى التسوية من غير سؤال؛ لذا ذكر أغلب المفسرين أنَّ التراكيب المصدّرة بـ(سواء) في الخطاب القرآنيّ يصدُق عليها ما يَصدُق على الآية آنفة الذكر، فقد ذكر الرازيّ في قوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ} الأعراف: ١٩٣} أنّ هذه الآيةَ ((مِثْلُ قَوْله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ [الْبَقَرَةِ: ٦] وَذَكَرْنَا مَا فِيهِ مِنَ الْمَبَاحِثِ فِي تِلْكَ الْآيَةِ إِلَّا أَنَّ الْفَرْقَ فِي تِلْكَ الْآيَةِ عَطْفُ الْفِعْلِ عَلَى الفعل، وهاهنا عَطَفَ الِاسْمَ عَلَى الْفِعْلِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: أَدَعَوْتُمُوهُمْ جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ: وَقَوْلَهُ: أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ))[٢٤]، وهذا النصّ فيه دلالة على أنَّ التراكيب المصدّرة بـ(سواء) تشترك في الحكم نفسه، لذلك قال كثير من المفسرين أنَّ هذه الآية مقررة لمضمون ما قبلها[٢٥]، والتقرير مما اختصت به الجمل الخبرية لا الانشائية. فالتسوية ((معنى نحوي منجز بألفاظ التسوية، ومحقق بـ(أمْ)، وهو حرف معادل للهمزة يفيد التسوية بالوضع))[٢٦].

ولتأكيد ما سَبق يمكن إيراد ما ذكره بعض المفسرين في توجيه معنى قوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}، إذْ قال البقاعيّ: ((ولمّا كانَ قَد سُلِخَ فِي هَذا السِّياقِ عَن الهَمزَةِ مَعنَى الاسْتِفهَامِ كانَ مَعنَى {أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ} أيّ في هَذا الوَقتِ {أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} أي فِيه أو فِيمَا بَعدَه – مُستَوٍ عِندَهُم استِغْفَارُكَ لَهُم وتَرْكهُ، لأنَّهُ لا أَثَرَ لَه عِندَهُم، ولِهذا كَانَتْ نَتِيجَتُهُ – عُقوبَة لَهم

– النَّفيَ المُبَالَغَ فِيهِ بقوله: {لَن يَغْفِرَ اللَّهُ} أي المَلِكُ الأعْظَمُ {لَهُمْ} ولَعلَّ التَّعبيرَ بالاسْتِفهَامِ بَعدَ سَلْخِ مَعْنَاه للإشارَةِ إلى أنَّهُم لَو شَاهَدُوا المَلِك يَستَفهِمُكَ عَن ذَلكَ ما ردَّهُم عَن نِفَاقِهِم وما زَادَهُم ذَلك على ما عِنْدَهُم شَيئاً))[٢٧]. فما يُلحظ في هذا النصّ التصريح بأثر السياق اللُّغويّ في انسلاخ الهمزة عن معنى الاستفهام إلى معنى التسوية، وهذا متأتٍ من تصدُّر التركيب بكلمة (سواء)، فضلاً عن السياق الحاليّ المتمثل بالحال الذي عليه المنافقون، وعدم جدوى الاستغفار لهم في تغيير ما هم عليه، والإشارة إلى الدور الوظيفيّ للاستفهام في هذا التركيب بعد انسلاخه عن معناه، وهو الإخبار عن حال هؤلاء المبعَدين عن رحمة الله تعالى. وكلّ ذلك يؤكّد انسلاخ أداة الاستفهام عن معنى الاستخبار انسلاخاً تامّاً.

وأشار المفسرون إلى أنّ تأثير السياق اللغويّ لا يقتصر على الهمزة حسب، بل يتعداه ليُخرج حرف الاستفهام (هل) عن أصل معناه أيضاً، فهذا الحرف يُجرَّد من معنى الاستفهام ويُخلَص لمعنى الجحد إذا وليته (إلّا)، ولا يبقى من دلالته على الاستفهام سوى شكله، والمُتلقي لا ينصرف ذهنه في مثل هذا التركيب إلى معنى الاستخبار، بل ذهنه منصرف كليّاً إلى معنى النفي، وهو انسلاخ تامٌّ لـ(هل) عن أصل المعنى، وهذا ما أكَّدوه في الآيات التي تضمنت (هل) متلوة بـ(إلا)، إذْ قالوا: ((هَلْ) فِي الْكَلَامِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: تَكُونُ بِمَعْنَى قَدْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ)، وَبِمَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا)، وَبِمَعْنَى الْأَمْرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)، وَبِمَعْنَى مَا فِي الْجَحْدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ)، وَ (هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ))[٢٨]. وبعضهم ذهب إلى أنّها تأتي على سبعة أوجه إلّا أنَّهم اشتركوا في هذه الأربعة، وعلّلوا خروج (هل) من معنى الاستفهام إلى معنى النفي بورود (إلّا) بعدها، وهذا ما صرّح به الحلبيّ في قوله: ((هَلْ يُجْزَوْنَ} هذا الاستفهامُ معناه النفي، ولذلك دخلت «إلّا» ، ولو كانَ مَعنَاه التَّقرِيرَ لكان موجباً، فيَبْعُد دخول «إلّا» أو يمتنع))[٢٩]. فهو يجعل قياس إفادة (هل) لمعنى النفي ورود (إلّا)؛ لذا استبعد معنى التقرير فيها لوجود إلّا، حتى قال بأنَّ أيّ معنى تفيده غير النفي يكون مقيداً بخلو تركيبها من (إلّا)، وهذا ما جعل (هل) تنسلخ عن معنى الاستفهام تماماً، لذا ألفينا أغلب المفسرين يكتفون بالإشارة إلى النفي دون الإشارة إلى الاستِفهام، على خلاف ما شاع عندهم في توجيههم لمعاني الاستفهام المجازيّة، والناظر إلى ما رقّنه ابو حيان في تفسير قوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ} يدرك ذلك المعنى، وأنّهم مدركين لانسلاخِ هل عن معنى الاستفهام إذْ قال: ((هَلْ: هُنَا لِلنَّفْيِ، الْمَعْنَى: مَا يَنْظُرُونَ، وَلِذَلِكَ دَخَلَتْ إِلَّا، وَكَوْنُهَا بِمَعْنَى النَّفْيِ إذ جَاءَ بَعْدَهَا: إِلَّا، كَثِيرُ الِاسْتِعْمَالِ فِي الْقُرْآنِ، وَفِي كَلَامِ العرب، قال تعالى: "وَهَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ" و"هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ"، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ ... غَوَيْتُ، وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ))[٣٠]. وهنا إشارة إلى أنَّ استعمالها للنفي ضمن هذا التركيب شائع في اللُّغة، ولا تقتصر على لُغة الخطاب القرآنيّ، وأنَ العلَّة علّةٌ سياقية تمثلت بوجود أداة الاستثناء التي أخرجتها من حيز الجمل الإنشائيّة إلى الجمل الخبريّة، وفي أدبيات البحث التداوليّ أُخرِجَتْ من حقل الأفعال الكلاميّة التوجيهيّة إلى الأفعال التقريريّة. واستعانة أبي حيان بكفايته

المعرفيّة عن طريق استدعائه للبيت المذكور، تمثل استراتيجيَّة تخاطبيّة تهدف الى إقناع المخاطَب بصحة ما يذهب إليه، فمنشئ الخطاب عندما يطالب غيره ((بمشاركته اعتقاداته، فإنَّ مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنَّما تتبع في تحصيل غرضها سبلًا استدلاليّة متنوعة تجرُّ الغير جرًّا إلى الاقتناع برأيه))[٣١]، ولا أدلَّ على ذلك من معرفة سَنن العرب في كلامهم، التي يعدُّ الشعر خير ممثل لها.

ثانياً: العوامل غير اللُّغويّة:

يرى محللو الخطاب القرآنيّ أنَّ العللَ التي تجعل الاستفهام يخرج عن معناه الحقيقيّ خروجًا تامًّا، لا تقتصر على العلل اللُّغويّة السياقيّة حسب، بلْ تتعاداها إلى عِللٍ أُخرى في مقدَّمتها عُرفيّة الاستعمال، فما تُعُورِف عليه في الاستعمال وأُجريَ مجرى المثل فهو مُزالٌ عن أصله، ولم يبقَ منه إلّا شكله، ويمكن تلمس هذا الرأي فيما رقّنوه في تحليلهم للنصوص الكريمة المصدّرة بـ(أَلَمْ تَرَ)، فقد ذكر الماتريديّ في تفسير قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} إبراهيم: ٢٤} أنَّ صيغة (أَلَمْ تَرَ) تُعامَل على أنّها كلمة واحدة لا أنّها تركيب مكون من همزة استفهام، وأداة جزم، وفعل مجزوم، بقوله: ((قد ذكرنَا أنَّ كلِمةَ (أَلَمْ تَرَ) حَرفُ تَنْبِيهٍ عَنْ عَجِيبٍ كانَ بَلغَهُ؛ فَغَفلَ عَنه، أو تَنبِيهٍ عَن عَجِيبٍ لَمْ يَبْلغْهُ. وقال أبو بَكرٍ الأصَمُّ (٢٠١هـ): هي كَلِمةٌ يَفتَتِحُ بها العَرَبُ عِندَ الحَاجَةِ؛ يَقولُ الرَّجلُ لآخر: أَلَمْ تَرَ إلى ما فَعَلَ فُلانٌ))[٣٢]. فنصُّ الماتريديّ يشير إلى أمرين هامّين، الأول أنَّ هذه الصيغة عُومِلتْ في النظام اللّغويّ على أنَّها كلمة واحدة تؤدي معنى معيناً في جميع أحوالها، والثاني: أنَّ الذي جعلها بمثابة الكلمة هو الاستعمال الذي تعُورف عليه بين أفراد البيئة اللُّغويّة الواحدة، حتى غدا ذلك المعنى جزءاً من دلالتها الوضعية بتكرار استعمالها. وإلى أثر الاستعمال في إضفاء دلالة التعجيب على صيغة (ألم ترَ) قد أشار الزمخشريّ، وأكّد أنَّ هذه الصيغة قد أُجريتْ مجرى المثل على ألسنة الناطقين بها، وذلك في بيانه لمعنى الاستفهام الوارد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ}: ٢٤٣﴾ إذْ قال: ((أَلَمْ تَرَ تَقرِيرٌ لِمَنْ سَمِعَ بِقصَتِهِم مِنْ أَهلِ الكِتابِ وأَخبَار الأوّلينَ، وتَعجِيبٌ مِنْ شَأْنِهِم. ويَجُوزُ أنْ يُخَاطَبَ بِه مَنْ لَمْ يَرَ ولَم يَسمَعْ، لأنّ هذا الكَلَامَ جَرى مَجْرَى المَثَلِ فِي مَعنَى التَّعجِيبِ))[٣٣]. فالنصُّ فيه تصريحٌ بأنَّ عُرفيَّة الاستعمال هي التي أضفت على هذا الملفوظ معنى التّعجيب، حتى صار جاريًا مَجرى المثل، فالمتلقّي عندَ سَماعه له لا ينصرف ذهنُه إلى معنى آخر بصرف النظر عن المقام الذي يرد فيه، فصار بحكم الملفوظ الذي ثبتت له تلك الدلالة، فهو منسلخ عن معناه الحرفيّ الذي يدلُّ عليه شكله النحويّ، وخالص للمعنى الجديد الذي أكسَبه إيّاه عُرف الاستعمال، وهذا ما صرّح به الطِّيبيّ قائلاً : ((وذلك أنَّ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ إذا خُوطِبَ به مَنْ نظَرَ إلى حالٍ أو سَمِعَ قصةً تولَّد منهُ معنى التعجُّبِ، وأمَّا إذا خُوطِبَ به مَنْ لم يَنظُرْ ولم يَسمَعْ أفاد الحَثَّ على النَّظَرِ والاستماع، فكيف يُفيد معنى التعجُّب؟ والجوابُ: أنَّه مُزَالٌ عن الأصلِ نَظَرًا إلى الاستعمالِ السابق وجارٍ مجرى المثل بعدَه))[٣٤]. فعبارة (مزال عن الأصل) إشارة صريحة إلى أنَّ الاستعمال له الحاكميّة الفاعلة في منح

الملفوظات دلالات جديدة تأخذ مكان الدلالة التي وضعت لها في الأصل، حتى يأخذ الأصل بالانزواء والاستتار خلف المعنى الجديد، ولكثرَة الاستعمال خفي معنى الاستفهام وظهر معنى التعجب؛ لذا الفينا كثيراً من المفسرين يكتفون بالإشارة إلى صيغة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بأنَّها كلمة التعجب[٣٥]، من دون الإشارة إلى أصل تركيبها، حتى كأنَّها وضعت لهذا المعنى في الأصل، وأصبح تعبيراً اصطلاحيّاً دالّاً على معنى التعجب؛ لكونه مثّل ((نمطًا تعبيريًا خاصًّا بلغة ما، يتميز بالثبات، ويتكون من كلمة أو اكثر، تحولت من معناها الحرفيّ الى معنى مغاير اصطلحت عليه الجماعة اللُّغويّة))[٣٦]، وما يؤكّد ذلك قول ابن منظور: ((وقدْ تكرّرَ في الحديثِ: ألمْ ترَ إلى فلانٍ وألم ترَ إلى كذا، وهي كلمةٌ تقولها العربُ عند التعجبِ من الشيء، وعند تنبيه المخاطب))[٣٧]؛ لذا يمكن القول: إنَّ الملفوظ إذا منحه عرف الاستعمال دلالة معينة من غير أنْ يكون للمقام دخل في ذلك، فهو يخرج من حكم الأفعال الكلاميّة غير المباشرة، الى حكم الأفعال الكلاميّة المباشرة؛ لكونه قد انسلخ عن معناه الحرفيّ انسلاخا تامًّا، وخلص للمعنى الاخر، فأصبح هو المعنى الحرفيّ له، وهو الذي يقصده المتكلم حينما ينطق به، ويفهمه المتلقي عند سماعه، متناسين ذلك المعنى القديم، الذي وضع له في الأصل.

ومن الملفوظات التي أخرجها الاستعمال عن معنى الاستفهام وأخلصها لمعنى آخر (أرأيتَ بفتح التاء)، فهذا الملفوظ انزوت فيه دلالة الاستفهام وخَلُص لدلالة (أَخْبِر) في بعض استعمالاتها، قالَ الفرّاء: ((العَربُ لها في (أَرأَيْتَ) لُغَتَان، ومَعنيان. أحدهما أنْ يَسألَ الرجُلُ الرجُلَ: أرَأيتَ زيدًا بِعَينِكَ؟ فهذه مَهمُوزَةٌ. فإذا أوْقَعتَها عَلَى الرجُل منه قُلتَ: أرأيتَكَ عَلَى غير هَذِه الحال؟ تريدُ: هَلْ رأيتَ نَفْسَك عَلَى غَيرِ هَذِه الحال؟ ... والمَعنَى الآخرُ أنْ تَقُولَ: أرأيتَكَ، وأنتَ تُريدُ: أَخْبِرني (وتَهمزُها) وتَنصب التَّاء مِنها وتَترك الْهَمْز إنْ شِئْتَ، وهُو أكثَر كَلامِ العَربِ، وتَترك التَّاءَ مُوحّدةً مَفتُوحةً للواحدِ والوَاحِدةِ [والجميع فِي] مُؤَنَثِهِ ومُذَكَرِهِ. فتقولُ للمَرأةِ: أرايتَكِ زَيدًا هَلْ خرجَ، وللنِسْوَةِ: أرايتَكُنَّ زيدًا ما فَعَلَ. وإنّما تَركَتِ العَربُ التَاءَ واحدةً لأنَّهُم لَمْ يُريدُوا أنْ يَكونَ الفِعلُ مِنهَا واقعًا عَلَى نَفسِهَا، فاكتَفُوا بذِكرِهَا فِي الكَافِ، ووجَّهُوا التَّاءَ إلى المُذكَرِ والتَّوحِيد إذْ لَمْ يَكنِ الفِعْلُ واقِعًا))[٣٨]، وهُنا إشارة واضحة إلى أنَّ أحد معنيي تركيب (أرأيتَ) بفتح التاء هو أخبرني، واستعماله بهذا المعنى هو الأكثر شيوعاً في لغة العرب، ولا يبقى لمعنى الاستفهام أثرٌ إذا استعمل لهذا المعنى، مع التأكيد على التفريق بين الصيغ بالحركات الاعرابيّة؛ لكونها دوالّاً على المعاني، وبها تصل الرسالة اللُّغويّة إلى مستقبليها من دون لَبسٍ أو غموض، وهذا الاستعمال هو الشائع في الخطاب القرآنيّ أيضاً.

وفيما نُقِلَ عن الأخفش وجدنا تصريحاً بانسلاخ هذه الصيغة عن معنى الاستفهام تماماً، وتحولُها إلى المعنى الذي تعُورِفَ عليه عند العرب، فقد أورد الطاهر بن عاشور في تفسيره: ((وَعَنِ الْأَخْفَشِ: أَخْرَجَتِ الْعَرَبُ هَذَا اللَّفْظَ مِنْ مَعْنَاهُ بِالْكُلِّيَّةِ فَأَلْزَمَتْهُ الْخِطَابَ، وَأَخْرَجَتْهُ عَنْ مَوْضُوعِهِ إِلَى مَعْنَى (أَمَّا) بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، فَجَعَلَتِ الْفَاءَ بَعْدَهُ فِي بَعْضِ اسْتِعْمَالَاتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ [الْكَهْف: ٦٣] فَمَا دَخَلَتِ الْفَاءُ إِلَّا وَقَدْ أَخْرَجَتْ (أَرَأَيْتَ) لِمَعْنَى (أَمَّا) وَأَخْرَجَتْهُ أَيْضًا إِلَى مَعْنَى (أَخْبَرَنِي)

فَلَا بُدَّ بَعْدَهُ مِنَ اسْمِ الْمُسْتَخْبَرِ عَنْهُ وَتَلْزَمُ الْجُمْلَةَ بَعْدَ الِاسْتِفْهَامِ، وَقَدْ يَخْرُجُ لِهَذَا الْمَعْنَى وَبَعْدَهُ الشَّرْطُ وَظَرْفُ الزَّمَانِ))[٣٩]. فالأخفش يشير إلى أنَّ الاستعمال قد أخرج لفظ (أرأيتَ) من الاستفهام إلى أحد معنيين، وما عليه أغلب المفسرين خروجها للمعنى الثاني (أخبرني)، وهو ما سيتضح لنا لاحقاً، إلَّا أنَّ كلام الفرَّاء والأخفش قد خلا من بيان علة الاستعمال بهذا المعنى، والرابط الذي يجمع بين معنى أرأيتَ ومعنى أخبر، لكنَّ الزمخشريّ لم تفته الإشارة إليها إذْ قال: ((لمّا كَانتْ مُشَاهَدةِ الأشْيَاء ورُؤيتُها طَرِيقاً إلى الإحَاطَةِ بِها عِلْماً وصِحَة الخَبَرِ عَنها، استَعمَلُوا «أَرأَيتَ» في مَعنَى «أَخْبِرْ»))[٤٠]. وهذا الشيوع لمعنى الإخبار جعل أغلب المفسرين يكتفون بذكر معنى (أخبرني)، أو (أخبروني) في توجيه معنى الآيات المصدّرة بـ(أرأيتَ)، دون الخوض بتفاصيل خروج همزة الاستفهام لمعنى غير الاستخبار، وكأنّه المعنى الذي وضعت له هذه الصيغة في الأصل، حتى غدا يمثل معرفةً مشتركةً بين أفراد البيئة اللُّغويّة الواحدة. ولتقرير ذلك يمكن الاستشهاد بما دوّنوه في تفسير قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّه} الأنعام: ٤٠} فقد ذهب الواحديّ إلى أنَّ ((أَرَأَيْتَكُمْ} معناه: أخبروني ... {إِنْ كُنْتُم صَادِقِينَ} جَوابٌ لقَولِهِ: {أَرَأَيْتَكُمْ} لأنَّه بمَعنَى أَخْبِرُونِي كأنَّه قِيلَ: إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ أَخْبِرُوا مَنْ تَدعُونَ عِندَ نُزُولِ البَلاءِ بِكُم))[٤١]. وهذا التوجيه لمعنى (أَرأَيْتَكُم) يدلُّ على شياع معنى الأمر بالإخبار فيها، وانتفاء الحاجة إلى تجزئة تركيبها، وبيان الانتقال من أصل معناها إلى المعنى الذي دلّت عليه، حتى كأنّها تعبيرٌ اصطلاحيّ متفقٌ عليه، ((فلا يُفترَض أنْ تُحلّلَ هذه العبارات إلى الكلمات التي تتكون منها، بل تُعامل كطريقة للطلب متوَاضَعٌ عليها وغير قابلة للتحليل))[٤٢]، ولعلّ هذا ما حمل صاحب تفسير المنار على القول بإجماع الجمهور على هذا المعنى إذْ رقّنَ: ((أَرَأَيْتَكُمْ) هُوَ عِنْدَ جُمْهُورِ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَعْنَى (أَخْبِرُونِي) وَالتَّاءُ ضَمِيرُ رَفْعٍ، وَالْكَافُ حَرْفُ خِطَابٍ أُكِّدَ بِهِ الضَّمِيرُ لَا مَحَلَّ لَهُ، وَتَتَغَيَّرُ حَرَكَتُهُ بِاخْتِلَافِ الْمُخَاطَبِ دُونَ التَّاءِ؛ فَتَظَلُّ مَفْتُوحَةً فِي الْمُؤَنَّثِ وَالْمُثَنَّى وَالْجَمْعِ))[٤٣]. وفي هذا النص إشارتان هامتان لابُدَّ من الوقوف عندهما، أولهما الإشارة إلى الموقع الإعرابي للضمير (الكاف)، والأخرى لزوم التاء حركة إعرابيّة واحدة، فالأولى تشير إلى أنَّ هذا التركيب قد استوفى معناه، ولا يمكن أنْ يكون لأيِّ ضمير يلي تاءه محل إعرابي سوى تأكيدها، والثانية تعني أنّ هذا التركيب يُعامل معاملة الكلمة الواحدة التي بنيت على حركة إعرابية معينة، فتغيير الحركة يقتصر على الضمائر اللاحقة به دون التأثير على حركة التاء، وهذا يوحي بأنَّه أصبح مصطلحاً مسبوكاً ومتعارفاً عليه بهذا المعنى. ولعلّ إيراد ما خلُصَ إليه الطاهر بن عاشور بعد استعراضه لمجموعة آراء القدامى في هذا التركيب، يؤكد ما ذهبنا إليه من تأثير الاستعمال في إخراج ذلك التركيب من صيغة السؤال إلى صيغة الأمر، إذْ قال: ((وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا اسْتِعْمَالٌ خَاصٌّ بِهَذَا التَّرْكِيبِ الْخَاصِّ الْجَارِي مَجْرَى الْمَثَلِ))[٤٤].

ولتعزيز ذلك الأمر لا بُدَّ من إيراد مثالٍ بالصيغة المجردة من الإضافة إلى الضمائر، وبيان رأي المفسرين في توجيه معناها، فقد ذكروا في تفسير قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى} العلق: ٩-١٠} أنَّ معنى (أرأيتَ) أخبرني، واتَّبعوا الطريقة نفسها التي اتبعوها في بيان دلالة (أرأيتكم)

السابقة من دون بيان تفاصيل هذا التركيب، إذْ ورد في تفسير الكشاف: ((ومَعنَاهُ: أَخْبِرنِي عَمَّنْ يَنْهَى بَعضَ عِبادِ اللهِ عَن صَلاتِهِ إنْ كَانَ ذلك النَّاهِي على طَرِيقةٍ سَدِيدَةٍ فِيما يَنْهَى عَنْهُ مِن عِبَادَةِ اللهِ))[٤٥]. وهذا التصريح بالمعنى مباشرة يعطي تصوراً واضحاً للمتلقي عن أنَّ هذا التركيب أُفرغ في قالب معنى (أَخْبِرني)، ولا حاجة إلى إعادة ما ذُكر في غيره من المواضع التي سبقته؛ وكيفية تضمن هذه الصيغة لمعنى (أخْبِر) وخلوصها تماماً لهذا المعنى؛ لذا لم تختلف عبارة البيضاويّ في تفسير النصّ السابق عمّا أوردناه عن الزمخشريّ فيما يخص هذا التركيب، بل جاءت مطابقة لها في بعض تراكيبها، إذْ قال: ((والمَعنَى: أَخْبِرنِي عَمَّنْ يَنْهَى بَعضَ عِبادِ اللهِ عَن صَلاتِهِ إنْ كَانَ ذلكَ النَّاهِي على هُدًى فِيمَا يَنْهَى عَنهُ، أو آمراً بِالتَّقْوى فِيمَا يأْمُر بِهِ مِن عِبَادةِ الأوثَانِ كَما يَعتَقِده، أو إنْ كَان على التَّكذِيبِ للحَقِّ والتَّولِي عَن الصَّوابِ كَما تَقُول، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى ويطَّلِع على أَحْوالِهِ مِن هُدَاه وضَلالِه))[٤٦]. ففي هذا النصِّ إشارة واضحة إلى أنَّ هذا التركيب قد شاع فيه معنى غير معنى الاستفهام، ولا يمكن أنْ يلتبس على المتلقي المراد من هذا التركيب، ذلك أنَّ دفع التوهم واللبس عن المتلقي يعد من أهم عوامل نجاح العملية التواصلية بين المتخاطبين.

إنَّ هذا التحول من معنى إلى معنى آخر يُخرج الملفوظ من حقله الخاص به إلى حقل آخر، وهنا تركيب (أرأيت) وإنْ كان خارجاً لمعنى الأمر، إلّا أنَّه بقيَ في حيّز الطلب، وهو الجامع المشترك بين الأمر والاستفهام، والمسوغ في الانتقال بينهما، وهو بحسب رؤية أوستن فعل توجيهيّ يكون اتجاه المطابقة فيه من العالم إلى القول، والمخاطَب هو المسؤول عن إحداث تلك المطابقة إذا كانت له القدرة على الامتثال للأمر.

إنَّ ما تقدم من الحديث عن احتفاظ الملفوظات الاستفهامية بمعناها الحرفيّ في الخطاب القرآنيّ وانسلاخها منه، أفاد بأنَّ الرؤية العربية ممثلة بمحللي الخطاب القرآنيّ انمازت عن رؤية فريقي التداوليّينِ سيرل (Searle) و سادوك (Sadock) بدقة التفريق بين الملفوظات الاستفهاميّة التي تحتفظ بمعناها الحرفيّ والملفوظات التي لا تحتفظ به، فلم تكن احكاما جزافيّة دون استقراء دقيق للغة بشكل عام، ولغة النصّ القرآنيّ بشكل خاص، بل انمازت بأنّها أحكام عامة تندرج تحتها عدد كبير من التراكيب اللغويّة، بعيدة عن التعارض والتناقض، في حين أنّنا نجد فيما ذهب إليه فريقا التداوليين ما لا ينطبق على عدد ليس بقليل من الملفوظات الاستفهامية، ومن لطيف اشاراتهم قولهم: بأنَّ الأصل في الاستفهام المجازيّ هو الاحتفاظ بمعناه؛ وأنَّ المقام وجميع عناصر الخطاب المرتبطة بتركيب الاستفهام هي التي تحدد العلاقة بين صيغة الاستفهام والمغزى غير المباشر، أمّا الانسلاخ من أصل المعنى فيكون بوجود عوامل معينة تخرجه عن أصل معناه، مُرجِعين ذلك الى عاملين اساسيين، أولهما سياقي لغويّ، وهو ما اقتضته قواعد اللغة، كما هو الحال في همزة التسوية، وهل التي تليها أداة الاستثناء (إلّا)، والآخر تمثّل بعرفية الاستعمال، ذلك أنَّ الاستعمال يمنح الملفوظات معاني غير معناها الأصل من دون أنْ يكون للمقام دخل في ذلك.

النتائج:

بعد أنْ وصلت سفينة البحث إلى مرساها لا بُدَّ من عرضٍ لأهم النتائج التي توصل إليها:

١- إنَّ معنى الاستفهام المجازيّ إذا كان متولِّدًا بمعونة قرائن الأحوال فهو يحتفظ بالمعنى الحرفيّ لصيغة الجملة، فضلًا عن المعنى غير المباشر، لكن المعنى غير المباشر تكون له الصدارة فيصبح القوة الإنجازية الأولى والاستفهام يمثل القوة الإنجازية الثانية.

٢- إنَّ الاستفهام المجازيّ لا يحتفظ بمعناه الحرفي إذا كان المعنى غير الحرفيّ متأتياً من استعمال قد شاع وتعورف عليه، والنطق به ينقل ذهن المتلقّي الى المعنى غير الحرفي دون المعنى الأصل، أو أنّ النظام اللغويّ فرض معنى معيناً على التركيب المكون له؛ لأنَّه يصبح في هذه الحال كالمصطلح المسبَّك والمتعارف عليه في هذا المعنى.

٣- إنَّ العوامل التي تُخرجُ الاستفهام عن معناه خروجاً تاماً وتُخلِصُهُ للمعنى الجديد نوعان عوامل لغوية تمثلت بتقدم كلمة سواء على الهمزة، وبأداة الاستثناء (إلا) إذا تلت حرف الاستفهام (هل)، وأُخرى غير لغوية تمثلت بعرفيّة الاستعمال.

٤- كانت الرؤية العربيّة لاحتفاظ الاستفهام بأصل معناه والانسلاخ منه أكثر دقّة من رؤية التداوليين، وقد انمازت بأنّها رؤية مبنية على أحكام عامة يندرج تحتها عدد كبير من التراكيب اللغويّة، بعيداً عن التعارض والتناقض، في حين أنّنا نجد فيما ذهب إليه التداوليون ما لا ينطبق على عدد ليس بقليل من الملفوظات الاستفهامية وهذا يؤشر قصوراً في الرؤية ونقصاً في الاستقراء عندهم.

٥- لم يغفل المفسرون عن بيان الوشائج الرابطة بين معنى الاستفهام والمعنى الجديد الذي أفاده وتحوّل إليه بشكلٍ تامّ، فضلاً عن التعليل والتسبيب لذلك التحول، وهي استراتيجية إقناعيّة للتأثير في المتلقي وحمله على الاعتقاد بصحة رأيهم وهو ما لم نجده عند أرباب نظرية الأفعال الكلاميّة غير المباشرة.

ثبت المصادر والمراجع:

- **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداوليّة:** عبد الهادي بن ظافر الشهريّ ، ط١، دار الكتب الجديدة، بيروت- لبنان، ٢٠٠٤م.
- **الأغاني:** لأبي الفرج الأصفهانيّ (٣٥٦هـ)، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، ١٩٥٠م.
- **الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية:** د. خالد ميلاد، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠٠١م/ ١٤٢١هـ.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاويّ (ت ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ.

- **أهمية الحجاج في ممارسة التواصل الانسانيّ:** حسن بدوح، بحث ضمن كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، إشراف حسن خميس الملخ، ط١، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن، ٢٠١٥م
- **الايضاح في شرح المفصل:** لابن الحاجب أبي عمر عثمان بن ابي بكر بن يونس (٦٤٦هـ)، تح: أ.د. إبراهيم محمد عبدالله، ط١، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق- سوريا، ٢٠٠٥م.
- **البحر المحيط في التفسير:** محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسيّ (٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، ط١، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ.
- **التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد:** محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسيّ (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.
- **التعبير الاصطلاحي، دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية:** كريم زكي حسام الدين، ط١، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة- مصر، ١٤١٥هـ.
- **تعديل القوة الإنجازيَّة دراسة للتحليل التداولي للخطاب:** محمد العبد، بحث ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة: تنسيق وتقديم: د. حافظ اسماعيلي علوي، ط١، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن، ٢٠١١م.
- **التفسير البسيط:** لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحديّ (٤٦٨)، تح: د. محمد بن صالح بن عبدالله الفوزان، ط١، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- السعوديّة، ١٤٣٠هـ.
- **تفسير الرازيّ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير:** أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازيّ خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ.
- **تفسير القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة- مصر، ١٩٦٤ م، ١٣٨٤ هـ.
- **تفسير الماتريدي، تأويلات أهل السنة:** الامام ابي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريديّ (٣٣٣هـ)، تح: مجدي باسلّوم، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥م
- **تفسير المنار، تفسير القرآن الحكيم:** محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين (ت ١٣٥٤هـ)، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٩٠ م.
- **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان:** نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوريّ (ت ٨٥٠هـ) تح: الشيخ زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٦ هـ.

- **التيسير في التفسير:** نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد الحنفي النسفيّ (٥٣٧ هـ)، تح: ماهر أديب حبوش وآخرون، ط١، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، ٢٠١٩ م ١٤٤٠هـ.
- **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي:** شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي الخفاجيّ (ت ١٠٦٩هـ)، د. ط، دار صادر – بيروت، (د.ت).
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:** لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، (د.ط)، دار القلم، دمشق– سوريا، (د.ت)
- **ديوان دريد بن الصمة:** تح: الدكتور عمر عبد الرسول، (د.ط)، مطبعة دار المعارف، القاهرة– مصر، (د.ت).
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسيّ (ت ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ.
- **العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي:** جون سيرل ، تر: سعيد الغانمي، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٦م.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:** محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني الشوكانيّ (ت ١٢٥٠هـ)، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، ط٤، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ٢٠٠٧م.
- **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطِّيبيّ على الكشاف:** للإمام شرف الدين الحسين بن عبدالله الطِّيبيّ (ت٧٤٣هـ)، مجموعة من الممحققين باشراف د.محمد عبدالرحيم، ط١، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وحدة البحوث والدراسات، دبي– الامارات، ٢٠١٣م.
- **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام:** الدكتور طه عبدالرحمن، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٠م.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل:** جارالله محمود بن عمر بن محمّد الخوارزميّ الزمخشريّ (٥٣٨هـ)، تح: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط١، مطبعة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م.
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن:** أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبيّ (ت ٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢ م ،١٤٢٢هـ.
- **لسان العرب:** لابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ)، (د.ط)، دار صادر، بيروت– لبنان، (د.ت)

- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل:** ابي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفيّ(٧١٠هـ)، تح: يوسف علي بديوي، مراجعة: محي الدين ديب، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م:
- **معاني القرآن:** لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، (د.ت).
- **المقاربة التداولية:** فرانسواز أرمينكو، ترجمة : سعيد علوش، (د.ط)، مركز الإنماء القومي، الرباط– المغرب، ١٩٨٦م
- **نظرية افعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام:** جون أوستن، ترجمة: عبد القادر قينيني، (د.ط)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩١م.
- **نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي:** هشام إ. عبد الله الخليفة، ط١، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البِقَاعيّ (ت ٨٨٥هـ)، (د.ط)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة– مصر، ١٩٨٤م.
- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحديّ (ت ٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، دمشق– سوريا، ١٤١٥ هـ.

الهوامش

[١]) العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي: جون سيرل، تر: سعيد الغانمي، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٦م: ٢٠٦.

[٢]) نظرية افعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام: جون أوستن، ترجمة: عبد القادر قينيني، (د.ط)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩١: ٩٣.

[٣]) ينظر: المقاربة التداولية: فرانسواز أرمينكو ، ترجمة : سعيد علوش، (د.ط)، مركز الإنماء القومي، الرباط– المغرب، ١٩٨٦: ٧١.

[٤]) نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي: هشام إ. عبد الله الخليفة، ط١، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م: ١٥٨.

[٥]) أستاذ علم اللغة في جامعة شيكاغو، ومتخصص بنظرية أفعال الكلام له مؤلفات لغوية منها: نحو نظرية لغوية في افعال الكلام. Toward a Linguistic Theory of Speech Acts

[٦]) نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي: ٥١٠– ٥١١.

[٧]) الكشاف: جارالله الزمخشريّ (٥٣٨هـ)، تح: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط١، مطبعة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م: ٥/ ٢٠٣.

[٨]) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: الطيبيّ (ت٧٤٣هـ)، مجموعة من الممحققين باشراف د.محمد عبدالرحيم، ط١، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وحدة البحوث والدراسات، دبي– الامارات، ٢٠١٣م: ١٣: ١٢٥. والبيت من للفارعة بنت طريف الشيبانية التغلبية أخت الوليد بن طريف، وقيل اسمها ليلى. ينظر: الأغاني: ١٢/ ٩٣، ٩٦.

[٩]) ينظر: تعديل القوة الإنجازيَّة دراسة للتحليل التداولي للخطاب: محمد العبد، بحث ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة: تنسيق وتقديم: د. حافظ اسماعيلي علوي، ط١، عالم الكتب الحديث، اربد– الأردن. ٢٠١١م: ٣١٦.

[١٠]) البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسيّ (٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، ط١، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ: ٩٣/٩.

[١١]) الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: د. خالد ميلاد، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠٠١م/ ١٤٢١هـ: ٤١٣.

[١٢]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاويّ (ت ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤١٨هـ: ١/ ٦٨.

[١٣]) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب:٢/ ٤٢٦.

[١٤]) تفسير الرازيّ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازيّ خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤٢٠هـ: ١٢/ ٥٠١.

[١٥]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/ ١٥٧.

[١٦]) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجيّ (ت ١٠٦٩هـ)، د. ط، دار صادر – بيروت، (د.ت): ٤/ ٣٧.

[١٧]) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداوليّة: عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، ط١، دار الكتب الجديدة، بيروت– لبنان، ٢٠٠٤م: ٣٨٤.

[١٨]) ينظر: أهمية الحجاج في ممارسة التواصل الانسانيّ: حسن بدوح، بحث ضمن كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، إشراف حسن خميس الملخ، ط١، عالم الكتب الحديث، اربد– الأردن، ٢٠١٥م: ١١.

[١٩]) التفسير البسيط : لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحديّ (٤٦٨)، تح: د. محمد بن صالح بن عبدالله الفوزان، ط١، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض– السعوديّة، ١٤٣٠هـ: ٢/ ١٠٥.

[٢٠]) الكشّاف: ١/ ١٦٣.

[٢١]) المصدر نفسه.

[٢٢]) ينظر: الايضاح في شرح المفصل: لابن الحاجب أبي عمر عثمان بن ابي بكر بن يونس (٦٤٦هـ)، تح: أ.د. إبراهيم محمد عبدالله، ط١، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق– سوريا، ٢٠٠٥م: ١/ ٢٥٧.

[٢٣]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسيّ (ت ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ١٤٢٠م: ١/ ١٣١.

[٢٤]) تفسير الرازي: ١٥/ ٤٣١.

[٢٥]) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني الشوكانيّ (ت ١٢٥٠هـ)، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، ط٤، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ٢٠٠٧م: ٢/ ٣١٦. وينظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسيّ (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م: ٩/ ٢١٨.

[٢٦]) الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: ٤١٤.

[٢٧]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعيّ (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة– مصر، (د.ت): ٢٠/ ٨٥.

[٢٨]) تفسير القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبيّ (٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة– مصر، ١٩٦٤م: ١٧/ ١٨٢. وينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبيّ (ت ٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢م: ٢٥/ ٣٦٥.

[٢٩]) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق– سوريا، (د.ت): ٥/ ٤٥٩.

[٣٠]) البحر المحيط: ٢/ ٣٤٢. والبيت من الطويل لدريد بن الصمة. وفيه: وما أنا إلّا من ... ديوانه: ٦٢.

[٣١]) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: الدكتور طه عبدالرحمن، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٠م: ٣٨.

[٣٢]) تفسير الماتريدي، تأويلات أهل السنة: الامام ابي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريديّ (٣٣٣هـ)، تح: مجدي باسلّوم، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥م: ٦/ ٣٨٧.

[٣٣]) الكشّاف: ١/ ٢٩٠.

[٣٤]) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: ٣/ ٤٥٢– ٤٥٣.

[٣٥]) ينظر: التيسير في التفسير: نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد الحنفي النسفيّ (٥٣٧ هـ)، تح: ماهر أديب حبوش وآخرون، ط١، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، ٢٠١٩م: ٥/ ٤٥. وينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوريّ (ت ٨٥٠هـ) تح: الشيخ زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٦هـ: ١/ ٦٦٠.

[٣٦]) التعبير الاصطلاحي، دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية: كريم زكي ، ط١، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة– مصر، ١٤١٥هـ: ٣٤.

[٣٧]) لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (٧١١هـ)، (د.ط) دار صادر، بيروت– لبنان، (د.ت): ١٤/ ٢٩٩.

[٣٨]) معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفرّاء (ت ٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، (د.ت): ١/ ٣٣٣.

[٣٩]) التحرير والتنوير: ٧/ ٢٢٢.

[٤٠]) الكشّاف: ٤/ ٥٠.

[٤١]) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، دمشق– سوريا، ١٤١٥هـ: ٣٥٣.

[٤٢]) نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي: ١٥٥.

[٤٣]) تفسير المنار، تفسير القرآن الحكيم: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة– مصر، ١٩٩٠م: ٧/ ٣٤١.

[٤٤]) التحرير والتنوير: ٧/ ٢٢٢.

[٤٥]) الكشّاف: ٦/ ٤٠٥.

[٤٦]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥/ ٣٢٦.

المنهج التمثيلي دراسة في النظرية والإجراء

م. د. جاسم جعيز منخي*

الكلمات المفتاحيّة: المنهج، والتمثيل، والنظرية، والإجراء

The representational approach a study in theory and procedure

Keywords: classes, representation, theory, procedure

المستخلص:

يستندُ الإنسانُ في فهمه للأشياءِ المحيطة به إلى صور متشابهة يقارب بينها في ذهنه وبين الواقع الذي يمرّ به وهو سائرٌ تُجاه الحقيقة، فالطبيعة الإنسانية تؤمن بأن يكون هناك مثالٌ وأنموذج يُشاهَد ثم يُستنسخ فعلُه أو قولُه أو تقريرُه، وإلى هذه الحقيقة أشار القرآنُ الكريم ﴿ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾، من هنا دعت الضرورة إلى وقفةِ تأمّلٍ لنحاولَ أن نقترفَ منهجًا خاصًّا بالتمثيل (المنهج التمثيلي) له ضوابطه ومعاييره وأنواعه، كالمناهج العلمية الأخرى (المنهج الوصفي، والتاريخي، والمقارن)، وذلك لأنّ بنية التفكير الإنسانيّ تميل دوما إلى التمثيل للوصول إلى حقائق الأمور.

Abstract:

Man bases his understanding of the surroundings on similar images which he compares in his mind with the reality he experiences in his marching to facts. Human nature believes that there is an example or a model seen and then its action, saying and verification is copied and the Holy Qur'an refers to this fact by saying "And you had a good example in the Messenger of Allah." Accordingly, it is necessary to try to pick out a model related to representation (representative methodology) that has rules, criteria and types as other scholarly methodologies such as the descriptive, historical and contrastive because the structure of human thought always tends to use representation to reach the facts of things.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على خير من مثّل منظومة القيم فكرًا وسلوكًا محمَّد وآله الَّذين أَذْهَبَ الله تعالى عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرًا. وبعدُ، فإنّ مَن يفتشّ في النصوص قديمًا وحديثًا يجد أنّه ليس هناك نصٌّ في الوجود قابلٌ للفهم ما لم يرتدِ جُبّة المثل ليتسلل إلى أذهان قارئيه؛ وهذا المثَل يترشح إلى صور واتجاهات مختلفة بحسب العناصر التواصلية الحاضنة له –النص والمتكلم والمتلقي–، ولما كان المثل راسخًا في الذّهن بوصفه جسرًا يصل بالمتكلم إلى ناحية الإفهام كان ينبغي أن يكون للتمثيل منهج مستقلّ له ضوابط، ومعايير، وأنواع، تستأهل الوقوف عندها ومكاشفتها، وكان ينبغي أن يدرج منهج التمثيل مع مناهج البحث العلمي، مثل: المنهج الوصفي، والتاريخي، والمقارن، وغيرها،

* كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)
الايميل الرَّسميّ: jassim.jaez@alkadhum-col.edu.iq

ولإيضاح هذه الفكرة سيأتي البحث مقسّما على مدخل تعريفي بالتمثيل، ثم صورة التمثيل في الأذهان، فمعايير التمثيل، ثم أنواعه. ويرى الباحث أنّ هذا المنهج صالح لكلّ التخصّصات، فالمثال حاضر في كلّ تخصّص، والبحث يركّز على تأصيل الفكرة وليس هو استقراء للعينات والأمثلة في كلّ تخصّص، بل سيكون اختيار العينات مستوحى في أغلبه من دائرة التخصّص التي ينتمي إليها الباحث، مع اعتقاده أنّ هذا المنهج صالحٌ لكلّ التخصّصات.

١. مدخل تعريفي بالتمثيل:

المثل أصل يدلّ على مناظرة الشيء للشيء، فقولنا: هذا مِثْل هذا، أي: نظيره، والمثل المضروب مأخوذ من جهة أنّه يُذكر مورَّى به عن مِثله في المعنى، وقولهم: مثّل به، إذا نكّل، أي: أنّه جُعِل مثالًا لكلّ من صَنعَ ذلك الصنيع الذي أدّى إلى التنكيل/ التمثيل به. والمثُلات، في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ الْمَثُلاتُ﴾ (الرعد ٦)، أي: العقوبات التي تنزل بالإنسان فتُجعَل مثالا ينزجر به ويرتدع غيره[١].

وفي الاصطلاح يرى أبو حيّان أنّ المثل "القول السائر الذي فيه غرابة من بعض الوجوه، وقيل: المثل، ذكر وصف ظاهر محسوس وغير محسوس، يُستدلّ به على وصف مشابه له من بعض الوجوه، فيه نوع من الخفاء ليصير في الذهن مساويًا للأوّل في الظهور من وجه دون وجه"[٢]. ويقول الراغب الأصفهاني: "المثل عبارة عن قول في شيء يُشبه قولًا في شيء آخر بينهما مشابهة ليُبيّن أحدها الآخر ويصوّره"[٣]. وقال ابن السكيت: "المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه"[٤].

وبهذا اللحاظ فالغاية من المثل أيًّا كان نوعه هو تحقيق التواصل مع القارئ أو المتلقي بنحو يحقّق الإفهام والإبلاغ.

٢. ابستمولوجيا التمثيل:

للتّمثيل في الذهن البشريّ أولويّة ومكانة في إدراك حقائق الأشياء، فلا غنى للعقل عن التّمثيل إيرادا وتلقّيًا، فالتّمثيل أضحى علامة تواصليّة تؤتي مرادها إذا كان التّمثيل مسوقا على وفق المعايير المطلوبة لنجاحه في تحقيق التواصل المطلوب.

فالطبيعة البشريّة تجنح إلى البحث عن أمثلة من الماضي أو الحاضر في مسار البحث والتفكير وغيرهما، فكأنّ الذهن البشريّ جُبِل على التفكير بالتمثيل لفهم وإدراك حقيقة الأشياء ولا سيما المجرّد منها، فالغراب كان معلّما للإنسان حتى يخطو سبيله ويجعله مثالا له في طريقة مواراة الجسد في الأرض، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾ (سورة المائدة ٣١).

وجاءت فكرة التمثيل لما هو مجرّد وأنّه لا غنى للذهن عن التّمثيل –الأمر الذي يستدعي أن يكون التّمثيل منهجا له معايير وضوابط– بما أورده الباري عزّ وجل في القرآن الكريم من تمثيل جاء منسجما لنظريته، ومطابقا لمتلقيه البشر، ومحقّقا لقصده، وصولا لمراده ومبتغاه. وكذلك ما جاء على لسان النّبيّ الكريم (صلّى الله عليه وآله)، وما تضمّنه نهج أمير المؤمنين (عليه السلام) من تمثيلات

أثبتت حقيقة الإله والأفكار المجرّدة، ويوجز أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) فكرة مجيء الأفكار والكلام على منوال التكرار بقوله: "لولا أن الكلام يعاد لنفد"[٥] وفي ذلك إشارة بيّنة إلى أنّ الإنسان يفكر بالنظير والشبيه في كلّ نتاجاته، ومن هنا يأتي المثال صورة عاكسة للتفكير الذهني الذي يحاول إيصال المعاني المجردة بإلباسها أمثلة موضّحة لها. وممّا جاء على لسان الإمام عليّ (عليه السلام) مصدّقًا أنّ الإنسان يأنس بالمثال الحسّيّ ليُدرك الحقائق المجرّدة، قوله واصفًا ملك الموت (عليه السلام): "هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَ يَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ"[٦]. فالإمام علي (ع) يبرهن عمليًّا بطريقة التمثيل الحسّيّ على عجز الإنسان عن إدراك حقيقة الإله؛ وذلك بعجزه عن إدراك حقيقة وظيفة من وظائف مخلوق مثله؛ ولعل الذي استدعى هذه المقاربة بين المعنى والمادّة في نصّ الإمام عليّ (ع) المتقدّم هو "أنّنا لا نفهم المعاني ونتصوّرها إلا في إطار تجاربنا الجسديّة في محيط عيشنا"[٧]، وفي ذلك إشارة إلى أنّ طبيعة الفهم في الذهن البشريّ قائم على ربط المفاهيم بالمتصوّر الماديّ، أو ربط الأشياء بالعالم الحسّيّ، وهذا الفهم يعدّ سببًا رئيسًا دعا القرآن الكريم إلى مقاربة المعقول بالمحسوس في إيراده القضايا العقديّة المتصلة بالله تعالى من إضافة أوصاف من أمثال (اليد والعين والكلام وغيرها) لله تعالى؛ لإيصال المعنى إلى ذهن المتلقّي بطريق المشاهدة، ولكنّ المراد غيرها بدلالة متصلة بين اللفظ وقصدية المراد.

وفي سياق النظر إلى التمثيل بوصفه قضيّة تأسيسيّة لفهم العالم ينقل محمود زيدان في (مناهج البحث الفلسفي) قول الأستاذة دوروثي إمت الآتي: "الميتافيزيقا طريقة تمثيليّة في التفكير، إذ تتناول بعض التصوّرات المشتقّة من الخبرة، أو بعض العلاقات في مجال الخبرة، ثم تعمّمها؛ لكي تقول شيئًا عن طبيعة الوجود، أو لتقترح طريقة ممكنة لفهم نماذج أخرى من خبرات تختلف عن تلك التي بدأنا منها تصوراتنا"[٨]، فالتعميم ارتكز إلى استحضار المثال في الذهن واستنساخه في نماذج جديدة، ويورد إدوارد سعيد في السياق نفسه حقيقة ضرورة التفكير بالتّمثيل بقوله: "وعلينا أن نأخذ مأخذ الجدّ الملاحظة الثاقبة التي أبداها ميشيل (فيكو) والتي تقول إنّ البشر هم الذين يصنعون تاريخهم وإنّ ما يستطيعون أن يعرفوه محدود بما صنعوه، وأن نطبق هذه الملاحظة على الحقائق الجغرافيّة، فندرك أنّ البشر هم الذين صنعوا ويصنعون المحلّيات والمناطق والقطاعات الجغرافية، من أمثال الشرق والغرب، فكلّ منهما كيان جغرافيّ ثقافيّ، ناهيك بكونه كيانًا تاريخيًّا. وهكذا فإنّ الشرق، شأنه في هذا شأن الغرب نفسه، يمثّل فكرة لها تاريخ وتقاليد فكريّة، وصور بلاغيّة، ومفردات جعلتها واقعًا له حضوره الخاصّ في الغرب وأمام الغرب. وهكذا فإنّ الكيانين الجغرافيين يدعمان بعضهما البعض، كما إنّهما – إلى حدّ ما – يعكسان صور بعضهما البعض"[٩]. فسعيد يشير في نصّه إلى حقيقة التناص اختيارًا تارة، وقهرًا بلا إجبار* تارة أخرى؛ ليؤكد أنّ التمثيل واستنساخ تجارب الآخرين بنية راسخة لدى البشر، ولعلّ هذا الأمر مؤكّد في نصّ كتاب الله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران ١٤٠)،

وهذا النصّ الإلهي يكسر مقولة (إنّ التاريخ يعيد نفسه)، ويؤكد رسوخ البنية في الحياة الثقافيّة للبشر[١٠]، أي: ليس التاريخ بوصفه زمنًا يعيد نفسه، بل البنية هي من تكرر نفسها في المجتمع، ويقول بول ريكور: "إذا ما قُيِّض للوظيفة السرديّة، عبر نمط تقليديتها أن تدّعي شيئًا من الديمومة، لزم أن يستند ذلك إلى قيود لا تعتمد التعاقب الزمني، باختصار، هنالك ضرورة للعبور من التاريخ إلى البنية"[١١].

فإذا كان التفكير البشريّ لا ينفكّ عن التّمثيل في إيصال مراده ومعناه، فلا بدّ من نظام يخضع له المثال لينضبط في إطار نظريّة تتكفّل بخلق تكاملٍ بين الفكرة وما يُساق لها من مثال، ومن ثمّ يكون النصّ متّسقةً أجزاؤه.

٣. معايير التمثيل:

الأول: المطابقة:

يوجز فؤاد زكريا مفهوم التفكير العلمي بأنّه "أن يكون منظّمًا"[١٢]، أي: الانتقال من فكرة إلى أخرى، مع مراعاة الانتقال السليم في إيصال الفكرة الواحدة؛ ولتحقيق ذلك ينبغي أن يكون المثل المجتلب لإيصال الفكرة ينتمي إلى الانسجام مع الفكرة المراد بيانها.

مثال على هذا المعيار ما أورده الكُلينيّ في كتابه أصول الكافي في محاجّة هشام بن الحكم عمرو بن عبيد، إذ تذكر الرواية في إيراد هشام الحادثة للإمام الصادق (ع): "بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة... ثمّ قلت: أيها العالم: إنّي رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟... قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص. قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشمّ به الرائحة. قلت: ألك فمٌ؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم. قلت: فلك أذنٌ؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميّز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواسّ، قلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة، قال: يا بُنيّ إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشكّ، قال هشام: فقلت له: فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح، قال: نعم، قلت: لا بدّ من القلب وإلّا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إمامًا يصحّح ويتيقّن به ما شك فيه، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم، لا يقيم لهم إمامًا يردّون إليه شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك إمامًا لجوارحك تردُّ إليه حيرتك وشكّك؟! قال: فسكت ولم يقل لي شيئًا..."[١٣]، فنلحظ أنّه قد استدلّ على عقيدة الإمامة بعقد مقابلة في ردّ الشكّ والحيرة بين الناس من جهة الرجوع إلى الإمام، وبين الجوارح من جهة الرجوع إلى القلب، وهذا مثال تناغمت فيه الفكرة وتجلّى فيه الانسجام، فكانت الحجّة القويّة التي اسكتت الآخر.

وكذلك مثال إثبات القدرة للإله في محاجّة النّبيّ إبراهيم مع النمرود بقوله ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ (البقرة ٢٥٨)، فهذا مثال يتناسب مع الفكرة المطروحة بعد محاولة النمرود تضليل المسألة بإيهام المتلقي أنّه يستطيع الإحياء والقتل، فساق له النّبيّ إبراهيم مثالًا لا تصل إليه يده لذا ﴿فبهت الذي كفر﴾ (البقرة ٢٥٨).

وممّا ورد من الأمثلة غير مراعيًا للمعيار المذكور، أي: إنّه مخالفٌ للفكرة، ما أورده ابن عقيل في دخول اللام على الفعل شرحا لقول ابن مالك: "ولا من الأفعال ما كرضيا"[١٤] في موضوع (إن وأخواتها) إذ قال: "فإن كان الفعل مضارعًا دخلت اللام عليه، ولا فرقَ بين المتصرّف نحو: "إن زيدًا ليرضى"، وغير المتصرّف نحو: "إن زيدًا ليذرُ الشرّ"[١٥]، إذ لم تتفق كلمة النحويين على أن الفعل (يذر) غير متصرّف، بل إنّه متصرّف تصرّفا ناقصا؛ لأنّه جاء منه الفعل الأمر، كما في قوله تعالى: "فذرني ومن خلقت وحيدًا".

وممّا تقدّم فإيصال الفكرة بمثال يتلاءم وينسجم مع طبيعة الفكرة شرط في اتّساق النصّ واكتمال عناصره ليحقّق التواصل الإيجابي مع المستهدَف من النصّ.

الثاني: سياق المقام للمتلقّي:

يُراعى في هذا الموضوع ثلاثة مناحي تشكّل سياق المقام، هي: الزمان، والمكان، وثقافة المتلقي أو المستهَدف من النصّ مكتوبًا أو ملفوظًا، وبذلك تتحقق المطابقة بين الفكرة والتّمثيل، فالمثال ينبغي أن يكون مراعيًا طبيعة المتلقي وثقافته والظروف الاجتماعيّة التي يصدر فيها المثال، وبذلك يمكن أن تتحقق المطابقة بين النظريّة والإجراء. مثال على ذلك أنّ سيبويه في اختياره الأمثلة النحويّة يراعي المناحي الدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، فالمثل "يحمل دلالة تاريخيّة اجتماعيّة على عصر معين أحيانا، فلا يوجد في كتب النحو القديمة مثال يدلّ على أسلوب الحال بجملة "انطلقت السّيارة مسرعة"؛ لأنّ السّيارة بمفهوم العربة الآلية التي نعرفها لم تكن موجودة قبل عدّة قرون، كما تشير الجملة الفعليّة "اعتق زيد جاريته" إلى ظاهرة الجواري والعبيد وهي الظاهرة التي لم يعُدْ لها وجود فعليّ في عصرنا.... فالمثال في كتاب سيبويه يرسم بعض أبعاد مجتمع البصرة في القرن الهجري الثاني... ولم يكن شيوع اسم "عبدالله" و "زيد" في أمثلة سيبويه إلا دلالة على شيوع هذين الاسمين في مجتمع سيبويه البصري، فليست لاسم "عبدالله" دلالة نحويّة تختلف عن اسم "عبد الرحمن" او "امرئ القيس" أو "عبد الملك" أو غيره، كما ليس لاسم "زيد" دلالة نحويّة تميّزه عن اسم "معن" او "بكر" او "خالد" او "خليل" او "مازن" او غيره. والملاحظ أن سيبويه يكثر من اسم "عبدالله" في كتابه وهو اسم له دلالة دينيّة لاضافته إلى لفظ الجلالة لهذا لا يكاد سيبويه يستعمله في موطن الذمّ أو التّحقير في الجملة، بل يأتي به في السياق المقبول اجتماعيًّا"[١٦]. فالمثال يعدّ علامة دالّة على سياق الحال والمقام وصولًا إلى الاستدلال على فكرة ما. وهذا المنوال إن رُوعيت فيه الضوابط العلمية في إيراد التمثيل فسيكون المثال وثيقة تاريخيّة كاشفة عن الثقافة التي ينتمي إليها المجتمع في زمن التأليف، فبالنظر إلى ما أورده كتاب سيبويه من أمثلة ندرك طبيعة

السلوك الاجتماعيّ، فمثلا إيراد سيبويه المثال "ضرب زيد عمرًا"[١٧] و "السوط ضربت به"[١٨] و "السوط ضرب به زيد"[١٩] يكشف عن أنّ المنهج التربوي في المجتمع البصري يتخذ من الضرب أسلوبا تربويًّا. إذن المثال الذي يُراعي السياقات العلميّة يمكن أن يعتمَد في الكشف عن شتّى القضايا المتّصلة بالمجتمع ثقافيًّا، واجتماعيًّا، وتربويًّا، وغيرها.

الثالث: الوضوح:

ينبغي أن يتّسم ما يُساق من أمثلة لبيان فكرةٍ ما أن يتّسم بالوضوح والبيان، فليس من السليم في تكوين النصوص الناجحة أن يكون ما يُذكَر فيها من أمثلة صفتُه الإبهام والغموض، فعندها تنقطع شفرة التّواصل في إيصال المراد للمتلقّي، فمراعاة وضوح المثال للمتلقّي يضفي على النصّ سمة التواصل.

والأمثلة المتّسمة بالوضوح كثيرة في شتى التخصصات العلمية والإنسانية، ومن ذلك ما ذكره ابن الحاجب في كافيته بيانًا للمفعول له بقوله: "المفعول له: هو ما فُعِل لأجله فعل مذكور مثل: ضربته تاديبًا، وقعدت عن الحرب جبنًا..."[٢٠]، فالأمثلة المساقة لبيان المراد بالمفعول له اتّسمت وفقا لما أرى بالوضوح وأوصلت المراد.

ولكن قد يكون الغموض مرادًا لدى المتكلم لقصدية يريدها في المثال، ويتجلّى هذا المعنى فيما سيأتي من بيان لأنواع التمثيل، وتحديدًا (التمثيل بالمجهول).

الرابع: الإيجاز:

يطّرد في الأمثلة بشتى أنواعها سمة الإيجاز، فهو يعدّ سمة بلاغية مهمّة، بل إن بعضهم عدّه حدًّا للبلاغة[٢١]، وقد يتطلّب الإسهاب في بعض الأمثلة التعليمية عند الحاجة لذلك؛ ولكنه يبقى الإيجاز السّمة التي ينبغي أن يتّصف بها المثال المساق لبيان فكرة ما.

٤. أنواع التّمثيل:

يأخذ المثال مساراته واستراتيجياته من الفكرة التي يسعى إلى إيضاحها بنحو ضيّق، ومن المجال الذي تنتمي إليه الفكرة المبانة بالمثال بنحو أوسع، ولما كان البحث يهتم بالتأصيل للمنهج التمثيلي ولا يهتم بإيراد المثال وفقًا للتخصصات، فإنّه سيورد أنواع التّمثيل من دون العناية بأن يذكر الأمثلة وفقا لتخصّص معين، وهذه الأنواع:

الأول: التّمثيل التّعليميّ.

يمتلك هذا النوع من التّمثيل سمة التّخصص، أي: أنّ المثال الذي يساق في الكتب التعليميّة لأصحاب التّخصّصات العلميّة يختلف عن المثال الذي يساق لأصحاب التّخصّصات الإنسانية، وكذلك تختلف الأمثلة بين التّخصّصات العلميّة فيما بينها، وذلك تبعا للموضوع المدروس. ولكن ينبغي الالتفات في هذا النوع من التّمثيل إلى أنّ التّمثيل التّعليميّ المؤثّر والنّاجح في تحقيق التواصل المحمود أو الإيجابيّ هو التّمثيل الذي يتّصل بالواقع ويستقي أمثلته من الحياة العمليّة للجهة المستهدَفة في الخطاب،

ولعلّ غياب هذا المنوال في بعض المؤلفات يجعل إيحاشا بين النصّ والمتلقي فيها؛ لأنّ المثال حينها سيكون بعيدًا عن التّصورات المعاشة، بل إنّ ذلك يُفقدها قيمتها في الواقع العمليّ.

ومن التّمثيل التعليمي إيراد ابن مالك المثال عوضًا عن ذكر القاعدة في مواضع من ألفيته، منها في حديثه عن الفاعل بقوله: "الفاعل الذي كمرفوعي أتى زيد، منيرًا وجهه نعم الفتى"[٢٢]، فقد استغنى عن ذكر حدّ الفاعل وأنّه قد يكون الفاعل مرفوعًا بالفعل المتصرّف والفعل غير متصرّف، أو يكون مرفوعا بما يشبه الفعل مثل (اسم الفاعل أو الصفة المشبّهة أو اسم الفعل)، وأوجز ذلك التّفصيل بالأمثلة التي أوردها بدل ذكره قاعدة الفاعل.

ومن أمثلته أيضا ما أورده الخليل في معجمه تعليقًا على مادة (دحق)، إذ جاء فيه: "الدّحْقُ: أن تقصُر يدُ الرجل وتناولُه عن الشيء، تقول: دحَقْتُ يدَه عنه. وتقول: أدحقَه الله، أي: باعدَه عن كلّ خير. ورجل دحيق مُدْحَق: مُنَحًّى عن الناس والخير"[٢٣]، فإيضاحه بالأمثلة التي أوردها بيانًا للجذر (دحق) يندرج في مسار الأمثلة التعليمي. ومن الضروي في هذا التّمثيل تحقيق الوضوح والإيجاز فضلا عن المعايير الأخرى المتعلقة بالتّمثيل؛ لإيصال الرسالة من الباثّ إلى المستقبِل، ووعيها وفقا لمراد منتجها.

الثاني: التّمثيل المعرفيّ أو البيانيّ

في هذا النّوع لا ينظر المنتج أو المؤلّف للنصّ إلى ضرورة أن يراعي المتلقي، بل يسعى إلى إعطاء الفكرة والنّصّ قيمته المعرفيّة بحسب ما يمتلك من قدرة علميّة في التّحليل وإيراد الأمثلة. فقد يكون التّمثيل ليس لغاية تعليميّة، بل لغاية مرتبطة في إعطاء المعنى المقصود حقّه.

وممّا جاء مساوقًا لهذا النّوع من التّمثيل ما أورده ابن فارس في بعض معجمه (مقاييس اللغة) بإرجاعه الجذر اللغويّ إلى أصل واحد أو أصلين، وحمل ما يشبه هذا الجذر إلى الأصل المذكور ليجمعها بمعنى مركزيّ واحد، من ذلك ما ذكره في التعليق عن مادة (بذر) إذ جاء في مقاييس اللغة "الباء والذال والراء أصل واحد، وهو نثر الشيء وتفريقه، يقال: بذرْتُ البَذرَ أبذُرُهُ بَذرا، وبذّرت المال أُبذّرُه تبذيرًا، قال الله تعالى: ﴿ولا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (الإسراء/ ٢٦-٢٧)، والبُذُر القومُ لا يكتمون حديثًا ولا يحفظون ألسنتهم؛ قال عليٌّ عليه السلام: "أولئك مصابيحُ الدّجى، ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البُذُر"، فالمذاييع الذي يذيعون، والبُذُر الذين ذكرناهم"[٢٤]، فحمل معنى البُذُر على المعنى المركزي الذي أورده في مادة (بذر) فهم ينثرون الكلام ويفرقونه من دون رويّة ولا تأمّل فيه، كالذي ينثر الحبّ ويفرّقه بنحو فوضويّ.

ومن صور التّمثيل الذي يستأهل أن يكون تمثيلًا معرفيًّا ما ذكره الإمام عليّ (عليه السلام) في إثبات العجز البشري من أن يُدرك حقيقة الإله، وذلك ببيان عجزه عن معرفة صفة قبض ملك الموت الجنينَ في بطن أمّه، إذ قال: "هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا؟! أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً؟! بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؟! أَ يَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا؟! أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟! أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟! كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!"[٢٥]، فيعطي الإمام (عليه السلام)

برهانًا عمليًّا يثبت عجز الإنسان تجاه الخالق، بإعطائه صورًا حسيّة متخيّلة مساقة باستفهامات غايتها الوصول إلى حقيقة قبض الجنين في بطن الأمّ، ولم تصل؛ لينتقل بعدها إلى أنّ العاجز عن صفة المخلوق كيف له أن يدرك صفة الخالق.

الثالث: التّمثيل بالمجهول

قد يورد المتكلم أمثلة ليست على غرار المعهود بأن يذكر فكرة تتطلب مثالا معلوما للسامع ليتضح لديه المعنى، بل إنّه يورد أمثلة يجهلها السامع لغاية وقصد يروم المتكلم تحقيقه وإيصاله للسامع من هذا الطريق.

مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿طلعها كأنّه رؤوسُ الشياطين﴾ (الصافات ٦٥)، فالقرآن أراد أن يشبّه الطلع لشجرة الزقوم ليقرّب المراد، ولكنّه ظاهرًا عقّدها أكثر؛ لأنّه مثّل بما لا يُتصوّر وبما ليس له صورة ظاهرة في الخارج فمن منّا قد رأى رأس شيطان؟ فكيف وهي رؤوس الشياطين. فما العلة؟ وهل هناك قصدية في هذا الإيراد؟

أورد المفسرون أكثر من وجه في ذلك، أكتفي هنا في ذكر ما أراه منسجما مع قصديّة التّمثيل، إذ ذكروا أنّ "قُبح صور الشياطين متصوّر في النفوس، لذلك يقولون لما يستقبحونه جدًّا: كأنه شيطان، فشبّه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرّت بشاعته في قلوب الناس، قال الراجز:

أبصرتُها تلتهم الثعبانا شيطانةً تزوجت شيطانا"[٢٦]

وفي التّشبيه القرآني برؤوس الشياطين فضاء متعدد التصور وفقا للرؤية السيميائية للنّصّ، فكأنّ النصّ القرآنيّ يريد أن يأخذ تصوّر الشيطان برسومات قبيحة متعدّدة في أذهان المتلقين، وهذا ما صوّرته الأفلام التي ضمّنت صورًا للشيطان، فتجد أنّ كلّ فلمٍ يعطي صورة مختلفة عن صورة الشيطان في الفلم الآخر، ولكنّها جميعا تتفق بقباحة هذا الشيطان؛ فلعلّ النصّ كان قاصدًا تعدّد القبح بحسب كلّ متلقٍ وتصوّره لهذا القبح الشيطاني[٢٧]، والله تعالى اعلم.

وقد يأتي التمثيل في النصّ القرآني مرتبطًا بظواهر علميّة أو غيرها لينكشف المراد بالتّمثيل، فهو تمثيل بالمجهول الظرفيّ، أي المرتبط بيانه بالزمن، بحسب تطوّر البشريّة، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام ١٢٥)، فلم يُفهم التّشبيه في الآية بالنّحو الدّقيق إلا بعد اكتشاف أنّ الإنسان كلما ارتقى في السماء قلّة نسبة الأوكسجين فيصعب عليه التّنفس، وذلك في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي حينما صعد الإنسان بالبالون للمرّة الأولى إلى طبقات الجو ظانًّا بأنّ الهواء ممتدّ إلى ما لا نهاية [٢٨]. فالآية المباركة تشبّه حالة معنويّة (ضيق صدر الكافر بسبب الضلال) بهذه الحالة الحسيّة (ضيق صدر الصاعد للسماء)، فالتّمثيل هنا تمثيل ظرفيّ، اتّضح مراده للمتلقي العام بعد إثبات الظاهرة العلميّة المذكورة آنفًا.

وكذلك قوله تعالى: "اذا الجبال سُيّرت"، إذ تقرر هذه الآية بالتأمل فيها والتدبّر تقرر حقيقة أن الجبال المذكورة في الآية ليست الجبال المعروفة، بل ما يُصنع من الجبال من آلات تتسم بالسير، فـ(إذا) الشرطيّة أضفت على الآية معنى زمن المستقبل، وصفة السير (سُيّرت) لا تتوافق مع الحقيقة الخارجيّة، فالجبال شامخة وتسير في وقت نزول هذه الآية. ومن ذلك يتّضح أنّ القرآن يقرّر علامة على القيامة بصورة تشبيهية استعارية، مفادها أنّ الجبال التي هي (ما يُصنع من مادة الجبال من معدات وآلات مثل المدرعات، والسيارات، والمكائن المتحركة، وغيرها) عندما تتّسم بالسير فهذه علامة على اقتراب القيامة، والله تعالى أعلم.

الرابع: التمثيل الساخر:

يسعى المتكلم أحيانا إلى تحقيق الأثر البالغ في نفس المتلقي بإيراده أمثلة ساخرة؛ ليلفت ذهن القارئ ويحقّق أثرا أكبر في نفسه.

ومن أمثلة هذا النّوع ما أورده الجاحظ في باب النَّوكَى قائلًا: "فأمّا ديسيموس فكان من مُوسوِسي اليونانيّين، قال له قائل: ما بال ديسيموس يعلِّم الناس الشعر ولا يستطيع قوله؟ قال: مثلُه مثَل المِسَنّ الذي يَشحَذ ولا يقطع... وألحّ عليه رجلٌ بالشتيمة وهو ساكت، فقيل له: أيشتُمك مثلُ هذا وأنت ساكت؟ فقال: أرأيتَ إنْ نبحك كلبٌ أتنبحه، وإنْ رمحَك حمار أترمَحُه؟"[٢٩]. فنلحظ أنه شبّه من شتمه ساخرًا منه بالكلب والحمار.

الخاتمة

وفي نافلة البحث أسجّل أبرز النتائج المستفادة من هذه الدارسة على النحو الآتي:

١- التّمثيل ضرورة إنسانيّة حاضرة في الذهن البشريّ، فالعقل البشريّ يفكر بطريقة استنساخ التجارب المتقدّمة، وهذا ما ألمح إليه أمير البيان (عليه السلام) بقوله: "لولا أن الكلام يُعاد لنفد".

٢- لما كان الإنسان كائنًا تمثيليّا كان لا بد من وضع منهج يهتم بهذا المنحى، الأمر الذي أثبته البحث بأن يكون هناك منهج للتمثيل كالمناهج العلمية الأخرى.

٣- ينبغي مراعاة مجموعة ضوابط للتمثيل الناجح، تتلخص في مطابقة الفكرة للمثال، ومراعاة سياق مقام المتلقي، فضلا عن وضوح المثال، وإيجازه.

٤- هناك مجموعة من الأنواع للتمثيل يمكن حصرها بأربعة أنواع يرجع إلى أحدها أيّ تمثيل، هي: التّمثيل التعليمي، والتّمثيل المعرفيّ، والتّمثيل بالمجهول، والتّمثيل الساخر.

٥- للتمثيل قيمة معرفية إفهامية في كلّ حقول المعرفة، فهو جزء من مسار تلك العلوم وتلقّيها.

٦- اصطبغ كلّ تمثيل بما يعالجه من حقل معرفة؛ فهو صورة ممنه أبرزت جزءًا من قضاياه وسماته.

توصية:

- مسار التّمثيل يتّسع وسع التّخصّصات والمجالات العلميّة والإنسانيّة؛ لذا يعدّ هذا البحث بادرة لفتح الباب أمام الباحثين ممّن يرى ضرورة أن يُشبع هذا المنهج بحثًا ودراسة.

الهوامش

[1] ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٤٩٨/٢- ٤٩٩.
[2] البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي ٢٠٧/١.
[3] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٦٦٧.
[4] نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري ٤/٣.
[5] كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري: ١٩٦.
[6] نهج البلاغة، الإمام عليّ (عليه السلام): ١٦٧.
[7] النص والخطاب، الأزهر الزنّاد: ٣٠.
[8] نقلا من كتاب مناهج البحث الفلسفي، محمود زيدان: ٣٩.
[9] الاستشراق، إدوارد سعيد: ٤٨.
* أي: البنية تمارس سلطتها على تفكير الأفراد من دون الإجبار المباشر في تحقيق مرادها.
[10] ينظر: اللسانيات الانثربولوجية، منظور معرفي لدراسة بنية الثقافة العراقية، جواد إبراهيم: ١٦.
[11] الزمان والسرد، التصوير في السرد القصصي، بول ريكور: ٦٢.
[12] التفكير العلمي، فؤاد زكريا: ٢٣.
[13] أصول الكافي، الكليني: ٢٢٣/١-٢٢٤.
[14] شرح ابن عقيل ١/ ٣٦٩.
[15] شرح ابن عقيل: ١/ ٣٦٩- ٣٧٠.
[16] رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، حسن خميس الملخ: ١٤٤- ١٤٥.
[17] كتاب سيبويه ١/ ٨٠.
[18] كتاب سيبويه ١/ ١٠٣.
[19] كتاب سيبويه ١/ ١٠٣.
[20] شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ٢٥/٢.
[21] ينظر: البيان والتبيين ١/ ٨٨ و ٩٦.
[22] شرح ابن عقيل ٧٤/٢.
[23] كتاب العين، للخليل الفراهيدي، مادة (دحق) ٤١/٣.
[24] معجم مقاييس اللغة ١١٤/١.
[25] نهج البلاغة: ١٦٧.
[26] مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣١١/٨.
[27] ينظر: التراسل السيميائي، جاسم جعيز: ١٤٣.
[28] ينظر: الرابط: http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1701 من إعداد: قسطاس إبراهيم النعيمي.
[29] البيان والتبيين، الجاحظ ٢/ ٢٢٦- ٢٢٧.

المصادر:

- **القرآن الكريم**
- الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.

- أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩.
- البحر المحيط، ابو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض وزكريا عبد المجيد النوتي و أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٣.
- التراسل السيميائي استنطاق نصوص الجسد في القرآن الكريم، جاسم جعيز الحسن، دار قناديل للنشر والتوزيع، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠.
- التفكير العلمي، فؤاد زكريا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت، ١٩٧٨.
- رؤى لسانية في نظرية النحو العربي ، حسن خميس الملخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
- الزمان والسرد، التصوير في السرد القصصي، بول ريكور، ترجمة: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.
- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر، الطبعة الخامسة عشرة، ١٩٦٧.
- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تح: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٢.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.
- الكتاب، أبو بِشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤.
- اللسانيات الأنثربولوجية، منظور معرفي لدراسة بنية الثقافة العراقية، جواد كاظم إبراهيم، دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، عمّان، ٢٠١٩.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ)، دار العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا الرازي (ت ٣٩٥هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٣، ٢٠١١.
- المفردات في غريب القران، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٢.
- مناهج البحث الفلسفي، محمود زيدان، الهيأة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٧.
- النّصّ والخطاب مباحث لسانيّة عرفنيّة، الأزهر الزنّاد، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، تحقيق: حسن نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، السفر الثالث.
- نهج البلاغة، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "عليه السلام" (ت ٤٠هـ)، شرح محمد عبده، دار الكتاب العربي، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.

فلسفة التأصيل السنني للتاريخ (محمد باقر الصدر أنموذجاً)

م.م. هالة جاسم محمد ماضي*

الكلمات المفتاحية: فلسفة التاريخ– التأصيل السنني– سنن التاريخ– فلسفة الانتظار

The philosophy of the Sunni rooting of history (Muhammad (Baqir al-Sadr as a model

Keywords: philosophy of history - Sunnah rooting - laws of history - philosophy of waiting

المستخلص:

يدرس هذا البحث حاجة الإنسان إلى معرفة القوانين أو السنن التي تحكم حركة التاريخ في صيرورته وسيرورته وتتبع تلك السنن في المحتوى القرآني وكشف أَساليبها وخصائصها وأَشكالها والتفريق بين ميدان السنن على الساحة التاريخية واستيعابها لتكون حاضرة، والاستفادة منها في المستقبل وقد كشف لنا السيد محمد باقر الصدر تلك السنن لتكون ذات محتوى تأصيلي مقابل للفكر الغربي بكل مدارسه الفلسفية للتاريخ والطروحات الانسانية الوضعية والكنيسية والمثالية والواقعية ذات العنصر الواحد والمتمحور حول مركزية العقل أو مصدر السماء وارتباطه المباشر التي كانت بنظر الصدر طروحات محدودة الُأفق في التقنيين للتاريخ وفلسفته واستشراف المستقبل؛ لذلك طرح الصدر منهجه الذي اعتمد فيه على عنصرين إلهي وانساني تحت اسم (منطقة الفراغ) وهو الاطار العام لنظرية الصدر المتكاملة في السنن الكونية ذات المضمون الاجتماعي والاقتصادي والفقهي والتاريخي وبهذا فتح لنا الصدر بحثاً علميا ومعرفياً جديداً ومدرسة متكاملة في مجال فلسفة التاريخ.

Abstract:

This paper studies the human need to know the rules that govern the movement of history in its formation and orientation,and follow those rules in the Qur'anic content, and reveal their methods, characteristics, forms and differentiate between the field of rules in the historical context, and assimilate them to be present and make use of them in the future

Muhammad Baqir Al-Sadr reveals those rules to have an original content corresponding to Western thought in all its philosophical schools of history and rooting rules history and Positive, humanitarian , idealistic realistic proposals which have one-element centered around the centrality of the mind or the source of the sky and its direct connection, which in Al-Sadr's view were limited proposals in the rationing of history and, its philosophy and Forecasting the future Therefore, al-Sadr presented his approach, in which he relied on two elements: divine and human under the name (Mintaqat al-faragh which is the general integrated framework for al-Sadr's theory in the cosmic rules with social, economic, jurisprudential and historical conten .Thus, Al-Sadar open a

* كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)
halahjasim88@gmail.com

new, cognitive, academic, research and an integrated school in the field of Philosophy of history.

المقدمة

إنَّ اشكالية تحديد المصطلح والمضمون في ميدان فلسفة التأريخ أو سنن التاريخ كانت مدار البحث وآراء مختلفة لدى الباحثين وآرائهم المختلفة. في الفلسفات الغربية الحديثة والساحة الاسلامية المعاصرة، وجل غايتنا هو تسليط الضوء على الفلسفات الاسلامية في هذا المجال والبحث عن تأصيل للتاريخ وسننه في المدرسة الاسلامية ونجد أنَّ السيد محمد باقر الصدر قَدم لنا أنموذجاً يمثل الفكر الاسلامي المعاصر في العديد من المجالات لاسيما فلسفة التاريخ وسننه وهذا ما وجدناه متناثر في مؤلفاته يُعد منها اتجاهاً متكاملاً من جهة تأصيلية ثابتة تتعامل مع معطيات الواقع المتغير ومن جهة اخرى تُعد مدرسة تقابل الآراء والمدارس والفلسفات الموجودة في العالم المحدث بأختلاف مناهجها السماوية والوضعية.

ولم يغفل الصدر في منهجه عنصرين اساسين هما آللاهي والبشري وهذا ماميزه عن غيره من المناهج واستحق أن يكون أنموذجاً متكاملاً قابلاً للبحث والدراسة واستخراج الأَفكار التي سنحاول في هذا البحث تسطيرها في صفحات عدّة وفق منهجية متتبعة للنص والمضمون والمعنى وبناءً على هذا قسم البحث على ثلاثة مباحث تناول فيه الباحث المبحث الأول تناول فيه الباحث فلسفة التاريخ (المصطلح والمحتوى) وقسم على مطلبين الاول: تناولنا فيه فلسفة التاريخ من حيث المصطلح والمحتوى، والمطلب الثاني: بحث في اتجاهان فلسفة التاريخ، اما المبحث الثاني بينا فيه التأصيل السنني للتأريخ قسم على مطالب الاول: درسنا فكرة السنن التأريخية والمطلب الثاني: أَساليب السنن التأريخية وخصائصها اما المطلب الثالث: تناولنا فيه اشكال سنن التاريخ وظواهرها، اما المبحث الثالث: وضحنا فيه نقد الطرح الغربي وقسم على ثلاثة مطالب إلى مطالب الأول: جاء فيه نقد المنهج الكنيسي في العصور الوسطى والمطلب الثاني: جاء فيه نقد المنهج الوضعي في أوربا الحديثة والمطلب الثالث: تناولنا فيه فلسفة الانتظار والنموذج الحضاري الامثل.

المبحث الأول: فلسفة التاريخ (المصطلح والمحتوى)

المطلب الأول: فلسفة التاريخ من حيث المصطلح.

يرى فريق من الباحثين أنّ فلسفة التاريخ كمصطلح وجدت مع (فولتير). وكان لهذا المصطلح تعريفات عَدّة فوجدنا تعريفاً لها يقول بأنّها: (البحث في اساس الحياة الاجتماعية وأسباب تغيرها وتطوير المجتمع الانساني ودراسة المجتمعات المعاصرة بأفق مستقبلية ومعرفة القوانين التي تحكم هذا التطور)(١). وهل هذه القوانين موضوعية أو ذاتية ونعتقد أن فلسفة التاريخ هي النظر العقلي في مصادر التأريخ سواء كانت دينية أم وضعية؛ من أجل أستخلاص القوانين التي تتحكم في سير حركة التأريخ.

لم يتفق فريق من المفكرين والباحثين حول تحديد نقطة البداية لفلسفة التاريخ من حيث المحتوى فاختلفوا في ذلك إلى فرق:

الفريق الأول: يرى أنَّ بن خلدون لم يؤدي دوراً بارزاً ومؤثراً في ممارسة الوعي التاريخي فحسب بل يعتقد أنّه حمل شرف تأسيس فلسفة التاريخ(٢)

الفريق الثاني: يعتقد أنّ أبن خلدون هذا المفكر الاسطوري لم تكن اراؤه في المقدمة

إلا بعد الاطلاع على رسائل اخوان الصفا ولاسيما ما يخص فلسفة التاريخ الأَمر الذي جعله أن أولوية تأسيس فلسفة التأريخ تعود لاخوان الصفا دون غيرهم) (٣)

ونرى العكس من ذلك ليس بن خلدون أول من اكتشف التفسير الاسلامي للتاريخ ولا اخوان الصفا دون غيرهم. بل أن القرآن الكريم قد استوعب هذا المنهج وأن الرسول الكريم محمد (ص) طبق هذا المنهج وأن الامام علي (ع) كشف عنه في خطب نهج البلاغة لاسيما رسالة الامام علي (ع) إلى مالك الاشتر ووصيته إلى ولده الامام الحسن (ع) على الرغم من وجود بعض المحاولات في الفكر الاسلامي منذ القرن الثالث الهجري لا تعد سوى شذرات في طريق ممارسة الوعي التاريخي ولا توازن مع جهد ابن خلدون الذي قام بمحاولة دراسة التاريخ وكشف سننه وقوانينه ثم توسعت دراسة التاريخ وفلسفته مع فلاسفة القرن في الفكر الحديث المعاصرمن تفسير تشاؤمي، نيقولا ميكافيلي وفردريك نيتشه، وهنالك تفسيرحيوي يمثله فيكون، وتفسير جدلي، يمثلهِ هيجل وتفسير انساني يمثله فوكاياما.

المطلب الثاني: اتجاهان في فلسفة التاريخ

إنّ السؤال المهم لموضوع بحثنا هو هل أستطاع المفكرون المسلمون في الفكر المعاصر الحديث تقديم أتجاه خاص أو نظرية في فلسفة التأريخ أم أقتصر الأمر على مجرد استعارات أصطلاحية؟ للجواب على ذلك أقول إنَّ هنالك خطين أو اتجاهين في فلسفة التأريخ عند علماء الاسلام المحدثين وهما:

أولاً: اتجاه مغترب في فلسفة التاريخ

لقد تأثر علماء الإسلام – أو على الأَقل بعضهم – بالكثير من أفكار الحضارة الغربية وانظمتها وتنظير مفكريها على مختلف الصعد وما نريده هو تبيان تأثر بعض مفكري الإسلام بالغرب في موضوع بحثنا (فلسفة التاريخ). إذ نرى الكثير من العلماء المسلمين المعاصرين تأثروا بالكثير من المفاهيم الفلسفية في مضمار التاريخ وحركته وفلسفته ومن بين هذه التأثيرات تقسيمهم للتاريخ الاسلامي والعربي على غرار تاريخ الغرب إلى عصور قديمة ووسيطة وحديثة ثم وصفوا بعض العصور بالظلامية وبعضها الآخر بالتنويرية غير ملتفتين إلى أنَّ هذه تقسيمات تبقى نسبية.

كما إنَّهم اتبعوا الغربين في تقسيم الشعوب على أساس طبقي أو بحسب وسائل الانتاج ونراهم أنكروا العامل الروحي والاخلاقي في تفسيرهم لحركة التاريخ لأنهم عدّوا التقدم التكنلوجي الهائل والحصيلة المادية الضخمة التي حظى بها الإنسان الغربي خير مثال على ذلك(٤)، علماً انه لدى التحقيق تبين لنا

أنّ العوامل المادية والتكنولوجية اسلحة ذات حدين الحد المدمر والحد المعمر ولا يمكن ان نضمن الحد الثاني الا بالضمانة الروحية والاخلاقية والدينية.

ولقد حاول عدد من علماء المسلمين التوفيق بين الإسلام وتعاليمه الإلهية المنيرة من جهة والمذاهب المادية وفلسفات التاريخ الوضعية الغربية من جهة أخرى مما يعني انهم يخوضون مغامرة غير محسوبة النتائج ويتعرضون لطرق وعرّة ومزالق فكرية هائلة وبحر خضم من غير الوصول إلى شاطئه الآمن .

ثانياً: اتجاه يعتمد الأصالة وآفاق المعاصرة في التاريخ وفلسفته

يوجد في قبالة الخط الأول الذي بيناه خط فكري اسلامي آخر رفيع المستوى حاول أن يؤسس لنظيرات اسلامية اصيلة بعيدة عن كلّ شائبة أو فكرة دخيلة على الموروث الاسلامي الصافي(الكتاب والسنة) ومن الذين مثلوا هذا الخط وسعوا جاهدين إلى تمثيله – على سبيل المثال لا الحصر (مالك بن نبي ومرتضى مطهري ومحمد تقي الجعفري، ومحمد تقي مصباح اليزدي وجودت سعد وعماد الدين خليل وغيرهم). ولكنَّهم على كلّ حال – مع التقدير العظيم لجهودهم الكبيرة في هذا المضمار– لم يستطيعوا أَن يتوصلوا إلى نظرية تاريخية متكاملة تمثل الرأي الاسلامي الصافي – إلى أنّ اتى باقر الصدر منظر الفكر الإسلامي المعاصر الذي اعطى صورة متكاملة عن نظرية فلسفة التاريخ من وجهة نظر إسلامية.

وقد افلح باقر الصدر في ربط المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الإسلامية برابط فكري متين يعتمد الأدلة العقلية والبحث النظري المجرد العميق والنص الإسلامي الأصيل المتمثل بالكتاب والسنة(٥)، كما حاول باقر الصدر أن يربط بين المذاهب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وفلسفة التاريخ بوصفها أحد ركائز النظرية الاسلامية الشاملة وأحد الارضيات الرصينة التي تسعى هذه المذاهب إلى تحقيق اهدافها من خلال ابعاده ومروراً به بوصفها تمثل بعداً اساسياً لكل مشروع حضاري إذ عَدَ الصدر أنَّ كلَّ مشروع من هذا النوع ناقص إذا ما نقصت الرؤية والوعي التاريخي فيه.

وأَدرك باقر الصدر ضرورة وضع الفكر الاسلامي بضمنه التاريخي في موقعه اللائق، في الفكر المعاصر ضرورة انعتاقه من كلِّ الأفكار الغربية الأخرى. ولا يمكن ان يتحقق ذلك –لاسيما على المستوى التاريخي– إلا بعد القيام بثورة وانتفاضة على جميع المفاهيم السائدة ومحاولة تشخيص الاضطراب والتشويه بكلِّ عناصره وأنواعه الذي اصاب ويصيب الفكر الاسلامي التاريخي المعاصر عن طريق مواقف نقدية تبين حقائقه وسننه وتحاول أَن تقعدها على اساس النصوص الدينية من جهة والواقع التاريخي من جهة أَخرى وكذلك لتبيين علاقة الامة بالتاريخ على مختلف المستويات ومحاولة استخلاص الموروثات الفكرية الأخرى واخضاعها إلى ميزان الأفكار الإسلامية الأصيلة وصهر الجيد منها في بوتقة الفكر الإسلامي العظيم(٦).

ويمكن تلخيص هذا الموقف النقدي الثوري في عدّة إجراءات وهي:

تحليل التكوين النظري الذي انتج انموذج الحضارة الغربية والذي يستنتج عدم صلاحيته؛ لأنّه يكون انموذجاً كونياً.

عقد موازنة بين تاريخ الأمة الإسلامية وتاريخ الغرب.

تأكيد وجود اختلاف في مسار حركة تاريخ كل شعب من حيث العوامل الاجتماعية والاقتصادية والقيمية والدينية وبهذا تختلف حركة كل مجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى.

تأسيس رؤية جديدة تعتمد مبدأ الاصالة وآفاق المعاصرة معاً في النظر للتاريخ من خلال الالتحام مع العقيدة أي (التكامل) لا الانفصال عن العقيدة واجتزاء ما يوافق المصلحة والاهواء في بناء ايدلوجية ذاتية.

محاولة استغلال الفكر والمراجعة المستمرة للتصورات السائدة عن الحضارة من خلال (الفكر والاجتهاد) وغيرها من الاجراءات.

إنَّ هذا الاهتمام النظري يقابله اهتمام عملي تطبيقي يدرس القضايا المطروحة في الواقع الاسلامي في ضوء ما توصل إليه من الجوانب النظرية والفلسفية محاولاً الافادة منها بإعطاء تحليل شامل ورائع لا تجزيئي – كما تفعله التحليلات – المبعثرة عند علماء الغرب في قضايا العالم في ضوء فلسفاتهم التاريخية كحركة المجتمعات البشرية عبر التاريخ للوصول إلى معناها.

أَبرز باقر الصدر في الكثير من نظرياته الطابع التاريخي الفلسفي؛ لأَنَّهُ يعد التاريخ العمود الفقري لافكاره والاصالة التي تتبع منها معاصرة غير بديلة لافكار الآخرين ولاسيما الغربية منها.

إنَّ فلسفة التاريخ الاسلامية عند باقر الصدر تُعَبر عن حركة الأمة منذ زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) وإلى الظهور المقدس للإمام الحجة (عج)، وإنَّ هذه الرؤية الاسلامية وهذه الحركة تعتمد على اسس منهجية لا يمكن لاي مسلم – بوصفه مسلماً – إن يتجاوزها مثل الأمة وعلاقتها المقدسة بالرسالة ووعد الله المؤمنين انتصار الحقِّ على الباطل.

المبحث الثاني: التأصيل السنني للتأريخ

المطلب الأول: فكرة السنن التأريخية

لم يأت الشهيد الصدر لفلسفة التأريخ من زاوية تقليدية كما أتخذها غيره وانما جاء بشيء لم تألفه أذهان الذين مارسوا العمل التأريخي، وهذا الشيء هو محاولة الدمج والأخذ بنظر الاعتبار كل العوامل المؤثرة في فلسفة التأريخ من مجتمع مطبعية وإنسان واعطائها حصة في البحث والتقويم وإذا تجاوز الاشكالات المعرفية في الفكر الغربي من الفصل بين التفكير العلمي والتفكير اللاهوائي. وذلك بطرحهُ فكرة (سنن الله في الكون) التي تتحكم بالكون وحركة التأريخ، ولكنَّه أَوضح أن هذه السنن التي وضعها الله لتسيير الكون لا تجعل من الانسان اسيراً لها وبعبارة اخرى.

يمكننا القول إنَّ علاقة الانسان بالسنن وواضع السنن (الله جل وعلا) ليست علاقة جبرية (استلابية) قائمة على مبدأ صدور المعلول من العلة بنحو طبيعي اضطراري من غير تدخل أو إرادة منه بل إنَّها علاقة قائمة على وجود فسحة من الحرية لارادة الانسان في فهم سنن التأريخ أو سنن الله في الكون

والأفادة منها وفكرة السنن التأريخية أو سنن الله التي استلمها الصدر لها أصل قرآني أصيل فالقرآن الكريم يعد فاتحاً في هذا المجال إذ أَشار بصراحة إلى وجود قوانين وسنن تحكم سير التأريخ .

قائلاً في هذا الصدد: (لقد سجل القرآن الكريم فتحاً كبيراً في تناول مفهوم السنن على الساحة التأريخية؛ لأَن القرآن في حدود علمنا هو أول كتاب عرفهُ الانسان كشف عن هذا المفهوم وقاوم النظرة العفوية في تفسير حوادث التأريخ وفهم العقل البشري إلا أنّ هذه الساحة لها سنن وقوانين وعليه أن يكتشف هذه السنن، لكي يتحكم فيها وإلا تحكمت فيه)(٧)، فالسنة ذكرت مرات عديدة في القرآن الكريم.

قال تعالى: ((سنة الله في الذين خلوا من قبل وَكَانَ أمر الله قدراً مقدوراً))(٨)، وقوله تعالى: ((سنة من أَرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا))(٩)

وهذا الأصطلاح القرآني هو عينة المدلول اللغوي للفظة (سنة) فهذه السنن التأريخية هي تطبيق لمنهج باقر الصدر في التفسير الترابطي الموضوعي لمحتوى القرآن الكريم ونصوصه المقدسة .

وأعلن باقر الصدر بموضوع أمام الأمة – نخبة وافراداً عن منهجه الجديد في التفسير الذي أسماه (التفسير التوحيدي) أو (الموضوعي) وجعله بديلاً صالحاً أو مكملاً ناجحاً عن التفسير الذي أعدّه سائداً لقرون عدّة وهو (التفسير التجزيئي)؛ ويمكننا أن ننقل نصاً له يبين فيه هذه الحقيقة إذن فأول أوجه الأختلاف الرئيسي يبين الاتجاه التجزيئي في التفسير والاتجاه الموضوعي ليس هذا معناه وليس هذا كنهه، وإنما وظيفة (التفسير الموضوعي) دائما وفي كلّ عصر أَن يحمل لكلّ تراث البشرية الذي عاشه، أفكار عصره والمقولات التي تعلمها في تجربته ثم يضعها بين يدي القرآن الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليحكم على هذه الحصيلة بما يمكن لهذا المفسر أن يفهمه من خلال مجموعة آياته الشريفة، أذن فهنا يلتحم القرآن مع الواقع والحياة، لأنَّ التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن؛ لا انَّه يبدأ من القرآن وينتهي إلى القرآن فتكون عملية منعزلة عن الواقع منفصلة عن تراث التجربة البشرية بل هذه العملية تبدأ من الواقع وتنتهي بالقرآن القيم بوصفه المصدر الذي يجدد على ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة إلى ذلك الواقع ومن هنا تبقى للقرآن قدرته على العطاء بنحو دائم لأنَّه لا ينفذ (١٠).

وتسربت هذه الفكرة إلى الأَوساط العلمية، لا سيما تلامذته الذين استلهموها وحاولوا هضمها وتطبيقها في كتاباتهم، وهذا ما نراه في كتاب محمد باقر الحكيم اذ يذكر في (علوم القرآن) ما نصه: (فالتفسير الموضوعي إذن يقوم على أساس دراسة موضوعات معينة تعرض لها القرآن الكريم من مواضيع متعددة أو في موضع واحد وذلك من أجل تحديد النظرية القرآنية بملامحها وحدودها في الموضوع المعين ومن أجل أن يتضح المراد من التفسير الموضوعي يحسن بنا أن نفهم مصطلح الموضوعية كما شرحه استاذنا)(١١)، أي الصدر.

وهذا الأصطلاح القرآني هو عينة المدلول اللغوي للفظة (سنة) فهذه السنن التأريخية هي تطبيق لمنهج باقر الصدر في التفسير الترابطي الموضوعي لمحتوى القرآن الكريم ونصوصه المقدسة. فقد أعلن السيد محمد باقر الصدر بموضوع أمام الأمة – نخبة وافراداً عن منهجه الجديد في التفسير الذي سماه التفسير

التوحيدي أو الموضوعي وجعله بديلا صالحا أو مكملا ناجحا عن التفسير الذي عدّه سائداً لقرون عدّة وهو التفسير التجزيئي ويمكننا أن ننقل نصا له يبين فيه هذه الحقيقة بما لا مزيد عليه: أذن فأول أوجه الأختلاف الرئيسي يبين الاتجاه المتجزيئي في التفسير والاتجاه الموضوعي ليس هذا معناه وليس هذا كنهه وأنما وظيفة التفسير الموضوعي دائما وفي كلّ مرحلة عمران يحصل كلّ تراث البشرية الذي عاشه، يحمل أفكار عصره ويحمل المقولات التي تعلمها في تجربته ثم يضعها بين يدي القرآن الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليحكم على هذه الحصيله بما يمكن لهذا المفسر أن يفهمه ان يبينه من خلال مجموعة آياته الشريفة أذن يفهمنا يلتحم القرآن مع الواقع ومع الحياة التفسير يبدأ من الواقع ينتهي إلى القرآن؛ لأنَّه يبدأ من القران وينتهي إلى القرآن فتكون عملية منعزلة عن الواقع منفصلة عن تراث التجربة البشرية بل هذه العملية تبدأ من الواقع وتنتهي بالقرآن القيم بوصفه المصدر الذي يجدد على ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة إلى ذلك (١٢). وهذه الفكره تسربت إلى الأَوساط العلمية، لا سيما تلامذته الذين حاولوا هضمها وتطبيقها في كتاباتهم وهذا ما نراه في كتاب السيد محمد باقر الحكيم إذ يذكر في كتابه (علوم القرآن) ما نصه: فالتفسير الموضوعي إذن يقوم على اساس ودراسة موضوعات معينة يتعرض لها القرآن الكريم من مواضيع متعددة أو من موضوع واحد؛ من أجل تحديد النظرية القرآنية بملامحها وحدودها في الموضوع المعين ومن أجل أن يتضح المراد من التفسير الموضوعي(١٣).

إلى هذا يحسن بنا أن نفهم مصطلح الموضوعية كما شرحه استاذنا الشهيد باقر الصدر.

المطلب الثاني: اساليب السنن التأريخية وخصائصها

لقد كشف باقر الصدر هذه السنن التأريخية ذات المحتوى القرآني عبر منهجه الموضوعي وحدد أساليبها واشكالها وفصائحها وسماتها وميدانها على الساحة التأريخية وحدد ثلاث مستويات لأَساليب تلك السنن(١٤) وهي:

١- المستوى الكلي وقد بين هذه الفكرة في قوله تعالى: ((ولكلِّ أمة أجل فأذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)) (١٥)

٢- مستوى المصاديق وبيان ذلك في قوله تعالى ((إنَّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))(١٦)

٣- مستوى الحث على التأمل في أحداث التأريخ ويتضح في قوله تعالى: ((أَفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم ....))(١٧). ولم يقف باقر الصدر عند هذا الحد بل إنَّه بين خصائص تلك السنن ومنها (الاطراد والربانية والبشرية) بمعنى أنَّ هذه السنن تتسم بالعلمية إلاَّ بعض الاستثنائات فهي تخضع لبعد الإلهي ولكن ليس على غرار ما تعتقد به الكنيسة في العصور الوسطى إذ أنَّهم ربطوا الأحداث بالسماء مباشرة لا كما تعتقد به الوضعية الاوربية المحدثة أذ أنهم خضعوا كلّ التأريخ للواقع الانساني بعدّه جهه

فوقية حاكمة للتأريخ فطرح باقر الصدر نظرة جديدة للتأريخ تعتمد ربط الحوادث مع بعضها البعض ثم ربط هذه الحوادث بالسماء وفق عنصرين يفسران الحدث التأريخي هما:

١- العنصر الإلهي

٢- العنصر البشري

المطلب الثالث: أَشكال سنن التاريخ وظواهرها

تناول باقر الصدر أشكال سنن التأريخ فحدد شكلين يعدان قوانين صارمة حاكمة هما شكل القضية الشرطية وشكل القضية الفعلية الناجزة غير أنّ الشكل الثالث هو شكل القضية الاتجاهية لا يعد قانوناً صارماً بل يمكن التخلي عنه ولو لمدة معينة كا أن لهذه السنن التأريخية ظواهراً تشابه الظواهرالعلمية وهي الفاعل والهدف والموج (١٨)

وهذه الأشكال الثلاثة تميز الظاهرة التأريخية عن غيرها من الظوهر التي قد تحوي ظهارة الفعل أو الفاعل فقط الذي يعبر عن وجود الفعل ولكن الغاية والهدف هي من سمات الظاهرة التأريخية التي تحتاج للحوج وهي الأرضية التي تحقق وجوده الفعلي فالموج بنظر باقر الصدر هو المجتمع الذي ينفصل عن الفرد فلكلّ منها كتاب وحساب كما أشار القرآن الكريم بقوله: ((ولكلّ أمة أجل))(١٩)، فالفرد لا يذوب في المجتمع كما تصور (هيجل) ويصبح كالعملاق، فضلاً عن ذلك فرق باقر الصدر بين الحوادث التأريخية السردية الحكائية في التأريخ والحوادث التي تخضع لسنن التأريخ على الساحة التأريخية فمثلاً مقتل الخليفة الثالث وانتصار المسلمين في بدر وخسارتهم في أحد هذه الحوادث تخضع لسنن التأريخ ومدى استيعاب المسلمين لتلك القوانين وحاكميتها على التأريخ وحركته.

إنّ حركة التأريخ حركة غائية مربوطة بهدف وليست سببية فقط أي أنَّها حركة مشدودة إلى المستقبل فالمستقبل هو المحرك لنشاط التأريخ والمستقبل معدوم فعلاً وانّما يتحرك من خلال الوجود الذهني فالوجود الذهني أذا هو الحافز والمحرك والدافع لحركة التأريخ في الوجود الذهني يمتزج الفكر والارادة وبامتزاج الفكر والارادة تتحقق فاعلية المستقبل وتحريكه للنشاط التأريخي على الساحة الاجتماعية.

فالعلاقة بين المحتوى الداخلي للإنسان –الفكرة والارادة– والبناء القومي والتأريخي للمجتمع هي علاقة "سببية" أي سبب بمسبب فكلّ تغير في بناء القوافي والتأريخي للمجتمع مرتبط بتغيير المحتوى الداخلي .

المبحث الثالث: نقد الطرح الغربي

لابَّد لكلَّ شخص يؤسس أساساً أو يبني بناءً فكرياً منهجياً أو يكشف كياناً ومنظومة فكرية خاصة أو عامة أَن يحيط خبراً بما يقابلها أو يضادها وأن ينفتح على الأفكار الأخرى المرتبطة بالموضوع نفسه ويدرسها جيداً وينقب طويلاً عن حسناتها ومساوئها وينقدها نقداً موضوعياً محايداً صادقاً ثم يبدأ بطروحته ويكشف عن أوراق نظريته وهذا ما سنعمله في هذا المبحث من نقد للاتجاهين الرئيسين في تفسير التاريخ وهما الاتجاه الكنيسي والاتجاه الأَوربي الغربي الحديث ثم نردفها بالنظرة المقدمة الصحيحة التي طرحها باقر الصدر.

المطلب الأول: نقد المنهج الكنيسي في العصور الوسطى

أنَّ الفكر اللاهوتي الغربي أو ما يسميه السيد الشهيد الصدر بـ(المسيحية الرسمية) (٢٠)، في العصور الوسطى طرح نفسه بوصفه منظومة فكرية واحدة فسر فيها الكون والحياة ونظر إلى الحياة والعقل والتاريخ نظرة واحدة فلم يعط العقل مثلاً أي قيمة بازاء ما كان يؤمن به من أفكار كنيسية إذ اعلن منذ البدء أنَّ الرب مع الكنيسة(٢١)، وان ما تقرره الكنيسة هو الحق والهدف ولا يمكن أنَّ يغير أو يخالف مع العلم أنَّ مدار أَفكار الكنيسة ونظراتها لتفسير الكون والحياة هو كتابهم المقدس الذي يحوي الاعاجيب والخرافات والتفاهات بما لا مزيد عليه إذ أنَّه يعد الشعوب مثلا – عدا بني اسرائيل كلّها حيوانات وكلاب وهذا يُنم عن "العقدة" الكبيرة في نفوس الكنيسين تجاه الانسان وعدم احترامهم لهويته ولعقله. ويستغرق النقاش وقتاً وجهداً طويلاً من هؤلاء في سبيل معرفة عدد الملائكة التي يمكن أنّ تقف على رأس أبرة وتعد هذه المسالة من المسائل المعقدة والمهمة جداً، في الفكر الكنيسي التي يجب أَن تحل؛ لذلك عندما حاول ثلة من العلماء وذوو العقول النيرة أَن يخرقوا هذا الحاجز الحديدي للأَفكار الكنيسية ويقدموا اختراعاتهم العلمية وأَفكارهم الموضوعية للمجتمع عاقبتهم الكنيسة على ذلك ولقوا من العذاب والتنكيل والفتك والحرق ما لا يوصف لا لشيء سوى العلمية التي تميزت بها أَفكارهم ونظراتهم للحياة. كما إنّنا نرى مثالاً ثانياً على ذلك هو محاربتهم للغريزة التي جعلوا التكلم بها جريمة لا يمكن أن تغتفر وطالبوا مناصريهم بمحاربتها وكبتها والقضاء عليها. مما ولدوا مضاعفات كثيرة تنبوء عن الحصر. وقد انجروا في انحرافاتهم الفكرية والنظرية إلى كلّ ابعاد المعرفة لها هي نظرتهم للتاريخ وكيفية تفسيرهم له. إذ أنَّهم آمنوا كمبدأ اولي وشيء اساسي لتفسير التاريخ "بفكرة الخلاص" التي خلاصتها إنَّ الانسان منذ خطيئة آدم وإلى المسيحية العالم كلّه يسعى إلى الخلاص وهذا الخلاص موجود في الديانة المسيحية إذ يعدونهُ المخلص الأَكبر للانسان. ولا يمكن للانسان المؤمن بالمسيحية. أَنَّ يسعى في هذا الطريق – طريق الخلاص – الا أَن يتخطى التاريخ ويتعالى عليه ويرفض الواقع. الذي يعيشه إذ أنَّ واقع الانسان ما هو إلّا افعال إلهية(٢٢). فكلّ حادثة تاريخية ترتبط مباشرة بالسماء وليس لها أي علاقة بالحوادث الأُخرى (٢٣). ويسعى الكنيسيون إلى جعل كلّ حادثة مرتبطة بالله مباشرة مما يجعلها تفلت من سيطرة الانسان وتجعله مكتوف اليدين امامها فلا يستطيع أن يؤثر فيها أو يجري بعض التغير هذا ما وجدناه في جعبة الكنيسين من أفكار وطروحات ولقد تنبه لها باقر الصدر وهضمها جيداً وعرف مواقع الخلل فيها مما جعله يوجه لها ضربات قاسية اخلت بكيانها وهزت كبريائها. ويمكننا أن تلخص هذه الردود بالنقاط الآتيه:

١– عَدّ باقر الصدر نظرة الكنيسين إلى العقل نظرة قاصرة وظالمة فهم كبلوه بأفكار وآراء غريبة عليه املتها عليهم كتَبهم وقساوستهم قال إذ قال: (أما في المسيحية فقد كان العقل يوضع فى الاغلال ولم يتح للعقل أن يسترد سلطانه إلا حين رفض المسيحية وما كان في مكانته ان يسترد سلطانه دون أن يرفضها.

فأن ما يتصل بعالم الالوهية من الكنيسة الغاز لا يمكن ان يؤمن بها انسان يحترم عقله ومع ذلك فقد كانت الكنيسة تفرضها وتفرض الايمان بها) (٢٤).

٢- كما أدان نظرتهم للغريزة وعَدَّها قاصرة. وعدّ الاسلام هو الموازن الحقيقي للرغبات والغريزة في حياة الانسان.

إذ يرى أنّ الإسلام يعترف بثنائية الانسان الروحية والمادية الذي غيبته المسيحية الرسمية وجعلته روحياً فقط. قال في ذلك: (ومن هنا كان موقف الإسلام من الغرائز الإنسانية موقفاً ايجابياً فلم يحاربها وإنّما اعترف بها. وهيأ للإنسان المسلم مجال التعبير عنها. بقوله تعالى: ((يا بني آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجدٍ. وكلوا واشربوا ولا تسرفوا))(٢٥)، ولكن الإسلام إذ يعترف بالغرائز لا يدعو إلى مادية صماء ولا يبيح للإنسان أن يستغرق في تلبية مطالب الغرائز بحيث يغدوا حيواناً لا يعني بما وراء المتاع الحسي من اهداف الانسان العليا.. بل يدعو إلى المتاع المادي بقدر. ويدعوا المسلم إلى أنَّ يوازن بين الروحي والمادي في حياته)(٢٦).

٣- إنّ الجانب التاريخي صحح نظر الكنيسي إلى الحوادث التاريخية بوصفها حوادث منفصلة وكل واحد منها على انفصال ترتبط بالله سبحانه اذ قوم هذه النظرة بطرح نظرة مفادها أنّ الحوادث ترتبط بعضها مع بعض بروابط وعلاقات وشيجة مبنية على اسس علمية وطبيعية ومجموع هذه الحوادث بعلاقاتها ترتبط بالمبدأ الأَعلى الله سبحانه الذي سبب الأسباب وخلق السنن الكونية ومن بينها السنن التاريخية التي بواسطتها تفسر التاريخ وتربط بين مجريات احداثه. وضرب لذلك مثالاً بالمطر قال (القرآن الكريم لا يسبغ الطابع الغيبي على الحادثة بالذات. لا ينتزع الحادثة التاريخية من سياقها ليربطها مباشرة بالسماء لا يطرح صلة الحادثة بالسماء كبديل عن أَوجه الارتباط والعلاقات والأسباب والمسببات على هذه الساحة التاريخية، بل انه يربط السنة التاريخية بالله ويربط أَوجه العلاقات والارتباطات بالله فهو يقرر أولاً ويؤمن بوجود روابط وعلاقات بين الحوادث التاريخية الا إنّ هذه الروابط والعلاقات بين الحوادث التاريخية هي في الحقيقة تعبير عن حكمة الله سبحانه وتعالى وحسن تقديره وبنائه التكويني للساحة التاريخية) (٢٧)، ثم يردف بمثال المطر قائلاً: (وقد يأتي أنسان فيفسر ظاهرة المطر التي هي ظاهرة طبيعية فيقول أنَّ المطر نزل بارادة من الله سبحانه وتعالى ويجعل هذه الارادة بديلاً عن الأَسباب الطبيعية التي نجم عنها نزول المطر. فكأن المطر حادثة لا علاقة لها ولا سبب لها. وانما هي حادثة مفردة ترتبط مباشرة بالله سبحانه وتعالى بمعزل عن تيار الحوادث. هذا النوع من الكلام يتعارض مع التفسير العلمي لظاهرة المطر. لكن اذا جاء شخص وقال أنّ الظاهرة لها اسبابها وعلاقاتها وإنّها مرتبطة بالدورة الطبيعية للماء مثالاً ... فينزل المطر الا إنَّ هذا التسلسل السببي المتقن هذه العلاقات المتشابكة بين هذه الظواهر الطبيعية هي تعبير عن حكمة الله وتدبيره وحسن رعايته. فمثل هذا الكلام لا يتعارض مع الطابع العلمي والتفسير الموضوعي لظاهرة المطر. لأننا ربطنا هنا السنة بالله سبحانه وتعالى مع عزلها عن بقية الحوادث وقطع ارتباطها مع مؤشراتها واسبابها)(٢٨). ويرى باقر الصدر أنَّ هذه الأسباب هي التي دعت

الانسان الأَوربي الغربي إلى ثورة على الكنيسة ومفاهيمها وأَسسها ومن ثم رفضها إلى غير رجعة في نهاية المطاف.

المطلب الثاني: نقد المنهج الوضعي في أوربا الحديثة

لقد حصلت انقلابات فكرية هائلة في القرن السادس عشر والسابع عشر وهو ما يسمى بـ(عصر النهضة الأَوربية) والقرن الثامن عشر وهو ما يسمى بـ(عصر التنوير) وكان سبب هذا التغير هو التطورات العلمية والتكنلوجية والاجتماعية الكبيرة التي حصلت في مجتمعات أوربا وكان من مظاهر هذا التغير الجذري هو رفض الدين في الحياة رفضاً باتاً وعومل كأحد اسباب التأخر عند المجتمعات(٢٩).

وكانت هذه بمنزلة ردة فعل عنيفة لما قام به أَصحاب الدين في العصر الكنيسي من محاكم التفتيش والفتك بالعلم وأهله.

ثم إنّ هذه خطوة بدأت بمشوار طويل، لاصحاب عصر النهضة والتنوير إذ انهم أخذوا على عاتقهم بعد أن تحرروا من قبضة الدين مفاهيم عدّة حاولوا أنّ يشيعوها ويصبغوا فيها عصرهم ومن هذه المفاهيم هو(٣٠)، ايمانهم المطلق بالعقل(٣١). وبقدرة الإنسان العقلية على الوصول إلى أَسرار الوجود وغياهب الكون واطمئنانهم إلى نتائجه في بحوثهم ودراساتهم؛ وكذلك ايمانهم بفكرة التقدم وإن على الإنسان ان يكون تقدمياً في ميادين الاجتماع والثقافة والاقتصاد... الخ.

وان كان قد طرء على فكرة التقدم بعض التغير أو الرفض وجدوا هذه الفكرة تجر الحروب والخراب والدمار لمجتمعاتهم. كذلك امنوا بفكرة الفصل بين التاريخ واللاهوت فالتاريخ احداث أَرضية لا صلة للسماء بها وانما الانسان هو الذي يكتب قيمه العليا في احداث التاريخ وملابساته(٣٢) وهو ما يصطلح عليه بـ(التاريخانية). هذه هي الملامح الاساسية للتفكير الأَوربي الغربي الذي ساد لقرنين أو ثلاث من الزمن نلاحظ من خلال مطالعتنا لما كتبه باقر الصدر وما جادت به قريحته أنَّه تنبه إلى أساس الخطأ في فلسفة هذا العصر بوجه عام وفلسفتهم للتاريخ بوجه خاص ولاسيما فلسفات هيجل وماركس والفلسفات المعاصرة كالوجودية وغيرها.

إذ أَشار إلى أنَّ هذه الفلسفة بوجه العموم تتجه إلى الأرض فهي مادية بكلّ تفاصيلها وجزئياتها. تقطع كل صلة لها بالسماء أو الأَهوت وقد انجزت ماديتها الى التاريخ وكيفية التعامل معه ويمكننا من خلال النقاط الآتية أَن نبين اهم النقود التي وجهها فيلسوفنا باقر الصدر إليها.

١- نفي علاقة التأريخ بالمثل الأَعلى (الله):

عَدّ باقر الصدر (التاريخانية) افكاراً مادية تجعل من الإنسان المحور في الأَحداث الاجتماعية والتاريخية ولا تعطي قيمة للأسباب الغيبية وهذا يؤدي بالنتيجة إلى قلب النسبي وتحويله إلى مطلق ومن بين هذه الأَفكار المادية هي مثالية هيجل اذ نراه يعمم مفاهيم ويتسرَع في هذا التعميم فيعد العقل الكوني هو الذي يسير العالم ويطلق مقولته المشهورة (كلّ واقعي معقول وكل معقول واقعي)، وعَدّ التاريخ هو المرجعية لنفسه مما حدا به إلى اختيار أحد خيارين الأَول يتمثل بفتح التأريخ وجعله مفتوحاً إلى ما لا نهاية،

والثاني اختيار ختم معين له مما حدا بهِ إلى اختيار الخيار الثاني وهو ختم التاريخ وعلى يد نابليون الذي عَدّهُ الروح على جواد وهذه نظرة تكذبها الوقائع والأحداث كما إنَّ هذه النظرة جعلته يقدس الحوادث التاريخية ويستسلم لها وهذا ادى إلى التشويش في أي معيارية تاريخية أما عن المثالية فقد رأى باقر الصدر أنّ المثالية مشابهة تماماً للمادية التأريخية(٣٣) إذ الاثنان معاً نبعاً من نفس النظرة وهي فوقانية الإنسان وفعاليته على التاريخ فالانسان ظاهرة تأريخية من نظر باقر الصدر فكيف يمكن أنَّ يتعالى على التاريخ وهو جزء منه لقد نظر هؤلاء إلى مستقبل ضيق محدود ولم يوسعوا في آفاقهم ونظرتهم المستقبلية لأنَّهم اتخذوا مثلاً منخفضة، أما الإسلام في نظر باقر الصدر فيعد موازناً موضوعياً إذ أَعطى للمادة حقها وللروحانية حقها في تعاطيه للتاريخ(٣٤)، فكلّ الأَحداث التاريخية التي تحصل بعلم الإنسان وارادته، ولكن ضمن قوانين وسنن، وهذه السنن من صنع الله ومن كلمته وسعة عدله وهي بطبيعة الحال لا تتنافى مع ارادة الإنسان أو تجرنا إلى القول بجبرية السنن أو التاريخ لأَن الإنسان داخل ضمن معادلة تحقيق هذه السنة أو تلك. أما عن المثالية فقد نقدها باقر الصدر وذلك بتقسيم المثل الأَعلى على ثلاثة هي:

١- المثل الأَعلى الواقعي

٢- المثل الأَعلى التكراري

٣- المثل المنخفضة

والنوعان الأَولان من المثل الأَعلى هما اللذان حَلا في فكر هؤلاء من غير النظر إلى مسبب الأَسباب الله تعالى الذي ينظر له الاسلام بأنّه المثل المطلق(٣٥) الذي لواحتذاه الانسان لتوسعت نظريته المستقبلية وانفتحت امامه آمال الحياة ونرى أَنَّ باقر الصدر يتفق معهم بالهدف الذي هو تحرير الانسان واكتسابه للحرية ولكنَّه يختلف معهم بالآلية لأَنّهم نظروا نظرة قصور مستقبلية باستعمالهم للمثل المنخفضة(٣٦)، بينما استعمل باقر الصدر المَثَل الأَعلى وهو "الله تعالى"، وَعَدّ حرية الإنسان في عبادة "الله"، لا من تركه لمُثل الكنسية(٣٧).

وبعد الاطلاع والبحث في كلمات الفلاسفة الوضعيين وكتبهم عثرنا على مصادر تخص النموذج المسيحي والوضعي. ومن ضمنها مقولة لماركس مضمونها أن ماركس ليس أَكثر ماركسياً من غيره الماركسين(٣٨)، وهي إن دلت على شيء فانما تدل على أَنَّه ينظر ولا يطبق إذ عَدَ نفسه ليس ماركسياً اكثر من غيره مما يعني أنّه غير واثق من تطبيقه لما يؤمن به وكذلك رجال الكنيسة في العصور الوسطى فهم يعملون بما لم تأمرهم به السماء مما جعل مقرراتهم الانسانية مطبوعة بطابع ديني وهناك ظن إنَّ هذه المقررات هي مقررات علمية لأَنها انسانية وهذا ما يميل إليه بعض الباحثين ولكنّه في التدقيق نراها على العكس من ذلك تماماً لأنّنا لو راجعنا تاريخهم لرأينا مدى محاربتهم للنظريات العلمية وكيفية محاربتهم لاصحابها مما يعني أَنّها مقررات مصلحية تنتج من اهواء وافكار اصحابها (رجال الدين) الكنيسي الخاصة والشخصية أمّا الاسلام فهو تنظير وتطبيق اذ نجد الآيات الكثيرة التي تربط

العلم بالعمل والتنظير بالتطبيق، امثال قوله تعالى: ((يا أَيّها الذين آمنوا لا تقولوا مالاتفعلون كبر مقتاً عند الله أَنَّ تقولوا ما لا تفعلون)) (٣٩). وعشرات الآيات التي تربط بين ((الذين امنوا)) و((عملو الصالحات)) ولقد اكتشف باقر الصدر هذه الحقيقة القرآنية وتجاوز مشكلة التنظير والتطبيق وسمى هذا الاكتشاف بـ(منطقة الفراغ) إذ ربط بين الثوابت والمتغيرات وبين التنظير والتطبيق فالشريعة تمتلك تنظيماً هائلاً يستطيع ان يعطي متغيرات للواقع.

المطلب الثالث: فلسفة الانتظار والنموذج الحضاري الأَمثل

إنّ البشرية بأَجمعها تأمل وتنتظر أَن تصل إلى مستقبل هادئ زاهر خال من كلّ أَنواع الصراعات السياسية والفوضى الاجتماعية والتضخمات الاقتصادية والمجاعات والاستئصال العرقي والطائفي وأساليب الاستغلال والاستعمار وخداع الناس وقتلهم على اتفه الأشياء. إنَّ هذا الانتظار ليس حلماً وخيالاً محضاً أو نوعاً من احلام اليقظة بل حقيقة ثابتة في أَذهان جميع الامم والمجتمعات.

ونحن نحاول فيما يلي أَن نعطي فكرة موجزة وواضحة عن حقيقة الانتظار وأَساليبه ثم عن طبيعة هذا المستقبل المشرق .

الانتظار مفهوم موجه:- لابدَّ لنا إذا أَردنا أن نفهم الانتظار فهما واعيا وصحيحا أَن نقسمه على قسمين. وهذا التقسيم في الحقيقة نابع من طبيعة تعامل الناس مع هذا المفهوم وكيفية استعمالهم له بإزاء الواقع وصولا للطموح .

الانتظار الموجه.

الانتظار السلبي.

الانتظار الموجه: وهو الانتظار غير النابع من الزخم العاطفي أو الحماسة الدينية والفكرية السريعة الزوال غير ثابتة الاركان. أَو احلام اليقظة أو خيالات الفكر الواسعة(٤٠) أو نتيجة ازمة نفسية أَو فكرية حادة يتعرض لها الانسان في حياته نتيجة للضغوط الحياتية واليومية المستمرة التي تجعله يبتعد عن الحياة المعاشة وينطلق مع افكاره وآماله في خلق مستقبل يخلو من كلّ هذه المنغصات المتلاحقة عليه ويعني بحسب ما بينه باقر الصدر بالآيات والروايات التي سيرها باقر الصدر وغاص بأَعماقها مجموعة أفكار ورؤى واعتقادات في حقيقة المستقبل للبشرية نابعة من تأطير عقائدي وديني مدعوم بالنصوص(٤١) .

فلو تتبعنا الآيات والروايات المختصة في هذا الشأن لرأيناها كثيرة فمنها ما وردَّ عن الإمام التقي أنّه قال "إنّ القائم منا هو المهدي الذي يجب أَن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره. وهو الثالث من ولدي" (٤٢).

فهذا الحديث ونظائره يدل على أنَّ الانتظار في عهد الإمام واجب إلى أن يظهر الامام وظهوره يعني المستقبل السعيد للبشرية وتحقيق جميع الأَمال لهذا المستقبل وعن أمير المؤمنين "افضل العبادة الصبر وانتظار الفرج" (٤٣).

فهذا الحديث يجعل الانتظار من أفضل العبادات والعبادة كما نعلم في الاسلام هي من امهات الأَفعال وعظائم امور التشريع وعن الصادق (ع) "من مات منكم وهو منتظر لهذا الأَمر كمن هو مع القائم في فسطاطه"(٤٤)، وهذا يعني أنَّ الانتظار بمنزلة صنع لمستقبل الانسانية واسهاماً فاعلاً في ذلك فالقيام مع صاحب العصر والزمان في فسطاطه يعني مشاركة في مراكز القرار لمستقبل البشرية واسهاما في مناهج التخطيط له وكيفية العيش فيه وعن الصادق (ع) "ليعدن احدكم لخروج القائم ولو سهما فان الله تعالى اذا علم ذلك في نيته رجوت لان يُنسىء في عمره حتى يدركه" (٤٥).

وهذا الحديث يشير إلى مفهوم الانتظار الايجابي الموجه الذي يعني الاستعداد لصنع مستقبل البشرية النير المأمول ويجب أَن نفهم أَنَّ الانتظار الموجه مبني على حقيقة السنن التاريخية وعلى أنّ المستقبل المزدهر يجري على وفق هذه السنن، السنة التاريخية مهمة للغاية لابد من تحقيقها. وللإنسان في حقيقة الأمر دور في هذا، وهو يقوم بوظيفته الاجتماعية والدينية والفكرية كطرح المفاهيم الصحيحة ومحاولة خلق مجتمع مثالي تسوده الحرية والعدالة ونبذ كلّ انواع الظلم والاضطهاد والتمييز القائم على غير الكفاية من قبل الانظمة الفاسدة والطواغيت وحكام الجور. ومحاولة ابداء النصح والتعليم الاجتماعي والسياسي اللازمين لبناء مجتمع سليم ونصرة المظلومين في ارجاء المعمورة اينما حلوا وأرتحلوا وفي الحقيقة أنَّ مثل هذا دور وهذه وظيفة لا يمكن أن يتم إلآ بالاقتناع الفكري المسبق بان المستقبل الوردي الموعود ممكن الحصول بل واجب فمن غير هذه القناعات القبلية المسبقة لا يمكن للإنسان التحرك لصناعة مستقبل لايؤمن بوجوده العاجل أو الآجل وهذه القناعة بحسب ما يراه باقر الصدر لا تتم إلآ بالأساليب الدينية القويمة التي بينا جزءاً منها في ما سبق. فضلاً عن شيء مهم آخر يجب التنبه له وهو معالجة ثنائية جدلية يعيشها كلَّ انسان في العالم وهي الهوة السحيقة بين الواقع المعاش والمستقبل المأمول إذ يتعرض كلّ انسان إلى ضغوطات متنوعة. وتناقضات واضحة فيما يعيشه من حياة ويزاوله من أَعمال ويباشره من علاقات مع الآخرين وبين ما يطمح للوصول إليه هو والبشرية من مستقبل موعود يخلو من كل هذه الامور والتعقيدات والكوارث فهذا يعني انه على الانسان أنَّ يفهم فهماً مستنيراً معمقاً العلاقة بين الواقع والمثال إذ أنَّ العلاقة بين هذين المفهومين علاقة من الدقة والخفاء ما يحتاج إلى تأمل طويل وفكر عميق فالعلاقة بينهما هي علاقة السبب بمسببه والعلة بمعلولها. فالواقع ارضية خصبة بكلِّ ما يحمل من هموم وقضايا الطموح المنشود فعلى الإنسان أنْ ينطلق من هذا الواقع ويفيد من كلّ مدخراته وطاقاته لتحقيق هدف البشرية السعيد ومستقبلها الرغيد من كلّ ما سبق نستنتج بحسب مايراهُ باقر الصدر وغيره من علماء الإسلام تحمل كماً هائلاً من التوقعات والاعتقادات بحقيقة ونوع المستقبل البشري الذي ينتصر فيه الإسلام على بقية الديانات في أرجاء الأَرض.

إنَّ من الطبيعي أنْ تكون مسيرة الانسان الكلية الاجتماعية ذات بداية صغيرة ضعيفة ومحدودة ثم تتكامل في مجمل حركتها حتى تصل إلى مرحلة الكمال المطلق المتمثل في دولة الحقّ التي وعدَّ الله سبحانه وتعالى عباده، ولا تعني قضية ظهور الموعود هي مجرد استخلاف؛ لأن هذا الاستخلاف كان من قبل

أَيضاً ((كما استخلف الذين من قبلهم))(٤٦)، لكن القضية هي أَن يُمكن لهم دينهم الذي أرتضى أي يصبح هذا الدين مُتمكن تمكناً كاملاً، ((ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا))(٤٧)، هذا الأمر هو الأَمر الموعود الذي يُعَبر عنه القرآن الكريم بظهور الإسلام على الدين كله.

الانتظار السلبي: وهو انتظار يحمل في حقيقته كلّ الخلفيات الثقافية والمعرفية والنفسية الهزيلة للإنسان الذي يعتقد بها. فهو مفهوم تخلفي رجعي يأخذ بالانسان إلى الوراء ويجره إلى التنازع والتباغظ وقتل الانسان لاخيه الانسان واستئصاله من الوجود وهذا يعني أَنَّ معتقد هذا المفهوم هو انسان تعطيلي(٤٨)، فوضوي خامل يريد أن يجعل الحياة نوماً عميقاً عسى ولعل أن يحلم فيهِ احلاماً وردية أو قرمزية أو ينتظر تباشير الصباح الجديد بشمسه التي يرجو منها أَنَّ تدغدغ جسمه البارد الخامل شبه الميت باشعتها الدافئة المعطاء وهيهات منه ذلك.

النموذج الحضاري الامثل:- يرى باقر الصدر أنَّ المستقبل المنشود السعيد أو الانموذج الحضاري للبشرية الذي عرفناه قبل قليل كيفيتة وأَساليب انتظاره وأَنواع هذا الانتظار. لا يمكن أَن يتم الا عبر مراحل عدّة قطعتها وتقطعها البشرية بحسب السنن الإلهية وهي بحسب المفهوم القرآني الذي سيشرحه الصدر على ثلاث مراحل.

مرحلة التوحيد.

مرحلة الاختلاف.

ج- مرحلة التكامل.

مرحلة التوحيد: وهي المرحلة الابتدائية الأولى التي مرت بها البشرية وتعدّتها وهي مرحلة الفطرة والسذاجة وعدم الاختلاف إذ كان الناس أمة واحدة لا تنازع ولا تباغض بينهم وانما مصالح واحدة. إنَّ هذه المدة مدة قصيرة من حياة البشرية الطويلة سرعان ماتبخرت نتيجة طبيعة الانسان وطبيعة تاريخ البشرية الذي يحكم بسننه تطور الأَشياء وتغيرها. اذ إنَّ طبيعة المجموعات البشرية الاولى سرعان ماتضخمت بكلِّ شيء في حاجاتها وتفكيرها وآمالها وانتقلت إلى المرحلة الثانية.

مرحلة الاختلاف: وهي المرحلة الراهنة في حياة البشرية التي تتصارع فيها الأَفكار والنظريات والاهواء والشهوات وبحسب سنن التاريخ وقوانينه من أَجل اثبات نظرة أو تثبيت حكم أو سيطرة جماعة على أخرى(٤٩)، إنَّ هذه المرحلة مرحلة مخاض كبيرة وعسيرة بحسب ما يستقرء باقر الصدر وهي تجري بحسب السنن التاريخية وهذه المرحلة لا تكون كالعضو المقطوع من الجسد بالنسبة للمرحلة السابقة (مرحلة التوحيد)، والمرحلة اللاحقة (مرحلة التكامل) وإنما ترتبط فيهما ارتباطاً عضوياً تلاحميا فهي كما بينا تضخم لمجتمع التوحيد وبداية لمجتمع التكامل. فيمكننا أن نلاحظ كثيراً من الظواهر في مرحلة الاختلاف نلمس فيها بدايات تحول نحو مجتمع المستقبل الخير المزدهر ونحو التقدم والتغير والتطور والتنمية.

ج- مرحلة التكامل: وهي المرحلة التي تصل فيها البشرية إلى نهايتها السعيدة ومستقبلها المنشود وتنعم بالخير والتخلص من الاستغلال والاستعباد(٥٠)، وفي الحقيقة أنّض المستقبل المأمول والنموذج الحضاري الأَمثل يرتبط بالكثير من مفاهيم التاريخ وسننه ومن بين هذه الارتباطات.

المستقبل وفكرة الخلاص

إنَّ المستقبل الذي تنتظره البشرية مرتبطاً بفكرة الخلاص وفكرة الخلاص فكرة قديمة متأصلة في الفكر البشري الديني ناشئة في طبيعة الحياة الاجتماعية القاسية والدموية التي عاشها الإنسان عَبَرَ تاريخه الطويل وقد أكدتها الأديان السماوية ولاسيما الرئيسة منها (اليهودية، المسيحية، الإسلام بالاخص). إمّا الفلسفات المادية كالماركسية وغيرها فقد إشارت إلى فكرة الخلاص وانتهاء كلّ أَنواع الاستلاب ولكن الفرق بين الفكرتين (الخلاص الديني والخلاص المادي الماركسي) هو تعالي الأَول وجعل الخلاص يصدر من التعالي وانخفاض الخلاص في الثانية وجعله ينبع من التاريخ.

المستقبل والتقدم

إنَّ التقدم يرتبط ارتباطاً مهماً بالمستقبل الذي تأمله البشرية، ولكنَّ النظرة إلى التقدم تعلق بحسب الفلسفات المتنوعة فـ(هيجل) مثلا ينظر إلى أنَّ حركة التاريخ تتجه نحو المجهول؛ والسبب في ذلك يرجع إلى عدم تحديد حركة التاريخ من قبل صناعه نفسه اما صانعوا التاريخ فلايعرفون اين يتجه؛ لذلك فهو يتأرجح بين الأَخذ والعطاء والسلب والايجاب. وأَما الصدر فيرى بحسب المعطيات التي يفهمها من النصوص الدينية (قرآن وسنة) أَنَّ التاريخ يتقدم بخطا ثابتة نحو غاية وهدف ينشده اذ ان مدى التحرك التاريخي (لحركة التاريخ) يعتمد معادلة صراع الحقّ والباطل فالتاريخ ساحة لهذا الصراع الذي بدء منذ اللحظة الأَولى التي انطلق فيها التاريخ وتحرك.

وهذا الصراع صراع طويل ومرير وسجال ينتصر فيه الحقّ فينة والباطل فينة أخرى، ولكن النتيجة المحتمة في هذا الصراع وهذه الحركة التاريخية الدانية هو التقدم نحو انتصار الحقّ وخسارة الباطل إلى أن تصل هذه الحركة إلى قمة التقدم المستقبلي والذي ينتصر فيه الحقّ كله على الباطل كلّه قال تعالى: ((بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق))(٥١).

وبما أنَّ باقر الصدر بنى على الخلافة الإلهية مفهوم التقدم وحتم بحسب السنن التاريخية الإلهية أن تصل إلى النتيجة المعلومة عن طريق الإمام الحجة المنتظر(عج). فان المثالية التي يفترضها للمستقبل السعيد للبشرية والمتمثلة بظهور الموعد(عج) هي مثالية تتخذ من الواقعية منطلقا لها فهي ليست مثالية طوباوية أو خيالية مزعومة كما هو الحال بالنسبة للمثالية المادية التي تتوقع المستقبل السعيد وكأنّه حلم من الأحلام السعيدة أَو خيال من الخيالات الانسانية اللذيذة (٥٢).

الخاتمة:

إنَّ الفلسفة الغربية في رؤية باقر الصدر نابعة اساساً من المادة ومن التعالي على المادة فهي لا تملك رصيداً للمفاهيم الفوقية أو الغيبية ولا تفقه شيئاً منها مما يجعلها تنظر إلى شطر واحد من الحياة وهي

المادة وتتناقل الشطر الآخر الغيب أو الروح فيها وهذه النظرة غير واقعية وقد اثبتت فشلها على الصعيد العملي فنظرياتها تطبق ثم تنهار من الأَساس.

تنبه باقر الصدر إلى عدم امتلاك الفلسفة الغربية مقومات التعالي على التاريخ لأنّها تنطلق من أرضية مادية فقط وقد أعطى البديل المناسب لها المتمثل بالأنموذج الإسلامي الذي يمزج التاريخ بالتعالي عن طريق الإيمان بالله مما يعطي للتاريخ جانبه المتعالي.

وجه باقر الصدر النقد على الفلسفة الوضعية كانتقاده للمادية التاريخية الذي مفاده إنَّ اساس التناقضات الموجودة في المجتمع هو التناقض الطبقي والصراع الحميم الذي يدور بين الأَغنياء والفقراء وبين العامل ورب العمل إذ هناك الطبقة الأَولى التي تملك رأس المال ومفاتيح الانتاج والطبقة الثانية الطبقة العاملة التي تستغلها الطبقة الاولى وتمتص كلّ ما لديها من طاقة في سبيل تركيز وتكديس الطاقات والثروات بيدها ولا تعطيها من هذه الطاقات الحد الادنى لمعيشتها وما يكفي لكي تقوم بخدمتها مرة ثانية وهكذا دواليك.

إنّنا لو استطعنا أن نجد نقطة التوافق والحل لهذا الصراع الطبقي لاستطعنا أنْ نقضي على الرأسمالية والاستقلال المقيت للإنسان من اخيه الإنسان وهذا ما أَراد بيانه (ماركس) ومن تبعه من الثوار كما يعبر باقر الصدر، ولكنّه يستدرك عليهم أنَّ الصراع والتناقض الطبقي ليس هو أساس التناقضات في المجتمعات وفي مراحل الانتاج في المجتمع بل أن هناك تناقضاً أكبر من ذلك ولو ادركنا أَساليب معالجته لتمكنا معالجة باقي التناقضات كالتناقض الداخلي لمحتوى الانسان (الجدل الانساني) الموجود في صميمه والذي لا صبغة معينة ولا اسلوب تعبيري واحد له بل انّه يأخذ أَساليباً كبيرة حتى إذا عجز عنه اسلوب انتقل إلى آخر وإذ فاتته صبغة أخذ أختها.

يستدل باقر الصدر بالعامل الأَوربي والأَمريكي مع المنتج الأوربي والأَمريكي إذ إنّه من المؤمل إذا صحت نظرة ماركس في تاريخ (المادية التاريخية) أنْ تتصاعد وتيرة الصراع بين هاتين الطبقتين حتى ترى العامل الأَوربي أو الأَمريكي يقضي على منتجه وتذهب آمال الرأسماليين أَدراج الرياح.

إنَّ المجتمعات الرأسمالية جنت الثراء المتزايد والغنى الفاحش الذي لا يرى له افق في انقطاعه إذ تكاتف العامل والمنتج الأَوربي والأَمريكي مع بعضمها وتقاسما الثروات، على حساب تناقض آخر وهو استغلالهما للشعوب الأخرى أو ما يسمى بـ(شعوب العالم الثالث).

إنَّ تناقض المحتوى الداخلي للإنسان لا يعالج إلّا بالاسلام بنظر باقر الصدر، وما طرحه الإسلام من مفاهيم كالتقوى والقناعة والورع والوازع الاخلاقي.. الخ.

إنَّ الجدلية تقضي على نفسها من منظور الصدر فبأي حقّ تتعالى نظرية هيجل أو ماركس على الجدلية في الفلسفة الوضعية. إذ أَنّ كلّ قضية تطرح نقيضها وتحطمها. فضلاً عن أنّ هناك روحانية مزيفة تدعي الفلسفة الغربية تمثلها عند شبينجلر وتوينبي وهذا ما تنبه له بعض فلاسفة المسلمين

المعاصرين ولا سيما باقر الصدر ورغم امتلاك تلك الفلسفة مقومات التعالي على التأريخ الا أنّ هذا التعالي إنساني ويبقى يتأرجح تحت سقف التأريخ.

الهوامش

[١] السعيدي، حميد خلف، دروس في فلسفة التاريخ، د.ط، ٢٠٠٧، بغداد، نشر دار أمجد، ص٢٩.

[٢] الجابري، علي حسين، فلسفة التاريخ الفكر العربي المعاصر، د.ط، دار الشؤون الثقافية، بغداد،١٩٩٣م، ص٦٣-٧٣.

[٣] اسماعيل، محمود، نهاية أسطورة ابن خلدون، ط١، عامر للطباعة والنشر، المنصورة ١٩٩٦م، ص٩.

[٤] البخاري، جمانة، الفلسفة العربية المعاصرة، مركز الوحدة للدراسات والنشر، بيروت ط١، ١٩٨٨م، ص٢٤٦.

[٥] الصدر، محمد باقر، غاية الفكر، ط١، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ١٤٢١هـ، ص ١١-٤٦.

[٦] الصدر، محمد باقر، المعالم الجديدة للأصول، ط١، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم١٤٢١هـ، ص ٢٩ – ٣٨.

[٧] الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، سنن التأريخ في القران، ط١، المؤتمر العالمي للأمام الشهيد الصدر(قده) نشيد مركز الابحاث الدراسات التخصصية للشهيد الصدر (قده) قم المقدسة،٢٠٠٤، م ص٦٧.

[٨] سورة الاحزاب: الآية ٣٨.

[٩] السورة الاسراء: الآية ٧٧.

[١٠] ينظر: الصدر، محمد باقر، مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن (القرآن وعلومه)، ج١، دار التوجيه الاسلامي، ص٢٢.

[١١] الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ج١، مجمع الفكر الاسلامي، قم ١٤١٧هـ، ص ٣٤٤.

[١٢] الحسيني، علي، المستقبلية، مجلة فصلية تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات المستقبلية للطباعة والتوزيع ، الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت العدد ٢ سنة ٢٠٠١م ص٢٢٠.

[١٣] الحكيم، محمد باقر، علوم القران، دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ص٢٦٦.

[١٤] الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية ص٣٠.

[١٥] سورة الاعراف: الآية ٣٤ .

[١٦] سورة الرعد: الآية ١١

[١٧] سورة محمد: الآية ١٠.

[١٨] الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية ، ص٣٠.

[١٩] سورة الاعراف: الآية ٣٤.

[٢٠] ينظر: الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص٣٥

[٢١] الصدر، محمد باقر، رسالتنا، نشر دار التوحيد، طهران ط١، سنة ١٤٢٥ – هـ – ٢٠٠٤م ص٦٤.

[٢٢] الصدر، محمد باقر، رسالتنا، ص٦٤.

[٢٣] أندرة، روبينه، الفلسفة الفرنسية، فصل فلسفة القرون الوسطى ترجمة: جورج يونس ماذا اعرف، المنشورات العربية ص ٥٣.

[٢٤] باقر الصدر، رسالتنا، ص٦٤- ٦٥.

[٢٥] سورة الأعراف، الآية: ٣١.

[٢٦] باقر الصدر، رسالتنا، ص٦١.

[٢٧] محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص ٧٢.

[٢٨] محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص ٧٢.

[٢٩] كرين بريتون، تشكيل العقل الحديث، ت شوقي صلال، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ٢محرم - ١٤٠٥هـ ، اكتوبر – تشرين الاول ١٩٨٤م، ص ٥-٦.

[٣٠] المصدر السابق، ص٣٣ .

[٣١] المصدرالسابق، ص ٩-١٠.

[٣٢] للاستزادة ينظر: محمد باقر الصدر، موسوعة الامام المهدي، ج٤، ص٦٤-٧٦.

[٣٣] محمد باقر الصدر، رسالتنا، ص ٦٣.

[٣٤] محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص١١٥-١٧٠.

[٣٥] المصدر السابق، ص ١٣٣-١٣٤.

[٣٦] محمد باقر الصدر، رسالتنا، ص ٥٨-٥٩.

[٣٧] المصدر السابق، ص ٥٨- ٥٩ .

[٣٨] جورج، بولتيزر واخرون، أصول الفلسفة الماركسية، ج٢، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ص١٤.

[٣٩] سورة الصف: الآية ٢ .

[٤٠] الصدر، باقر الصدر، بحث حول المهدي، ط٢، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٥٥-٦٠ .

[٤١] الصدر، محمد باقر، بحث حول المهدي، ص٩.

[٤٢] الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ط٢، الناشر مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٥هـ، ص٣٧٧ .

[٤٣] الحراني، ابو محمد الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول، دار التعارف للمطبوعات، ص١٤٤.

[٤٤] المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ج١٨، ط٢، مؤسسة الوفاء بيروت ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣، ص١٢٦،٥٢.

[٤٥] محمد باقر الصدر، موسوعة الإمام المهدي (ع)، ج٢، د.ط ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص ٣٣٥.

[٤٦]) سورة النور: الآية ٥٥.

[٤٧]) سورة النور: الآية ٥٥.

[٤٨] محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، ص١٤٣ .

[٤٩] المصدر السابق، ص١٤٥.

[٥٠] المصدر السابق، ص١٤٥.

[٥١] سورة الانبياء: الآية ١٨ .

[٥٢] الصدر، محمد باقر، الاسلام يقود الحياة، ص١٤٣.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- اسماعيل، محمود، نهاية أسطورة ابن خلدون، ط١، عامر للطباعة والنشر، المنصورة ١٩٩٦م.
٣- أندرة روبينه، الفلسفة الفرنسية، فصل فلسفة القرون الوسطى ترجمة: جورج يونس، ماذا اعرف، المنشورات العربية، د.ط.
٤- بريتون، كرين، تشكيل العقل الحديث، ترجمة: شوقي صلال، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط٢،١محرم، ١٤٠٥هـ– اكتوبر– تشرين الاول، ١٩٨٤م.
٥- بوليترز، جورج، واخرون، اصول الفلسفة الماركسية، ج٢، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٦- البخاري، جمانة، الفلسفة العربية المعاصرة، مركز الوحدة للدراسات والنشر، بيروت ط١، ١٩٨٨م.
٧- الجابري، علي حسين، فلسفة التاريخ الفكر العربي المعاصر، د.ط، دار الشؤون الثقافية، بغداد،١٩٩٣م.

٨- الحراني، ابو محمد الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٦، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م.
٩- الحسيني، علي، المستقبلية، مجلة فصلية، تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات المستقبلية للطباعة والتوزيع، الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، العدد ٢ سنة ٢٠٠١م.
١٠-السعيدي، حميد خلف، دروس في فلسفة التاريخ، د.ط، ٢٠٠٧، بغداد، نشر دار أمجد.
١١- الصدوق، ابو محمد بن علي بن الحسن بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، ج١، الناشر مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ط٢، ١٤٠٥هـ.
١٢-محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٣ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
١٣- المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ج١٨، مؤسسة الوفاء بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ،١٩٨٣م.
١٤-الصدر، محمد باقر، غاية الفكر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ط١، ١٤٢١هـ.
١٥-الصدر، محمد باقر، المعالم الجديدة للأصول، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ط١ – ١٤٢١هـ.
١٦-الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، سنن التأريخ في القرآن المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر(قده)، نشر مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر (قده)، قم المقدسة، ط١، ٢٠٠٤م.
١٧- الصدر، محمد باقر، رسالتنا، نشر دار التوحيد، طهران، ط١، سنة ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٤م.
١٨- الصدر، محمد باقر، بحث حول المهدي (ع)، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم ، ط٢، ١٤٢٥هـ ،٢٠٠٤م.
١٩-الصدر، محمد باقر، موسوعة الإمام المهدي (ع)، ج٢، د.ط، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٢٠- محمد صادق الصدر، موسوعة الامام المهدي(ع) (اليوم الموعود)،ج٤، ط١، مؤسسة بقية الله، النجف، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

صنعاء تحت حكم بنو يام (٤٩٢– ٥٨٥ هـ) (دراسة تاريخية)

م . د . محمد حسين ابراهيم*

الكلمات المفتاحية : يام، صنعاء، اليمن، حاتم بن احمد

Sana'a under the rule of the Banu Yam (492-585 AH) (historical (study

Keywords : Yam، Sanaa، Yemen، Hatem bin Ahmed

المستخلص :

حمداً لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نتوب إليه وصلاةً وسلاماً على نبيه المختار واله الاطهار وصحبه الاخيار أما بعد : – شهدت بلاد اليمن في اوآخر عهد الدولة الصليحية حالة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي نتيجة لمظاهر الضعف التي ظهرت على الدولة بوضوح ، فآنس حكام الحصون التابعة للدولة الصليحية ذلك الضعف فتاقت نفوسهم إلى الاستقلال بما تحت أيديهم ، كما ظهرت لدى زعماء القبائل اليمنية رغبة في الاستقلال والتحرر وعدم الخضوع لحكومة مركزية و العودة إلى السيادة المحلية ، الامر الذي أدى إلى تفكك بلاد اليمن إلى كيانات قبلية ، فاستغل بنو يام تلك الاوضاع وسيطروا على مدينة صنعاء ، اكبر مدن اليمن و اهمها من الناحية الاقتصادية و السياسية و محط انظار جميع القوى السياسية اليمنية التي تطمح في بسط نفوذها على جميع انحاء اليمن ، و ظل حكمهم لهذه المدينة مستقلا حتى مقدم الايوبيين الى بلاد اليمن و متداولاً بين ثلاثة اسر من بني يام وهم : – اسرة ال حاتم بن الغشيم ، ال هشام بن القبيب ، و ال حاتم بن احمد . و كان لهذه القبيلة دوراً سياسياً مهماً في صنعاء سيما للمدة (٤٩٢ – ٥٨٥ هـ) وبلاد اليمن عامة تمدة للمدة (٥٨٥ – ٥٩٧هـ) .

Abstract:

Praise be to God, we praise Him, seek His help, seek His forgiveness, and repent to Him, and prayers and peace be upon His chosen Prophet, the God of the pure, and his good companions. As for what follows: - The country of Yemen witnessed, at the end of the era of the Sulayhid state, a state of chaos and political instability as a result of the manifestations of weakness that appeared on the state clearly. The Sulayhid state had that weakness, and their souls yearned for independence with what was under their hands. The Yemeni tribal leaders also showed a desire for independence and liberation, not being subject to a central government and returning to local sovereignty, which led to the disintegration of the country of Yemen into tribal entities, so the Banu Yam

* **الجامعة المستنصرية / كلية التربية**
البريد الالكتروني / dr.m.hussain1977@gmail.com

took advantage of these conditions and took control On the city of Sana'a, the largest and most important city in Yemen from an economic and political point of view, and the focus of attention of all Yemeni political forces that aspire to extend their influence over all parts of Yemen. Yam, they are the family of Al Hatim bin Al Ghashim, the family of Hisham bin Al Qubaib, and the family of Hatim bin Ahmed. This tribe had an important political role in Sana'a, especially for the period (492-585 AH) and the country of Yemen in general for the period (585-597 AH)

المقدمة

تعدّ مدينة صنعاء من اهم مدن بلاد اليمن ، نظراً لما تميزت به من موقع جغرافي مهم من الناحية السياسية و الاقتصادية ، لذلك كانت محط انظار جميع القوى السياسية اليمنية التي تطمح في بسط نفوذها على جميع انحاء البلاد . ومن هذه القوى السياسية بنو يام الذين تمكنوا من السيطر عليها عام ٤٩٢هـ و اتخاذها مقراً لتوسيع نفوذ دولتهم حتى عام ٥٨٥هـ حيث سيطر عليها الايوبيون وقد شهدت صنعاء خاصة و بلاد اليمن عامة في عهد بنو يام احدث السياسية مهمة . وقد قمت في بحثي هذا بجمع اخبار بنو يام ، ليتم فيما ارجو اخراج بحث يتناول ((صنعاء تحت حكم بني يام ٤٩٢– ٥٨٥هـ دراسية سياسية)) ... والله ولي التوفيق

التمهيد

صَنعاء : بفتح الصاد و سكون النون بعدها عين مهملة ، مدينة عظيمة مشهورة و حصينة ، تقع وسط بلاد اليمن و تعد اكبر مدنه ، فهي بذلك أم اليمن و مركزها ، تميزت بكونها مدينة جبلية سهلية حيث يحدها من الشرق و الجنوب مجموعة من الجبال منها جبل نقم ، الحبوب ، السر ، وذي مرمر ، الكبس ، حجانة ، مأرب وعيبان ؛ اما من الغرب و الشمال تحدها ضواحي و وديان فيها بساتين و مدن عامرة منها ريدة ، ذبيين ، خصر ، شهارة ، ثلا ، شبام كوكبان و الطويلة وغيرها كثر[١]

اختلف المؤرخون في اصل تسمية صنعاء فنسبها البعض الى بانيها ، فقيل سمّيت صنعاء نسبة الى صنعاء بن أزال بن عمير او يعير او عنير او عبير بن عابر او عامر بن يقطن وقيل بن شالخ او شالح بن ارفخشد [٢] ؛ وقد خالفهم في هذا القول بعض المؤرخون فذكروا ان أزال والد صنعاء هو اول من بناها وسميت بأسمه ، ثم ملكها ابنه صنعاء بعده فغلب اسمه عليها [٣]. اما البعض الاخر من المؤرخين فنسب تسميتها الى جودة الصنعة و اختلفوا بها ايضاً ، فذكر بعضهم ان اسم صنعاء قبل سيطرة الاحباش[٤] الاولى على اليمن عام (٣٤٠ ـ ٣٧٥ م) كانت تسمى إيال او أوال ، يبدو انها تحريف لاسم ازال ، وعندما دخلها الاحباش و رأتها مبنيّة بالحجارة، قالوا: صنعة صنعة و تعني بلسانهم

حصينة فسمّيت صنعاء [٥] . اما البكري[٦] فذكر ان الاحباش اعادوا بناءها و اتقنوا صنعتها فقالت عنها العرب صنعة فسمّيت صنعاء ، في حين ذهب البعض الاخر الى القول عندما هزم وهرز الفارسي عام (٥٧٥م) الاحباش عند سيطرتهم على بلاد اليمن للمرة الثانية عام (٥٢٥ ـ ٥٧٥ م) [٧] ، دخل صنعاء و قال: أحكمت الاحباش صنعتها ، فسمّيت صنعاء.[٨] ؛ اما الهمداني[٩] فقد انفرد بالقول انها سميت بذلك نسبة الى ملكة تسمى صنعاء كانت تحكم هذه المنطقة .

تميزت صنعاء فضلاً عن موقعها الجغرافي بانها أحسن مدن بلاد اليمن بناء وأصحها هواء وأعذبها ماء ، وأطيبها تربة وأقلها أمراضاً ، وهي قليلة الآفات والعلل ، واللحم يبقى بها أسبوعاً لا يفسد ، يشتون اهلها في كل سنة مرتين ، ويصيفون مرتين و بذلك يدركون الزرع في العام مرتين فتغل مزارعها وحقول حنطتها مرتين في السنة، أما الشعير فيغل ثلاث مرات أو أربع لشدة اعتدال مناخها ، و تعتبر مركزاً تجارياً مهماً لأغلب نواحي اليمن[١٠]

و نظرا لذلك كانت صنعاء محط انظار جميع القوى السياسية اليمنية التي تطمح في بسط نفوذها على جميع انحاء بلاد اليمن ومنهم علي الصليحي(٤٣٩ – ٤٥٩ هـ)[١١] ، الذي استطاع ان يوحد بلاد اليمن تحت سلطته و تأسيس دولة اطلق عليها اسم الدولة الصليحية(٤٣٩ – ٥٣٢ هـ)[١٢] و اتخذ من صنعاء عاصمة له . وما ان آلت ادارة شؤون حكم الدولة الصليحية الى السيدة الحرة أروى بنت احمد الصليحي(٤٧٧ – ٥٣٢ هـ)[١٣] في عهد زوجها احمد بن علي الصليحي الملقب بـ المكرم (٤٥٩ – ٤٧٧ هـ) الذي أصابه مرض الفالج[١٤] ، بادرت الى ترك صنعاء و اتخذت من ذي جبلة[١٥] مقرا لها وحاضرة لدولتها[١٦] ، وقد اختلفت الروايات فيمن تولى حكم صنعاء نيابة عنهم ، فقيل اختارت السيدة اروى . عمران بن الفضل اليامي نائباً لها على حكم صنعاء ، الا ان المكرم عزله لتخوفه من تغلبه على صنعاء و احل محله حاتم بن الغشيم اليامي[١٧] . وقيل انما استمر عمران بن الفضل نائباً للصليحين على صنعاء حتى وفاته عام ٤٧٩ هـ فخلفه سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي [١٨] ، وقيل ان السيدة اروى جعلت سبأ بن احمد نائباً عنها على صنعاء و قام الاخير بتعيين عمران بن الفضل حاكماً عليها واقام هو في حصن اشيح من بلاد انس فلما توفي عمران سنة ٤٧٩هـ تولى سبأ بن احمد حكم صنعاء[١٩]

وبعد وفاة المكرم عام ٤٧٧هـ اعتمدت السيدة اروى في تسير امور الدولة على معاضدة الخلافة الفاطمية لها في حكم البلاد ، و رجال ذوي كفاءة عالية امثال سبأ بن احمد ، و سليمان بن عامر بن سليمان بن عبد الله الزواحي[٢٠] اللذان قدما المساعدة لها في كل ما يعود على الدولة الصليحية بالخير[٢١] . ثم ما لبثت ان أخذت الدولة الصليحية في الضعف اواخر عهد السيدة أروى نتيجة تقدمها في السن من جهة و وفاة سبأ و سليمان وانفصالها عن الخلافة الفاطمية في مصر من جهة اخرى ،

فتركت الأمور تسير كما شاءت وشاء لها القدر ، فأخذت مظاهر الضعف تظهر بوضوح ، فآنس حكام الحصون التابعة للدولة الصليحية ضعف السيدة أروى فتاقت نفوسهم إلى الاستقلال بما تحت أيديهم [٢٢] ، وظهرت لدى زعماء القبائل اليمنية رغبة في الاستقلال والتحرر وعدم الخضوع لحكومة مركزية و العودة إلى السيادة المحلية مما أدى إلى تفكك البلاد إلى كيانات قبلية ، الامر الذي كان سببا في جعل اليمن تعيش حالة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي [٢٣]

فاستغل بنو يام تلك الاوضاع وسيطروا على صنعاء سنة ٤٩٢ هـ فخرجت بذلك صنعاء عن اعمال الدولة الصليحية ولم يبق لهم بها ذكر ، و ظلّ حكمهم لهذه المدينة مستقلا حتى مقدم الايوبيين الى بلاد اليمن ، ومتداولاً بين ثلاثة اسر من بني يام وهم :- اسرة آل حاتم بن الغشيم ، آل هشام بن القبيب ، آل حاتم بن احمد[٢٤] . و استمر حكم هذه الاسر لـ صنعاء ثلاثة و تسعون عاماً (٤٩٢ – ٥٨٥هـ) . ولم ينتهِ دورهم السياسي في بلاد اليمن بسقوط صنعاء بايدي الايوبيين و انما استمر حتى عام ٥٩٧هـ . وجميع هذه الاسر تنتمي الى قبيلة همدان وهم من نسل يام و قيل ايام باضافة الف ، بن أصبى وقيل أصبي[٢٥] وقيل اصفى بن دافع وقيل رافع وقيل رفع[٢٦] بن مالك بن جشم بن حاشد بن جثم وقيل جشم[٢٧]، بن خيران و قيل خيوان بن نوف بن همدان[٢٨] بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار وقيل الجبار[٢٩] بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. و كانت مواطنهم بنجران، و النسبة اليهم يسمى يامي او الإيامي[٣٠]

قيام دولة بني يام في صنعاء والتعريف بملوكها

اولاً – صنعاء تحت حكم اسرة ال الغشيم اليامي (٤٩٢ – ٥١٠ هـ)

لم تلقِ المصادر التي تحت ايدينا الضوء الكافي حول تاريخ هذه الاسرة قبل سيطرة حاتم بن الغشيم على صنعاء سوى بعض المعلومات المتضاربة حول حاتم ، فقيل انه كان حاكم مدينة الدملوة [٣١] ؛ وقيل انما كان يعمل نائبا لعلي الصليحي في عدن بجانب بني معن [٣٢] ، وقيل ان حاتم قد تولى حكم صنعاء نيابة عن بني الصليحي بعد عزل عمران بن الفضل[٣٣]

على الرغم من ذلك فان جميع المصادر متفقة على انه استغل وفاة الملك سبأ بن احمد الصليحي عام ٤٩١هـ ، وبعده بعام وفاة سليمان بن عامر الزواحي ، فاستولى على صنعاء عام ٤٩٢هـ ، وأعانته قبائل همدان على ذلك ، نظرا لما تميز به من صفات حيث كان حازما شجاعاً عظيم السطان و من اهل الكفاءة المعدودين في همدان ؛ و فضلاً عن ذلك رغبة قبيلة همدان في ايجاد سلطة مستقلة خاصة بها في بلاد اليمن[٣٤] . والغريب بالامر ان المصادر التي اطلعنا عليها لم تشر الى حدوث

صراعات او مواجهات مع حاكم صنعاء عندما سيطر عليها حاتم ، الامر الذي يجعلنا نؤيد الرأي الثالث القائل ان حاتم بن الغشيم كان نائباً للصليحين على صنعاء .

و بسيطرة حاتم بن الغشيم على صنعاء اصبحت ولاية مستقلة تحت حكم اسرة آل الغشيم ، فحكمت هذه الاسرة صنعاء بشكل مستقلٍ عن الدولة الصليحية ، و انفصلت عن الفاطمين و امتنعت عن الولاء و الانتماء اليهم ولم تتحرك السيدة اروى لاستردادها و قبلت بالامر الواقع واتجهت إلى تدعيم ما تبقى من دولتها [٣٥]

ولم تذكر المصادر التي اطلعنا عليها الشيء الكثير عن عهد السلطان حاتم بن الغشيم سوى انه عمل على ضبط امور مملكته الجديدة و حافظ على علاقته الطيبة بقبيلة همدان مستعيناً في امره على ابنائه الثلاثة وهم محمد و عبد الله و معن ، فاما محمد فقد تميز بالشجاعة و الجود وكان سيفاً في حماية ابيه ، قتله ابوه لانه خطب امرأة من بني الصليحي فابى اهلها تزويجه الا بضمانة ابيه و كفالته بان لا يقتلها حيث كانت عادته ان يقتل من يتزوجها ، فضمنه ابوه امام محفل عظيم من رؤوساء القبائل اليمنية ، قال له ان قتلتها قتلتك ، فتزوجها لكن سرعان ما قتلها و فر الى حصن براش الواقع جنوب شرق صنعاء خوفا من ابيه ، الذي ما لبث ان ارسل اليه يطلب منه الحضور اليه فاستجاب محمد لطلبه وما ان حضر اليه وثب عليه فقتله و استمر حاتم في حكم صنعاء حتى وفاته سنة ٥٠٢ هـ[٣٦]

فتولى ابنه عبد الله الملقب بالشاب العادل حكم صنعاء وقد استطاع كابيه ان يحافظ على علاقته الطيبة مع قبائل همدان وسعى الى توحيد كلمتهم و حال دون اختلافهم ، مات مسموما سنة ٥٠٤هـ في ظروف غامضة فتولى اخوه معن واثناء حكمه لصنعاء تجبر على قبيلة همدان وقسى عليهم فشمل ظلمه لاكثر رجالاتهم و يبدو ان سبب تجبره على همدان هو اتهامهم بقتل اخيه بالسم ، الامر الذي جعل روؤساء قبائل همدان تجتمع عام ٥١٠هـ عند القاضي احمد بن عمران بن الفضل اليامي الذي عُرف بعلمه و رجاحة عقله و يُرجع الى رأيه و خبرته فقرروا عزله عن حكم صنعاء[٣٧]

ثانياً – صنعاء تحت حكم اسرة ال القبيب اليامي (٥١٠ – ٥٣٣هـ)

بعد ان اجتمعت قبيلة همدان على عزل معن بن الغشيم عن حكم صنعاء ، اختارت هشام بن القبيب بن ربيع اليامي وولته امرها و يساعده اخوه الحماس ، فذهب اليها هشام بجمع كبير من همدان و حاصروا معن بها ، و اجبروه على تسليم نفسه للقاضي احمد بن عمران و تنازله عن السلطة فوافق معن على ذلك مقابل منحه الامان فاستجاب القاضي احمد لطلبه و منحه الامان فغادر معن ومن معه من اهل بيته الى حصن براش ، و تولى هشام بن القبيب امر صنعاء تحت مراقبة القاضي احمد بن عمران ، وبذلك انتهى امر ال الغشيم اولى اسر بني يام عن حكم صنعاء و بدأ تاريخ الاسرة الثانية من بني

يام[٣٨] ولم تشر المصادر التاريخية التي اطلعنا عليه الى معلومات وافية عن هذه الاسرة سوى ما اوردناه ادناه فذكرت .

قد احسن السلطان هشام بن القبيب الاضطلاع بالمسؤولية و حكم صنعاء بشكل مستقل عن الصليحيين ، واستمرت قبيلة همدان تطيع هشام وهو يحكمهم وفقاً لما يرغبون به الى ان توفي في شهر رمضان عام ٥٢٢هـ ؛ فتولى السلطة بعده اخوه الحماس، وبعد وفاته سنة ٥٢٧هـ تولى ابنه حاتم بن الحماس بن القبيب فكان اعظم حكام بني القبيب و اجرؤهم حيث غزا قبيلة جنب المعروفة بقوتها و كثرة عددها وقتل منهم الكثير ، و ذلك بسبب استمرار العداء القبلي بين الطرفين[٣٩]

فلما كانت سنة ٥٣٣هـ حضرت الوفاة حاتم بن الحماس فدعا اخوته وهم ابو الغارات و عامر و ابو الفتوح و محمد وهو اصغرهم ، و اوصاهم بان يجعلوا ابا الغارات وكان اكبرهم سناً سلطاناً عليهم ، فرفضوا ذلك و طلبوا ان يجعل عليهم محمد ، فلما رأى ما هم فيه بكى بكاءً شديداً خوفاً عليهم من تفرق كلمتهم ، و بعد وفاته اختلف الاخوة و تفرقت كلمتهم و تنازعوا فيما بينهم دون ان يتولى احدهم السلطة فاعتزلهم اهل صنعاء ؛ و اجتمع زعماء قبيلة همدان كافة و قصدوا حاتم بن القاضي احمد بن عمران بن الفضل اليامي وطلبوا منه ان يتولى امر صنعاء[٤٠] .

و الجدير بالذكر ان الحداد[٤١] لم يذكر حاتم بن الحماس و اعتبر الحماس اخر حكام بني قبيب حيث قال غزا الحماس قبيلة جنب و عنس فخاض معهم معركة كبيرة في منطقة وهران اسفرت عن قتل الكثير من الطرفين ثم عاد الى صنعاء ولما حضرته الوفاة جمع اليه اخوته وهم ابو الغارات و عامر و محمد و ابو الفتوح و حضهم على الالفه وعدم الفرقة وان يولوا بعد موته اكبرهم وهو ابا الغارات فقالوا له لا تولي الا محمد و كان اصغرهم ولما رأى ما هم فيه من الاختلاف وعدم الاتفاق بكى بكاءً شديداً ومات من ساعته و اختلف اخوته و تفرقت كلمتهم فاعتزلهم الناس في صنعاء ، و امتنعت قبيلة همدان عن مناصرتهم و اتفقوا على عزلهم عن السلطة سنة ٥٣٣هـ و بذلك انتهت الاسرة الثانية عن حكم صنعاء .

ويبدو ان سبب اكتفاء المصادر و المراجع بالمعلومات الواردة اعلاه عن الاسرتين هو استقرار الوضع السياسي في صنعاء حيث لم تشهد بلاد اليمن خلال حكم هاتين الاسرتين وجود امام زيدي يسعى الى السيطرة على صنعاء على العكس من الاسرة الثالثة التي شهدت ظهور امام زيدي ، الامر الذي ادى الى نشوب الكثير من المعارك . التي اوردتها المصادر و المراجع بشكل مفصل .

ثالثاً – صنعاء تحت حكم اسرة ال حاتم بن احمد اليامي (٥٣٣ –٥٨٥هـ)

بعد ان تنازع ال القبيب فيما بينهم حول من يتولى السلطة في صنعاء بعد موت حاتم بن الحماس ، اجتمع زعماء قبيلة همدان سنة ٥٣٣هـ ، و فضلوا اختيار حاتم بن احمد بن عمران بن الفضل اليامي الملقب السلطان الاجل حميد الدولة ، نظرا لما يتصف به من النبل والشهامة والكفاءة و الدهاء و الكرم و التضلع في اللغة و الادب و حافظاً لايام العرب له معرفة تامة بالطب و النجوم وسيداً في همدان ، فضلاً عن كونه من بيت رئاسة وعلم فجده عمران بن الفضل كان نائباً عن الصليحيين في حكم صنعاء ، اما ابوه احمد بن عمران فقد كان قاضيا مشهوراً وهو الذي عزل معن بن حاتم بن الغشيم حاكم صنعاء و ولى مكانه بني القبيب[٤٢]

لذلك طلب زعماء قبيلة همدان ان يتولى امر صنعاء ، فقبل الامر وسار اليها و معه سبعمائة فارس من همدان فاستولى عليها واستقر بها سلطاناً سنة ٥٣٣هـ ، فسارع الى ملء الفراغ الذي كانت تعيشه سدة الحكم بصنعاء. فعمل على توطيد دعائم دولته و تامين مجال نفوذها و اضطلع بمسوؤلياته على اكمل وجه ، وكون الاسرة الثالثة من اسر بني يام التي حكمت صنعاء مستقلة عن الصليحيين حتى مقدم الايوبيين[٤٣]

ومن اهم الاحداث التي واجهت السلطان حاتم بن احمد هي صراعه مع الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان[٤٤] حول صنعاء ، فقد تزامن قيام دولة بني حاتم بن احمد في صنعاء ، ظهور الإمام المتوكل على الله أحمد الذي دعا لنفسه بإمامة الزيدية سنة ٥٣٢هـ ، و استجاب لدعوته كل من صعدة و الجوف ونجران وبلاد الظاهر الواقعة شمالي صنعاء وبلاد عيان ووادعة وغيرها كثر [٤٥] . و نظرا لذلك بادر السلطان حاتم الى ارسال كتباً الى الامام اراد بها الدخول في طاعته لكن الامام رفض ذلك – ولم تشر المصادر الى سبب الرفض – ربما يعود الى اختلاف المذاهب بين الطرفين حيث كان الامام زيدياً و حاتم اسماعيلياً ، او رغبة الامام في السيطرة على صنعاء و التخلص من السلطان حاتم بن احمد ، فرد السلطان حاتم على الإمام بكلام جافٍ، لذلك نشأ عداء بين الطرفين و حاول كل منهما توسيع نفوذه على حساب الاخر[٤٦]

وفي عام ٥٤٥هـ تحول العداء الى صراع عسكري حيث توجه الامام المتوكل الى صنعاء للسيطرة عليها بطلب من الشيخ محمد بن عليان[٤٧]، فتحرك بقواته إلى منطقة عمران و عسكر في حصن بيت بؤس جنوب صنعاء بأنتظار الفرصة المناسبة للسيطرة عليها[٤٨] ، فبادر الامام بارسل أحد اصحابه إلى صنعاء ليستطلع له أخبارها، ويعمل على تحريض أنصارهم من الزيدية بها ، فلما علم السلطان حاتم بامر الرسول، طلب حضوره إليه و أعطاه رسالة للإمام أحمد يلومه فيها على تصرفه هذا ، و يخبره أن الاستيلاء على صنعاء ليس سلماً ولا سهلاً ، ولكنه بسفك الدماء، وخوض القتال وإظهار

الشجاعة ، فهل لديه استعداد لذلك و لما اطلع الامام على الرسالة ، قال والله لنأخذنها إن شاء الله تعالى [٤٩]

وعلى أثر ذلك بدأت المعارك بين الطرفين، حيث توجه الإمام أحمد نحو صنعاء و عسكر في منطقة الشرورة القريبة من صنعاء فدار قتال شديد بين الطرفين في الموضع المذكور انتهى بهزيمة جيش السلطان حاتم بن احمد ، ، و تقدم الامام بجيشه نحو صنعاء الامر الذي اجبر السلطان حاتم الى مغادرتها إلى منطقة الرحبة و قيل إلى منطقة الروضة[٥٠] واستقر بها و دخل الامام صنعاء [٥١] . فأقبل الناس إليه من كل جهة واقام الشعراء بين يديه بالتهاني. ثم ولّى عليها احد اتباعه و قفل راجعا إلى حصن بيت بؤس، وأثناء وجوده هناك سار إليه السلطان حاتم يطلب الأمان له ولأصحابه فعفا عنهم الإمام ، وبايع السلطان حاتم الإمام ورجع الى الرحبة او الروضة [٥٢]

ومع نشوة النصر انصرفت جموع الامام و عادت الى بلادها فانتهز السلطان حاتم الفرصة وزحف في نفس العام أي ٥٤٥هـ بمن معه من قبيلة همدان و استرد صنعاء من الامام[٥٣] . وقيل بعد فترة قصيرة نشأ خلاف بين السلطان حاتم والامام المتوكل – لم تذكر المصادر سبب هذا الخلاف – فانتقل السلطان حاتم الى حصن الظفر جنوب شبام كوكبان وتجمع حوله عدد كبير من انصاره و اتجه الى صنعاء فدار قتال شديد بين قواته و قوات الامام تحت حصن براش[٥٤] ، و لم تحسم هذه المعركة الصراع بين الطرفين ، ثم دارت بينهما عدة معارك منها شعب الجن، وتلتها معركة أخرى في الرحبة و اخرى في رغام، وكانت الحرب سجالاً، ولما رأى الإمام إصرار السلطان حاتم و قبيلة همدان على استرداد صنعاء سار إلى ذمار واستعان بقبيلة جنب فأعانوه بثلاثمائة فارس، فأتجه إليه حاتم في خمسمائة فارس وثلاثة آلاف راجل من همدان وسنحان فالتقى الجمعان بموقع يقال له القليس بالقرب من ذمار فدارت معركة عنيفة أسفرت عن هزيمة أصحاب الإمام[٥٥]. فلما علم الإمام بذلك أرسل إليهم سنة ٥٤٦هـ جمعاً من قبيلة جنب فحاربوا السلطان حاتم و هزموه ، ثم اجتمعت قبيلة همدان بكاملها في نفس السنة حول السلطان حاتم ، واتجهوا لمحاربة الامام فدار قتال شديد بين الطرفين أسفر عن هزيمة جيش الإمام ودخول السلطان حاتم صنعاء والسيطرة عليها ظل السلطان حاتم مسيطرا على صنعاء ولم يتمكن الامام من استعادتها رغم المحاولات المتكررة[٥٦]

لذلك رأى الطرفان سنة ٥٤٨هـ عدم جدوى الحرب بينهما، فاتفقا على المصالحة و التقى الإثنان في حصن بيت الجالد او بيت الخالد شمال صعدة وتم الاتفاق على إيقاف القتال بينهما ، و التعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك الخطبة للإسماعيلية في جامع صنعاء، وأن يسمح السلطان حاتم بإظهار مذهب الزيدي بها [٥٧] .

على الرغم من تلك المصالحة إلا أن الحرب تجددت بين الطرفين – لم تذكر المصادر اسباب تجددها – ففي سنة ٥٥٠هـ قام الإمام المتوكل بالتوجه نحو منطقة ذمار بجيش بلغ تعداده ثلاثة الاف مقاتل ، و منها سار الى صنعاء لمحاربة السلطان حاتم الذي استعد ايضاً لمواجهته و خرج من صنعاء فالتقى الطرفان في منطقة الشرزة الواقعة جنوب شرقي صنعاء و دار بها قتال شديد بين الطرفين أسفر عن انتصار الإمام المتوكل وانسحاب جيش السلطان حاتم إلى صنعاء و التحصن بها و تبعه الإمام إلى أسوار صنعاء إلا أنه لم يتمكن من دخولها، فانسحب إلى حصن بيت بؤس[٥٨] .

وفي سنة ٥٥٢هـ سار الإمام المتوكل بجيشه نحو صنعاء للسيطرة عليها و دارت معركة بين الطرفين وقد انتهت بهزيمة السلطان حاتم و خروجه من صنعاء و دخول الامام المتوكل اليها[٥٩] ، ثم تمكن السلطان حاتم في السنة نفسها من تجهيز جيش و توجه به الى صنعاء و التقى بالامام ودارت معركة انتهت بهزيمة الامام المتوكل و انسحابه الى منطقة الظاهر و دخول السلطان حاتم صنعاء، ثم توجه الى منطقة الظاهر لمحاربة الامام الذي غادرها راجعاً الى صعدة فتعقبه السلطان حاتم وسيطرة على عدد من الحصون المهمة التابعة للامام ، وما زال يتعقبه حتى وصل الى منطقة صعدة و دخلها ثم عاد الى صنعاء . ولم يحاول الامام المتوكل بعد ذلك السيطرة على صنعاء و انشغل بادارة امور دولته حتى وفاته سنة ٥٦٦هـ ، و في شهر رمضان من سنة ٥٥٦هـ توفي السلطان حاتم بن احمد اليامي و تولى ابنه السلطان علي بن حاتم امور الحكم في صنعاء[٦٠]

علي بن حاتم اليامي

بوفاة السلطان حاتم بن احمد آل امر صنعاء الى ولده علي بن حاتم الملقب بالوحيد فتولى مقاليد الحكم و بايعته جميع قبائل همدان و اذعنت له غيرها من القبائل اليمنية [٦١] . لكن سرعان ما تغيّر موقف بعض قبائل همدان و اعلنت التخلي عن مناصرته و تجمع منهم سبعمائة فارس ، و قصدوا محمد بن الحماس بن القبيب احد امراء بني يام من الاسرة الثانية الى منزله في حارة القطيع بمدينة صنعاء و نصبته سلطانا على صنعاء ، منتهزه فرصة خروج السلطان علي منها الى منطقة الروضة و قيل الى حصن الضهر ، وما ان علم السلطان علي بالامر جهز حملة مكونة من مائة فارس و قصد صنعاء وما ان وصلها تفرقت جموع همدان وتراجع اكثرهم [٦٢] ، الا عدد قليل منهم تحصن داخل المدينة فقاتلهم السلطان علي في شوارعها قتالا شديدا و هزمهم ، و قتل اخوه عمران بن حاتم في هذه المعركة[٦٣] و قيل ما ان دخل السلطان علي صنعاء اخذ اخوه عمران بن حاتم عدداً من المقاتلين و قاتل المتمردين في شوارع صنعاء و قد اصيب اثناء ذلك بسهم و توفى من وقته فاضطربت لذلك قبيلة همدان و اهل صنعاء خوفا من اخذ السلطان علي الثأر لاخيه ، الا ان السلطان حاول الاستفادة من هذه الحادثة فامر منادياً ينادي في قبيلة همدان و صنعاء يخبرهم ان السلطان علي قد وهب لهم دم اخيه عمران ، ودعاهم الى حضور مراسيم دفنه ، الامر الذي حول موقف همدان المضطرب لمقتل عمران

الى سكينة و اطمئنان فدانوا له بالطاعة و الولاء فقويت شوكة السلطان علي ، ثم امر باخراج محمد بن الحماس و ال القبيب بشكل عام من صنعاء و حدد اقامتهم في بعض الحصون القريبة من صنعاء و استتب الامر له [٦٤] ، فسعى جاهداً الى توطيد نفوذ دولته ودعائم ملكه فاخذ في تحصين معاقله ، ثم مضى يوسع حدود دولته فسيطر على حصون ذمار و كوكبان و العروس و الظفر و حصن ذمرمر و حصن بكر وعلى منطقة الظاهر و الجوف و حجة و شبام و حراز وغيرها كثر و عين عليها الولاة [٦٥]

لكن الاوضاع ما لبثت ان اضطربت من جديد على السلطان علي سنة ٥٦٤هـ عندما مال الكثير من قبائل همدان الى الداعي الفاطمي حاتم بن ابراهيم الحامدي[٦٦] المقيم في شبام حراز، الامر الذي ادى الى انقسام قبائل همدان بين مؤيدين للداعي حاتم الحامدي الذي كان يدعو الى الفاطميين ، و بين مؤيدين للسلطان علي الذي قطع الدعوة للفاطمين ، فعاتب السلطان علي ، الداعي حاتم الحامدي على هذا الامر و طلب منه عدم تفريق همدان ، و ما زال السلطان علي يلاطفه[٦٧] ، حتى قام الداعي الحامدي بتوسيع نشاط دعوته و السيطرة على عدد من الحصون التابعة للسلطان علي ، عندئذ اخذ السلطان علي يستميل قبائل همدان ببذل المال و مضاعفة العطاء لهم حتى تمكن من جلب الكثير ممن كانوا مع الداعي الحامدي ، و نظراً لذلك قرر السلطان علي الخروج لمحاربة الداعي الحامدي[٦٨] .

مما اضطر بالداعي حاتم الى الانتقال من منطقة حراز الى منطقة ريعان فقصده السلطان علي فتوجه الداعي الى حصن شبام كوكبان ، فتبعه السلطان علي و حاصر الحصن و اجبر الداعي الحامدي الى طلب الامن من السلطان فآمنه و اسكنه حصن الحطيب ولم يقم بعد ذلك باي نشاط سياسي او ديني حتى وفاته في السادس عشر من شهر محرم عام ٥٦٩هـ[٦٩] .

وفي سنة ٥٦٥هـ توجه السلطان علي لمحاربة سلاطين بني سلمة بن الحسن الكندي اصحاب حصن بيت بؤس بسبب مساعدتهم للامام المتوكل في السيطرة على صنعاء في عهد ابيه و دارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة بني سلمة و تخليهم عن حصن بيت بؤس للسلطان علي . ثم اخذ السلطان علي بتوزيع الاقطاعات على الهمدانيين لضمان مساندته و الوقوف الى جانبه[٧٠]

اما سياسة السلطان علي تجاه الدولة الزيدية في صعدة ، فقد اتسمت بالمسالمة و المساعدة[٧١] و نلاحظ ذلك من خلال مساندته للامام المطهر بن الامام المتوكل على الله احمد عندما طلب من السلطان علي سنة ٥٥٧هـ مساعدته للتخلص من امراء ال الامام الهادي الى الحق[٧٢] ، الذين سيطروا على صعدة مركز دولة الامام المطهر بن المتوكل على الله ، فتحرك السلطان علي على راس جيش من قبيلة همدان قاصداً صعدة وما ان وصلها دارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة ال الهادي و استرجاع صعده و تسليمها للامام المطهر ثم قفل السلطان علي راجعاً الى صنعاء[٧٣] . وكذلك ساندهم سنة ٥٦٥هـ عندما استنجد به أولاد الإمام المتوكل على الله أحمد لاطلاق سراح ابيهم الذي تم اسره قبل

الأشراف القاسميين[٧٤] ، وقد اختلفت الروايات في طريقة وقوعه في الاسر فقيل ان الامام المتوكل احمد قد خرج في قلة من رجاله ذاهباً الى منطقة الظاهر ، فاستغل ذلك القاسميون فهجموا على الإمام أحمد عند وصوله إلى تلك المنطقة وألقوا القبض عليه وسجنوه في حصن أثافت[٧٥] ؛ وقيل انما دارت معركة بين الامام المتوكل و بين القاسميين انتهت بهزيمة جيش الامام و القاء القبض عليه [٧٦] . ومهما يكن من الامر ارسل السلطان علي كتاباً الى الأشراف القاسميين يطلب منهم إطلاق سراح الإمام المتوكل احمد فأطلقوا سراحه، فذهب الإمام المتوكل احمد إلى منطقة حوث وأقام بها إلى أن توفي في شهر صفر سنة ٥٦٦هـ [٧٧] . و استمر السلطان علي حاتم مسيطراً على صنعاء وعدد كبير من الحصون المحيطة بها حتى عام ٥٦٩هـ حيث شهدت بلاد اليمن في هذا العام دخول الايوبيين بقيادة تورن شاه مبعوثاً من قبل اخيه صلاح الدين الايوبي للسيطرة على بلاد اليمن و القضاء على جميع القوى السياسية بها .

نهاية حكم بنو يام على صنعاء

ما ان وصل توران شاه الى بلاد اليمن سنة ٥٦٩هـ حتى بادر بالسيطرة على زبيد وبعدها عدن ثم توجّه الى ذمار و سيطر عليها ثم غادرها قاصداً صنعاء ، فاعترضته قبائل جنب و دار بين الطرفين معركة انتهت بهزيمة قبائل جنب، الامر الذي جعل السلطان علي يدرك بعدم قدرته على مواجهة توران شاه ، فخرج من صنعاء و استقر في حصن براش– الواقع شرق صنعاء على جبل نقم المطل على صنعاء – و امر اتباعه بهدم سور صنعاء[٧٨] ؛ و علل أحمد [٧٩] سبب تخريب السلطان علي لسور صنعاء بالقول ((... ويبدو أنهّ قصد من تخريب السور ان تكون القوات الايوبية في صنعاء مكشوفة و بدون حاجز يحميها من الاغارة عليها اذا سمحت الظروف لابن حاتم بذلك و الاستيلاء عليها طالما أصبحت غير محمية بسور ...)) . في حين يذكر الحداد[٨٠] ان توران شاه الايوبي دخل صنعاء بموجب صلح عقد بين الجانبين يقضي باحتفاظ السلطان علي بن حاتم و اخيه بشر بن حاتم بنفوذ محلي على عدد من الحصون فانتقل السلطان علي بن حاتم الى حصن براش و انتقل بشر بن حاتم الى حصن عزان في بلاد ثلا .

ومهما يكن من الامر فقد وصل توران شاه الى صنعاء في الثامن عشر من محرم سنة ٥٧٠هـ فأقام بها اياما ثم غادرها الى زبيد – ولم تشر المصادر التي اطلعنا عليها ان توران شاه وضع نائباً له في صنعاء – وقد استغل السلطان علي عودة توران شاه الى زبيد و عاد بدوره الى صنعاء و عمل على استكمال تخريب سور المدينة حتى يسهل عليه استردادها اذا ما استولى عليها توران شاه مرة اخرى[٨١] . و استمر توران شاه في السيطرة على مدن و حصون بلاد اليمن حتى سنة ٥٧١هـ حيث سيطر على واحد و ثمانين حصناً و مدينة ثم قفل راجعاً الى بلاد الشام وأناب عنه نوابا من اتباعه لادارتها[٨٢] . وما ان توفي توران شاه سنة ٥٧٧هـ اعلن نوابه في بلاد اليمن الخروج عن طاعة الايوبيين و امتنعوا

عن ارسال الاموال لهم و استقلوا بمواضعهم و اخذوا بمحاربة بعضهم البعض من اجل توسيع نفوذهم[٨٣] .

الامر الذي دفع بـ صلاح الدين الايوبي سنة ٥٧٩هـ الى ارسال حملة بقيادة اخيه سيف الاسلام طغتكين لاعادة سيطرتهم على بلاد اليمن و القضاء على نواب توران شاه وقد تمكن طغتكين من تحقيق اهداف الحملة ، ودانت له البلاد بالطاعة و الولاء ولم يبقى امامه سوى السلطان علي صاحب صنعاء [٨٤] . فتحرك طغتكين اليه في اواخر سنة ٥٨٢هـ وسيطر على حصن حب[٨٥] . ثم تابع تقدمه الى مدينة ذمار و سيطر عليها سنة ٥٨٣هـ ، فاصبح الطريق مفتوحاً امامه للتقدم الى صنعاء ، الامر الذي دفع السلطان علي بهدم سور صنعاء ونقل ما كان له فيها الى حصن براش و استعد لمواجهة طغتكين لكنه فضل عدم الدخول في حرب معه و سعى الى عقد صلحاً ، فارسل السلطان علي ابن عمه القاضي حاتم بن اسعد الى مدينة ذمار للقاء طغتكين و عقد اتفاق معه ودارت مناقشات بين الطرفين انتهت بعقد مصالحة تعهد بها طغتكين بعدم السيطرة على صنعاء و العودة الى تعز ، مقابل ان يدفع السلطان علي ثمانين الف دينار و مئة حصان في السنة الى طغتكين فقبل السلطان علي بذلك [٨٦] وهكذا سادت العلاقات الودية بين الجانبين .

وفي سنة ٥٨٤هـ ارسل السلطان علي اخوه بشر الى طغتكين لتجديد الصلح بينهما لسنة اخرى وما ان وصل بشر الى طغتكين حاول الاخير ان يستميل بشر الى جانبه لاضعاف جبهة السلطان علي فعرض عليه حكم صنعاء و بلاد همدان مقابل مساعدته بالسيطرة على صنعاء ، فرد عليه بشر ان هذا عار علي ، الامر الذي دفع طغتكين الى كسب ود بشر فاسقط عشرين الف دينار و عشرين حصانا من المبلغ الذي التزم به السلطان علي في الاتفاق و تكون مدة الاتفاق عاماً واحداً[٨٧] . وما ان انقضت مدة الصلح نهض طغتكين بالعساكر متوجهاً الى مدينة صنعاء وعند وصله الى ذمار ارسل السلطان علي ابن عمه القاضي حاتم بن اسعد لتجديد المصالحة بينهما فوافق طغتكين على المصالحة بشرط ان يزيد على الاتفاق السابق ثلاثين الف دينار و ثلاثين حصاناً ، فلما ابلغ القاضي حاتم السلطان علي بشروط الاتفاق رفضها الاخير وطلب من القاضي ابلاغ طغتكين بذلك ؛ وعاد القاضي الى طغتكين و ابلغه برفض السلطان علي للمصالحة [٨٨] . لذلك توجه طغتكين الى حصن اشيح الواقع جنوب صنعاء فسيطر عليه دون قتال ، ثم تابع فتوحاته فاستولى على بلاد آنس جنوبي صنعاء ثم سيطر على جبل الشرق و منه عاد الى جهران ، و نظراً لذلك غادر سلاطين بني حاتم صنعاء الى الجبال المحيطة بها متأخذين من حصونها مقرا لهم[٨٩] . فاستغل طغتكين هذا الامر و توجه الى صنعاء و تمكن من السيطرة عليها في شهر شوال سنة ٥٨٥هـ دون قتال [٩٠] و هكذا انتهى دور الاسرة الثالثة من بني يام في صنعاء الا انه لم ينتهي دورهم السياسي في اليمن .

دور بنو يام السياسي بعد عام ٥٨٥هـ

بعد ان سيطر طغتكين على صنعاء اقام بها ثلاثة أيام و عين عليها نائباً له و غادرها عازماً القضاء على سلاطين ال حاتم ، فتوجه الى حصن الفص حيث يتمركز عمرو و عمران ابنا بشر بن حاتم وما ان وصل طغتكين الحصن حتى بادر الاخوان الى طلب الامان منه فامنهما ومن معهما بشرط ان يسلما نفسيهما اليه فوافقا على طلبه و سلما نفسيهما ، ثم عمد بعد ذلك طغتكين الى ارسال نسائهم و اطفالهم وخدمهم الى حصن ذمرمر مركز السلطان علي[٩١] . وفي هذه الاثناء نزل علي بن بشر بن حاتم من حصن براش مغيراً على مدينة صنعاء ، لكن الحامية الايوبية التي كانت بها تمكنت من مواجهته و الامساك به و اخذته اسيراً ، و بذلك اصبح ابناء بشر بن حاتم الثلاث عمرو و عمران وعلي اسرى عند الايوبيين ، اما طغتكين فقد توجه في هذه الاثناء الى حصن الظفر وبه سالم بن علي بن حاتم فاستولى على الحصن بعد قتال عنيف انتهى بأسر سالم بن علي الا ان طغتكين اطلق سراحه فلتجأ سالم الى حصن كوكبان التابع لهم و رغم نداءات الاستغاثة التي وجهها عمرو بن بشر بن حاتم لابيه ليخلصه و اخوته من الاسر الا ان الاخير ظل عاجزاً عن التصدي للجيش الايوبي وفك اسر أبنائه[٩٢]

و واصل طغتكين توسعه فتوجه الى حصن كوكبان و به عمرو بن علي بن حاتم فحاصره و رماه بالمنجنيق حتى اخربه ، فلما ايقن عمرو بانه هالك ابدى استعداده لتسليم الحصن مقابل ان يكون حصن العروس له فوافق طغتكين على ذلك فانتقل عمرو بمن معه الى حصن المذكور و تسلم طغتكين حصن كوكبان في ذي الحجة من سنة ٥٨٥هـ[٩٣] . وبذلك لم يبق لبني حاتم سوى حصن ذمرمر وهو من احصن معاقلهم و امنعها وكان به السلطان علي بن حاتم و اخوه بشر فتوجه اليه طغتكين سنة ٥٨٦هـ ، و حاصره و احكم الحصار عليه الا ان السلطان علي تمكن من الصمود اربع سنوات ، حتى بدأ الضجر و التعب على الفريقين عندئذ لم يجد طغتكين بداً من مصالحة السلطان علي ، و تم التوصل الى اتفاق سنة ٥٩٠هـ بالا يكون تحت سيطرة السلطان علي أي حصن او مدينة و يسلم حصن ذمرمر الى طغتكين بالمقابل يتكفل الاخير بدفع مبلغ خمسمائة دينار و خمسمائة كيلة[٩٤] من الطعام سنويا للسلطان علي وعلى هذا الاساس تسلم طغتكين حصن ذمرمر[٩٥] – ولم تشر المصادر التي اطلعنا عليها اين ذهب السلطان علي بعد تسليمه الحصن – وقيل انما توصل الطرفان الى اتفاق نصه ان يدفع السلطان علي كل سنة مبلغ خمسمائة دينار و خمسمائة كيلة من الطعام الى طغتكين ولا يكون له أي نفوذ ببلاد اليمن سوى حصن ذمرمر ، فلما تم الاتفاق اطلق طغتكين على السلطان علي بعض املاكه بقصد احتوائه و الحد من خطورته[٩٦] ويبدو ان هذه الرواية اقرب الى الصواب ثم قفل راجعاً طغتكين الى تعز و أصبح سيد بلاد اليمن بلا منازع حتى وفاته في السادس و العشرين من شوال سنة ٥٩٣هـ ويقال انه مات مسموماً و تولى ابنه اسماعيل بن طغتكين[٩٧]

و بمجرد ان تولى اسماعيل شؤون الحكم في اليمن اعلن السلطان علي الخروج عن طاعته ، و سعى الى شراء حصون من الحاميات الايوبية، فأشترى حصون كوكبان وبكر وظفر ، كما مال الى مناصرة الامام الزيدي عبد الله بن حمزة[٩٨] الملقب بالمنصور بالله الذي كان يسعى للسيطرة على صنعاء [٩٩] ، و اتفق معه على استخدام حصونهم المحيطه بصنعاء مقابل ان يكون حكم صنعاء مناصفة بينهما وان تعاد لهم حصونهم بعد الاستيلاء على صنعاء فقبل الامام بذلك و تمكن من السيطر على صنعاء سنة ٥٩٤هـ ، و رفض مشاركة السلطان علي في ادارتها مما جعله يحجم عن مناصرة الامام ويميل الى التعاون مع اسماعيل بن طغتكين وظل في حصنه ذي مرمر حتى وفاته سنة ٥٩٧هـ[١٠٠] . وهنا سكتت المصادر و المراجع التي اطلعنا عليها عن ذكر من تبقى من ال حاتم .

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة الموسومة ((صنعاء تحت حكم بنو يام (٤٩٢- ٥٨٥ هـ) (دراسة تاريخية))) لا بد من الإشارة إلى أهم ما توصل الباحث من نتائج : .

١- بين البحث اسباب سعي جميع القوى السياسية اليمنية للسيطر على مدينة صنعاء ، نظراً لما تتميز به من موقع جغرافي ذو اهمية سياسية و اقتصادية فضلاً عن المناخ المعتدل .

٢- اكد البحث ان سيطرة الايوبيون على بلاد اليمن سنة ٥٦٩هـ لم يكن نهاية حكم بني يام على صنعاء عكس ما اشارة اليه بعض المصادر و انما استمروا في حكمها حتى عام ٥٨٥هـ

٣- وضح البحث الدور السياسي الذي لعبه بني يام في صنعاء خاصة و بلاد اليمن عامة من عام ٤٩٢هـ حتى عام ٥٩٧هـ .

الهوامش

١ – الهمداني ، ابن الحائك أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود (ت: ٣٣٤هـ) ، صفة جزيرة العرب ، مطبعة بريل ، (ليدن – ١٨٨٤ م) ، ص٥٥ – ٦٧ ؛ الصنعائي ، احمد بن عبد الله الرازي (ت : ٤٦٠هـ) ، تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق حسين عبد الله العمري وعبد الجبار زكار ، قدم له نبيلة كامل ، لا . مط ، (صنعاء – ١٩٧٤م) ، ص٧٦ ؛ البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: ٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ط٣ ، عالم الكتب، (بيروت – ١٤٠٣ هـ)، ج٤ ، ص١٨٣؛ الهمداني، زين الدين ، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي (ت: ٥٨٤هـ) ، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة ، تحقيق : حمد بن محمد الجاسر ،= = دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، (لا . م – ١٤١٥ هـ) ، ص٦٠٦-٦٠٧ ؛ الحِميرى ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : ٩٠٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق :إحسان عباس ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، (بيروت – ١٩٨٠م) ، ص٣٥٩-٣٦٠ ؛ الشماحي ، عبد الله عبد الوهاب المجاهد ، اليمن الإنسان والحضارة ، دار الهنا ، (لا . م – ١٩٧٢م) ، ص٨-١٠ ؛ ابو العلا ، محمود طه ،

جغرافية جزيرة العرب ، ط٣ ، لا . مط ، (القاهرة – ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص١١٣ ؛ الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى ، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، مطبعة السلفية ، (القاهرة – ١٣٤٦هـ) ، ص٤١ – ٤٣

٢ – ابن الفقيه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥) ، البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، ط١ ، عالم الكتب،(بيروت – ١٩٩٦ م) ، ص٩٠–٩٤ ؛ البكري ، معجم ، ج٣ ، ص٨٤٣ ؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر،(بيروت – ١٩٩٥ م) ، ج٣ ، ص٤٢٥ – ٤٣٠ ؛ القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت : ٦٨٢هـ) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت – د . ت) ، ص٥٠–٥٣ ؛ البلادي ، عاتق بن غيث بن زوير ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ط١ ، دار مكة للنشر والتوزيع، (مكة المكرمة – ١٩٨٢ م) ص١٧٨ – ١٧٩

٣ – البكري ، معجم ، ج٣ ، ص٨٤٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص١٦٧ – ١٦٨

٤ –الاحباش : وهم من ولد كوش بن حام بن نوح ويسكنون غربي اليمن وجدة والحجاز مما يلي بحر القلزم ، وللحباش مدن كثيرة وعمائر واسعة ولهم ساحل فيه مدن كثيرة وهي مقابل لبلاد اليمن. للمزيد ينظر : اليعقوبي ، احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب (ت: ٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشه خليل منصور ، مؤسسة العطار ، (النجف الاشرف – د . ت)، ج١ ، ص١٦٤ ؛ المسعودي ، أبو الحسن بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الانوار ، (بيروت – ٢٠٠٩م) ، ج٢ ، ص١٦ – ٢٢ .

٥ – البكري ، المعجم ، ج٣ ، ص٨٤٣ ؛ ابن شمائل القطيعي ، عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت : ٧٣٩هـ) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ط١ ، دار الجيل ، (بيروت – ١٤١٢ هـ) ، ج٢ ، ص٨٥٣–٨٥٤ ؛ الحِميرى ، الروض المعطار ، ص٣٥٩–٣٦٠؛ البلادي ، معجم ، ص١٧٨ – ١٧٩

٦ – أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: ٤٨٧هـ) ، المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي ، (لا . م – ١٩٩٢ م) ، ج١ ، ص٣٥٢–٣٥٥

٧ – ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت: ٢١٨هـ) ، السيرة النبوية ، طبعة جديدة منقحة ، مؤسسة المعارف ، (بيروت – ٢٠٠٧م) .، ص٣٦ – ٣٨ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص١٧٢ ؛ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار أحياء التراث العربي ، (بيروت – ٢٠٠٨م)، ج٢ ، ص٩١ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، (بيروت – د . ت)، ج٢ ، ص٦٢ – ٦٣ ؛ الحديثي ، نزار عبد اللطيف ، أهل اليمن في صدر الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت – د . ت) ألحديثي ، أهل اليمن ، ص٨٣ – ٨٤ .

٨ – ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٢٥ – ٤٣٠ ؛ البكري ، معجم ، ج١ ، ص٢٠٨

٩ – الهمداني ، ابن الحائك أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود (ت: ٣٣٤هـ) الاكليل ، حققه وعلق عليه محمد بن علي الاكوع ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد . ١٩٨٠م) ، ج٢ ، ص٢٢

١٠ – الهمداني ، صفة ، ص٥٥ – ٦٧ ؛ ياقوت الحموي، ، معجم ، ج٣ ، ص٤٢٥ – ٤٣٠؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص٥٠–٥٣ ؛ ابن شمائل القطيعي ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص٨٥٣–٨٥٤؛ الحِميرى ، الروض المعطار ، ص٣٥٩–٣٦٠ ؛ البلادي المعالم ، ص١٧٨ – ١٧٩

١١ – وهو علي بن محمد بن علي بن يوسف بن عبد الجبار بن الحجاج الصليحي ، والصليحيون من بني عبيد بن اوام بن حجور بن اسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم الاوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن اوسله بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود ، يلتقي الهمدانيون والصليحيون عند جشم الاوسط ، وقيل ان الصليحيون نسبة إلى موضع صلاحة بالاخراج بين حضور وهوزن قرب حراز ، تقع مساكنهم في مغارب جبل حضور . للمزيد ينظر : الهمداني ، الاكليل ، ج١٠ ، ص٩٩ – ١٠٨ ؛ السمعاني ، ابو سعيد عبد الكريم (ت : ٥٦٢هـ) ، الأنساب ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – ١٩٩٩م) ، ج٣ ،ص٢١١ ؛ عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص٢٨٣ ؛ الجرافي ، من تاريخ اليمن ، ص٧٦ ؛ العرشي ، بلوغ المرام ، ص٢٤ ؛ كحاله ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج٢ ، ص٦٤٩ .

١٢ – تمكن علي الصليحي من تأسيس دولة في بلاد اليمن ، و استطاع من توحيد البلاد ومد نفوذه من حضرموت جنوبا إلى البلاد الحجاز شمالا ، فلم يبق سهلا ولا وعرا ولا برا ولا بحرا الا فتحه ، وهذا الأمر لم يعهده أهل اليمن لا قبل الإسلام ولا بعده ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي الصليحي ، وقد أصبح للدولة الصليحية بفضل جهود مؤسسها علي الصليحي مكانة مهمة في تاريخ اليمن ، واستقر علي الصليحي في صنعاء وجعلها عاصمة لدولته فبني فيها القصور واسكن بها قومه ، فرأت اليمن بعد عدة قرون . منذ زمن الدولة الحميرية الثانية . وحدة البلاد في ظل حاكم قوي عادل ، ورأى الناس في صنعاء من عدله وفضله وحسن سيرته ما ألفت له القلوب . للمزيد ينظر : الهمداني ، الاكليل ، ج١٠ ، ص٩٩ – ١٠٨ ؛ السمعاني ، ابو سعيد عبد الكريم (ت : ٥٦٢هـ) ، الأنساب ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – ١٩٩٩م) ، ج٣ ،ص٢١١ ؛ عمارة اليمني ،نجم الدين محمد (ت : ٥٦٩هـ) ، تاريخ اليمن ، تحقيق حسن سليمان محمود ، دار الثناء للطباعة ، (مصر – د . ت) ، ص ٥١؛ ٢٨٣؛ الجرافي ، عبد الله بن عبد الكريم (ت: ٩٢٤هـ) ، المقتطف من تاريخ اليمن ، ط٢ ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، (بيروت – ١٩٨٤م) ، ص٧٦ ؛ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص٢١٤ ؛ ابا مخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد (ت : ٩٤٧هـ) ، تاريخ ثغر عدن ، مطبعة بريل ، (ليدن – ١٩٣٦م) ، ص١٦٠ ؛ العرشي ، حسين بن احمد (ت: ١١٨٢هـ) ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وامام ، مطبعة البرتيري ، (مصر – ١٩٣٩م) ، ص٢٥ ؛ شرف الدين ، احمد حسين ، اليمن عبر التاريخ ، ط٢ ، مطبعة السنة المحمدية ، (لا . م – ١٩٦٤م) ، ص١٩٦ ؛ الشماحي ، اليمن الإنسان والحضارة ، ص١١٤ ؛ غالب ، مصطفى ،أعلام اسماعيلية ، لا . مط ، (بيروت – ١٩٦٤م) ، ص٤٠٣ ؛ المطاع،احمد بن احمد بن محمد (ت: ١٣٦٧هـ) ، تاريخ اليمن الإسلامي من سنة ٢٠٤ إلى سنة ١٠٠٦هـ ، تحقيق عبد الله الحبشي ،ط١ ، منشورات المدينة ، (بيروت – ١٩٨٦م)، ص٢٣١ –٢٣٣

١٣ – السيدة اروى الحرة بنت احمد بن جعفر بن موسى بن محمد الصليحي مات ابوها في عدن بسقوط البيت الذي كان يسكنه وكانت السيدة الحرة أروى في طفولتها فتربت عند علي الصليحي. عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص٦١؛ ٢١٩ ؛ الداعي إدريس ، عماد الدين القرشي (ت: ٨٧٢هـ) ، عيون الأخبار وفنون الآثار ، تحقيق مصطفى غالب ، دار الاندلس ، (بيروت – د . ت) ، ج٧ ، ص٢٠٧ ؛ الجرافي ، من تاريخ اليمن ، ص٨٠ ؛ أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ص١٥

١٤ – الفالج : ريح يأخذ الإنسان فيذهب بشقه ، وهو داء يرخي بعض البدن . للمزيد ينظر : ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ) ، لسان العرب ،ط٣ ، دار صادر ، (بيروت – ١٤١٤هـ) ، ص١٧٠

١٥ – ذو جبلة : جبلة اسم رجل يهودي يبيع الفخار في الموضع الذي بنيت فيه دار العز – مقر اقامة المكرم و السيدة الحرة أروى – وبه سميت المدينة وأول من اختطها عبد الله بن محمد الصليحي الذي قتل على يد سعيد الأحول مع أخيه

علي بن محمد الصليحي وهي مدينة بين نهرين جاريين في الصيف والشتاء . للمزيد ينظر :عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص٦٢ .

١٦ – أوضح بعض المؤرخين سبب انتقال السيدة الحرة أروى وزوجها المكرم من صنعاء إلى ذي جبلة هو حرب الزيدية لهم في حين يقول البعض الأخر ان سبب هذا الانتقال جاء نتيجة لما تمتع به ذي جبلة من الخصب وكثرة المزروعات وميل أهلها إلى المسالمة فضلا عن ازدياد حدة الصراع القبلي حول صنعاء والذي كان يهدد عاصمة الصليحيين بالسقوط لذلك كله فضلت السيدة الانتقال الى ذي جبلة . للمزيد ينظر : ابن الديبع ، ابا الضيا عبد الرحمن بن علي (ت: ٩٤٣هـ) ، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تحقيق يوسف شلحد ، دار العودة ، (بيروت – ١٩٨٣م) ، ص٦٠ ؛ حسن ، محمد ، قلب اليمن ، ط١ ، مطبعة المعارف ، (بغداد – ١٩٧٤م) ، ، ص٣٥ ؛ السروري، محمد = = عبده محمد ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارية في اليمن في عصر الدويلات المستقلة من سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م إلى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، ط١ ، لا ،مط ، (صنعاء – ١٩٩٧م) ، ص١٥٥ ؛ العرشي ، بلوغ المرام ، ص٣٧ .

١٧ – ابن الديبع ، ابا الضيا عبد الرحمن بن علي (ت: ٩٤٣هـ) ، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، مطبعة السلفية ، (القاهرة – د . ت) ، ج١ ، ص٢٦٣ ؛ سيد ، أيمن فؤاد ، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى القرن السادس الهجري ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، (القاهرة – ١٩٨٨م) ، ص١٤٣ ؛ محمود ، حسن سليمان ، تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي ، ط١ ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، (بغداد – ١٩٦٩م) ، ص٢٣٣

١٨ – وهو ابن عم الملك المكرم احمد بن علي الصليحي و متولي امر الدولة الصليحية من بعده و يعتبر اخر سلالة ملوك بني صليحي . للمزيد ينظر : عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص١٥٠ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٢٦٦.

١٩ – عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص٦٢ ؛ ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقي (ت: ٧٤٣هـ) ، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق مصطفى حجازي ، ط٢ ، دار الكلمة ، (صنعاء – ١٩٨٥م) ، ص٥٩ ؛ الجرافي ، من تاريخ اليمن ، ص٨٠ ؛ علي ، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت: ١١٠٠هـ) ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة – ١٩٦٨م) . ، ج١ ، ص٢٦٨ – ٢٧٠ ؛ الجفري ، محمد عبد الله حسن ، الازمة اليمنية مظهر حديث لارث تاريخي قديم ، ط٢ ، لا . مط ، (د . م – لا. ت) ، ص٦٥؛ الحداد ، محمود يحيى ، تاريخ اليمن السياسي ، ط٤ ، دار التنوير ، (بيروت – ١٩٨٦م) ، ج٢ ، ص٣١٧

٢٠ – ورث سليمان بن عامر السلطة بعد أبيه على مناطق مغارب اليمن الأعلى مثل شبام كوكبان والمناطق المجاورة لها وكان من أهم زعماء حمير في تلك المنطقة فضلا عن انه كان زعيم آل الزواحي الذين كانوا مع آل الصليحي من أهم دعاة الاسماعيلية في اليمن ، وبفضله تمكنت السيدة الحرة أروى من حكم بلاد اليمن بقوة . الداعي ادريس ، عيون الاخبار ، ج٧ ، ص١٦٨ .

٢١ – الداعي ادريس ، عيون الاخبار ، ج٧ ، ص١٦٨ .

٢٢ – الحداد ، تاريخ اليمن ، ج٢ ، ص٥٦ – ٥٧ ؛ محمود ، تاريخ اليمن السياسي ، ص٢١٢ .

٢٣ – شرف الدين ، احمد حسين ، تاريخ اليمن الثقافي ، مطبعة الكيلاني الصغير ، (لا . م – ١٩٦٧م)، ج٤ ، ص١٠١ .

٢٤ – الحداد ، تاريخ اليمن ، ج٢ ، ص٣١٧

٢٥ – البغدادي ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود (ت: ٣٨٥هـ) ، المؤتَلِف والمختَلِف ، تحقيق: موفق بن عبد الله ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت – ١٩٨٦م) ، ج٣ ، ص١٤٤٣

٢٦ – القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، ط٢ ، دار الكتاب اللبنانين، (بيروت – ١٩٨٠ م) ، ص٤٤٩

٢٧ – ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ) ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق: لجنة من العلماء ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٨٣م) ، ص٣٩٤

٢٨ – السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ) ، لب اللباب في تحرير الأنساب ، دار صادر ، (بيروت – د . ت) ، ص٢٨٢

٢٩ – القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص٤٣٨

٣٠ – البغدادي ، مختلف القبائل ومؤتلفها ، ص٥١ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ص٤٧٧–٤٧٩ ؛ ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت: ٦٣٠هـ) ، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، (بيروت – د . ت) ، ج١ ، ص٩٦ ؛ القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ) ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، ط٢ ، دار الكتاب اللبناني ، (لا . م – ١٩٨٢ م) ، ص٩٩ ؛ ابن ناصر الدين ، محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد (ت: ٨٤٢هـ) ، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد نعيم ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٩٩٣م) ، ج٩ ، ص٢٠٨؛ العينى ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (ت: ٨٥٥هـ) ، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار ، تحقيق: محمد حسن ، ط١ ، دار الكتب العلمية، (بيروت – ٢٠٠٦ م) ، ج٣ ، ص٤٦٢ ؛ الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد ، الأعلام ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، (لا . م – ٢٠٠٢ م) ، ج٨ ، ص١٣٢ ؛ كحالة ،عمر بن رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط٧ ، مؤسسة الرسالة،(بيروت – ١٩٩٤ م) ، ج٣ ، ص١٢٦٠

٣١ – المقحفي ، ابراهيم احمد ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمة ، (صنعاء – ٢٠٠٢م) ، ج٢ ، ص١٥٩٨

٣٢ – عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص١٧٣

٣٣ – ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٢٦٣ ؛ سيد ، تاريخ المذاهب الدينية ، ص١٤٣ ؛ محمود ، تاريخ اليمن السياسي ، ص٢٣٣

٣٤ – عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص١٩٥ – ١٩٦ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٨٧؛ الخزرجي، ، الملك الأشرف إسماعيل بن العباس الغسّاني (ت٨٠٣هـ) ، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، (بغداد – ١٩٧٥) ، ص٧١ ؛. الداعي ادريس ، عيون الاخبار ، ج٧ ، ص١٦٨؛ محمود ، تاريخ اليمن ، ص٢٣٤

٣٥ – الخزرجي ، العسجد ص٧١– ٧٢ ؛ الجرافي ، من تاريخ اليمن ، ص٨٣ ؛ الحداد ، تاريخ اليمن ، ج٢ ، ص٣١٨ ؛ الهمداني ، حسن بن فيض الله ، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن من سنة ٢٦٨هـ الى سنة ٦٢٦هـ ، ط٣ ، دار التنوير ، (بيروت – ١٩٨٦م) ، ص١٦١

٣٦ – ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٦٤–٦٥ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص٧١– ٧٢ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٢٨٦ ؛ علي ، غاية الاماني ، ج١ ، ٢٨٠ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ص١٥٢؛ ؛ محمود ، تاريخ اليمن السياسي ، ص٢٣٤

٣٧ – الخزرجي ، العسجد ، ص٧٢ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص٢٨٧ ؛ علي ، غاية ، ص٢٨٢ – ٢٨٥ ؛ الحداد ، تاريخ اليمن ، ج٢ ، ص٣١٨

٣٨ – علي ، غاية الاماني ، ج١ ، ص٢٤٩ ؛ الجفري ، الازمة اليمنية ، ص٦٥ ؛ العقيلي ، محمد احمد عيسى ، تاريخ المخلاف السليماني ، لا . مط ، (الرياض – ١٩٥٨م) ، ج١ ، ص١٥٨ ؛ الهمداني ، الصليحيون ، ص٢٣٩

٣٩ – الخزرجي ، العسجد ، ص٧٣ ؛ علي ، غاية الاماني ، ج١ ، ص٢٤٩ ؛ الحداد ، تاريخ اليمن ج٢ ، ص ٣٢١ ؛ العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج١ ، ص١٥٨

٤٠ – ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٦٥ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٢٨٧ – ٢٨٨ ؛ علي ، غاية الاماني ، ج١ ، ص٢٤٩–٢٥٠

٤١ – تاريخ اليمن ، ج٢ ، ص٣٢١

٤٢ – عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص٣١٤ ؛ ابن الفوطي الشيباني ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت: ٧٢٣ هـ) ، مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق : محمد الكاظم ، ط١ ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، (إيران – ١٤١٦ هـ) ، ج٦ ، ص٥٣٩ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٦٥ ؛ الخزرجي ، العسجد ، ص٧٦ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٢٨٨ ؛ الجفري ، الازمة اليمنية، ص٦٥ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٢،ص١٥٠

٤٣ – الحمزي ، عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله (ت: ٧١٤هـ) ، تاريخ اليمن من كتاب كنز الاخيار في معرفة السير والأخبار ، دراسة وتحقيق عبد المحسن مدعج المدعج ، مؤسسة الشراع العربي ، (الكويت – ١٩٩٢م) ، ص٨٦–٨٧ ؛ ابن الفوطي الشيباني ، مجمع الآداب ، ج٦ ، ص٥٣٩ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٨٨–٨٩ ؛ الخزرجي ، العسجد ، ص٧٤؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٢٨٧ – ٢٨٨ ؛ علي، غاية الاماني ، ج١ ، ص٢٤٩–٢٥٠ ؛ العرشي ، بلوغ المرام ، ص٢٩ ؛ . الجفري ، الازمة اليمنية ، ص٦٥ ؛ الحداد ، تاريخ اليمن ، ج٢ ، ص٣٢١ ؛ الواسعي ، تاريخ اليمن ، ص١٦٦

٤٤ – المتوكل على الله احمد بن سليمان : وهو الإمام أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) الملقب بالمتوكل على الله، وأمه هي الشريفة االفاضلة مليكة بنت عبد الله بن القاسم بن أحمد، من نسل الإمام الهادي يحيى بن الحسين . للمزيد ينظر : المحلى، الحسن بن حسام الدين بن احمد (ت٦٥٢هـ) ، الحدائق الوردية في مناقب الائمة الزيدية، تحقيق : المرتضى بن زيد المحطوري ، ط٢، مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع ، (لا . م – ٢٠٠٢)، ج٢، ص٣٢٠ ؛ الجرافي، المقتطف، ص١٢٦ ؛ العرشي، بلوغ المرام، ص ٣٩ ؛ الحبشي ، عبد الله محمد ، مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ، المجمع الثقافي ،(ابو ظبي – ٢٠٠٤م)، ص ٦١٦ ؛ زبارة، محمد بن محمد بن يحيى ، تاريخ الائمة الزيدية في اليمن حتى العصر الحديث ، تقديم : محمد زينهم ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة – د . ت) ، ص١٠٧ ؛ مجهول ، مشاعل النور ، مكتبة اهل البيت، مطبعة صنعاء ، (صعدة، ٢٠١٠م) ، ص٣٨.

٤٥– المحلى، الحدائق الوردية، ج٢، ص٢٩٠–٢٩١ ؛ الحمزي ، كنز ، ص٨٦–٨٧ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٨٨–٨٩ ؛ الجرافي، المقتطف، ص١٢٦؛ المؤيدي، مجد الدين محمد (ت : ١٣٢٢هـ) ، التحف شرح الزلف، مكتبة اهل البيت (ع) ، ط ٦ . لا مط ،(لا . م – ٢٠٢٠) ، ص٥٢٣

٤٦ – الحمزي ، كنز ، ص٨٦–٨٧ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٨٨–٨٩ ؛ الخزرجي ، العسجد ، ص٧٤ ؛ المؤيدي، التحف شرح الزلف، ص٥٢٢.

٤٧ – من أصحاب الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، وأقام عنده لفترة، للمزيد ينظر : الثقفي، سليمان بن يحيى (كان معاصر للأمام المتوكل)، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، تحقيق : عبد الغني محمد عبد العاطي، ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاقتصادية ، (لا . م – ٢٠٠٢) ، ص١٣١–١٣٢.

٤٨– الخزرجي، العسجد المسبوك، ص٧٥؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص٢٩١؛ علي ، غاية الأماني، ج١، ص٣٠٢؛ العريشي، بلوغ المرام، ص٣٨ – ٣٩ ؛ إبراهيم ، محمد كريم ، عدن دراسة في احوالها السياسية والاقتصادية (٤٧٦– ٦٢٦هـ / ١٠٨٣ – ١٢٢٨م) ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، (العراق – ١٩٨٥م) ، ص١٦٣ ؛ الحداد، تاريخ اليمن ، ج٢، ص٣٢٢ ؛ زبارة، أئمة اليمن، ج١، ص٩٨ ؛ الكبسي، محمد بن اسماعيل ، اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية ، نشرها السيد عبد الله بن محمد بن عبد الله (صنعاء، ١٩٨٤) ، ص٤٧؛ محمود، تاريخ اليمن السياسي، ص٢٣٤–٢٣٥ ؛ المطاع، تاريخ اليمن، ص٣٢٢؛ الواسعي، فرج الهموم والحزن، ص١٨٨.

٤٩– الحمزي، كنز الأخبار، ص٦١– ٦٢؛ ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص ٤٧ ؛ الجرافي، المقتطف، ص٨٣؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص٢٩١ ؛ العريشي، بلوغ المرام، ص٣٩.

٥٠ – الروضة : وتسمى ايضاً روضة حاتم تقع في ناحية بني الحارث شمال صنعاء. الجرافي، المقتطف، ص ٨٤ ؛ الحجري ، محمد بن احمد (ت: ١٣٧٩هـ) ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق اسماعيل بن علي الاكوع ، منشورات وزارة الاعلام والثقافة ، (صنعاء–١٩٨٤م) ، ج١، ص٢١٠–٢١١.

٥١– الثقفي، سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص١٦٦؛ الخزرجي، العسجد ، ص٧٥. ابن الديبع، قرة العيون، ص٢٩٢؛ علي ، غاية ، ج١ ، ص٣٠٠ ؛ العرشي ، بلوغ المرام ، ص٣٩ ؛ الحداد، التاريخ العام لليمن، ص٣٢٣ ؛ زبارة، أئمة اليمن، ج١، ص٩٨ ؛ الكبسي، اللطائف السنية، ص٤٨ ؛ المطاع، تاريخ اليمن، ص٣٢٣؛ محمود، تاريخ اليمن السياسي، ص٢٣٥؛ الواسعي ، تاريخ اليمن ، ص١٨٨

٥٢– الثقفي، سيرة الإمام ، ص١٦٠ – ١٦٧ ؛ الجرافي، المقتطف، ص٨٤ ؛ علي ، غاية الأماني، ج١، ص ٣٠٥؛ الحبشي، مصادر الفكر ، ص٦١٦– ٦١٧ ؛ زبارة، أئمة اليمن، ج١، ص٩٨

٥٣ – الخزرجي ، العسجد ، ص٩٥

٥٤ – علي ، غاية الاماني ، ج١ ، ص ٣٠٥ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ص١٥٢

٥٥– الثقفي، سيرة الإمام ، ص١٦٦–١٦٧ ؛ العريشي، بلوغ المرام، ص٣٩–٤٠. الجفري ، الازمة اليمنية ، ص٦٥

٥٦ – علي ، غاية الاماني ، ج١ ، ص٣٠٥ ؛ زبارة ، ائمة ، ص٩٠ ؛ المطاع ، تاريخ اليمن ، ص٣٢٨ – ٣٢٩.

٥٧– علي، غاية الأماني، ج١، ص ٣٠٨؛ المطاع، تاريخ اليمن، ص٣٣٢

٥٨– المحلى، الحدائق الوردية، ج٢، ص٣٢١ ؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص٢٩٣؛ زبارة ، أئمة اليمن، ص٣٠٤ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ط١٥ ، ج٢ ، ص١٥٢؛ الكبسي، اللطائف السنية، ص٣٩؛ المطاع، تاريخ اليمن، ص٣٣٦–ص ٣٣٧

٥٩– المحلى، الحدائق الوردية، ج٢، ص٣٢٣؛ العريشي، بلوغ المرام، ص٣٩–٤٠ ؛ المؤيدي، التحف شرح الزلف، ص٥١٣.

٦٠ – ابن الفوطي الشيباني ، مجمع الآداب ، ج٦ ، ص٥٣٩ ؛ الخزرجي ، العسجد ، ص٧٦ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ص١٥٢

٦١ – الخزرجي ، العسجد ، ص٧٦ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص٢٩٦ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص٥١

٦٢ – ابن الديبع ، قرة ، ج١ ، ص٢٩٧ ؛ علي ، غاية الاماني ، ج١ ، ص٣١٤ ؛ الحداد ، تاريخ اليمن ، ج٢ ، ص٣٢٧

٦٣ – الخزرجي ، العسجد ، ص٨٠ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص٢٩٦

٦٤ – ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٦٣ –٦٥ ؛ علي ، غاية الاماني ، ص٣١٤ ؛ الحداد ، تاريخ اليمن ، ص٣٢٧–٣١٨

٦٥ – الخزرجي ، العسجد ، ص٨١ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٢٩٨

٦٦ – هو الداعي حاتم بن ابراهيم بن الحسين الحامدي كان قد تولى امر الدعوة الطيبية باليمن سنة ٥٥٧هـ بعد وفاة ابيه ، كان فقيها كثير الاطلاع و التأليف و الانتاج الادبي ، عَرف الناس فضله و بيان حجته فمالوا اليه و التف حوله بعض قبائل اليمن من حمير و همدان للمزيد ينظر : الخزرجي ، العسجد ، ص٨٠ ؛ فؤاد ، سيد ، المذاهب الدينية ، ص١٩٣

٦٧ – الخزرجي ، العسجد ، ص٨٠ –٨١ ؛ الهمداني ، الصليحيون ، ص٢٧٣ – ٢٧٤

٦٨ – ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٣٠٠ ؛ علي ، غاية الاماني ، ج١ ، ص٣١٧ ؛ الحداد ، تاريخ اليمن ، ج٢ ، ص٣٢٧

٦٩ – ؛ الحداد ، تاريخ اليمن ، ص٣٣٢ ؛ الهمداني ، الصليحيون ، ص٢٧٩ – ٢٨٣

٧٠ – الخزرجي ، العسجد ، ص٨٢ ؛ علي ، غاية الاماني ، ج١ ، ص٣١٥ –٣١٨

٧١ – ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٢٩٩

٧٢ – الهادي الى الحق : وهو الإمام الزيدي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) الملقب بـ الهادي إلى الحق وكذلك لُقب بالرسي نسبة إلى جبل الرس مقر إقامته و كذلك لُقب بأمير المؤمنين ، تمكن من تأسيس دولة له في بلاد اليمن عرفت بالدولة الزيدية او الرسية عاصمتها صعده . للمزيد ينظر : الجعدي ، عمر بن علي بن سمرة (ت: ٥٨٦هـ) ، طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، لا . مط ، (القاهرة – ١٩٥٧م) ، ص٧٩ ؛ الجرافي ، المقتطف ، ص١١٦ ؛ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص١١١ ؛ السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت : ٩١١هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق حمدي الدمرداش ، ط١ ، مكتبة نزار مصطفى ، (لا . م – ٢٠٠٤م) ، ، ص٣٦٧ ؛عارف ، احمد عبد الله ، مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن فيما بين القرن الثالث والخامس الهجري ، ط١، مؤسسة الجامعة ، (بيروت – ١٩٩١م) ، ص١٦٥ – ١٦٦

٧٣ – الخزرجي ، العسجد ، ص ٨١ ؛ الحداد ، تاريخ اليمن ، ج٢ ، ص٣٢٨ – ٣٢٩

٧٤– هم الأشراف الذين ينتسبون إلى الإمام القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم الرسي . للمزيد ينظر : ابن الديبع ، قرة العيون ، ج٢ ، ص٢٢٨ ، هامش ٢ ؛ الحداد ، تاريخ اليمن السياسي ، ج٢ ، ص١٠ .

٧٥– المحلى، الحدائق الوردية، ج٢، ص٣٢٤ ؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص٣٠١– ٣٠٢؛ علي ، غاية الأماني، ج١، ص٣١٧– ٣١٨؛ الحداد، التاريخ اليمن، ص٣٢٨– ٣٢٩ ؛ زبارة، أئمة اليمن، ص١٠٤ – ١٠٧

٧٦ – الخزرجي ، العسجد ، ص٨٠

٧٧– المحلى، الحدائق الوردية، ج٢، ص٣٢١–٣٢٤ ؛ الخزرجي، العسجد ، ص٨٢ ؛ الجرافي، المقتطف، ص٢٧ ؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص٣٠١–٣٠٢ ؛ علي ، غاية الأماني، ج١، ص٣١٧––٣١٨ ؛ العرشي، بلوغ المرام، ص٤٠ ؛ زبارة، أئمة اليمن، ص١٠٤ – ١٠٦ ؛ شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٢٤٩؛ مجهول، مشاعل النور، ص٥٥٥ – ٥٥٦ ؛ الواسعي، فرج الهموم والحزن، ص٢٩.

٧٨ – ابن حاتم، بدر الدين بن محمد (ت ٧٠٢هـ) ، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز في اليمن، تحقيق ريكس سميث، منشورات مكتبة لوزان (لندن –١٩٧٤)، ص٤ – ٥ ؛ الخزرجي ، العسجد ، ص١٨٠

٧٩ – محمد عبد العال ، الايوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الاسلامي الى عصرهم ، الهيئه المصرية ، (القاهرة – ١٩٨٠) ،ص٩١

٨٠ – تاريخ اليمن ؛ ج٢ ، ص٣٣٦

٨١ – الخزرجي ، العسجد ، ص١٨٠–١٨١ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص٩٩

٨٢ – ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت: ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط١، دار الكتاب العربي ، (بيروت – ١٩٩٧م) ، ج١١ ، ص١٧٩ ؛ الجرافي ، المقتطف ، ص٧٤ ؛ علي ، غاية الاماني ، ص٣٢٣–٣٢٤ ؛احمد ، الايوبيون ، ص١٠١ ؛ سرور ، محمد جمال الدين ، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، لا . مط ، (القاهرة – ١٩٦٤م) ، ص١٠٥

٨٣ – ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٧٧ ؛ العبدلي ، احمد فضل بن علي ، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ط٢ ، دار العودة ، (بيروت – ١٩٨٠م) .، ص٧٢–٧٤

٨٤ – ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٧٨ ؛ الخزرجي ، العسجد ، ص١٨٨ ؛ ابا مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص١٣١ ؛ علي ، غاية ، ص٣٢٥ – ٣٢٦ ؛ احمد ، الايوبيون في اليمن ، ص١٠٤ ؛ ؛ العقيلي ، ، تاريخ المخلاف السليماني ، ، ج١ ، ص١٧٥

٨٥ – ابن حاتم ، السمط ، ص٩ ؛ الخزرجي ، العسجد ، ص١٩٠ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص١٠٥ .

٨٦ – ابن حاتم ، السمط ، ص١٠ ؛ الخزرجي ، العسحد ، ص١٩٢

٨٧ – ابن حاتم ، السمط ، ص٣٠ – ٣٢ ؛ علي ، غاية الاماني ، ج١ ، ص٣٣٢ ؛ احمد ، الايوبيون ، ص١٣٦

٨٨ – الخزرجي ، العسجد ، ص١١٥؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٣٩٢ –٣٩٣

٨٩ – ابن حاتم ، السمط ، ص٣٣ ؛ ابو مخرمة ، ثغر عدن ، ج٢ ، ص١٣٣ ؛ علي ، غاية الاماني ، ج١ ، ص٣٣٢

٩٠ – الخزرجي ، العسجد ، ص١٩٦ ٣٥ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٣٩٣

٩١ – الخزرجي ، العسجد ، ص١٩٦ ٣٥ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٣٩٣

٩٢ – ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص٣٦ ؛ علي ، غاية الاماني ، ج١ ، ص٣٣

٩٣ – ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٧٩ ؛ ابو مخرمة ، ثغر عدن ، ج٢ ، ص١٣٣ – ١٣٤

٩٤ – كيلة : وتسمى ايضا كيلجة مكيال متداول خلال ذلك العهد . ابن حاتم ، السمط ، ص٣٧ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٧٩

٩٥ – الخزرجي ، العسجد ، ص١٩٧–١٩٨ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص١٠٨

٩٦ – ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص٣٦ – ٣٨ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص٧٩ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ج١ ، ص٣٩٤ ؛ ابو مخرمة ، ثغر عدن ، ج٢ ، ص ١٣٣ – ١٤٣؛

٩٧ – الخزرجي العسجد ، ص٢٠١

٩٨ – عبد الله بن حمزة : هو الإمام عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ؛ المحلى، الحداق الوردية، ج٢، ص٣٢٥– ٣٢٦ ؛ الجرافي، المقتطف ،

ص١١٦؛العرشي، بلوغ المرام ، ص٣٤- ٣٦؛ الزركلي، الاعلام، ج٤، ص٢١٣؛ المؤدي، التحف في شرح الزلف، ص٥٣٧- ٥٣٨

٩٩- المحلى، الحدائق الوردية، ج٢، ص٣٢٥؛ الجرافي، المقتطف، ص ١١٦؛ العرشي، بلوغ المرام، ص٤٣؛ الحبشي، مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن، ص٥٣٩ ؛ زبارة، ائمة اليمن، ج١، ص١٠٨؛ شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي، ج٤، ص١٦٢

١٠٠- ابن حاتم، السمط ، ص٦٩ ؛ الخزرجي، العسجد ، ص١٧٣- ١٧٤ ؛ علي ، غاية الاماني، ج١، ص٣٤١؛ ٣٥٠؛ زبارة، ائمة اليمن،ج١، ص١١٣-١١٤

المصادر

١- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت: ٦٣٠هـ) ،

- اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، (بيروت - د . ت)

- الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط١، دار الكتاب العربي ، (بيروت - ١٩٩٧م)

٢- البغدادي ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)

- المؤتلف و المختلف ، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت - ١٩٨٦م)

٣- البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: ٤٨٧هـ)

- المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي ، (لا . م - ١٩٩٢ م)

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ط٣ ، عالم الكتب، (بيروت - ١٤٠٣ هـ)

٤- الثقفي، سليمان بن يحيى (كان معاصر للأمام)

- سيرة الإمام أحمد بن سليمان ، تحقيق : عبد الغني محمد عبد العاطي، ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاقتصادية ، (لا . م - ٢٠٠٢)

٥- الجرافي ، عبد الله بن عبد الكريم (ت: ٩٢٤هـ)

- المقتطف من تاريخ اليمن ، ط٢ ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، (بيروت - ١٩٨٤م) .

٦- الجعدي ، عمر بن علي بن سمرة (ت: ٥٨٦هـ)

- طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، لا . مط ، (القاهرة - ١٩٥٧م) .

٧- ابن حاتم، بدر الدين بن محمد (ت ٧٠٢هـ)

- السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز في اليمن، تحقيق ريكس سميث، منشورات مكتبة لوزان (لندن -١٩٧٤)

٨- ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ)

- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق: لجنة من العلماء ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٩٨٣م)

٩- الحمزي ،عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله (ت: ٧١٤هـ)

- تاريخ اليمن من كتاب كنز الاخيار في معرفة السير والأخبار ، دراسة وتحقيق عبد المحسن مدعج المدعج ، مؤسسة الشراع العربي ، (الكويت - ١٩٩٢م)

١٠- الحميري ، نشوان بن سعيد (٥٧٢هـ)

- الحور العين ، تحقيق كمال مصطفى ، دار المعرفة ، (بيروت - ١٩٨٥م)

١١- الحِميرى ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : ٩٠٠هـ)
– الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق :إحسان عباس ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، (بيروت – ١٩٨٠م)
١٢- الخزرجي، ، الملك الأشرف إسماعيل بن العباس الغسّاني (ت٨٠٣هـ)
– العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق: شاكر محمود ، دار البيان، (بغداد – ١٩٧٥)
١٣- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ)
– العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، (بيروت – د . ت)
١٤- الداعي إدريس ، عماد الدين القرشي (ت: ٨٧٢هـ)
– عيون الأخبار وفنون الآثار ، تحقيق مصطفى غالب ، دار الاندلس ، (بيروت – د . ت) .
١٥- ابن الديبع ، ابا الضيا عبد الرحمن بن علي (ت: ٩٤٣هـ)
– الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تحقيق يوسف شلحد ، دار العودة ، (بيروت – ١٩٨٣م)
– قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، مطبعة السلفية ، (القاهرة – د . ت)
١٦- السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور ، (ت: ٥٦٢هـ)
– الأنساب ،تحقيق عبد الرحمن بن يحيى ، ط٢ ، مكتبة ابن تيمية ، (القاهرة – ١٩٨٠م) .
١٧- السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت : ٩١١هـ)
– تاريخ الخلفاء ، تحقيق حمدي الدمرداش ، ط١ ، مكتبة نزار مصطفى ، (لا . م – ٢٠٠٤م)
– لب اللباب في تحرير الأنساب ، دار صادر ، (بيروت – د . ت)
١٨- ابن شمائل القطيعي ، عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت : ٧٣٩هـ)
– مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ط١ ، دار الجيل ، (بيروت – ١٤١٢ هـ)
١٩- الصنعائي ، احمد بن عبد الله الرازي (ت : ٤٦٠هـ)
– تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق حسين عبد الله وعبد الجبار زكار ، قدم له نبيلة كامل ، لا . مط ، (صنعاء – ١٩٧٤م) .
٢٠- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠هـ)
– تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار أحياء التراث العربي ، (بيروت – ٢٠٠٨م)
٢١- ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقي (ت: ٧٤٣هـ)
– تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق مصطفى حجازي ، ط٢ ، دار الكلمة ، (صنعاء – ١٩٨٥م)
٢٢- العرشي ، حسين بن احمد (ت: ١١٨٢هـ)
– بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وامام ، مطبعة البرتيري ، (مصر – ١٩٣٩م) .

٢٣- علي ، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت: ١١٠٠هـ)
– غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة – ١٩٦٨م) .
٢٤- عمارة اليمني ،نجم الدين محمد (ت : ٥٦٩هـ)
– تاريخ اليمن ، تحقيق حسن سليمان محمود ، دار الثناء للطباعة ، (مصر – د . ت) .
٢٥- العينى ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين (ت: ٨٥٥هـ)
– مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، ط١ ، دار الكتب العلمية، (بيروت – ٢٠٠٦ م)
٢٦- ابن الفقيه ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥)
– البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، ط١ ، عالم الكتب،(بيروت – ١٩٩٦ م)
٢٧- ابن الفوطي الشيباني ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت: ٧٢٣ هـ)
– مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق : محمد الكاظم ، ط١ ، مؤسسة الطباعة والنشر– وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، (إيران – ١٤١٦ هـ)
٢٨- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت : ٦٨٢هـ)
– آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت – د . ت)
٢٩- القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ)
– قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، ط٢ ، دار الكتاب اللبناني ، (لا . م – ١٩٨٢ م)
– نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، ط٢ ، دار الكتاب اللبنانين، (بيروت – ١٩٨٠ م)
٣٠- المحلى، الحسن بن حسام الدين بن احمد (ت٦٥٢هـ)
– الحدائق الوردية في مناقب الائمة الزيدية، تحقيق : المرتضى بن زيد المحطوري ، ط٢، مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع ، (لا . م – ٢٠٠٢)
٣١- ابا مخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد (ت : ٩٤٧هـ)
– تاريخ ثغر عدن ، مطبعة بريل ، (ليدن – ١٩٣٦م) .
٣٢- المسعودي ، أبو الحسن بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ)
– مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الانوار ، (بيروت – ٢٠٠٩م) .
٣٣- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)
– لسان العرب ،ط٣ ، دار صادر ، (بيروت – ١٤١٤هـ) .
٣٤- ابن ناصر الدين ، محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد (ت: ٨٤٢هـ)
– توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد نعيم ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٩٩٣م)
٣٥- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت: ٢١٨هـ /)
– السيرة النبوية ، طبعة جديدة منقحة ، مؤسسة المعارف ، (بيروت – ٢٠٠٧م) .

٣٦- الهمداني ، ابن الحائك أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود (ت: ٣٣٤هـ)

– الاكليل ، حققه وعلق عليه محمد بن علي الاكوع ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد . ١٩٨٠م).

– صفة جزيرة العرب ، مطبعة بريل ، (ليدن – ١٨٨٤ م)

٣٧- الهمداني، زين الدين ، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي (ت: ٥٨٤هـ)

– الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة ، تحقيق : حمد بن محمد الجاسر ، دار اليمامة ، (لا . م – ١٤١٥ هـ)

٣٨- ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ)

– معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر،(بيروت – ١٩٩٥ م)

٣٩- اليعقوبي ، احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب (ت: ٢٩٢هـ)

– تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشه خليل منصور ، مؤسسة العطار ، (النجف الاشرف – د . ت)

المراجع

١- إبراهيم ، محمد كريم

– عدن دراسة في احوالها السياسية والاقتصادية (٤٧٦- ٦٢٦هـ / ١٠٨٣ – ١٢٢٨م) ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، (العراق – ١٩٨٥م)

٢- احمد ، محمد عبد العال

– الايوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الاسلامي الى عصرهم ، الهيئه المصرية ، (القاهرة – ١٩٨٠)

٣- البلادي الحربي ، عاتق بن غيث بن زوير

– معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، دار مكة للنشر والتوزيع، (مكة المكرمة – ١٩٨٢ م)

٤- الجفري ، محمد عبد الله حسن

– الازمة اليمنية مظهر حديث لارث تاريخي قديم ، ط٢ ، لا . مط ، (د . م – لا. ت)

٥- الحبشي ، عبد الله محمد

– مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ، المجمع الثقافي ،(ابو ظبي – ٢٠٠٤م)

٦- الحجري ، محمد بن احمد (ت: ١٣٧٩هـ)

– مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق اسماعيل بن علي الاكوع ، منشورات وزارة الاعلام والثقافة ، (صنعاء-١٩٨٤م)

٧- الحداد ، محمود يحيى

– تاريخ اليمن السياسي ، ط٤ ، دار التنوير ، (بيروت – ١٩٨٦م) .

٨- الحديثي ، نزار عبد اللطيف

– أهل اليمن في صدر الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت – د . ت) .

٩- حسن ، محمد

– قلب اليمن ، ط١ ، مطبعة المعارف ، (بغداد – ١٩٧٤م) .

١٠- زبارة، محمد بن محمد بن يحيى

– تاريخ الائمة الزيدية في اليمن حتى العصر الحديث ، تقديم : محمد زينهم ، الثقافة الدينية ، (لقاهرة – د . ت)

١١– الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس

– الأعلام ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، (لا . م – ٢٠٠٢ م)

١٢– زيد، علي محمد

– معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ، ط١ ، دار العودة ، (بيروت – ١٩٨١م)

١٣– سرور ، محمد جمال الدين

– النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، لا . مط ، (القاهرة – ١٩٦٤م) .

١٤– السروري، محمد عبده محمد

– الحياة السياسية ومظاهر الحضارية في اليمن في عصر الدويلات المستقلة من سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م إلى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، ط١ ، لا ،مط ، (صنعاء – ١٩٩٧م)

١٥– سيد ، أيمن فؤاد

– تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى القرن السادس الهجري ، ط١ ، الدار المصرية ، (القاهرة – ١٩٨٨م)

١٦– شرف الدين ، احمد حسين

– اليمن عبر التاريخ ، ط٢ ، مطبعة السنة المحمدية ، (لا . م – ١٩٦٤م)

– تاريخ اليمن الثقافي ، مطبعة الكيلاني الصغير ، (لا . م – ١٩٦٧م)

١٧– الشماحي ، عبد الله عبد الوهاب المجاهد

– اليمن الإنسان والحضارة ، دار الهنا ، (لا . م – ١٩٧٢م) .

١٨– عارف ، احمد عبد الله

– مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن فيما بين القرن الثالث والخامس الهجري ، ط١، مؤسسة الجامعة ، (بيروت – ١٩٩١م)

١٩– العبدلي ، احمد فضل بن علي

– هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ط٢ ، دار العودة ، (بيروت – ١٩٨٠م) .

٢٠– العقيلي ، محمد احمد عيسى

– تاريخ المخلاف السليماني ، لا . مط ، (الرياض – ١٩٥٨م)

٢١– ابو العلا ، محمود طه

– جغرافية جزيرة العرب ، ط٣ ، لا . مط ، (القاهرة – ١٩٨٨م) .

٢٢– غالب ، مصطفى

– أعلام اسماعيلية ، لا . مط ، (بيروت – ١٩٦٤م

٢٣– الكبسي، محمد بن اسماعيل الصنعاتي (ت١٢٠٨هـ)

– اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية ، نشرها السيد عبد الله بن محمد بن عبد الله (صنعاء، ١٩٨٤)

٢٤– كحالة ،عمر بن رضا بن محمد راغب

– معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط٧ ، مؤسسة الرسالة،(بيروت – ١٩٩٤ م)

٢٥– مجهول

– مشاعل النور ، مكتبة اهل البيت، مطبعة صنعاء ، (صعدة، ٢٠١٠م)

٢٦– محمود ، حسن سليمان

– تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي ، ط١ ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، (بغداد – ١٩٦٩م) .

٢٧– المطاع،احمد بن احمد بن محمد (ت: ١٣٦٧هـ)

– تاريخ اليمن الإسلامي من سنة ٢٠٤ إلى سنة ١٠٠٦هـ ، تحقيق عبد الله الحبشي ،ط١ ، منشورات المدينة ، (بيروت – ١٩٨٦م)

٢٨– المقحفي ، ابراهيم احمد

– معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمة ، (صنعاء ، الجمهورية العربية اليمنية – ٢٠٠٢م) .

٢٩– المؤيدي، مجد الدين محمد (ت : ١٣٢٢هـ)

– التحف شرح الزلف، مكتبة اهل البيت (ع) ، ط ٦ . لا مط ،(لا . م – ٢٠٢٠)

٣٠– الهمداني ، حسن بن فيض الله

– الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن من سنة ٢٦٨هـ الى سنة ٦٢٦هـ ، ط٣ ، دار التنوير ، (بيروت – ١٩٨٦م)

٣١– الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى

– تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، مطبعة السلفية ، (القاهرة – ١٣٤٦هـ) .

حقيقة "عبدالله بن سبأ" في أبحاث الدكتور جواد علي

م.د. حسين علي جبر*

الكلمات المفتاحية: جواد علي –ابن سبأ– الأسطورة

The truth about "Abdullah bin Saba" in the research of Dr. Jawad Ali

Keywords: Jawad Ali - Ibn Saba - the legend

المستخلص:

وَرَدَ اسم "عبدالله بن سبأ" في كتب التاريخ والأدب والمذاهب التي غطّت أحداث الفتنة في مقتل الخليفة عثمان، و صورته تلك المصادر عبدالل بن سبأ بانه العقل المدبر للصراعات التي انتهت بمقتل الخليفة، وقد تلاقفت أنامل بعض الكتّاب المعاصرين تلك الأخبار من غير فحص، وتمحيص لينسجوا نظريتهم المعروفة أنَّ (ابن سبأ)كان مؤيداً للإمام علي بن ابي طالب(ع) ومؤسساً لعقائد الشيعية كالوصية والرجعة، وملهماً لأفكار ابرز صحابة الامام "علي هما أبوذر وعمار. وهذا البحث يسليط الضوء على أبحاث (الدكتور جواد علي) الاكاديمي العراقي الذي يُعدُّ رائداً في رفض آراء الكتّاب المعاصرين من خلال دراسته لجذور أَخبار "ابن سبا" في المصادر، وتدقيقها ومقابلتها ونقدها متناً وسنداً ليصل إلى نتيجة مفادها أنَّ " ابن سبا" شخصية منتحلة زُرعت في بطون المصادر؛ للحط من الشيعة فقط لا غير.

Abstract:

The name of "Abdullah Bin Saba" was mentioned in the books of history, literature and doctrines that covered the events of sedition in the killing of the Caliph Othman, and portrayed by those sources as the mastermind of the conflicts that ended with the death of the Caliph, and the fingers of some contemporary writers met those news without examination, and scrutiny to weave their well-known theory that "Ibn Saba" was a supporter of Ali Bin Abi Talib (peace be upon him) and the founder of Shiite beliefs such as will and return, and inspired the ideas of the most prominent companions of Imam "Ali are Abu Zar and Ammar. Through this research, we try to shed light on the research of "Dr. Jawad Ali", the Iraqi academic, who is considered a pioneer in rejecting the opinions of contemporary writers through his study of the roots of the news of "Ibn Saba" in the sources, and scrutiny, interview and criticism of Matna and Sanad to reach the conclusion that "Ibn Saba" is an impersonated character planted in the deepest of sources for one purpose, which is to degrade the Shiites only.

* كلية الامام الكاظم (عليه السلام)
Husseinsaedi76@gmail.com

إنَّ حسّاسية الكتابة في موضوع العقائد يتطلب من الباحث الموضوعي عدم اصدار أحكام قبل دراسة المصادر والوثائق المرتبطة بالموضوع، وعدم الاكتفاء بالمصادر والمراجع التي تعود إلى مخالفي المعتقد و خصومه، وإلا سوف تكون النتائج عبارة عن تشويه وتضليل لعقول القرّاء وهي مخالفة وخيانة علمية يرفضها المنهج العلمي، وما ذهب اليه عدد من الباحثين المسلمين[١] والمستشرقين[٢] من ربط بعض عقائد التشيع بشخصية مجهولة عُرفت بـ ابن سبا" الا نموذج للقراءة اللاموضوعية للمصادر وتركهم مصادر الشيعة التي في متناول اليد، والتي تؤكد أنَّ المذهب هو مدرسة متصلة بوصي رسول الله (صلى الله عليه واله) وهو الامام علي(عليه السلام) ومن بعده الائمة (عليهم السلام).

وهذه النظرة القسرية والقراءة اللاموضوعية تجاه مذهب التشيع من قبل المتزمتين بآرائهم، دفع ثلة من الباحثين المعاصرين أن يدرس التراث الاسلامي، للوقوف على حقيقة(ابن سبأ) فظهرت نتائج بحوثهم مخالفة ما ذَهب اليه ممن يؤيد الدور السلبي لـ ابن سبأ" ومن هؤلاء الباحثين المفكر محمدكرد علي(ت١٩٥٣م) في كتابه"خطط الشام"[٣] الدكتور طه حسين(ت ١٩٧٣م) في كتابه" الفتنة الكبرى" الأسطورة السبئية بالأدلة التاريخية[٤]،والشيخ محمد جواد مغنية(ت١٩٧٩م)[٥]والدكتور علي الوردي(ت ١٩٩٥م)[٦]، والدكتورأحمد الوائلي(ت ٢٠٠٣م)[٧] والدكتور كامل مصطفى الشبيبي(ت ٢٠٠٦م)[٨] والعلّامة مرتضى العسكري(ت٢٠٠٧م)[٩] والدكتور عبدالعزيز الهلابي[١٠]وحسن فرحان المالكي[١١]وغيرهم.

وإنَّ الدكتور جواد علي هو أحد ابرز المؤرخين الذين درسوا هذه الشخصية دراسة تاريخية وعلمية، و رد على الأقلام التي رسمت دوراً كبيراً لـ "ابن سبأ" في فتنة مقتل عثمان، وما تلت ذلك من أحداث، وعلاقته و تأثيره على صحابة الامام علي(عليه السلام)، وتأسيسه لعدد من عقائد الشيعة كالرجعة، والوصية. وقد تميزت أبحاثه بدراسة الأخبار المنتشرة عن "ابن سبأ" في مختلف مصادر التاريخ والأدب والفرق والمذاهب متناً وسنداً، موضحاً أنّ أكثر الروايات التي أشارة إلى فتنة "عبدالله بن سبأ" هي أصداء لرواية ضعيفة السند ذكرها الطبري عن سيف بن عمر، و سيف بن عمر هو الذي نَعته الذهبي بالكذّاب [١٢].

وتوصل إلى ما يعرف بالسبئية هي حركة اشتراكية تذمرية اشتركت في مقتل عثمان، ولمّا رفض الامام علي (عليه السلام) الاستجابة لاطماعهم تذمروا منه واخذوا بالعمل للخلاص منه. وإنَّ ابن سبا هو إسطورة اختلقتها أيادي الإخباريين هدفها الحط من الشيعة. [١٣]

١- جواد علي :

تذكر المصادر أنَّ جواد علي من مواليد عام ١٩٠٧م في مدينة الكاظمية ببغداد[١٤]. أكمل دراسته الجامعية الاولية في كلية الإمام الأعظم في بغداد، و تم إختياره من قبل وزارة المعارف لإكمال دراسته في المانيا وناقش اطروحته التي حملت عنوان "الامام المهدي والسفراء الاربعة" عام١٩٣٨م في جامعة هامبورغ[١٥]، معتمداً فيها على مصادر شيعية ومراسلات مباشرة مع علماء الشيعة في عصره وهم السيد

هبة الدين الشهرستاني والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء[١٦].

وبعد رجوعه إلى العراق بدء العمل التعلمي والتدريس في كل من الإعدادية المركزية عام ١٩٤٠م ومن ثم كلية التربية،واستاذاً بدار المعلمين العالية، وعضوا في المجمع العلمي العراقي وعضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية في القاهرة[١٧].

وأبحاثه العلمية جعلته شخصية عالمية اذ تم دعوته بوصفه استاذاً زائر في جامعة هاردفر في الولايات المتحدة الامريكية للعام الدراسي ١٩٥٧-١٩٥٨م ، وأختير بوصفه استاذاً زائراً في العام الدراسي ١٩٦١-١٩٦٢م في جامعة لندن في بريطانيا[١٨].

يعدُ جواد علي من الباحثين النوادر في القرن العشرين وقد شملت أبحاثة معظم العلوم الإنسانية، والاسلامية اذ كتب في التاريخ العام، والإسلامي والجاهلي، و أهتم بالمباحث الكلامية والعَقدية، و خاض في مجال البحث الفقهي في كتابه تاريخ الصلاة[١٩]، ومن كتبه المنشورة، "التاريخ العام"[٢٠] **والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ويتألف المفصل من عشرة أجزاء أحدها مخصص للفهرس، وكتاب "تاريخ العرب في الإسلام"[٢١] كانت طبعته الاولى في بغداد سنة (١٩٦١)، **والمهدي المنتظر، و** أصنام العرب، وموارد الطبري[٢٢]، و معجم ألفاظ المسند[٢٣].

توفي الدكتور جواد علي عام ١٩٨٧ م اثر المرض العضال[٢٤] الذي المَّ به في شقته وحيداً في العاصمة بغداد[٢٥].

٢- أبحاثه في "ابن سبا"

المتتبع في الكتب والابحاث التي صنّفها أَصحابها في موضوع "ابن سبأ" يجد ان هناك تغييباً مشهوداً لتراث الدكتور "جواد علي" فمثلاً الكاتب اللبناني الدكتور "ابراهيم بيضون" الذي قام باحصاء الدراسات التي تم تدوينها خلال القرن العشرين عن"ابن سبأ" في كتاب اسماه "ابن سبأ" وقسّم فيها الباحثين على المؤيدين والمنكرين لدور "ابن سبأ"في التاريخ الاسلامي لكنّه لم يتطرق إلى "جواد علي" وابحاثه ضمن قائمة الكتّاب، لا المؤيدين منهم ولا المنكرين فيقول: ان الدراسات التي ظهرت ما بين الثلاثينيات إلى الخمسينيات من هذا القرن، سلّم اصحابها باستثناء _طه حسين- بوجود ابن سبا وحركته"[٢٦].

أمّا الباحث العراقي الدكتور حسن عيسى الحكيم[٢٧] الذي هو ممن تتلمذ على يد "د.جواد علي" يقول في بحث له بعنوان" مع جواد علي في المهدي المنتظر" : ((ولم نجد الدكتور جواد علي مشككاً في حقيقة عبد الله بن سبأ أو اعتبارها أسطورة كما تشير إلى ذلك بعض المصادر)) [٢٨].

ولو تمت مراجعة تراث الدكتور جواد علي في "ابن سبأ" لما صدرت هذه الأحكام التاريخية بحقّه؛ لان تُراثه يحكي جهود كبيرة في تتبع حقيقة ما يُعرف بـ"ابن سبأ" و له الأسبقية بين كُتّاب الشيعة المعاصرين في تفنيد آراء المؤيدين لـ ابن سبأ" وتجسّدت أبحاثه الأولية في مراسلاته لطرح الدكتور أحمد أَمين المصري(ت١٩٥٤م)[٢٩] في"جريدة الطريق" عام ١٩٣٣م عندما كان لا يتجاوز عمره السادسة والعشرين[٣٠]، ثم توسعت أبحاثه من خلال أطروحته "المهدي المنتظر وسفراءه الأَربعة" التي تمت

مناقشتها في جامعة هابورغ سنة ١٩٣٩م فقد خصص الفصل الثالث الذي يحمل عنوان"الغيبة والرجعة" و وقد عالج فيه التأثير اليهودي وموضوع " ابن سبا"، ولم يقف عند هذا الحد بل كتب خمسة أبحاث متسلسلة تحمل عنوان "ابن سبا" في مجلة"الرسالة"[٣١]بتاريخ ١٩٤٨م التي يظهر كانت رداً على المقالات التي كتبها محمود أَحمد شاكر(ت١٩٩٧م)"المصري الجنسية في نفس المجلة[٣٢].

وله بحث مطول في ثلاثين صفحة نشرته مجلة المجمع العلمي العراقي عام ١٩٥٦م حمل العنوان ذاته"ابن سبأ". وكان ينوي أكماله في عدد آخر من المجلة نفسها كما أشار إلى ذلك قائلاً:((وسيكون ذلك عملنا في الجزء التالي من المجلّة إن شاء الله)) [٣٣]ولكن للأسف لم يُكمل ما كان يتمناه، لعلَّ السياسة المتبعة من قبل السلطة في التضييق على الأقلام المستقلة حال دون إكمال مبتغاه[٣٤].

وقد برع الدكتور جواد علي في أبحاثه بصورة عامة بنقده الدقيق لأسانيد الأخبار ومتونها، وانتهج منهجاً علميّاً وعقليّاً دقيقاً في نقد الأخبار والروايات، وفيما يخص الأخبار الواردة في"ابن سبأ" التي تحدثت عن دوره في تأسيس الفرقة السبائية، ونشره للفتنة بين المسلمين، وصاحب نظرية المال و الرجعة و الوصية، و الغلو في حب علي بن أبي طالب(عليه السلام)، يعتقد جواد علي أنَّ تلك الأخبار بحاجة إلى فحص المضمون الحقيقي لها، ثم التأكد من أمانة الراوي أي سند الرواية، و الإحالة الزمنية للكلمات و شكل الأسلوب و طبيعة الأفكار، ثم بعد ذلك تاتي مسالة المقارنة بين أشكال الروايات المختلفة بعضها ببعض ثم إصدار الحكم، ولا يحق لأَي شخص اصدار أحكام في مسائل العقائد خاصة من غير دراسة الأخبار، دراسة علمية من سند الرواية وأمانة الراوي و مقارنة الأخبار بعضها ببعض الآخر. [٣٥]

٣:جذور أَخبار ابن سبا في المصادر:

عُرف عن الدكتور جواد علي أنه لم يكتف بمصدر واحد عند دراسته لحادثة تاريخية ما، بل يبذل قصارى جهده لاستقصاء الأخبار الواردة فيها ومن مصادر عدّة، ولذا عندما بحث أَخبار "عبد الله بن سبأ " غاص في الموروث الاسلامي يتتبع أثر هذا الرجل لكي يصل إلى حقيقته، فكان كل من التراث الادبي والتاريخي والفرق والمذاهب منهلاً لأبحاثه ودراسته التي تتضح في الآتي:

أ:كتب الادب[٣٦]: أشار الدكتور إلى أبرز أدباء القرن الثالث وهو الجاحظ(ت ٢٥٥هـ) الذي تحدث في كتابه الشهير (البيان والتبيين) عن "ابن سبأ" بهذه الرواية: ((قدمت المدائن بعد ما ضرب على ابن طالب كرم الله وجهه فلقيني ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لي ما الخبر؟ فقلت: ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها، ويعيش من أشد منها. قال: لو جئتمونا بدماغه في مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودوكم بعصاه))[٣٧].

ثم اضاف أنَّ رجال الرواية المذكورة هم: حباب بن موسى عن مجالد، عن الشعبي، عن جرير بن قيس. كما اكد ان جمهور من المصنفين نقلوا عن الجاحظ يمكن معرفة ذلك عند مطابقة الروايات ومقارنتها مع بعضها[٣٨].

ب:كتب التاريخ : إنّ الكتب التاريخية هي صاحبة الحظوة في نقل الأخبار الخاصة بـ ابن سبأ" فقد أوردَ الدكتور خبر لابن قتيبة(تـ٢٧٦ هـ) في كتابه "المعارف " الذي يحكي موضوعاً جديداً ومختلفاً عن ما ذكره الجاحظ إذ يقول : ((السبأية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ، وكان أول من كفّر من الرافضة، وقال علي رب العالمين، فأحرق علي أصحابه بالنار))[٣٩].

وفيما يخص نشأة مفردة الرافضة، يذهب الدكتور جواد علي بانّها ظهرت بعد استشهاد زيد بن علي في الكوفة [٤٠]، والرواية تظهر ان السبأية من افرازات الرافضة، والرافضة ظهرت في نهاية العهد الأموي أي في الربع الأول من القرن الثاني، وهذا التقدم التاريخي دليل على أبطال مضمون رواية صاحب كتاب المعارف.

ثم ذكر أشهر المؤرخين الذين تحدثوا عن "ابن سبأ" الذي اعتمد اخباره مُعظم المؤرخين الذين جاءوا بعده وحتى الباحثين المعاصرين العرب منهم والمستشرقين[٤١] وهو المؤرخ أبو جعفر بن جرير الطبري(تـ٣١٠ تـ) فمن المؤرخين الذين اقتبسوا الأخبار عن الطبري هم كل من ابن مسكويه(تـ ٤٢١هـ) صاحب كتاب (تجارب الأمم) [٤٢]، و عبد الرحمن بن خلدون (تـ٨٠٨هـ) [٤٣] والمقريزي(تـ ٨٤٥ هـ) [٤٤]، والسيوطي (تـ ٩١١ هـ) في كتابه (حسن المحاضرة)[٤٥].

ويُعقب على أَخبار الطبري عن" ابن سبأ" التي اعتمدها معظم المؤرخين والمستشرقين أَنَ سندها كالتالي: و مما كتب به الي السرّي، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي " ٠ وان رجال هذا السند كلهم مطعون فيهم من السرّي وشعيب إلى سيف ويزيد[٤٦].

وثم أشار إلى راويات البلاذري(تـ٢٧٩هـ) في كتابه (أنساب الأشراف) مؤكدا بأَنّه لم يذكر خبر التقاء "ابن سبأ" بأبي ذر في الشام، ولا في مكان آخر[٤٧]، ورواياته تختلف عن روايات الطبري(تـ٣١٠هـ) [٤٨].

ج:مصادر الشيعة[٤٩]:ذكر"جواد علي " مصادراً شيعية تحدثت عن "ابن سبأ" منها كتابي "فرق الشيعة" لأبي محمد النوبختي(توفي في القرن الرابع) و (معرفة أَخبار الرجال) لأبي عمر الكشي (تـ ٣٤٠ هـ).

ويستنتج من أَخبار العالمين الشيعيين أنَّ العبارة الأخيرة عن الكشي (تـ ٣٤٠ هـ) نفس العبارة التي ذكرها النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) عن عبد الله بن سبأ، وبما أن الشخصين كانا متعاصرين، فمن الجائز ان أحدهما نقل عن الآخر.

أمّا هناك رواية ثانية ذكرها الكشي عن القول بالغلو في الإمام علي (عليه السلام) من قبل "ابن سبأ"في ذيل الرواية إذ قال: لو جئتمونا بدماغه في مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودوكم بعصاه[٥٠].

وهذا المقطع من الرواية هو نفسه الذي وردَ في رواية الجاحظ(تـ٢٥٥هـ) وقد يكون الكشي نقلها بواسطة عن الجاحظ؛ وذلك بسبب التقدم الزمني؛ لان الجاحظ عاش في القرن الثالث والكشي في القرن الرابع .

٤-نقد الأخبار:

بعد أن أقام الدكتور "جواد علي "دراسة موسعة؛ لتقصي الأَخبار المذكورة في بطون المصادر التاريخية والأدبية وغيرها شرع بمراجعة الأخبار من مقابلة بعضها ببعض، وتحليلها ونقدها وفيما يلي نطرح ما توصل إليه من خلال نقده للأَخبار:

أ:الاختلاف في التسمية والموطن:

إنَّ دراسته لمتن الروايات التي تضمنت أَخبار" ابن سبا" جعل الدكتور جواد علي يتسال كيف يمكن القبول بتلك الأخبار التي عرّفت"ابن سبأ" بانّه ذلك البطل الذي حرّك الجماهير ضد الخليفة عثمان، و صاحب القول بـ "الرجعة والوصية، والمال و نفوذ افكاره بين كبار الصحابة أمثال أبي ذر وعمار بن ياسر وغيرهم بينما اختلف المؤرخون في إسمه، ونسبه، و موطنه وأماكن تنقله حتى**!؟**

ويذكر أنَّ الطبري عرّفهُ **بـ** ((عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء)). واكتفى في مواضع أخرى من تأريخه (بابن السوداء) واما الجاحظ(ت٢٥٥هـ) في (البيان والتبيين) يُعرّفه بـ ابن السوداء وهو (ابن حرب) [٥١] و لكن "ابن عبد ربه (ت٣٢٨ هـ)" في كتابه "العقد الفريد"[٥٢] والبغدادي (ت٤٢٩هـ)"في كتابه "الفرق بين الفرق"[٥٣] قد فرَّقا بين (عبد الله بن السوداء) و (عبد الله بن سبأ) فجعلا كلَّ واحد منهما شخصاً، فـ"ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة، وأمّا "ابن عبد ربه" عن الرافضة وتعامل الامام علي (عليه السلام) معهم تحدث في كتابه قائلاً: ((وقد حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، ونفاهم إلى المدائن: منهم عبد الله بن سبأ، نفاه إلى ساباط، وعبد الله ابن السَّبَّاب، نفاه إلى الحاذر)) [٥٤]" فهنا فرق بين " عبد الله بن سبأ، وعبد الله ابن السَّبَّاب [٥٥]

و يُعلق الدكتور جواد علي على هذا الخبر قائلاً:(ابن السباب)من(السبابية)وهي إحدى المصطلحات القديمة التي كانت تطلق على الجماعة التي كانت تسبُّ قسماً من الصحابة. وعلى كل حال فنحن لا نعرف أي شيء عن هذا الشخص الذي سماه الرواة (عبد الله بن السباب) [٥٦].

ويذكر عبدالقاهر البغدادي(ت ٤٢٩ هـ) في كتابه(الفرق بين الفرق) أنَّ السبابية التي خرجت عن ملة الإسلام هم اتباع "عبد الله بن سبأ"[٥٧].

وأمّا فيما يخص موطنه فقد ذهب المؤرخون بآراء شتى أيضاً**!** ذهب عدد من الرُّواة أن(عبد الله بن سبأ) من أهل اليمن، والطبري أَكّد في تأريخه بأنه من أهل صنعاء وقال بعضهم أنه من حمير؛ ولذلك قيل له(الحميري) أمّا الشعبي فقد ذهب إلى أن عبد الله بن السوداء كان من أهل الحيرة[٥٨].

أمّا الاماكن التي استقبلت "ابن سبا" وتاثرت بأفكاره ايضا موضع اختلاف فالبلاذري، والكشي(ت ٣٤٠ هـ) والمسعودي(ت ٤٤٦هـ) وأمثاله حصروا دائرة وجوده في العراق وتحديداً الكوفة ومنفاه (ساباط المدائن) ولم يبعدوه إلى أكثر من ذلك كالذي فعله يزيد الفقعسي.[٥٩]

أمّا أَخبار الطبري فقد تحدثت عن طواف ابن سبا لبلدان إسلامية مختلفة كـ مصر والشام فضلاً عن مُدن العراق، معتمداً على "يزيد الفقعسي"

يتسائل كيف استطاع هذا المجهول اقناع المسلمين ليكونوا دعاة له؟ وكيف استطاع هذا الغريب اسكات حكام عصره؟

ب:تأثيره على ابي ذر وعمار:

إنَّ للصحابيين ابي ذر وعمار بن ياسر مكانة مرموقة عند الامام علي (عليه السلام) وكانا يعدان من حواريي الامام (عليه السلام) وهما طليعة من حملا اسم الشيعة، لذا نجد أنَّ الروايات التي حاولت ان تستهدف هذين الرجلين دقيقة في عملها لما لهذين الرجلين من تاثير في تشكيل النواة الاولى للتشيع، وكانت روايات "سيف بن عمر"الذي اعتمدها الطبري في تاريخه اشارة إلى وجود علاقة بين "عبد الله بن سبأ" و الصحابيين "ابي ذر" و"عمار بن ياسر" وان حركة الاثنين وثورتهما ضد الخليفة ليستا الا صدى لمكر وحيلة "ابن سبأ" وفيما يلي نشير إلى هذين الخبرين على حده:

١: علاقته بابي ذر:

ذكر الطبري(ت٣١٠هـ) في تاريخه رواية استنتج منها بعض الباحثين [٦٠]أنَّ وقوف أبي ذر بوجه السياسة المادية للخليفة عثمان، والحاكم معاوية، واتخاذه موقف سلبي بسبب تحريض "ابن سبا" له، وذلك عندما واجه احدهم الثاني في الشام إذ قال ابن سبأ: «يا أبا ذر، ألا تعجب من قول معاوية: المال كله مال الله، و كل ما يوجد إنما هو لله، و كأنه يريد أن يأخذ كل شيء لنفسه، عوض أن يقدمه للمسلمين؟» و بعدئذ أخذ أبو ذر يثير الفقراء ضد الأغنياء، حتى إن الحاكم أرسل أبا ذر سنة ٣٠ هـ إلى الخليفة خوفا من حدوث انقلاب اجتماعي[٦١] إلى المدينة فطرده الخليفة منها و أخرجه إلى الربذة قرب المدينة، فتوفي فيها في شهر ذي الحجة في السنة الثامنة من خلافة عثمان أي سنة ٣١ أو ٣٢ هـ كما روى سيف بن عمر الأسدي.[٦٢]

وقد أَوردَّ "جواد علي" ملاحظات عدّة على هذه الرواية التي انفرد بها الطبري دون غيره من المؤرخين منها[٦٣]:

أَولاً:عدم التطابق التاريخي: ذكر الطبري أنَّ فتنة "ابن سبا" انطلقت شرارتها من البصرة في السنة الثالثة من إمارة " عبد الله بن عامر" على البصرة– وامارة عبدالله بدات في السنة ٢٩ هـ . وبناء على ذلك تكون سنة مجيئ "ابن السوداء" إلى البصرة سنة ٣٢ هـ تقريبا أو سنة ٣٣ هـ. في حين أنَّ أبا ذر غادر المدينة سنة ٣١هـ. وهذا ما أشار إليه الطبري في احداث سنة ٣١ هـ ، وتوفي سنة ٣٢هـ[٦٤].

ثانياً: حركة أبي ذر ضد من استولى على بيت المال انطلقت من المدينة ثم على أثر ذلك أُرغمَ أبو ذر لترك المدينة[٦٥] تجاه الشام، وهذا ينفي أَنّه استلهم الفكرة من الشام، وبتحريض من "ابن سبأ".

ثالثاً: صلابة ايمان أبي ذر: كيف يمكن لشخص صلب الايمان كابي ذر أن يتأثر بافكار يهوديٍ حديث الإسلام إذ يقول في ذلك: لأسباب عاطفية أيضا لا يمكن على الإطلاق أن يتأثر رجل تقي مثل

أبي ذر بيهودي، لم يدخل الإسلام إلا قبل فترة قصيرة، و لم تكن له مكانة علمية متميزة في طائفته اليهودية[٦٦].

ويَعضد كلامه» بقوة ايمان أبي ذر ومعرفته الإسلام وعدم انصياعه لآراء من هو اقدم اسلاماً واشهر مكانة عند الخلفاء من "ابن سبا" وهو "كعب الأحبار" الذي تدخل في مسألة كان مثار جدل بين أبي ذر والخلفية عثمان[٦٧] فقال له مخاطباً: «كذبت يا ابن اليهودية!ما ذا تعتبر نفسك هنا!أمّا أن تسكت و إلا فإني سأريك كيف تسكت»[٦٨] و في رواية أخرى : «رَفَعَ أَبُو ذَرٍّ مِحْجَنَهُ فَضَرَبَهُ فَشَجَّهُ، فَاسْتَوْهَبَهُ عُثْمَانُ»[٦٩]

وعليه كيف يمكن القول بصحة الرواية التي تتحدث أَنّ "ابا ذر" قد اخذ نظرية "المال "المعروفة من شخص يهودي حديث الإسلام ومجهول الشخصية، فضلاً على ان التاريخ كما ذكرنا يؤكد عدم وجود لقاء جرى بين الاثنين.

رابعاً: إنَّ الرواية المزعومة رواية موضوعة واضعها أمّا يزيد الفقعسي أَو "سيف بن عمر" [٧٠]؛لانَّ كل روايات الفتنة أي مراسلات ابن سبا لرؤس الفتنة ضد عثمان، وكذلك لقاء ابي ذر بـ ابن سبأ" أوردها الطبري عن طريق واحد وهو يزيد الفقعسي.[٧١]

٢-مصاحبة عمار لـ"ابن سبأ":

أورد كلٌ من الطبري والبلاذري[٧٢] خبر اختيار عمار بن ياسر من قبل الخليفة عثمان، لتهدئة الوضع الناقم عليه في مصر، لكنّهم اختلفوا في من هو صاحب الفتنة، والمحرك لها في مصر فذكر الطبري اسم "ابن السوداء" أمّا البلاذري فقد أشار إلى عدد من الشخصيات وعلى رأسهم"محمد بن أبي بكر" و هو ما أكدّه المسعودي[٧٣]ثم تقول رواية الطبري : ((ابن ياسر تأثر بافكار ابن السوداء و استمال إلى الناقمين ضد الخليفة)) [٧٤].

وفي مقام الرد على هذا المأثور يقول جواد علي: ((كان عمار مخاصماً لعثمان، منتقداً له، وقد جادله مراراً، واصطدم به مراراً اصطداماً عنيفاً)) [٧٥].

وكأنّه يريد ان يوضح أنَّ عثمان قد انفرد من بين الخلفاء في إختيار بني عمومته للإستشارة، وتمثيله في الولايات وغيرها، ويستحيل إختيار عثمان شخصاً مخالفاً لافكاره وسياسته كـ عمار بن ياسر " ممثلاً له في بلاد مصر للمفاوضة مع الأهالي أو مقابلة الأفكار المخالفة للحكم التي يبثها ابن سبأ[٧٦]".

ثم يتسال جواد علي كيف يمكن تصور أنّ الخليفة "عثمان بن عفان" اختار "عمار بن ياسر" ممثلاً عنه للتفاوض مع ثوار مصر بينما التاريخ يتحدث عن وجود خلاف شديد بينهما وصل إلى حد الضرب والشتم و في مرات عديدة من ذلك[٧٧]:

١: تم العتدي على عمار بالضرب من قبل أَقرباء الخليفة، عند ما كان عمار نشطاً في نشر الإشاعات ضد الخليفة الجديد.

٢: أمر الخليفة بضرب عمار، عند اعتراض عمار على أخذ الخليفة المال من خزانة الدولة ليقدمه إلى أقاربه .

٣: عند نفي أبا ذر إلى الربذة من قبل الخليفة عثمان وقف " عمار" ضد هذا القرار ما جعل الخليفة يغضب عليه واراد طرده ونفيه لو لا وساطة بني مخزوم و علي بن ابي طالب.

٤-كما إنَّ الطبري والبلاذري ذكرا أنَّ عمار بن ياسر كان في المدينة اثناء قدوم الناقمين على عثمان وكان مع الامام علي(عليه السلام) ضمن المهدئين للوضع(٧٨).

وعليه إنَّ محتوى الرواية لا يمكن تصديقه لكي يتم بناء رأي تاريخي عليه ، وأمّا من حيث السند فان الرواية فقد انفرد بها الطبري عن "يزيد الفقعسي "وهي ضعيفة السند.

ويرى الدكتور جواد علي بعد دراسة هذه الرواية متناً وسنداً ان السبب في كتابة مثل هذه الأخبار الزائفة التي وردت بحق أبي ذر هو الحط من قيمّة الشيعة ومكانتهم من خلال ربط رؤساء الشيعة بشخصية مجهولة كـ ابن سبأ(٧٩).

وقد طرح الدكتور جواد علي بعض الأسئلة لمن يَتصيّد روايات في بطون المصادر الإسلامية ليبني عليها أحكام دون تحليل ونقد علمي قائلاً: رجل هذا شأنه في الدسائس والفتن والمؤامرات. لماذا لم يتم الإشارة اليه بشئ من التفصيل؟

لماذا اختلفت المصادر في إسمه ونشأته وأماكن حركته في البلدان الإسلامية؟

لماذا لم يلقِ معاوية القبض عليه ويُنكّل به بين النّاس كما فعل مع الصحابي أبي ذر وغيره من الصحابة؟

لماذا لم نجد له ذكراً في أشعار الرثاء بحقِّ عثمان، مع كثرة أشعار الرثاء في كتب الطبري والبلاذري؟(٨٠)

بعد هذه المجموعة من التساؤلات التاريخية التي أَوردها في أبحاثه يقول كلمة الفصل:(إن هذه السبائية هي التي دعت الإخباريين لسبب ستراه إلى خلق أسطورة (عبد الله ابن سبأ)هذا الذي جعلنا الرواة نكتب عنه هذه المقالات. فاختلقوا شخصاً يهودياً مسلماً أبوه من سبأ وأمه سوداء من الأحباش أو غير ذلك كما رأيت) (٨١).

نتائج البحث:

١-إنَّ تراث الدكتور جواد علي في ابن سبأ يحكي عن ريادته بين الباحثين المعاصرين في العراق.

٢-إنَّ الرواية التاريخية عند الدكتور "جواد علي" تخضع للدراسة متناً وسنداً قبل أصدار الحكم خصوصاً تلك الرواية التي لها علاقة بعقائد الناس.

٣- يعتقد الدكتور جواد علي ان رواية الطبري عن حركة "ابن سبأ" التي اعتمدتها المصادر التاريخية المتأخرة عن الطبري، ضعيفة السند ؛لانها ترجع الى سيف بن عمر الشخص المطعون بصدق روايته من قبل الذهبي.

٤-يرفض الدكتور "جواد علي " وجود لقاء حدث بين ابن سبا وأبي ذر، وتأثّر الثاني بعقائد وافكار الأول؛ لعدم وجود تطابق تاريخي، ومن جانب آخر صلابة إيمان وقوة شخصية أبي ذر تأبى قبول عقائد فاسدة من شخص مجهول.

٥-يعتقد الدكتور جواد أنَّ الاختلاف في الإسم والموطن والأتباع والعقيدة لما يُعرف بـ ابن سبأ كُلها علامات تدل على وجود أيادي خَفيّة هدفها الحط من الشيعة.

٦-الدكتور جواد علي أكدّ في مجلة الرسالة سنة ١٩٤٨ إنَّ ابن سبأ عبارة عن أسطورة اختلقتها أيادي الإخباريين.

المصادر والمراجع:

١. أبحاث في تاريخ العرب قبل الاسلام، الكعبي، نصير، المركز الاكاديمي للابحث، ط١، سنة ٢٠١١م.
٢. ابن سبا ١، جواد علي ، مجلة الرسالة، العدد ٧٧٤ سنة ١٩٤٨م.
٣. ابن سبأ ٣، جواد علي ،مجلة الرسالة، العدد ٧٧٦، مايو ١٩٤٨م.
٤. ابن سبا ٤، جواد علي ،مجلة الرسالة، العدد ٧٧٧ لعام ١٩٤٨.
٥. ابن سبا ٥، جواد علي، مجلة الرسالة،العدد ٧٧٨، عام ١٩٤٨.
٦. ابن سبا، جواد علي ، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد ٦، سنة ١٩٥٩م
٧. ابن سبا٢، جواد علي ،مجلة الرسالة، العدد ٧٧٥ ،١٠ مايو سنة ١٩٤٨م.
٨. الإستشراق في التاريخ، ناجي، عبدالجبار ، دار الجمل،سنة ٢٠٠٩م.
٩. أصل الشيعة وأصولها ، كاشف الغطاء، محمد حسن، تحيق محمد جعفر شمس الدين، دار الأضواء ، بيروت، لبنان،ط٢، سنة ش٩٩٣م.
١٠. أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، لويس، برنارد ، ترجمة، خليل أحمد خليل ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،سنة ١٩٨٠م.
١١. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، القفاري،ناصر، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
١٢. المهدي المنتظر عند الشيعة الإمامية، جواد علي ، ترجمة الدكتور ابو العيد دودو، دار الجمل، ط٢، سنة ٢٠٠٧م.
١٣. اوائل المقالات، المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، دار نشر سعيد بن جبير، قم، ايران، الطبعة الاولى، سنة ١٤٢٨هـ.
١٤. البلاذري، أحمد بن يحيى، انساب الإشراف،تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.
١٥. البيان والتبيين، الجاحظ، عمرو بن بحر، دار ومكتبة الهلال، بيروت،سنة ١٤٢٣ هـ.
١٦. تاريخ عرب در دوران اسلام، نجاد ،منصور داداش ، منشورات بزوشهكده تاريخ اسلام ، ط١، طهران ،سنة ٢٠١٣م.
١٧. تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي، منشورات الشريف الرضي، لا تاريخ.
١٨. تاريخ المذاهب الإسلامية، ابو زهرة، محمد، دار الفكر العربي، القاهرة، لا تاريخ
١٩. تاريخ نماز در اسلام، اسماعيلي، داود، دار نشر جهاد دانشگاه، ط ١، سنة ٢٠٢٢ م .
٢٠. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ابن مسكويه، ابوعلي، دار سروش للطباعة والنشر، ط٢، طهران ٢٠٠٠ م- ٢٠٠٢ م
٢١. التشيع والإستشراق، ناجي، عبدالجبار، منشورات الجمل، ط١، سنة ٢٠١١م.
٢٢. التمهيد والبيان، الاندلسي، محمد، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع،سنة ١٩٦٤م.
٢٣. جواد علي ،العبيدي، ماهر الموقع www.al-obaidy.com/jwad_ali
٢٤. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي،عبد الرحمن ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر،،ط١، سنة ١٩٦٧

م.
٢٥. الحضارة الإسلام في العصور الوسطى، أحمد عبد الرزاق ، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ١٩٩٠م.
٢٦. حوار مع الدكتور جواد علي في كتابه المهدي المنتظر، الحكيم، حسن، مجلة الموعود، العدد ١٠، تاريخ ١٤٢٨هـ.
٢٧. حوار مع جواد علي ،العمري، هناء، مجلة افاق عربية سنة ١٩٧٨.
٢٨. حوليات كلية الآداب، الهلابي، عبدالعزيز، جامعة الكويت – مجلس النشر العلمى، الحولية٨، الرسالة٤٥.
٢٩. دائرة معارف القرن العشرين، وجدي، محمد، دار المعرفة، ط١، سنة ١٩٧١م.
٣٠. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، عبدالرحمن، دار الفكر، بيروت،ط١ الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.
٣١. رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال)، الكشي،محمد(ت ٤٥٠ هـ) تح: رجائي مهدي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام،ط١،قم،سنة النشر ١٤٠٦هـ.
٣٢. سيف بن عمر، جواد علي، مجلة الرسالة، العدد ٨٥٦ ، ٢٨ نومبر ١٩٤٩م.
٣٣. الشيعة في الميزان، مغنية، محمد جواد، دار الشروق ، بيروت، لا تاريخ.
٣٤. الشيعة والسنة، إلهي ظهير ،إحسان ، إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان،ط٣، ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٩ م
٣٥. الصراع بين الإسلام والوثنية، القصيمي ، عبدالله ، سنة النشر : ١٩٨٢ م.
٣٦. الصلة بين التصوف والتشيع ، كامل الشبيبي، كامل ، دار مكتبة الهلال، بيروت، سنة ٢٠٠٥م.
٣٧. صور من التاريخ، العبادي،عبدالحميد،مكتبة الاداب للطباعة ولنشر ، الاسكندرية ١٩٤٨).
٣٨. ضحى الإسلام، امين، أحمد،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،مصر لا تاريخ.
٣٩. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق لجنة من العماء، دار الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لا تاريخ.
- الطبعة٢ ، سنة١٩٩٢ م.
٤٠. عبدالله بن سبأ واساطير اخرى، العسكري، مرتضى ، ط دار الغدير، طهران ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.
٤١. عبد الله بن سبأ – اشكالية النص والدور الاسطورة،بيضون، ابراهيم، دار المؤرخ العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.
٤٢. العقد الفريد، ابن عبد ربه، شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ ق.
٤٣. الفتنة الكبرى، محمود محمد شاكر، مجلة الرسالة في شهري فبراير ومارس من عام ١٩٤٨م
٤٤. الفتنة الكبرى، هيكل، محمد حسين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
٤٥. فجر الإسلام، أمين، احمد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،مصر، سنة ١٩٦٤م.
٤٦. مروج الذهب، المسعودي، علي بن الحسين، ، تحقيق امير مهنا، مؤسسة الاعلمي، بيروت، الطبعة الاولى، سنة ٢٠٠٠م.
٤٧. المعارف، ابن قتيبة، تحقيق دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، لاتاريخ.
٤٨. المغازي، الواقدي، محمد بن عمر، تحقيق مار سدن جونس، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لا تاريخ.
٤٩. منهاج السنة، ابن تيمية، احمد، دار الحديث، القاهرة، سنة ١٤١٢هق.
٥٠. منهج البحث التاريخي، حسن، عثمان ، ط١١ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٣
٥١. موارد الطبري(٣١٠هـ)، جواد علي، المجمع العلمي العراقي ،العدد ٣، سنة١٩٥٤.
٥٢. موارد تاريخ الطبري، محمد صالح السلمي " ونشره عام ٢٠١٢ من قبل منشورات المجلة العربية في السعودية.
٥٣. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، أحمد بن علي ، تح: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١،سنة ١٤١٨ هـ
٥٤. مؤرخو العرب والاسلام الدكتور جواد علي انموذجا – المنهج والموارد، الخفاجي، إيمان، رسالة ماجستير تمت مناقشتها في جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية – قسم التاريخ٢٠١٠.
٥٥. موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، المطبعي ، حميد، وزارة الثقافة والاعلام،بغداد،ط١،سنة ١٩٩٥م.

٥٦. موسوعة المفكرين والأدباء العراقيين، المطبعي، حميد، دار الرافدين للطباعة والنشر،بغداد، ط١، ٢٠١٤م.
٥٧.نشاة الفكر الفلسفي في الإسلام، النشار، علي سامي ، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط٩.
٥٨. هوية التشيع، الوائلي، احمد، مؤسسة أهل البيت ، بيروت، لبنان، ط٢، لا تاريخ.
٥٩. وعاظ السلاطين، الوردي، علي، دار كوفان للنشر،ط١، سنة ١٩٩٥م.

الهوامش

(١)يُنظر: فجر الإسلام ص٢٧٦ ، التمهيد والبيان ص٩٦ ؛ دائرة معارف القرن العشرين ،ج٥، ص١٧-٢٢؛ نشاة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص١٨ ؛ الصراع بن الإسلام والوثنية؛ ؛المذاهب الإسلامية، ص ٤٦؛ الشيعة والسنة، ص ٢٤؛ أصول مذهب الشيعة، ج١، ص ٧٨، وحسب ما ذكره الدكتور ابراهيم ان الدراسات التي ظهرت ما بين الثلاثينيات إلى الخمسينيات من هذا القرن ،سلّم اصحابها باستثناء _طه حسين- بوجود ابن سبا وحركته، عبدالله بن سبا بين اشكالية النص والدور الأسطورة، ص٤٨.

(٢)من المستشرقين الذين ذهبوا إلى هذا الرأي برنارد لويس، وولهاوزن، وفريدلندر، يُنظر: الإسماعيلة،ص٨٥ -٩١.

(٣) يقول كرد علي : وما ذهب اليه بعض الكتاب ان اهل مذهب التشيع من بدعة عبدالله بن سبا، المعروف بابن السوداء، فهو وهم وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم، كرد علي ، خطط الشام،ج٥ ص٢٥١-٢٥٦.

(٤) يُنظر: الفتنة الكبرى، ج ١ – ص ١٣١ .

(٥) إن عبدالله بن سبأ في نظر الشيخ محمد جواد مغنية هو البطلُ الأسطوري الذي اعتمد عليه كل من نسب إلى الشيعة ما ليس له به علمٌ وتكلمَ عنهم جهلاً وخطئاً أو نفاقاً وافتراءً،يُنظر: التشيع، ص١٧.

(٦) يذهب علي الوردي إن المقصود بابن السوداء عمار بن ياسر وقد رمزت له قريش بابن السوداء ولم تصرح باسمه؛ لأن ثقلاً ومركزاً بين الصحابة وكان على رأس الثائرين على عثمان، فلم ترد قريش أن تضعه مقابل عثمان انب عليٍّ لأنّه يرج كفة عليٍّ ويهبط بكفة عثمان فرمزوا له وسموه بابن السوداء؛ لأن أُمه أمة سوداء ولا وجود لابن سوداء غيره، يُنظر: وعاظ السلاطين، ص٢٧٩

(٧) افرز الدكتور احمد الوائلي في كتابه "هوية التشيع" فصلاً بعنوان "ابن سبأ"جمع فيه الآراء و رد على الأسطورة السبئية.

(٨) ذهب مصطفى كامل الشيبيي في كتابه" الصلة بين التصوف والتشيع في الصفحة٨٤ إلى ما ذهب اليه" الدكتور علي الوردي" كما مر علينا اعلاه.

(٩) صنّف العلامة العسكري كتاباً اسماه "اسطورة ابن سبأ" ويُعد من أحد أهم المصنفات في هذا الموضوع.

(١٠)توصل الدكتور عبدالعزيز صالح الهلابي الاستاذ في جامعة الملك سعود في الحولية الثامنة التي تصدر عن كلية الاداب في الكويت عام ١٩٨٦م أنَّ عبدالله بن سبأ "شخصية مختلقة" وتجدر الاشارة أنَّ الدكتور الهلابي قد اطلع على بعض أبحاث الدكتور جواد علي واشار اليه، وقد قال في الهامش ١٨ ان التناقضات في روايات سيف بن عمر سبقني فيها الدكتور مصطفى جواد –الصحيح جواد علي – لان ارجع كلامه إلى مجلة الرسالة وبحث عبدالله بن سبا في عام ١٩٤٨م.

(١١) نحو انقاذ التاريخ، ص٧٤-٧٦.

(١٢)يُنظر: المهدي المنتظر، ص٨٧-٨٩؛وذكر الباحث حسن المالكي ان كلام الذهبي في (ميزان الاعتدال/ج ٢،ص ٢٥٥))عن سيف بأنّه كالواقدي، وأنّه يروي عن خلق كثير من المجهولين..إلا أنَّ الذهبي قال بعد كلامه المتقدّم عن سيف بأنّه: ((كان إخبارياً عارفاً))، وهذا اللفظ قد اتكأ عليه بعض من لا خبرة له في توثيق سيف!إلا أنّ المتابع للذهبي يجده يقول مثل هذه العبارة (أديب عارف) أو (نسّابة عارف) أو (إخباري عارف) في حقّ رواة كذّابين غير سيف، والذهبي بنفسه يصفهم بالكذب والضعف في مواطن متعددة، وهو أيضاً قد ضعّف سيفاً في أكثر من مكان من كتبه، فهذا اللفظ (الموهم) لا يقدّمه على (التضعيفات الصريحة) إلا مكابر(يُنظر: نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي: ٨٤.

(١٣) يُنظر: ابن سبأ ٥، مجلة الرسالة،ص٦١٠.

(١٤) أُنظر :المنهج التاريخي،ص٦٣.
(١٥) يُنظر: المطبعي حميد، موسوعة المفكرين والادباء،ج١،ص٤١٥؛ دراسات في التاريخ العربي ،ج١، ص٥-٦.
(١٦) ذكر العالمين في مقدمة اطروحته شاكراً تعاونهم في الرد على المراسلات العلمية التي زادت عن عشرة مراسلة (يُنظر :المهدي المنتظر، ص٣)، وهذا التعاون من قبل العالمين الجليلين يوحي بمدى إهتمامهم لتدوين مثل هذه الاطاريح الاكاديمية وعنايتهم الفائقة بشخص الدكتور المرحوم جواد علي ا
(١٧)أبحاث في لتاريخ العرب قبل الإسلام ،ج١، ص٥-٦.
(١٨)يُنظر: موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، ج١، ص٤٦.

(١٩) تم ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية بعنوان" تاريخ نماز در اسلام، تحقيق و ترجمة داود اسماعيلى، زهرا كلباسى، دار نشر جهاد دانشگاه، ط ١ ١٤٠٠سنة ٢٠٢٢ م . والملفت ان هذا الكتاب تم ترجمته من قبل اساتذة اكاديميين ونشر من قبل دار نشر علمية في طهران ويحتوي الكتاب على مقدمة نافعة تحدث فيها المترجم عن اهمية ومكانة مؤلفات الدكتور جواد علي.
(٢٠)قام بتأليف هذا الكتاب عندما كان طالباً في كلية الإمام الأعظم في العشرين من عمره.يُنظر: الخفاجي، ايمان، جواد علي المنهج والموارد،ص٨.
(٢١) ايضاً تم ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية على يد الدكتور "منصور داداش نجاد" تحت عنوان"تاريخ عرب در دوران اسلام" تم طبعه من قبل منشورات بجوشهكده تاريخ اسلام ، طهران ، سنة ٢٠١٣م. وقد ضمت الترجمة مقدمة تحدث فيها المترجم عن مكانة الدكتور جواد علي كباحث قدير واهمية كتابه الخاص بالسيرة النبوية.
(٢٢) قام الباحث السعودي الدكتور محمد صالح السلمي بجمع أبحاث الدكتور جواد علي في مجلة المجمع العلمي العراقي عن موارد الطبري في كتاب اسماها "موارد تاريخ الطبري" ونشره عام ٢٠١٢ من قبل منشورات المجلة العربية في السعودية.

(٢٣) ان هذا الكتاب لم يطبع بعد وقد أشار اليه في احد مقابلاته بانه كامل وينتظر من يقوم بنشره، يُنظر: حوار اجرته معه الصُحفية هناء العمري، مجلة افاق عربية سنة ١٩٧٨.
(٢٤)بعد ان نخر المرض جسده ولم يلتفت اليه المؤسسات العلمية في العراق قدم الرئيس اليمني "علي عبدالله صالح" من سفيره في العراق استحصال موافقة الحكومة العراقية لنقله الى ارقى المستشفيات الاميركية على نفقة الحكومة اليمنية وفاءً من الشعب اليمني لاصالة ما كتبه عن تأريخ اليمن فسارعت الحكومة العراقية آنذاك بنقله إلى مستشفى ابن البيطار ولم ينفع العلاج فيه شيئًا.يُنظر: جواد علي ، الموقع www.al-obaidy.com/jwad_ali .
(٢٥) منذ رجوعه من المانيا كانت اصابع الاتهام موجه اليه من قبل المستحوذين على مقاليد التحكم في الفكر والثقافة على وفق أهداف ضيقة مذهبية وقومية، حتى أنّه لم يتحدث عن عنوان اطروحته خوفاً من تلك التيارات وكان يهرب من الاجابة عندما يسأل عن اطروحته.يُنظر: التشيع والاستشراق، ص٣٥-٣٦.
(٢٦) يُنظر: ابن سبا، ص٤٨، وهذا القول يدل على عدم اطلاع الدكتور بيضون على تراث جواد علي ؛لان الثاني ايضا لم يسلم بدور ابن سبا" كما سيأتي الكلام عنه في بحثنا هذا.
(٢٧) هو الدكتور حسن عيسى الحكيم، يقول كان لي مع أستاذي الراحل الدكتور جواد علي محاورة حول كتابه (المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية) يوم كان يلقي محاضراته على طلبة الماجستير في قسم التاريخ بكلية الآداب/ جامعة بغداد عام ١٩٧٢م، وكنت أكرر عليه القول: لِمَ لَمْ يترجم الكتاب من اللغة الألمانية إلى العربية، وذلك لحاجتنا العقائدية إليه، وقد أجابني بقوله: إذا طبع الكتاب باللغة العربية، ووقع بين أيديكم، فإنكم سوف تنظرون إليّ بما لا يرضيني، فقلت: معاذ الله يا أستاذي الكريم، فإننا نحترم العلماء والباحثين، وان لم نلتق معهم بالرأي.يُنظر: حوار مع الدكتور جواد علي في كتابه المهدي المنتظر، مجلة الموعود، العدد ١٠، تاريخ ١٤٢٨هـ.
(٢٨)يُنظر: حوار مع الدكتور جواد علي في كتابه المهدي المنتظر، مجلة الموعود، العدد ١٠، تاريخ ١٤٢٨هـ.
(٢٩)وهو كاتب مصري معروف اشتهر بموسوعته: فجر وضحى وظهر الإسلام.
(٣٠) اثارت كُتب الدكتور أحمد أمين في الربع الاول من القرن العشرين استنكاراً واسعاً من قبل علماء الدين في النجف الأشرف لما تضمنت من اتهامات خاطئة تجاه المذهب الشيعي ، وبعد زيارة الدكتور احمد أمين الى النجف الأشرف في الـ٣٠ من القرن الماضي واللقاء بعلماء النجف ومنهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء تبيّن له خطأ ما توصل اليه في مؤلفاته، وكان من بين الاتهامات إنَّ أبا ذر قد تأثّرَ بأفكارِ ابنِ سبأ التي هيَ أفكارُ مزدك المجوسيّ، وذكر الدكتور جواد علي في اطروحته المهدي المنتظر ع بانه رد على الدكتور احمد امين في جريدة الطريق وفي اعداد متتالية من عام ١٩٣٣م (يُنظر :هامش كتاب المهدي المنتظر، رقم ٥٠ ص٨٤.) وفي مقابلة له مع الكاتب حميد المطبعي أكدَ كلامه بقوله: ومن

الكتب التي انتقدتها كتاب ضحى الإسلام وباقي كتب الدكتور أحمد أمين وكنت في نقدي علميّا مع كوني شاباً ولم ينزعج من نقدي بل سر به؛ مع أني وقعت على هفوات في كُتبه.(يُنظر:المطبعي، حميد، موسوعة المفكرين ، ج١، ص٤٠٨.
وللأسف جريدة الطريق ليس في متناول اليد بسبب عدم وجود ارشيف لهذه الجريدة وقد يكون نقد الدكتور جواد علي لأحمد أمين تضمن موضوع ابن سبأ خصوصا وانه في ابحاثه المتأخرة رفض تأثر أباذر بشخصية مجهولة كـ ابن سبأ.

([٣١])مجلة الرسالة تصدر تحت أشراف الدكتور حسن الزيات في جمهورية مصر العربية.يُنظر: موسوعة المفكرين والأُدباء العراقيين،ج١،ص٤١٥.

([٣٢])كان الكاتب محمود محمد شاكر قد رد في مجلة الرسالة على الدكتور "طه حسين" في ثلاث مقالات تحمل عنوان "الفتنة الكبرى" في شهري فبراير ومارس من عام ١٩٤٨م مؤيداً للدور السلبي لابن سبا في الفكر الشيعي.

([٣٣])يُنظر: ابن سبا، المجمع العلمي العراقي، ص ١٠٠.

([٣٤])أشار المؤرخ العراقي الدكتور عبدالجبار ناجي عن وجود تضييق حاد من قبل السلطة وبعض المتملقين الذين يدعون العلمية تجاه الاقلام المحايدة في نقل احداث التاريخ، يُنظر: مقدمة كتابه الاستشراق في التاريخ ص١٨.

([٣٥])يُنظر: المهدي المنتظر ،ص٦٦؛ الرسالة ١، ص٤٩٨.

([٣٦]) تحدث عن رواية الجاحظ حول ابن سبأ في مجلة المجمع العلمي العراقي، ص ٦٨.

([٣٧]) البيان والتبيين ج٣ ، ص٥٦.

([٣٨]) ومن المصنفين هو الكشي المتاخر عهداً عن الجاحظ وقد ذكر هذه الرواية،يُنظر:اختيار معرفة الرجال تصحيح،ج١، ص٣٢٤.

([٣٩]) يُنظر: المعارف، ص٦٢٢.

([٤٠])المهدي المنتظر، ص٩١.

([٤١])ذكر الدكتور جواد علي عدد من المستشرقين الذين اعتمدوا على رواية الطبري ومنهم((هربلو) و (دي ساسي) و (فايل) و (فون كريمر) و (دوزي) و (موير) و (أوكست ميلر) و (فان فلوتن) و (كريتس) المؤرخ اليهودي المعروف، و (ولهوزن) و (هر شفلد) في مادة (عبد الله بن سبأ) في (دائرة المعارف الإسلامية)، و (إسرائيل فريد لندر) و قد انتقد آراء المستشرقين عندما يكتبون عن العقائد والفرق والمذاهب ومن ذلك "ابن سبأ" لانهم يتمسكون بالتافه من الأخبار والضعيف من الروايات المنصوص على كذبها من قبل علماء الرجال . يُنظر:ابن سبأ، مجلة الرسالة١، ص٤٩٧؛ تاريخ العرب في الإسلام ، ص٨.

([٤٢]) تجارب الأمم، ج١، ص٤٣٥.

([٤٣]) تاريخ العبر، ج٢، ص٥٩١؛ وج٣، ٢١٥.

([٤٤])المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٤، ص١٨٩.

([٤٥])ذكر هذا الخبر:إن رجلا يقال له: عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأظهر الإسلام، وصار إلى مصر، فأوحى إلى طائفة من الناس كلامًا اخترعه من عند نفسه، يُنظر:السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج٢ ، ص٢٧٤. وهذه رواية الطبري، ج٤، ص٢٣٠.

([٤٦]) يُنظر: موارد تاريخ الطبري، ص٥٣.

([٤٧])يُنظر: انساب الاشراف، ج٥ ص٥٣.

([٤٨])يُنظر: ابن سبأ ٥، الرسالة،ص٦٠٩.

([٤٩])يُنظر:عبد الله بن سبأ ٣،ص٥٥٠-٥٥٢.

([٥٠]) المصدر السابق ، مع ان الخبر نقلها عن الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ج٣ ص٤٦.

([٥١]) يُنظر:البيان والتبيين،ج٣ ، ص٥٦.

([٥٢]) يُنظر:العقد الفريد، ج٢، ص٢٤٩.

([٥٣]) يُنظر:الفرق بين الفرق، ص٢٥٥.

([٥٤])الفرق بين الفرق، ص٢٥٦.

([٥٥])يُنظر: ابن سبا، المجمع العلمي العراقي، ص ٩٨.

([٥٦]) يُنظر: ابن سبأ ٢، الرسالة، ص٢٥٤

([٥٧])الفرق بين الفرق، ص٢٥٦.

[٥٨]) الفرق بين الفرق ، ص٢٥٥.
([٥٩]) يُنظر:ابن سبا ٤ ،الرسالة،ص٥٨٣.
([٦٠]).عبدالحميد العبادي في كتابه صور من التاريخ يعتقد أنَّ اباذر قد تاثر في ثورته ضد عثمان بشخص يهودي يعرف بابن السوداء من اهل صنعاء.(ص ١١٤– ١١٥).
([٦١]) تاريخ الطبري، ج٤، ص١٩١–١٩٢.
([٦٢]) المصدر السابق،ج٤، ص٢٠٧.
([٦٣]) يُنظر: المهدي المنتظر، ص٦٥–٦٦؛ابن سبا ٤،الرسالة، ص٥٨٢–٥٨٥؛ ابن سبا، مجلة المجمع العلمي العراقي، ص(٧٠– ٧٩)
([٦٤])ابن سبأ ٤، الرسالة، صفحة٥٨٣؛ نقلا عن الطبري، ج٤، ص١٩٢ و ج ٤ ،ص٢٠٧.
([٦٥]) ذكر البلاذري خبرا عن تذمر مروان بن الحكم من أبي ذر والاستعانة بالخليفة عثمان : جعل أَبُو ذر يَقُول بشر الكانزين بعذاب أليم ويتلو قَوْل اللَّه عَزَّ وَجَلَّ (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والْفِضَّةَ) الآية (التوبة: ٣٤) فرفع ذَلِكَ مَرْوَان بْن الحكم إِلَى عُثْمَان فأرسل إِلَى أَبِي ذر(انساب الاشراف، ج٥، ص٥٤٢) وذكر الطبري ان عبدالله بن سبأ تنقّل في بلدان المسلمين فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، ولم يشر إلى تواجده في المدينة المنورة لكي ينشر افكاره بين ابناء المدينة ومنهم أبي ذر.يُنظر: الطبري، ج٤، ص٢٣٠.
([٦٦]) المهدي المنتظر، ص٨٧.
([٦٧]) احداث ردع كعب الأحبار من قبل أبي ذر الغفاري وقعت قبل إخراج أبي ذر إلى الشام من قبل الخليفة عثمان، وقد تكون تلك من الاسباب المهمة في نفي أباذر من قبل الخليفة عثمان.
([٦٨]) يُنظر: الطبري، مصدر سابق، ج٤، ص
([٦٩]) يُنظر: الطبري، ج٤، ص١٩٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٥٧.
([٧٠]) يُنظر:ابن سبا ٤، مجلة الرسالة،ص ٥٨٢.
([٧١]) يُنظر: سيف بن عمر، مجلة الرسالة،ص١٦٤٤–١٦٤٧.
([٧٢]) يُنظر: أنساب الأشراف، ج٥، ٥٤١.
([٧٣]) مروج الذهب، ج٢، ص٣٦١.
([٧٤]) الطبري، ج٤، ص٢٣١–٢٣٢.
([٧٥])يُنظر: ابن سبا، مجلة المجمع العلمي العراقي، ص٨١.
([٧٦])من الروايات التي ذكرها الطبري في تاريخه نقلاً عن سيف بن عمر التيمي، قوله: ان الخليفة عثمان بن عفان ارسل عمار بن ياسر نائباً عنه إلى مصر للحديث مع الثائرين عليه، من المصريين، يُنظر: المهدي المنتظر، ص٨٥.
([٧٧])المهدي المنتظر، ص٨١–٨٣؛
([٧٨])البلاذري: انساب الاشراف ٥/٦١.
([٧٩]) المهدي المنتظر، ص ٨٣.
([٨٠])الطبري ج٥ ص١٥٠، البلاذري ج٥، ص١٠٢ فما بعد.
([٨١]) يُنظر: ابن سبا ٤، مجلة الرسالة، ص ٦١٠.

حركة الاسترداد والأستنزاف الأقتصادي والعسكري والتبشيري الصليبي وأثرها على الوجود العربي الأسلامي في الاندلس

الكلمات المفتاحية: الأندلس، الحضور العربي الإسلامي. التبشيرية

م . ناصر حسين كاظم القريشي*

The Crusader economic, military and missionary recovery and attrition movement And its impact on the Arab-Islamic presence in Andalusia

Keywords: Andalusia, the Arab-Islamic presence. Missionary

المستخلص :

وقوف سرقسطة (بوابة الأندلس الشرقية) في وجه التحدي الصليبي القادم من فرنسا والممالك الاسبانية الشمالية بعد سقوط الخلافة الاموية (عام ٤٤٢هـ/١٠٣١م) وظهور عصر ملوك الطوائف حيث تولى بنو هود حكمها (عام ٤٠هـ/١٠٣٨م) وانتهى بسقوطها على يد المرابطين (عام ٥٠٣هـ /١١٠٩م) . يبدأ البحث بالحديث عن تغير ميزان القوى في اسبانيا لصالح الممالك الاسبانية التي اسلوبين لتدمير الخصم : الاستنزاف الاقتصادي والهجوم العسكري اللذين آتيا اكلهما باسقاط بريشتر (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) احدى اهم مدن ادارة سرقسطة على يد حملة خرجت من فرنسا بتوجيه من البابا الامر الذي يؤكد واقعها الصليبي . يمضي البحث للحديث عن ردود الفعل الاسلامي لسقوط بريشر وسعى بني هود لاسترجاعها واعلانهم الجهاد في عموم الاندلس لكن ذلك لم يقف زحف الاسبان وتوجههم لحصار سرقسطة نفسها مرتين الا انهم اضطروا للانسحاب بسبب عبور المرابطين من المغرب وراحوا يركزون حملاتهم المدعومة من فرنسا ضد مدن اخرى مثل وشقه وتطيلة وتمكنوا من اسقاطهما ، وينتهي البحث بالحديث عن الاسلوب التبشيري الذي به الجبهة النصرانية محاولاتها ضد مسلمي الاندلس بدا الرسائل الموجهة الى حكام سرقسط احمد بن هود تدعوه للتنصر ، وقد وقف البحث عند احدى تلك الرسائل وما اثارته من جدل لدى الدارسين واورد في نهاية الامر نصها ونص جواب الفقيه الاندلسي ابي الوليد الباجي عليها.

Abstract:

The conquest of Islam for Spain was the beginning of a new era, and a great development began in its public life and in its social systems. The era of the conquest was afflicted and exhausted by injustice and abuse, and the fees of slavery and servitude were imposed on it, and all freedoms and sanctuaries were permitted from it, so Islam came to eliminate all of that, and to bear the blessings of justice Freedom and equality for all people, and to give everyone his right, to suppress oppression and injustice, to achieve prosperity and bliss,

* كلية الأمام الكاظم (عليه السلام)
hlbg3@alkadhum-col.edu.iq

and to spread justice and equality in all parts of Spain and the surrounding areas.

The importance of the topic: It deals with one of the pages of the Islamic presence in Europe, specifically in Andalusia, and despite all that the Muslim Arabs have provided for eight centuries, the Christians of Spain and Europe in general, however, refuse to deny that and start aggressive campaigns to expel Muslims from Spain and cross to the other bank in terms of They crossed.

And the reason for choosing the topic: is to shed light on the terrorism that was practiced against Muslims and their presence in Andalusia, which has become, thanks to the Muslim Arabs, a Qibla and beacon of science, culture and religious tolerance.

The research has been divided into an introduction, three chapters and a conclusion in which the most important conclusions reached by the researcher, and a list of sources and references arranged according to the alphabetical letter of the Arabic letter.

In the first topic, we reviewed the movement of recovery and economic attrition, the second topic: military attrition, and the third topic: the missionary method.

Upon completing his research, the researcher concluded the following:

The standing of Zaragoza (the eastern gate of Andalusia) in the face of the Crusader challenge coming from France and the northern Spanish kingdoms after the fall of the Umayyad Caliphate (442 AH / 1031 AD) and the emergence of the era of Taifa kings, when the Banu Hood took over its rule (in 40 AH / 1038 AD) and ended with its fall at the hands of the Almoravids (in 503 AH). /1109 AD). The research begins by talking about the change in the balance of power in Spain in favor of the Spanish kingdoms, which used two methods to destroy the opponent: economic attrition and military attack, which came to fruition by bringing down Prechter (456 AH / 1064 AD) one of the most important cities of the administration of Zaragoza by a campaign that came out of France under the direction of the Pope, which confirms its Crusader reality.

The research goes on to talk about the Islamic reactions to the fall of Brecher and the Bani Hood sought to retrieve it and declare jihad throughout Andalusia, but this did not stop the Spanish advance and their tendency to besiege Zaragoza itself twice, but they were forced to withdraw due to the crossing of the Almoravids from Morocco and began to focus their campaigns supported by France against other cities such as Wachqa and Tatila And they managed to bring them down.

The research ends with a talk about the missionary method in which the Christian Front attempts against the Muslims of Andalusia. Letters addressed to the rulers of Zaragoza, Ahmed bin Hood, began calling him to convert.

The research stopped at one of these messages and the controversy it raised among scholars, and at the end cited its text and the text of the answer of the Andalusian jurist, Abu Al-Walid Al-Baji to it.

The researcher has used many sources and references that dealt with the subject and referred to in the list of sources and references.

المقدمة

كان فتح الأسلام شبه جزيرة اليبيرية فاتحة عصر جديد ، وبدأ تطور عظيم في حياتها العامة و نظمها الأجتماعية ، بعد ان كانت ترزح مرهقه من الجور والعسف ، وتفرض عليها رسوم الرق والعبودية ، وتستبيح منه كل الحريات والحرم ، فجاء الأسلام ليقضي على ذلك كله ، وليحمل نعم العدل والحرية والمساواة الى الناس جميعا" ، وليعطي كل ذي حق حقه ، وليقمع البغي والظلم ويحقق الرخاء والنعيم وينشر العدل والمساواة في ربوع أسبانيا كلها والمناطق المحيطه بها .

اهمية الموضوع : يتناول هذا البحث صفحة من صفحات الوجود الأسلامي في اوربا الأندلس تحديدا" ، وبالرغم كل ما قدمة العرب المسلمون طيلت ثمانية قرون ، الا أن نصارى أسبانيا وأوربا عموما" أبو الا أن يتنكروا لذلك وبدؤوا بحملات عدوانية لأخراج المسلمين من أسبانيا والعبور الى الضفة الأخرى .

وان **سبب اختيار الموضوع :** هو لتسليط الضوء على الأرهاب الذي مورس ضد المسلمين ووجودهم في الأندلس والتي غدت بفضل العرب المسلمين قبلة ومناره للعلم والثقافه والتسامح الديني .

لقد تم تقسيم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة فيها أهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث ، مع هوامش البحث وقائمة للمصادر والمراجع تم ترتيبها حسب الحروف الهجائية العربية .

استعرضنا في المبحث الأول : حركة الأسترداد والأستنزاف الأقتصادي ، وفي المبحث الثاني : الأستنزاف العسكري ، وفي المبحث الثالث : الأسلوب التبشيري .

واستعمل **الباحث الكثير** من المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع المشار اليه في قائمة المصادر والمراجع ، الله ولي التوفيق .

كلمات مفتاحية: حركة الاسترداد، الاستنزاف الاقتصادي ، الحملة الصليبية التبشيرية ، الأندلس.

المبحث الأول : حركة الأسترداد والاستنزاف الاقتصادي :

يذكر صاحب كتاب اخبار مجموعة[١]. ان المسلمين فتحوا اغلب مناطق جليقية الواقعة في الشمال الغربي من اسبانيا ، ما عدا منطقة صغيرة تسمى الصخرة أذ أستصغر الفاتحون شأنها . لعدم اهميتها العمرانية والحربية وكان قد لجأ اليها زعيم يدعى بلاي مع نفر من اتباعه عام (٩٨هـ/٧١٨م) استطاعوا فيما بعد ان يشكلوا قوة كبيرة جابهت السيادة الاسلامية في عموم جليقية . واستطاعت ان تخرج المسلمين منها .

ويمكن ان تعد هذه القوة بمثابة النواة التي شكلت فيما بعد الممالك الاسبانية في الشمال . التي استمرت في مجابهة الوجود الاسلامي في الاندلس وقد اطلقت عليها المصادر الاوربية[٢]. مصطلح (

حركة الاسترداد) . التي تطورت واتخذت ابعاداً خطيرة ، لاسيما بعد انهيار الخلافة وظهور عصر التجزأة والخيانة عصر ملوك مملكتي قشتالة وليون . واتحدت مملكتا اراغون وسوبراي الصغيرتان[٣]. وهكذا تغير ميزان القوى في شبه الجزيرة الايبرية . وغدت الممالك الاسبانية في الأقوى [٤]. وقامت باتباع اساليب عدة من اجل استئصال الوجود الاسلامي من الاندلس .

لم يحدث هذا الاسلوب بمعزل عن النزاعات العسكرية الداخلية لدويلات المدن (الطوائف) . بل كان السبب الذي شجع الملوك الاسبان على التدخل العسكري لصالح هذا او ذاك من الحكام المسلمين ، ومن ثم فرض الاتاوات المالية الضخمة عليهم . كما حصل اثناء الصراع بين سليمان المستعين بالله بن هود حاكم سرقسطة (٤٣٠-٤٣٨هـ/١٠٣٨-١٠٤٦م) ويحيى المأمون حاكم طليطلة اذ استعان كل منهما بفرناندو الاول حاكم قشتالة (٤٢٦هـ/١٠٣٥ م) . وتنافسا في طلب مساعداته العسكرية . مقابل دفعهم الاموال الطائلة والسماح له بالعبث في اراضيهما[٥].

وتهدف سياسته الاستنزاف الاقتصادية حسبما يرى الفونسو السادس الى اضعاف دويلات الطوائف ومن ثم السيطرة عليها[٦]. وقد صور لنا الامير عبد الله بن بلقين حاكم غرناطة (٤٦٩ - ٤٨٣ هـ /١٠٧٦-١٠٩٠م) [٧]. هذا الهدف أصدق تصويرا" وهو يتحدث بلسان حال فرنسو قائلا . ولكن الرأي كل الرأي ، تهديد بعضهم بعض ، وأخذ اموالهم ، حتى ترق وتضعف ثم هي تلقي بيدها اذا ضعفت .

ويوضح ماكي [٨] . اهمية هذا الاستنزاف الاقتصادي للمالك الاسبانية اذ يذكر ان حكامها ادرجوا مسألة الاتاوه التي قبضوها من المسلمين ضمن وصاياهم أذ وزع فرنادو الاول الاتاوات العائدة اليه بين ابنائه على النحو الأتي ملك سانشو قشتالة مع مايدفع من الاتاوة من سرقسطة واعطى الفونسو مملكة ليون مع ما يدفع من الاتاوة التي تدفعها طليطلة ، ومن الجدير بالذكر ان البابوية كانت تستلم قسطاً من هذه الاتاوات المالية ، يقول يوسف اشباخ[٩]، ان عشر المبالغ التي كان يحصل عليها راميرو الاول ملك أرغون من سرقسطة وتطيلة كانت ترسل الى روما لكي تبقى ارغون تحت حماية البابا وكانت لهذه السياسة الخاطئة التي اتبعها بنو هود حكام سرقسطة اثار سلبية بالغة على حياة المسلم السرقسطي . العقائدية والاقتصادية لأنها تزيد من نسبة الضرائب المفروضة عليه كما تجعله في موقف حرج امام عقيدته الدينية التي تقضي بحرمة اعطاء الاتاوة للاعداء [١٠] .

وقد أفصح الاهالي عن استنكارهم لهذه السياسة من خلال الشكاوى التي كان يبعثها بعضهم الى الحاكم يشكون فيها من ظلم الخازن (مسؤول المالية) .

ووصل الامر ببعض الفلاحين ان يواجهوا الحاكم في قصره فقد ذكر ابن بسام[١١]. ان اهل احدى قرى سرقسطة اعلموا احد العابدين المشهورين بالصلاح فيها بما يدفعونه للحكومة من الضرائب التي تؤول الى العدو فقرر العابد مع جماعة من الفلاحين مواجهة الحاكم المقتدر بالله بن هود (٤٣٨-٤٧٢هـ/١٠٤٦-١٠٧٩هـ) دخل عليه ووعظه بما جاء في الشرع فاغتاظ ابن هود لقوله وقال في نفسه (احتقرنا هذا حتى خاطبنا بمثل هذه المخاطبة فان تركناه ولم نعاقبه تجاسر علينا غيره فامر بقتله فقتل

هذا الرجل الصالح رحمه الله) ونتقد الفقيه ابو بكر الطرطوشي[١٢] ،(ت٥٢٠هـ /١١٢٦م) الذي عاش في ظل حكومة بني هود قد انتقد السياسة المالية لحكام دويلات الطوائف وعدها من اسباب خسارة المسلمين وضياع بلادهم .

لم تأخذ سياسة بني هود المالية مسارها الصحيح الا في عصر سيادة المرابطين على الاندلس وذلك عندما اختار احمد المستعين بن هود (٤٧٦-٥٠٣هـ /١٠٨٣-١١٠٩م) الوقوف الى جانبهم وفق صبغة سياسية مشتركة تكون بموجبها الاموال والذخيرة للمرابطين مقابل مساعداتهم العسكرية من اجل جبهة سرقسطة بوصفها البوابة الشمالية للاندلس[١٣].

المبحث الثاني : الأستنزاف العسكري :

يبدو من خلال اشتراك قوى أوربيه عدة من خارج شبه الجزيرة الايبرية[١٤] في الهجوم المسلح العنيف التكرر على سرقسطة وتوابعها بريشتر ووشقة وتطيلة ان المسألة لم تكن اسبانية محلية بل اكبر من ذلك بكثير لاسيما بعد مباركة البابوية وتشجيعها لها .

فهي صليبية اوربية شنت على الاندلس وبلاد الشام ومصر. وكانت سرقسطة البوابة المنيعة التي لايمكن للمجابهة الاسبانية ان تنهي سيادة الاسلام على الاندلس الابتحطيمها بضربات قوية ومتواصلة وهذا ما حصل فعلا كما سنلاحظ ذلك في المواجهات الاتية .

أ . مأساة بريشتر (٤٥٦هـ /١٠٦٤م) :

تذكر المصادر [١٥]ان النورمان[١٦]. والفرنسيين من اهالي غالة تقدموا بجيش كبير باربعين الف مقاتل نحو المدينة وشقة احدى قواعد سرقسطة وحاولوا احتلالها لكنها استعصيت عليهم فاتجهوا شرقا نحو بريشتر وهي لاتقل متعة عن وشقة وتبعد حوالي ٦٠ كم شمال شرقي سرقسطة وكانت تابعة للمظفر يوسف بن هود الذي كان مشغولا في نزاعه مع اخيه احمد المقتدر بالله حول ولاية العهد الامر الذي فسح المجال امام العدو ليقوم بمحاصرتهم ودام حصاره لها اربعين (٤٠) يوما عانى خلالها اهل بريشتر من القلق والخوف حيث قل الطعام والماء ويأسوا من الحياة لهذه المأساة صورا" مؤلة منها التي لاقاها الاهالي من شدة وطأة الحصار عليها حيث ذكر ان النساء كن يصعدن الى اعالي سور المدينة وينادين من يدنو منهن من جنود الاعداء وقد علقن انية بحباله مدلاة نحوهم ويتوسلن اليهم في سبيل جرعة ماء لهن ولاطفالهن وكان الجنود يقايضوا اناء الماء بما لديهم من مال او حلية او كسوة ويبدو ان شح الماء كان بسبب العدو لمصدره[١٧] .

وعندما لم يقم أي من الاخوين الحاكمين احمد المقتدر ويوسف المظفر بأية محاولة لانقاذ هذا الوضع المأساوي بسبب انشغالهم بنزاعهم الداخلي استسلم اهل بريشتر للعدو مقابل الامان رغم ذلك قام الصليبيون بقتل اعداد كبيرة من الاهالي وأسرهم بما فيهم الشيوخ والاطفال ولم ينج من القتل حتى الاسرى[١٨].

وتشير المصادر الاولية[١٩]. الى ان هذه الحملة خرجت من فرنسا أي انها كانت صليبية تؤيد ذلك المراجع الحديثة[٢٠]. ويرى المؤرخ هـ . و. ديفن [٢١] . ان الخوف من تقدم المسلمين كان من الحوافز الاساسية لنشوب الحروب الصليبية تؤيد ذلك الرواية التي ذكرها رينسمان[٢٢]. التي تقول ان مصرع رامبرو الاول ملك ارغون في معركة جرادوس في احدى حملات الامير المسلم احمد المقتدر بن هود عام (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) قد آثار خيال اوربا فبادر البابا (الاسكندر الثاني)[٢٣]. الى اصدار وعوده ببذل (الغفران) لكل من قتل المسلمين في اسبانيا وشرع بتاليف جيش من اجل مواصلة عمل رامبرو فكان وليم مونترا قائدا" لجيش شمال ايطاليا وابلس كونت روسي قائد جيش شمال فرنسا اما قائد الحملة جفري كونت امتانيا [٢٤] الذي جمع اضخم جيش واذا كانت حادثة سقوط طليطلة عام (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م م) قد اثرت بمؤرخنا ابن الاثير[٢٥] وجعلته يضعها في مقدمة الحملات الصليبية المعروفة فاننا نستطيع القول بان مأساة بريشتر كانت اسبق زمنا واكثر عمقا لصورة الفعل الصليبي في ابعاد العدوانية الحاقدة وقد حصل الصليبيون من الغنائم في حملتهم هذه على الشيء الكثير حيث قدرت حصة قائد الحملة نحو الف وخمسمائة (١٥٠٠٠) فتاة مسلمة ونحو خمسمائة (٥٠٠) حمل من اوقار الامتعة الحلي والكسوة وغيرها[٢٦]. واختار العدو هدية الى امبراطور القسطنطينية خمسة الاف (٥٠٠٠) فتاة مسلمة ، واستغل اليهود هذه المأساة اذ عملوا وسطاء بين العدو بعض اغنياء المسلمين لاجل فدية بناتهم مقابل اموال معينة [٢٧] .

أثارت مأساة بريشتر مشاعر المسلمين وبثت فيهم القلق والخوف من المستقبل المجهول ونقد ادباؤهم ومؤرخوهم الوضع السياسي فهذا ابن حيان القرطبي يصب غضبه على حكام دويلات الطوائف ويصفهم بأنهم احتوى عليهم الجهل واقتطعهم الزيف واركستم الذنوب يعللون نفوسهم بالباطل[٢٨] .

ورثى بريشتر الفقه الزاهد ابو محمد بعد الله بن العسال (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)[٢٩]. بقصيدة نقد من خلالها الوضع السياسي والاجتماعي المتدهور في الاندلس وكتب الاديب ابو محمد عبد الله النمري[٣٠]. (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م) رسالة طويلة على لسان اهل بريشتر يشكو فيها حالهم الى اخوانهم المسلمين في دويلات الاندلس .

ولقد أصاب احمد المقتدر بالله بن هود ما اصاب المسلمين من الحزم والقلق على مستقبل البلاد فشرع بالقيام برد فعل مناسب يوقف به الزحف الصليبي على سرقسطة وبقية بلاد الاندلس وكان نقد الاهالي له تقصيره في نصرة بريشتر آثرا" سلبيا على سمعته السياسية والعسكرية لذلك صمم على استرجاع المدينة المنكوبة فكتب الى حاكم اشبيلية المعتضد بن عباد طالباً منه المساعدة فبعث اليه قائدا يسمى معاذ بن ابي قرة مع جيش انتخبه واعده قدر عدده بخمسمائة (٥٠٠) فارس[٣١]. كما اعلن المقتدر بالله دعوة الجهاد في عموم الاندلس حيث نفوس اهل الاسلام وجاءه منهم خلق عظيم لايحصى عدده ذكر انه وصل من سائر بلاد الاندلس ستة الاف[٣٢]. مقاتل وهو عدد لايستهان به في ظل ظروف ذلك العصر فحملوا على العدو حملة رجل واحد واستطاعوا ان يثأروا وينتزعوا المدينة من يد الصليبين[٣٣].

وكان ذلك عام (٤٥٧هـ/١٠٦٥م) أي بعد عام واحد على احتلالها ، وكانت الغنائم التي حصل عليها المسلمون كثيرة قدرت بنحو خمسة الاف (٥٠٠٠) اسير والف (١٠٠٠) درع ، والف فرس ، وغير ذلك من الاموال . ويذكر الحموي[٣٤] .

ان احمد بن هود لقب بـ (المقتدر بالله) ، أثر هذا الانتصار الكبير وربما كان لاسترجاع بريشتر تأثيرهُ على الفكر السياسي والعسكري لبني هود ، لأنهم بدأوا يطمحون في التوسع نحو المتوسط ، محاولين ابتلاع دويلات المدن المطلة عليه ، لتقوية نفوذهم والوقف بامكانات اكبر امام اية محاولة صليبية اخرى لذلك جهز المقتدر بالله جيشا وسيطر على القلاع الدفاعية المجاورة لميناء طوطوشة ، ثم استولى على مدينة دانية الساحلية . وحاول ابناؤه من بعد الاستياء على بلنسية ايضا[٣٥].

ب. حصار سرقسطة : (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) :

بعد ان استولى الفرنسو لسادس على طليطلة عام (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) اراد ان يكمل منهجه العدواني العسكري . من اجل تحقيق اهدافه في مجابهة الوجود الاسلامي ، فخرج بجيش صليبي كبير عناصرة من الروم ومن الافرنجد والبشكنس[٣٦]. والحلالقة[٣٧]. وغيرهم وحاصر سرقسطة واقسم ان ألايرحل عنها حتى بداخلها او يحول الموت بين ما يريد فنزل اليه اميرها المستعين بن هود بمال عظيم بذله له ، فلم يقبله منه وقال : (المال والبلاد لي) [٣٨] .

ثم اضعاف الروح المعنوية لاهالي المدينة فاستعمل معهم اسلوبا دعائيا جاء فيه : (انه سوف يمنحهم الحرية الدينية ويساعد ضعفا ماديا ليستفيدوا من مجال الزراعة والاعمار) [٣٩] ، لكنهم لم يستجيبوا لتصريحاته ، ولم يقنعوا بها ، لأنه اقر ما فعله اتباعه في طليطلة حينما حولوا مسجدها الى كنيسة[٤٠] .

وتواترت الاخبار في سرقسطة عن عبور المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين الى الاندلس ، مما زاد المدينة ثباتا ، بينما شدد الفونسو حصاره عليها ليحصل على هدفه قبل تفرغه لمحاربطة المرابطين لكنه لم يفلح في اقتحامها ذلك بعث الى احمد مستعين من هود يعلمه بالموافقة على فك الحصار مقابل المبلغ الذي لم يوافق عليه في البداية لكن احمد رفض ان يدفع له شيئاً وذلك يتطلب الانسحاب عن سرقسطة لا محالة ، وفعلا تراجع العدو نحو طليطلة ليكون على استعداد لمواجهة المرابطين[٤١].

وحوصرت سرقسطة مرة ثانية (٤٩٥هـ/١١٠١م) بقيادة بيدرو الاول[٤٢] (ت٤٩٨هـ/١٢٠٥م) امير ارغون وذلك في الوقت الذي اسفرت فيه الحملة الصليبية الاولى عن نجاحها في المشرق الاسلامي واحتلت بيت المقدس .

قامت البابوية بمساعدة الاسبان الذين منعوا من الاشتراك في الحملات الصليبية نحو المشرق وكان دورهم مقصورا على مجابهة المسلمين في اسبانيا لكن الفرصة لم تكن مناسبة لاحتلالها ذلك لان المرابطين كانوا قد استعادوا مدينة بلنسية وغدوا في مركز يسمح لهم بتقديم المساعدات العسكرية الى احمد المستعين لذا اضطر المهاجمون الى ترك الحصار[٤٣].

ج . سقوط وشقة : (٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م)

تعد معركة الكرازة[٤٤] او وقعة وشقة[٤٥] . ضمن سلسلة المعارك العنيفة الفاصلة بين مسلمي سرقسطة والقوى الصليبية لذا قرر أمير ارغون سانشو رامبرو (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) الاستيلاء ، على معقل لأنه يعد جناح سرقسطة الدفاعي ودرعها الشمالي وهو يبعد عنها مسافة ٤٠ميلاً وذلك بعد توسع ملكه بسيطرته على اجزاء من مملكة نافار (بلاد البشكنس) مستعينا" بعددا كبيرا من المرتزقة الفرنسيين ، فضرب الحصار على وشقة وصمم على ان ألا يبرحها حتى يستولي عليها لكنه اصيب بسهم قاتل في اثناء معركة جانبيه صغيرة مع قوة من المسلمين وقبل وفاته اوصى ابنه بيدرو الاول ان يكمل حصاره ويستولي على المدينة . [٤٦]

واستنجد اهل وشقة باحمد المستعين بن هود لينقذهم من الصحار فاستجاب لندائهم وقرر سحق العدوان لاسيما ان الظرف السياسي والعسكري قد شهد دخول المرابطين للاندلس واحدث انتعاشا للروح الجهادية لدى مسلمي سرقسطة فارسل ابن هود وفدا برئاسة ابنه عماد الدولة عبد الملك لمقابلة امير المسلمين يوسف بن تاشفين . يعلمه بحصار وشقة ويطلب منه المساعدات اللازمة فبعث ابن تاشفين مكونة من الف وخمسمائة (١٥٠٠) مجاهدا[٤٧] .

وتقدم احمد المستعين لمواجهة قوات يبدرو الاول بجيش قوامه عشرون (٢٠) الف مقاتل وكان هذا العدد مماثلا لقوات العدو تقريبا فحصل اللقاء عند الكرارة التي تقع على مقربة من وشقة ودارت معركة بين الجانبين استغرقت نهاراً كاملاً [٤٨]. رجحت فيها كفة العدو وسمي ذلك النهار بـ (يوم الكريهة) وانسحب احمد المستعين ليعيد تنظيم قواته استعداداً لشن هجوم جديد لكنه هزم مرة ثانية بعد ان فقد اكثر من عشرة الاف (١٠٠٠٠) من قواته بين قتيل واسير وسمي ذلك اليوم بـ (يوم الهزيمة) وبعدها بثلاثة ايام اضطرت المدينة للاستسلام ويذكر ان العدو حول مسجد المدينة الى كنسية حال الدخوله اليها[٤٩].

ادى سقوط وشقة الى فسح المجال امام القوى الصليبية للدخول الى سرقسطة وانهاء الوجود الاسلامي فيها ويعزو احد الباحثين هذه النكسة رغم ضخامة جيش المسلمين المشارك في المعركة الى انانية حكام بني هود التي ادت الى عدم توحيد قواهم وخططهم العسكرية مع السلطة المركزية المتمثلة بالرابطين وتعقيبا على هذا التعليل تذكر ان المصادر التاريخية لاتشير الى وجود خطط عسكرية بين بني هود والمرابطين وكل ما ذكرته ان المرابطين قدموا مساعداتهم العسكرية التي طلبها منهم احمد المستعين وليس من المعقول ان يرفض بن هود خطة تنجيهم مما هم فيه من البلاد قدمها اليهم حليفهم المخلص يوسف بن تاشفين [٥٠] .

د. سقوط تعليلة (٥٠٣هـ/١١٠٩م)

يبدو ان توافد المرابطين الى الاندلس وتعاونهم مع حاكم سرقسطة احمد المستعين بن هود[٥١]. تقديرا منهم لموقع سرقسطة المحوري ، وخوفهم من استسلامها للعدو في حالة اليأس قد انعش الروح الجهادية لاهل سرقسطة لذلك قام احمد المستعين بشن غارات على مواقع من مملكة اراغون لغرض افشال مشاريعهم الصليبية حيث استطاع اجتياز مدينة تعليلة التي تقع الى الشرق من سرقسطة نحو الجنوب الشرقي فدخل احياءها فاضطر اهل القلعة الى الاعتصام في كنيسة منيعة وفرض عليهم الجزية[٥٢].

ولم يقف امام انتصار المسلمين هذا الا تحالف الفونسو الاول (المحارب) ابن يبدرو حاكم اراغون (٤٩٩هـ -٥٢٩هـ/ ١١٠٤ م -١٣٠٤م) مع الرنك انريكي دي بورجينا امير البرتغال من اجل السيطرة على تعليلة وهي اخر ماتبقى من قواعد سرقسطة المهمة بعد وشقة[٥٣].

سارع احمد المستعين لنجدتها فحصلت معركة عنيفة عند مدينة بلتيرة الواقعة الى الشرق من تعليلة وصفها الشرقاوي[٥٤] بانها كانت ملحمة وقد خسر فيها المسلمون واستشهد قائده احمد المستعين اذ سقط في الميدان وهو يقاتل قتال الابطال كما يصف لنا الباحث المستشرق الالماني اشباخ [٥٥] .

المبحث الثالث : الاسلوب التبشيري

في خضم الصراع والتحدي ضد الوجود الاسلامي وسيادته على الاندلس حاولت الصليبية من خلال ديركلوني الفرنسي المعروف باهتمامه بشؤون اسبانيا وتشجيعه على ضرب المسلمين فيها[٥٦]. ان تبتكر اسلوبا جديداً في التحدي اذ كلفت الراهب هيو (٤٤٠-٥٠٣هـ / ١٠٤٨-١١٠٩ م) رئيس الدير المذكور بمهمة تتلخص بدعوة حاكم سرقسطة احمد المقتدر بن هود الى الردة عن الاسلام عن طريق التنصر وذلك من خلال رسائل دينية تبشيرية ترسل مع مبعوثين من رجال الدين الى سرقسطة وقد احتفظت مكتبة الاسكوريال في مدريد بمخطوطة لاحدى تلك الرسائل فيه مزاعم الراهب وداعيا اياه للاسلام وذلك بتكليف من حاكم سرقسطة احمد المقتدر ولقيت هذه المخطوطة عناية واهتمام بعض المستشرقين المهتمين بالدراسات الاندلسية خاصة والمهتمين بعلاقات الغرب مع الاسلام عامة مثل دتلوب والن كتلر وتركي كما ذكر سالوبارون هاتين الرسالتين في مؤلفة الضخم عن تاريخ اليهود تبياناً لقيمتها الدينية والحضارية وقام دنلوب بترجمتها الى اللغة الانجليزية وقدم تحليلا نقديا ذكر فيه ان هذه المخطوطة تكشف عن العلاقات المبكرة بين الاسلام والعرب التي يحتاج الدنيا الباحث لتاكيدها الى وثائق مثل التي بين ايدينا ، واظهر دنلوب من خلال النقد الداخلي صحة عائدية الرسالتين الى كاتبيهما ونفي ان يكون احد المسلمين قد كتب الرسالة والرد عليها لاغراض دعائية كما بين من خلال النقد الخارجي للمخطوطة صحة سندها التاريخي وقال ان هذه الوثيقة الاسوكوربالية كانت ضمن الخطوط المرقمة (٥٣٨) التي اعتمد عليها المستشرق جولتسهير في بحثه عن الشعوبية في اسبانيا وقام الباحث محمد عبد الله الشرقاوي بدراسة جديدة لهذه المخطوطة اكد من خلالها على اهمية الرسالتين وصحيح بعض الاخطاء التي وقع فيها من سبقه من الباحثين ولعل اختيار اعداء الاسلام هذا الاسلوب

مع بني هو لاسيما في عهد احمد المقتدر يعود الى موقع سرقسطة السوقي الذي يمثل البوابة الشمالية للاندلس والحلقة المتقدمة للوجود الاسلامي نحو اوربا يضاف الى ذلك ان اسرة هود كانت من الاسر القوية في الاندلس لهذا لايمكن ان تعد ظروف الضعف والحصار التي كانت تعاني منها سرقسطة حسبما يرى الشرقاوي[٥٧]. سببا في دعوة حاكمها احمد المقتدر لاعتناق النصرانية ذلك لان دولة سرقسطة في ايام هذا الحاكم امتدت نحو ميناء دانية واصبحت تشرف على مساحة واسعة من الشريط الساحلي المطل على البحر المتوسط بموانئه الثلاثة (دانية ، طرطوشة ، طركونة) كما كانت لهذا الحاكم حملات عسكرية ناجحة ضد الممالك الاسبانية[٥٨]. ابرزها استرجاع بريشتر يضاف الى ذلك انه لم يحصل أي حصار لسرقسطة في عهد احمد المقتدر ويؤكد حصول ذلك في عهد حفيده احمد المستعين بن المؤتمن عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) .

نموذج لرسالة الراهب الفرنسي هيو رئيس دير كلوني وجواب العلامة ابي الوليد الباجي عليها[٥٩]

أ . من رسالى الراهب الفرنسي

الى الصديق الحبيب الذي نؤمله يكون خليلا مدانيا ، المقتدر بالله على دولة هذه الدنيا الملك الشريف من الراهب احقر الرهبان الراغب في الانابة والايمان بالمسبح يسوع ابن الله سيدنا .

لما انتهى الينا ايها الامير العزيز امرك الرفيع في الدنيا وبصيرتك في تبين احوالها المتغيرة رأينا ان نراسلك وندعوك لتؤثر الملك الدائم على الملك الزائل الفاني .

وانك رايت كتابنا اليك الذي راجعت عليه مراجعة نبيلة على حساب نظر اهل الدنيا ولم تكن بحسب مطلوبنا من المراجعة الروحانية ولذلك تراخي زماني بمراجعتك ان توقعنا ان نتكلف تبعا لانجتني به ثمرة .

وان الشيطان اللعين الذي عرض اهل هذه الدنيا للموت بجسده لادم حاول تغيير هذه الملة المقدسة بعد اقبال الحواريين الذين هدوا اهل الارض بالموعظة وبعد ظهور الشهداء الاصفياء على ابليس بالغلبة الذين هرقوا دماءهم في اقطار الارض في ذات الله وفي سبيل شريعته المقدسة فلم يستطيع ان يغري اهل الدنيا ويحملها على ضلالهم القديمة من عبادة الاوثان فشبه على بني اسماعيل في امر الرسول الذي اعترفوا له بالنبوة فساق بذلك انفساً كثيرة الى عذاب الجحيم .

فاعتبر ايها الملك الشريف ولا تؤثر شيئا على نجاة نفسك يوم الحكم والجزاء فانا مخلصون في خدمة امورك ومسارعون الى تقديتك بنفوسنا ومتى قبلت وعملت برأينا وتقررت عندنا أجابتك الى ما ندعوك اليه من قبول كلمة النجاة الدائم التي تعرضها عليك لم تتوقف على الالتحاق بك فتأمل ايها لحبيب ما يحق عليك تقديم العمل به والمسارعة اليه واغتبط بما يدين به اخواننا في هذا القطر من الدعاء وبذل الصدقات الزاكية عنك وما نهم احد راك ولا شاهدك وانما يتبرع رغبة في ان يهديك الله الى مرضاته .

والصلاة عليك ايها الحبيب من سيدنا المسيح الذي اذهب الموت وقهر الشيطان ورحمة منه وبركة بأستنقاذك من حبائل أبليس التي كنت فيها متورطا الى الان ونسال الله الذي له القدرة والعظمة الذي من

اجله خلق كل شيء ومن دونه لم يخلق شيئا ان يهديك ويثبت في نفسك ما دعوناك اليه وحضضناك عليه .

وان لم يظهر لك ياايها الحبيب مراجعاتنا بجوابك على ما تضمنه كتابك لافات الكتب فاودع ذلك اخواننا هؤلاء واطلعهم على سرك وما يتمثل في نفسك ونحن نضرع الى سيدنا يسوع المسيح ان يتولى رعايتك . ويتكفل سلامتك ويهديك الى دينه المقدس ويسعدنا بالايمان الصحيح به امين .

ب. من جواب العلامة ابي الوليد الباجي :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وعلى آله وسلم

العزة لله .

والصلاة على رسوله

تصفحت ايها الراهب الكتاب الوارد من قبلك و به مودتك واظهرته من نصيحتك وابديته من مودتك لما بلغنا من مكانتك عند اهل ملتك واتصل بنا من جميل ارادتك .

وانا لتربا بمثلك ونرفع قدرك عما استفتحت به كتابك من ان عيسى عليه السلام ابن الله تعالى بل هو بشر مخلوق وعبد مربوب لا يعدو عن دلائل الحدوث من الحركة والسكون والزوال والانتقال والتغير من حال الى حال واكل الطعام والموت الذي كتب على جميع الانام مما لايصح على اله قديم .

وان الله خلق عيسى عليه السلام من غير اب كما خلق آدم عليه السلام من تراب حملت بعيسى ام ولم تحمل بأدم انثى ولا ذكر فاذا لم يكن ادم الها وهو الاب الاول هو مخلوق فعيسى اولى ان لايكون الها وقد ظهر على أيدي سائر الرسل عليهم السلام من الايات الواضحة والمعجزات الباهرة مثل ما ظهر على يدي عيسى عليه السلام واكثر فلو جاز ان يدعي الى عيسى عليه السلام بشيء مما ظهر على يديه من احيا ميت وابراء اكمه وابرص بانه ابن الله تعالى لجاز ان يدعى ذلك ابراهيم لما ظهر على يديه من سلامته من النار بعد ان قذف فيها ولم ينج عيسى من عدد يسير من البشر راموابزعمكم صلبه وقتلهولجاز يدعى ذلك لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لما ظهر على يديه من انشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه وتسبيح الحصى في يديه وحنين الجذع اليه وغير ذلك من الايات .

ولو جاز ان يقال ان عيسى عليه السلام هو خالق لما ظهر من ذلك على يده المنفرد بفعله ولجاز ان نقول ان ادم وابراهيم وموسى ومحمداً وسائر الانبياء عليهم السلام انفردوا بخلق ما ظهر على ايديهم وان جميعهم من خلقهم وانهم لذلك الهة معبودون وذلك محال فلا خالق الا الله ولا معبود سواه وهؤلاء انبياء مكرمون ورسل مؤيدون صدقهم الله تعالى بما ظهر على ايديهم من المعجزات التي لايقدر عليها غيره ولا نصح ان يخلقها سواه .

وعندنا من علم شريعتكم واختلاف اخباركم في ملتكم وما تورده كل طائفة من شبهكم في الاقانيم والاتحاد ومعنى اللاهوت والناسوت والجوهر وغير ذلك من تنميقات اناجيلكم .

وقد راينا في كتبك مما خالفت فيه جميع اهل ملتك فانه ليس في فرق النصارى من يقول ان المسيح لاينبغي الايمان باحد سواه بل هو الايمان بالاب عندكم واجب والاب لم يتحد بالناسوت عندكم وانما اتحد به الابن فمن لم يؤمن بغير الابن كفر بالاب وقد قدم في كتابك ان المسيح ابن الله وهذا نقض لقولك انه لاينبغي الايمان بغير المسيح الذي هو الابن ، ومن طريف ما تأتون به وتضكون سامعة منكم قولكم ان عيسى ابن الله تعالى عن ذلك وتقولون انه من ولد داوود عليه السلام وهذا ثابت في اناجيكم ومتلو من كتابكم وتزعمون ان جبريل اذ بشر مريم به قال لها انه يكون عند الله عظيماً ويكون (الله سبحانه) اسمه ناشرا ويدعى بابن الله وبورثه الله ملك ابيه داوود ولا تحملون ذلك على ان داوود ابوه من قبل مريم لانها لم تكن من ذرية داوود وانما تحملون على انه ابوه من قبل يوسف النجار الذي يزعمون انه كان زوجا لمريم فاذا كان عيسى من ولد داوود وداوود عبد مخلوق وجد بعد ان لم يكن ومات ان حبي فكيف يكون عيسى الابن خالق داوود ابيه والهه وكيف يكون ابنا لداود المخلوق وابنا لله الخالق

وما هذا الا جهل بمعرفة الابن من الاب والقديم من المحدث والخالق من المخلوق . فلا يغرنك ايها الراهب حظوتك عن اهل ملتك ومكانتك في مكانك واستجلاب نفوسهم واستمالة قلوبهم بالفاظ تزخرفها ولا تعلم معناها ورتعرف حقيقة المراد بها ولا مقتضى القول فيها من قولك . الجواب الروحاني والكلام الالهي . وما اشبه ذك من الفاظ كثيرة سمعتها فنقلها الى غير موضعها .

فلا تؤثر على خلاص نفسك وخلاص من تبعك شيئاً من عرض الدنيا وزخرفها فانك لاينفعك جهل من اغتر بك فيها يوم داوود على ربك .

وقد اودعنا صاحبيك الواردين علينا ما تعتقده مما اعزنا الله به من الاسلام واكرمنا به من اتباع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

الخاتمة

ينهي الباحث بحثه الموسوم (حركة الأسترداد والأستنزاف الأقتصادي والعسكري والتبشيري وأثرها على الوجود العرب المسلمين في الأندلس)

توصل الى مايأتي :

وقوف سرقسطة (بوابة الأندلس الشرقية) في وجه التحدي الصليبي القادم من فرنسا والممالك الاسبانية الشمالية بعد سقوط الخلافة الاموية (عام ٤٤٢هـ/١٠٣١م) وظهور عصر ملوك الطوائف أذ تولى بنو هود حكمها (عام ٤٠هـ/١٠٣٨م) وانتهى بسقوطها على يد المرابطين (عام ٥٠٣هـ /١١٠٩م) . يبدأ البحث بالحديث عن تغير ميزان القوى في اسبانيا لصالح الممالك الاسبانية التي اسلوبين لتدمير الخصم : الاستنزاف الاقتصادي والهجوم العسكري اللذين آتيا اكلهما باسقاط بريشتر (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) احدى اهم مدن ادارة سرقسطة على يد حملة خرجت من فرنسا بتوجيه من البابا الامر الذي يؤكد واقعها الصليبي

يمضي البحث للحديث عن ردود الفعل الاسلامي لسقوط بريشر وسعى بني هود لاسترجاعها واعلانهم الجهاد في عموم الاندلس لكن ذلك لم يقف زحف الاسبان وتوجههم لحصار سرقسطة نفسها مرتين الا انهم اضطروا للانسحاب بسبب عبور المرابطين من المغرب وراحوا يركزون حملاتهم المدعومة من فرنسا ضد مدن اخرى مثل وشقه وتطيلة وتمكنوا من اسقاطهما .

وينتهي البحث بالحديث عن الاسلوب التبشيري الذي أتبعته الجبهة النصرانية محاولاتها ضد مسلمي الاندلس بدا الرسائل الموجهة الى حكام سرقسط احمد بن هود تدعوه للتنصر .

وقد وقف البحث عند احدى تلك الرسائل وما اثارته من جدل لدى الدارسين واورد في نهاية الامر نصها ونص جواب الفقيه الاندلسي ابي الوليد الباجي عليها.

الهوامش

(١) مجهول ، اخبار مجموعة ، نشر لاغوتني التنطرة ، مدريد ،١٨٦٧م ، ص٢٨.

(2) Zaragoza .vol.17 . P. 408 and see. Ahistory of ialamic spain . P.93.

(٣) اشباخ ، يوسف ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٨٥، ص١١ .

(٤) المرجع نفسة ، ص ١٢ .

(٥) ابن عذاري ، ابو العباس احمد بن محمد ، (توفي بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م) ،البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، نشرح كولان وليفي بروفنسال ، ليدن ،١٩٤٨، ج٢ ، ص٢٨، ٢٨١ ، ٢٨٢.

(٦) دوزي، رينهارت ،ملوك الطوائف ، نظرات في تاريخ الاسلام ، ترجمة كامل كيلاني ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلمي ، ١٩٣٣ ، ص٢٦٦ .

(٧) ابن بلقين ، الامير عبد الله ، (٤٦٩-٤٨٢هـ/١٠٧٦-١٠٩٠م) التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، والمسمى بكتاب مذكرات الامير عبد الله ، اخر ملوك بني زبري بغرناطة ، تحقيق بروفنسال ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٥٥م ، ص٧٢ .

(8) Spain in the Middle , Ages .P.17

(٩) أشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص١٦ .

(١٠) المرجع نفسه ، ص ١٦ .

(١١) ابن بسام ، ابو الحسن علي الشنتريني (ت٥٤٢/١١٤٧م) ،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، ط٢ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج٦ ، ص٩٠٩ .

(١٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص٢٢٩ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص٢٣١ .

(١٤) الدباغ ، عبد الوهاب ، خليل ، التاريخ السياسي والحضاري لسرقطة ، رسالة الماجستير ، غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ، ١٩٩٠ ، ص٤٣ .

(١٥) البكري ، ابو عبيد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧/١٠٩٤م) ، جغرافيا الأندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي و دار الأرشاد ، بيروت ، ١٩٦٨م، ص٩٢٩٤ ؛ ابن الكردموس ، ابو مروان عبد الملك (ت٥٧٣/١١٧٧م) ،تاريخ الاندلس، تحقيق احمد مختار العبادي ، معبد الدراسات الأسلامية ، مدريد ، ١٩٧١م ، ص٧١-٧٣ .

(١٦) هم اهالي منطقة نورماندي الواقعة شمال غرب فرنسا ، واط ، مونتكمري ، تأثير الأسلام على اوربا في العصور الوسطى ، ترجمة عادل نجم عبو ، مديرية دار الكتب ، الموصل ، ١٩٨٣م ص٢٣٠-٢٣١ .

(١٧) ا بن عذارى ،البيان الغرب ،ج٣ ، ص٢٢٥ .

(١٨) ابن بسام ، الذخيرة ، ج٥ ، ص١٨٣ -١٨٥ .
(١٩) البكري ، المسالك والممالك ، ص٩٣ ؛ ابن بسام ، الذخيرة ، ج٥ ، ص١٨١ ؛ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٢٥ .
(٢٠) دوزي ، رينهات ، ملوك الطائف ، ترجمة كامل كيلاني ، مطبعة عيسى البابي الحلمي ، القاهرة ، ١٩٣٣م ، ص١٧٧ ؛ واط ، تاثير الاسلام ، ص٨٢-٨٣.
(٢١) عنان ، محمد عبد الله ، مواقف حاسمة في تاريخ الأسلام مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ص١١٣-١٢٠ .
(٢٢) رنسيمان ، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ج١ ، ص١٣٦ ؛ قاسم ، قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية ، المجلس الوطني الثقافي والفنون والاداب ، الكويت ، ١٩٩٠م ، ص٢٧ .
(٢٣) ولد في باجبو Bajio قريب مدينة ميلانو Mellano الايطالية انتخب بابا سنة ١٠٦١ ولعب دوراً سياسياً خارج حدود الفاتيكان ، انظر ، Histore. Tom 11,P. 206-207 .
(٢٤) اختلفت الرواية الاوربية حول اسم قائد هذه الحملة ، ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٦٩-٧١ .
(٢٥) ابن الأثير ، عز الدين ابو الحسن علي (٦٣٠ه/١٢٣٢م) ،الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥-١٩٦٦م ، ج١ ، ص١٤٢ .
(٢٦) ابن بسام ، الذخيرة ، ج٤ ، ص١٨٢ .
(٢٧) الحميري ، محمد عبد المنعم (ت٧٢٧ه/١٣٢٧م) ، الروض المعطارفي خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص٩١ .
(٢٨) ابن بسام ، الذخيرة ، ج٥ ، ص١٨٨-١٨٩.
(٢٩) ابن سعيد ، علي بن موسى (ت٦٨٥ه/١٢٨٦م) ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهره ، ١٩٧٨م ج٢ ،ص٢١.
(٣٠) ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف عبد الملك (ت٥٨٧ه) ، الصلة في تاريخ ائمة الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهره ، ١٩٦٦م ،ق١ ، ص٢٧٩ .
(٣١) ابن الركردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٧٢ .
(٣٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص٢٢٧ .
(٣٣) حاول المستشرق دوزي (Dosy) ان يقلل من اهمية هذا الانتصار الذي حققه المسلمين في استرجاعهم بريشتر ، حين وصف الحامية الصليبية التي بقيت في المدينة بعد سيطرتها عليها بالضعف بينما ذكر ابن عذاري ، ان قوة الحامية قد بلغت الف فارس واربعة الاف رجل ، وذكر ابن بسام ان قائد الحملة الصليبية ترك في بريشتر من رابطة خيله الف وخمسمائة ومن الرجالة الفين ، انظر :ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٢٦ -٢٢٧ ؛ ابن بسام ، الذخيرة ، ج٥ ، ص١٨٦ ؛ دوزي ، ملوك الطوائف ، ص١٧٨.
(٣٤) ياقوت الحموي ، ابو عبد الله شهاب الدين (٦٢٦ه)، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧م ،ج١ ، ص٣٧٠ ،(ويشير الى ان سيطرة العدو على بربشتر دام خمس سنوات) .
(٣٥) البكري ،المسالك والممالك ، ص٩٥ ؛ الحميدي ، الروض المعطار ، ص٩١ ، بينما يرى اخرون انه لقب بذلك بعد انتصاره على أخيه يوسف المظفر ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص٢٢٤
(٣٦) هم سكان بلاد نافار وعاصمتها بنبلونة Pamplona ، انظر : المسالك والممالك ، ص٧٩ ، هامش رقم٥ .
(٣٧) من الاقوام النصرانية ، تقطن شمال اسبانيا ، عاصمة بلادهم سمورة ، المسعودي ، ابو الحسن علي (ت٣٤٦ه/٩٥٧م) ، مروج الذهب ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ج١ ، ص٨-١٠
(٣٨) ابن ابي زرع ، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٧٢٦ه/١٣٢٥م) ،الانيس المطرب ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٢م ، ١٤٢-١٤٤ .
(٣٩) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٩١ .
(٤٠) ابن بسام ، الذخيرة ،ج٧ ، ص١٦٨.
(٤١) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص٩٢ .
(٤٢) المصدر نفسه ، ص٢٣٠.
(٤٣) اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص١٢٩ .
(٤٤) المرجع نفسه ، ص١٠٥ .
(٤٥) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨ه) العبروديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٩٧١م ، ج٤ ، ص١٦٣ .
(٤٦) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الاخبار مراكشية ، تحقيق سهيل زكار ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩م ، ص٧٤-٧٥ .

(٤٧) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص١١٢ ؛ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٤ ، ص٤٢ ؛ اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص١٠٤ .
(٤٨) ابن عذارى ،البيان المغرب ، ج٤ ، ص٥٣ .
(٤٩) ابن الكرديوس ، تاريخ الاندلس ، ص١١٧ ؛ ابن الآبار ، ابو عبد الله محمد (ت٦٥٨ه/١٢٥٨م) ، الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣م، ج٢ ،ص٢٤٨ .
(٥٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٤ ، ص٥٥ .
(٥١) اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص١٤٠ .
(٥٢) أنشأ هذا الدير في جنوب فرنسا سنة ٩١٠م ، وهو مركز لمجموعة كبيرة ، م الاديرة المنتشرة في العالم النصراني ، واط ، اوربا في العصور الوسطى ، ص١٨١ ؛ رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص١٢٥ .
(٥٣) حول حياة القاضي ابو الوليد الباجي ، انظر : ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص١٩٦-١٩٧ ؛ الكتبي ، محمد شاكر (ت٧٦٤ه/١٣٦٤م) ، فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٤م ،ج٢ ، ص٦٤ ؛ الدباغ ، التاريخ الاندلسي ، ص٢٣٦ .
(٥٤) الشرقاوي ، محمد عبد الله ، رسالة راهب فرنسا الى المسلمين وجواب القاضي ابو الوليد الباجي عليها ، دراسة وتحقيق ، دار الصحراء ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص١١ .
(55) The social and Religius History of the jeus . Vol. V. P. 337 >
(56) Achristian P. 259-263.
(٥٧) الشرقاوي ، رسالة الراهب ، ص١٧ ، هامش رقم١ .
(٥٨) أشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص٦٥ ، واستطاع احمد المقتدر ان يفتتح حصونا عديدة كانت تحت غرسية بن سانشو ملك نافار ذلك (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) وقد مدح احد الشعراء هذا بقوله
بك اافتدح الاسلام زند انتصاره وبيضك نار شبها ذلك القدح .
(٥٩) الشرقاوي ، رسالة الراهب ، ص١١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

٠١ المصادر :

ابن الابار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٥٨ هـ/١٢٥٨) .

١. الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣م .
ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي (٦٢٨هـ/١٢٣٠م).

٢. الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥-١٩٦٦ .
ابن بسام ، ابو الحسن علي الشنتريني ، (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) .

٣. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ،ط٢ ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٩م .
البكري ، ابو عبيد الله بن عبد العزيز ، (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) .

٤. جغرافيا الاندلس واوربا ، من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق ، عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، دار الارشاد ، ١٩٦٨.
ابن بلقين ، الامير عبد الله ، (٤٦٩-٤٨٢هـ/١٠٧٦-١٠٩٠م) .

٥. التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، والمسمى بكتاب مذكرات الامير عبد الله ، اخر ملوك بني زبري بغرناطة ، تحقيق بروفنسال ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٥٥م.

الحميري محمد بن عبد المنعم ، (ت٧٢٧م/١٣٢٧م) .

٦. الروض المعطار في خير الاقطار ، تحقيق احسان عباس بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٥.

ابن خاقان ، ابو نصر الفتح بن محمد (ت٥٢٩هـ/١١٢٤م) .

٧. قلائد العقيان في محاسن الاعيان ، القاهرة ، مطبعة التقدم العلمية ، **١٢٢٠هـ/١٩٠٢م .**

ابن الخطيب ، لسان الدين محمد ، (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤هـ).

٨. الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عمان ، القاهرة ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ،١٩٧٤.

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت٥٧٥هـ/ ١٤٠٥م) .

٩. العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، ١٩٧١.

١٠. المقدمة ، ط٥ ، دار الائد العربي ، ١٩٨٢.

ابن ابي زرع ، ابو الحسن علي بن محمد ، كان حيا قبل عام ٧٢٦هـ/١٣٢٥م

١١. الانيس المطرب بروض القرطاسي في اخبار ملوك الغرب وتاريخ مدينة فاس الرباط ، دار المنصور ، ١٩٧٢ .

ابن سعيد ، علي بن موسى واسرته ، (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .

١٢. المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف /ط٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، ج١، ١٩٧٨، ج٢ ، ١٩٨٠م.

ابن عذاري ، ابو العباس احمد بن محمد ، (توفي بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م) .

١٣. البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، نشرح كولان وليفي بروفنسال ، ليدن ،١٩٤٨.

الكتبي ، محمد بن شاكر ، (ت٧٦٤هـ/١٣٦٤م) .

١٤. فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٤م.

ابن الكردبوس ، ابو مروان عبد الملك ، (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م).

١٥. تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ووصفها لابن الشباط ، نصان جديدان ، تحقيق ، احمد مختار العبادي ، مدريد ، معبد الدراسات الاسلامية ، ١٩٧١ .

مجهول المؤلف .

١٦.اخبار مجموعة نشر لاغوتني التنطرة ، مدريد ،١٨٦٧م.

مجهول المؤلف .

٠١٧الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر ، زمامه الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ،١٩٧٩.

المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين ، (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) .

٠١٨مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط٢ ، بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٧٣م.

المقري ، احمد بن محمد ، (ت١٠٤١هـ /١٦٣١م) .

٠١٩نفح الطيب ن غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٦م.

المراجع

أشباخ يوسف .
٠١تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٨٥.
التواتي عبد الكريم .
٠٢ مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس ، الدار البيضاء ، مكتبة الارشاد ، ١٩٦٧.
الحجي ، عبد الرحمن علي.
٠٣ التاريخ الاندلسي ، الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة الرياض ، دار القلم ، ١٩٧٦م.
الدباغ عبد الوهاب خليل .
٠٤التاريخ السياسي والحضاري لسرقسطة في عهد بني هود ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ،١٩٩٠م.
دوزي رينهارت.
٠٥ملوك الطوائف ، نظرات في تاريخ الاسلام ، ترجمة كامل كيلاني ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلمي ، ١٩٣٣ .
رنسيمان ستيفنسن .
٠٦ تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٧.
السامرائي خليل ابراهيم .
٠٧ علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالاندلس وبالدول الاسلامية ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ،١٩٨٥م.
الشرقاوي ، محمد عبد الله .
٠٨ رسالة راهب فرنسا الى المسلمين وجواب القاضي ابي الوليد الباجي عليها ، دراسة وتحقيق ، القاهرة ، دار الصحراء ، ١٩٨٦م.
عنان ، محمد عبد الله .
٠٩ مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، ط٤ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٢م.
قاسم قاسم عبدة.
٠١٠ ماهية الحروب الصليبية ، الكويت ، المجلس الوطني الثقافي والفنون والاداب ،١٩٩٠.
مؤنس ، حسين.
٠١١ بلاي وميلاد اشتريس وقيام حركة المقاومة النصرانية في شمال اسبانيا ، مجلة كلية الاداب ، ج١١ ، القاهرة ، ١٩٤٩م.
واط ، مونتكمري .
٠١٢تأثير الاسلام على اوربا في العصور الوسطى ، ترجمة عادل نجم عبو ، الموصل ، مديرية دار الكتب ، ١٩٨٣م.

سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه حلف الناتو ١٩٩٠-٢٠٠٠م

د.عبد حسين عبد محسن سوسه*

الكلمات المفتاحية: الولايات المتحدة الأمريكية، حلف شمال الأطلسي، حقبة الحرب الباردة

The policy of the United States of America towards NATO 1990-2000

Keywords: the United States of America, NATO, Cold war era

المستخلص :

بإنهيار المعسكر الأشتراكي ممثلاً بالاتحاد السوفيتي ودول اوربا الشرقيةعام،١٩٩١ باشرت الولايات المتحدة الامريكية بإعادة صياغة الأدوار التي يؤديها حلف الناتو، لاسيما السياسية منها التي أضحت غالبة حتى على العسكرية والأمنية التي أتسم بها الحلف N,A.T.O طوال سنوات الحرب الباردة الهيكلية العامة للبحث: ثلاثة مباحث. تناول الاول: "" سياسة الولايات المتحدة الامريكية الامريكية تجاه الناتو بعد الحرب الباردة". تضمن هذا المبحث سياسة الاحتواء وانشاء مواقع دفاعية من قبل الولايات المتحدة الامريكية فكان منها اقامة حلف الناتو ، وكان لهذا الحلف N,A.T.O دور بارز في تنسيق السياسة الخارجية والدفاعية بين الدول الاعضاء

اما المبحث الثاني،" فتضمن سياسة الولايات المتحدة الامريكية وحلف الناتو وتحديات ما بعد الحرب الباردة""، بدأ الحديث يتردد عن ضرورة اجراء تغيرات جذرية وشاملة على هيكلية حلف N,A.T.O الدفاعية والادارية لتتناسب مع معطيات البيئة الامنية الجديدة، وعن الوسائل الملائمة لاحلال الاستقرار وتحقيق التغيرات السلمية في اوروبا الشرقية.

في حين تناول المبحث الثالث دور الولايات المتحدة الامريكية في تطوير هيكل حلف الناتو، عن تمسكها بالهيكلية القائمة للحلف، وجاء هذا نتيجة تحليلها الوضع الاستراتيجي العالمي بعد نهاية الحرب الباردة، ان متغيرات العالم المتسارعة والمتلاحقة، والمهام والمخاطر التي شخصها حلف N,A.T.O واوكلها الى نفسه، والتصورات التي حدثت على المفهوم الاستراتيجي حلف N,A.T.O ، شرع حلف N,A.T.O الى ضم دول اوربا الشرقية لحلف الناتو .اما االخاتمة والاستنتاجات:_إن هدف الولايات المتحدة الامريكية الاستراتيجي في حقبة الحرب الباردة، هو العمل على منع اتحاد مراكز القوى القديمة بصيغة يجعل منها ائتلاف معادٍ لمصالحها الحيوية، ويلاحظ من مسار البحث، ان قوة الولايات المتحدة الامريكية باعضاء حلف N,A.T.O وليس بقوتها المنفردة ،إذ وجهت الولايات المتحدة الامريكية حلف N,A.T.O اداة لمقاومة ما يمكن أن يشكل تهديداً لمنظومتها وقيمها، اذ أثارت التصورات

* المديرية العامة للتربية في محافظة الانبار
abd71soosa@gmail.com

والطروحات الفكرية السوفيتية مخاوف الولايات المتحدة الامريكية على مستقبل النظام الرأسمالي المترسخ في أوروبا الغربية.

Abstract :

With the end of the Cold War, serious questions emerged about the importance and feasibility of NATO's existence, particularly after the demise of the threat to the Soviet Union, but the United States worked hard to maintain, maintain, sustain and sustain this alliance because it saw its loss as abandoning its most effective and influential means of European thinking, as well as working together with non-member states, but had the ambition to work at the global level, so the Alliance continued to adapt Its structure and improved capabilities to keep pace with the post-Cold War world, so nato's loss to the United States could be one of the most important justifications for its leadership of Western countries and thus the reversal of this leadership and control over the rest of the world, as well as the U.S. fear that the loss of this alliance could create competition between it and European countries that could lead in the future to conflict among them.

So the United States did not separate the European and American security, and made it in one crucible, because it realized that it is impossible to eliminate all international forces, but it is possible to contain these forces through relative participation, which makes them revolve around astronomy and American influence, and the best way to contain the growing power of Europe is NATO, which has made strategic decisions whether the security or political of Europe linked in one way or another to NATO, most of whose decisions are U.S. to ensure clear U.S. influence in these resolutions, thereby limiting European aspirations for common security and foreign political independence.

So this research begins to answer the question: How did the United States (NATO) serve its strategic objectives and interests after the danger for which it was created disappeared? It has renewed confidence in the alliance to continue as the main expression of American interests on the European continent, and the main point linking the two sides of the Atlantic, so it has worked to employ the alliance militarily — security, politically, economically, ideologically and technologically to serve its strategic objectives and interests, and to contain competing and potential forces.

To answer the above, the overall structure of the research was three investigations. The first is to address the post-Cold War policy of the United States of America towards NATO. The second topic included the policy of the United States of America, NATO and the post-Cold War challenges, while the third was the development of nato's structure by the United States and the search for enemies.

اهمية البحث: مع انتهاء الحرب الباردة، ، ظهرت تساؤلات جادة عن جدوى وجود حلف الناتو North Allantic Tveaty Organization(N,A.T.O) لاسيما بعد زوال الخطر الذي أقيم من اجله والمتمثل بالاتحاد السوفيتي، إلا أن الولايات المتحدة الامريكية عملت جاهدة للإبقاء على هذا التحالف والمحافظة عليه واستمراريته وإدامة وجوده ،لأنها رأت أن فقدانه يمثل التخلي عن أهم وسائلها الفاعلة والمؤثرة في طريقة التفكير الأوروبي، فضلاً عن العمل المشترك مع الدول غير الاعضاء، بل كان لديه الطموح للعمل على المستوى العالمي، لذلك واصل الحلف تكييف هيكليته وتحسين قدراته لتتواكب مع عالم ما بعد الحرب الباردة.

اشكالية البحث: لذا يشكل فقدان الناتو بالنسبة للولايات المتحدة فقدانها لأحد أهم مبررات قيادتها للدول الغربية ومن ثم انعكاس هذه القيادة والسيطرة على بقية العالم، فضلا عن حذر الولايات المتحدة الامريكية من إن فقدان هذه الحلف يمكن أن يخلق منافسة بينها وبين الدول الأوروبية وبالتي تؤدي في المستقبل إلى نشوب صراع فيما بينهم.

فرضية البحث :من هنا عمدت الولايات المتحدة الامريكية على عدم الفصل بين الامنين الأوروبي والولايات المتحدة الامريكية، وجعلته في بوتقة واحدة، لادراكها أنَ من المستحيل القضاء على جميع القوى الدولية، إلا انه من الممكن احتواء هذه القوى من خلال المشاركة النسبية مما يجعلها تدور في الفلك الأميركي، وان خير وسيلة لاحتواء القوة المتعاظمة لأوروبا هو حلف الناتو، الذي جعل القرارات الإستراتيجية سواء كانت الأمنية أو السياسية لأوروبا مرتبطة بشكل أو بآخر بحلف الناتو، الذي تكون اغلب قراراته أميركية وهذا يثبت التأثير الأميركي الواضح في هذه القرارات، ومن ثم الحد من التطلعات الأوروبية الساعية الى الاستقلال الأمني والسياسي الخارجي المشترك.

مسار البحث: لذا ينطلق هذا البحث للإجابة على السؤال : كيف وضفت الولايات المتحدة الامريكية الناتو لخدمة اهدافها ومصالحها الاستراتيجية بعد زوال الخطر الذي اقيم من اجله؟ اذ عملت على تجديد الثقة في هذا الحلف ليستمر بوصفه المُعبر الاساس عن المصالح الاميركية في القارة الاوروبية، والنقطة الاساسية التي تربط جانبي الاطلسي، فعملت على توظيف الحلف عسكرياً – امنياً وسياسياً واقتصادياً وايديولوجياً وتكنولوجياً وعسكرياً لخدمة اهدافها ومصالحها الاستراتيجية، ولاحتواء القوى المنافسة والمحتملة.

الهيكلية العامة للبحث: ثلاثة مباحث. تناول الاول: "" سياسة الولايات المتحدة الامريكية الامريكية تجاه الناتو بعد الحرب الباردة". اما المبحث الثاني،" فتضمن سياسة الولايات المتحدة الامريكية وحلف الناتو وتحديات ما بعد الحرب الباردة""، في حين تناول المبحث الثالث دور الولايات المتحدة الامريكية في تطوير هيكل حلف الناتو والبحث عن الاعداء".نهاية الدراسة بخاتمة واستنتاجات لموضع البحث.

المبحث الاول: سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه الناتو بعد الحرب الباردة.

جاءت مبادرة احداث احلاف عسكرية لاغراض الامن الاوربي من الاوربيين انفسهم[١] في الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة الامريكية ترجح التعاون العسكري مع اوربا وذلك لاسباب سياسية وعسكرية وتنامت من خلال توتر العلاقات الدولية بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي بشأن قضايا تفجرت بعد انتهاء الحرب الباردة[٢].

تطلبت سياسة الاحتواء انشاء مواقع دفاعية من قبل الولايات المتحدة الامريكية فكان منها اقامة حلف الناتو [٣]. وكان لهذا الحلف دور بارز في تنسيق السياسة الخارجية والدفاعية بين الدول الاعضاء فيه، كما كان له تأثير واضح في المشاركة الدائمة للولايات المتحدة كقوة دولية في الشؤون السياسية لأوروبا التي تسبقها تأريخاً كقوة دولية[٤]، فكان الاساس الذي قام عليه حلف الناتو هو وقف التوسع السوفيتي في اوروبا واعادة توازن القوى ، وهذا ما نجحت به الولايات المتحدة الامريكية.

بادرت الولايات المتحدة الامريكية وضمن التزامها السياسي امام اوروبا الغربية بالاحتفاظ بجيش كبير في اوروبا لغرض تعزيز مصداقية فكرة استخدام قواتها النووية الاستراتيجية – عند الضرورة – لدحر العدوان السوفيتي[٥]، فالركيزة الاساسية للاحلاف الحديثة، وجود قوة عسكرية، ووجود تضامن سياسي يكفلان للدول الاعضاء فيها الحماية الجماعية ضد اي عدوان[٦]، وبذلك شكل الوجود العسكري للولايات المتحدة في اوروبا أثراً واضاً في تقوية الروابط بينهم بمقدار كبير ولاسيما في الايام الاولى من الحرب الباردة[٧].

كان إصرار الولايات المتحدة الامريكية على تحويل الناتو من مجموعة التزامات عسكرية عامة الى تحالف ميداني سياسي[٨]، لذلك كان الحلف بمثابة المنبر السياسي الذي ينبغي ان ترجع اليه الدول الاعضاء لحل خلافاتهم السياسية، والمرجع الاساسي للتشاور السياسي الجماعي الذي يسبق استعمال القوة في حالات وقوع العدوان الخارجي لأي منهم، كما اكدته المادتان الاولى والرابعة [٩]من ميثاق حلف الناتو، ومن جهة اخرى، أدى حلف الناتو دوراً مهما في نزع السياسات المتطرفة والدكتاتورية لبعض الاعضاء – كأسبانيا – ، وسهل من عملية التحويل، ودمج المانيا الغربية وايطاليا واسبانيا في اسرة الدول الديموقراطية الغربية[١٠]، فكان من الضروري للتحالف الغربي من إدماج هذه الدول معه لاسيما تسليح المانيا الغربية، لتطبيق سياسة الاحتواء وللمحافظة على توازن القوى اللازم في اوروبا الغربية لمواجهة السوفيت[١١].

لقد كان الهدف السياسي المعلن للناتو، هو دعوى حماية حرية الشعوب وتراثهم وحضارتهم، التي تأسست على مبادئ الديموقراطية والحريات الشخصية وسيادة القانون وبث الاطمئنان في كل من يشعر بالخوف ويخشى ان يرى الحرب تندلع في اوروبا المقسمة نتيجة عدم وجود نظام فاعل للأمن.[١٢] كما إن ديباجة الناتو من بين أمور أخرى، تعلن أن الحلفاء يصممون على توحيد جهودهم للدفاع الجماعي لحفظ السلم والأمن.[١٣]

وبإنهيار المعسكر الأشتراكي ممثلاً بالاتحاد السوفيتي ودول اوربا الشرقيةعام،١٩٩١ باشرت الولايات المتحدة الامريكية بإعادة صياغة الأدوار التي يؤديها حلف الناتو، لاسيما السياسية منها التي أضحت غالبة حتى على العسكرية والأمنية التي أتسم بها الحلف طوال سنوات الحرب الباردة[١٤].فجاء ذلك في إطار الرد على رؤى وطروحات فكرية دعت الى تفكيك الحلف بالنظر لزوال متطلبات وجوده وبغية تعزيز الأمن والسلم الدوليين في عالم متكاتف بمجمله من دون تكتلات وأحلاف جانبية، بما في ذلك تعزيز دور الأمم المتحدة[١٥]. حيث نوقش قبل ذلك في بروكسل كانون الثاني عام ١٩٩٤ فظهرت آراء أوربية بمستقبل حلف الناتو، كما بانت الآراء الأمريكية التي دعت الى إنسحابها من قيادة الحلف الى قيادة "النظام الجديد"[١٦]من دون منافس بما يمثله ذلك من إنفراد بالقرار السياسي الدولي [١٧].إلا أن خيبتها في ذلك أدى الى أن تعود الى تأكيد الدور الحاسم للأحلاف العسكرية والأمنية.

اثناء التغيرات التاريخية، تحتاج التحالفات والمؤسسات الى التكيف لكي تبقى حيوية ومطابقة لمقتضى الحال، وخلال التسعينيات من القرن العشرين بدأ حلف الناتو عملية تكييف وتأقلم لكي يحدد دوراً جديداً له في الشؤون العالمية شمل توسيع عضويته، والترحيب ببلدان جديدة من أوروبا الشرقية، وإقامة علاقات جديدة مع روسيا الاتحادية[١٨].

وهكذا حددت الأهداف الجديدة للحلف ممثلة بالآتي[١٩]: ضمان الأمدادات النفطية ليس من الشرق الأوسط فقط بل من آسيا الوسطى والقوقاز،الهيمنة على شرق ووسط أوربا وضمان توسيع الحلف ليضمها تحت مظلته .

فالحرب الباردة، كما قال بوش الأبGeorge Bush (١٩٨٩-١٩٩٣)، أبتدأت "بتقسيم أوربا ويمكن أنهاؤها فقط عندما تصبح أوربا واحدة"، ويضيف وزير الخارجية الأمريكية السابق جيمس بيكر "أنه ينبغي على الناتو خلق هيكل جديد للأمن العسكري وأن يتحرك بنشاط أكبر نحو مهمات سياسية واقتصادية لأوربا الغربية مع الشرق"[٢٠]،إضعاف روسيا وإحتواء دورها الذي ما زالت تدل معالمه على أنها الوريث الفعلي للإتحاد السوفيتي من بين أجزائه المفككة الأخرى، وكجزء من ستراتيجية إحتواء الترسانة النووية السوفيتية، ربط بؤر التوتر في العالم بشبكة من القواعد العسكرية تتيح للدول المتحالفة والولايات المتحدة الامريكية تحديداً، التدخل بشكل سريع وفوري في أي منطقة من مناطق العالم، وفي رؤية فاحصة

لخارطة العالم نجد أن الولايات المتحدة الامريكية هي صاحبة أكبر وجود عسكري في أوربا والعالم – لم تحققه حتى مدة الحرب الباردة– حيث أكبر قاعدة عسكرية موزعة ما بين مقدونيا، البوسنة والهرسك، كرواتيا، البانيا، هنغاريا، وأقليم أوجوفا، ومن ثم كوسوفو، فضلاً عن القواعد العسكرية التقليدية في تركيا واليونان، وايطاليا، واسبانيا، الأمر الذي فرض قوساً كبيراً يحتضن أوربا وخاصرتها الجنوبية ودول أوربا الشرقية كلها، فضلاً عن وجودها البحري المكثف في البحر المتوسط حيث الأسطول السادس والخامس في البحر العربي والخليج العربي[٢١]، ناهيك أنها أستطاعت في إطار حوار المتوسط أن تربط الدولة العربية المطلة على البحر المتوسط بإتفاقيات عسكرية، فضلا عن الأردن، وإمكانية زيارة بوارجها الحربية الى موانئ مصر، تونس، المغرب، كما أنها مدت نفوذ وجود الحلف الناتو في الموانئ الجزائرية ولا سيما بعد مجيء الرئيس عبد العزيز بوتفليقة من حيث المناورات العسكرية بين قوات حلف الأطلسي والجيوش الجزائرية والتونسية والمغربية التي تكررت وأصبحت مناورات تجري سنوياً لزيادة فعالية وقدرة جيوش هذه الدول لمواجهة كل الأحتمالات التي رسمتها الولايات المتحدة الامريكية في المدركات الأمنية لدول المنطقة[٢٢].

إنّ الرؤية التي انطلقت منها الولايات المتحدة الامريكية هو وجود فراغ امني في منطقة اوروبا الوسطى والشرقية بعد زوال الاتحاد السوفياتي، اذ اصبح من الضروري لديه ايجاد ترتيبات امنية جديدة تملأ تلك الفجوة، وعلى وفق ذلك بدات بتوسع الناتو، لتشمل دول وسط وشرق أوروبا[٢٣]، إذ إن الاضطرابات الناتجة عن التغيرات في اوروبا الشرقية ودول الاتحاد السوفيتي السابق، لم تترك الافتراضات السياسية الامنية القديمة لأوروبا الغربية على حالها[٢٤]. فالساحة الاوروبية لم تعد الساحة المحتملة للصراع كما كان سابقاً، فاهتمامات اوروبا الغربية لم تعد مقتصرة على امنها فقط بل التوجه لبحث سبل تأسيس التعاون بين شرق وغرب اوروبا في المجالات المتعلقة بالامن، وقد اصبح من اهم ركائز الاستراتيجية الامريكية الجديدة لحلف الناتو هو التعاون مع دول شرق اوروبا، وذلك من خلال إجراء اتصالات رسمية معها والعمل على اقامة روابط مؤسساتية لبحث المسائل الامنية والسياسية، ولكن في اطار تنفيذ اهداف مؤتمر الامن والتعاون الاوروبي– الذي أصبح فيما بعد منظمة الأمن والتعاون الأوروبي عام ١٩٩٤– وهي تشمل التشاور السياسي، وموضوعات ذات جوانب امنية وعسكرية مثل التخطيط الدفاعي، والمفهوم الديموقراطي للحكم، وتحويل الانتاج الحربي الى انتاج يخدم الاهداف المدنية[٢٥].

واعتمادا على طلبات رسمية من قبل الولايات المتحدة الامريكية، دعا المؤتمر مجلس حلف N,A.T.O للقيام باعادة ترميم بنية المنظمة وتعديل نظام الحلف عند نقطتين اساسيتين، الاولى هي الحدود الجغرافية، والثانية هي صيغ استخدام القوة[٢٦]. وبموجب ذلك كان لا بد من تكييف الحلف مع افرازات البيئة الجديدة ولاسيما بعد ان تفجرت المشاكل والصراعات في بلدان وسط وشرق اوروبا، ونظر

اليها على انها تجديدٌ للاستقرار في القارة الاوروبية، ومن ثم منطقة الاورو – اطلسية، وبدات محاولات التكيف في رسالة (تيرنبري) (Turnberry) الممثل الأميركي في N,A.T.O والتي نشرت بعد اجتماع مجلس N,A.T.O في لندن في حزيران /١٩٩٠، وفي ضوئها بدا واضحا التحول الاول في مهمة الحلف من مواجهة تهديد مباشر من حلف (وارسو) الى تنظيم الامن والاستقرار في القارة الاوروبية[٢٧].

وخلال قمة حلف N,A.T.O في روما والتي عقدت يومي ٧ – ٨/تشرين الثاني /١٩٩١، وفي ضوء التوجهات السابقة، قرر رؤساء الحكومات والدول الاعضاء في الحلف عدم حلّه وضرورة ابقائه مع ادخال تغيير على توجهاته واساليب عمله واهدافه، اذ اكدوا ضرورة التركيز على المهمات الداخلية والخارجية، وادارة الازمات وعمليات حفظ السلام[٢٨]. وقد اقر الحلف في هذه القمة وانطلاقا من الادراكات السابقة لمصادر التهديد مبدأ التعاون مع دول أوروبا الشرقية، انطلاقا من التسليم بانتهاء خطر وقوع هجوم واسع النطاق من الشرق، وان البيئة الامنية الجديدة في اوروبا تضاعف فرص تحقيق الاهداف الرئيسة للحلف من تعظيم الاستقرار والرفاهية في منطقة الاورو – اطلسي، وعليه انشأ الحلف خلال هذه القمة "مجلس تعاون شمال الاطلسي" (The North Atlantic Cooperation Council) (ANCC)، اذ عد هذا المجلس المنتدى الاساسي للتشاور والتعاون بين الحلف والدول الاوروبية غير الاعضاء فيه، والذي تحول بعد ذلك الى"مجلس الشراكة اليورو– اطلسي" (Euro – Atlantic Partnership Council)الذي خرجت منه فيما بعد الشراكة من اجل السلام[٢٩].

لقد كانت مشكلة تحقيق الامن في شرق اوروبا تقلق الامريكيين الاوروبيين، وكان لا بد من معالجتها بوسائل فاعلة، وقد كانت فكرة انضمام دول من شرق اوروبا الى الحلف قد طرحت بشكل جدي لفتح الطريق امام توسيع N,A.T.O وزيادة فاعليته وجدواه[٣٠]. لذلك في كانون الاول/١٩٩٣، ناقش وزراء خارجية ودفاع الناتو فكرة انفتاح الحلف باتجاه اوروبا الشرقية دون تحديد اسماء الدول حينها او تثبيت موعد نهائي لهذه المهمة[٣١].

وعلى وفق ذلك جاءت سياسة "الشراكة من اجل السلام" في اجتماع وزراء خارجية الحلف في المانيا في ٢٠/تشرين الاول /١٩٩٣، وهو مقترح توفيقي للملكة المتحدة بمبادرة الولايات المتحدة الامريكية، وتبنى مؤتمر قمة حلف N,A.T.O الاقتراح السابق في قمة بروكسيل من العاشر والحادي عشر من تموز عام ١٩٩٤، اذ مثل خيار "الشراكة من اجل السلام" محاولة للتعامل مع القضايا الرئيسة ذات الصلة بالتوسيع والمواقف من روسيا الاتحادية، وللتغلب على صعوبات الانضمام الى الحلف ولطمأنة روسيا[٣٢]. وهكذا تضمنت اهداف "الشراكة من اجل السلام" التنسيق بين حلف N,A.T.O والدول المنحلة عن الاتحاد السوفيتي وحلف (وارسو) وهي :

أولاً: تسهيل الشفافية في تخطيط الدفاع الوطني ووضع ميزانية العمليات. ثانياً: ضمان الرقابة الديموقراطية المدنية على الدفاعات بمعنى ان يتولى وزارة الدفاع مسؤول مدني وليس عسكرياً ثالثاً: صيانة القابليات وتطويرها لهذه الدول والاستعدادات للمساهمة في العمليات تحت سلطة الامم المتحدة او منظمة الامن والتعاون الاوروبي، رابعاً، تطوير العلاقات العسكرية التعاونية N,A.T.O لغرض التخطيط والتدريب والتمارين لكي تكون قوية للوفاء بالتزاماتها في حقول البحث والانقاذ وحفظ السلام والعمليات الإنسانية الأخرى، خامساً، التطوير على المدى الطويل لتكون قادرة في الانضمام الى حلف N,A.T.O، سادساً، التشاور مع الحلف في حالات مواجهتها ازمات او نزاعات تهدد وحدة اراضيها وأمنها[٣٣]. لذلك شكلت "الشراكة من اجل السلام" الية للتعاون وسياسة تترك الباب مفتوحاً للدول الراغبة للانضمام للحلف، فضلاً عن اقامة تعاون مع تلك التي ليست لديها رغبة للانضمام من جهة أخرى[٣٤].وإن "الشراكة من اجل السلام"، مثلت رقعة واسعة من التعاون والتشاور بين حلف N,A.T.O وبقية الدول الاوروبية الاعضاء في منظمة الامن والتعاون الاوروبي، ويكون بموجبها الحلف هو العمود الاساس في بناء هيكل الامن الاوروبي، وزيادة على ذلك، فان هذه الشراكة قد رُتبت لتكون الية للتوسع، فقد اريد لها ان تكون وسيلة تساعد الدول الراغبة في الانضمام الى الحلف على تعجيل التكامل ما بينها وبين قوات N,A.T.O وتسهيله، ولهذا فقد عقدت كل دولة راغبة في الانضمام والتعاون مع الحلف اتفاقية في اطار برنامج الشراكة. ففي تموز عام١٩٩٤، عقدت بولندا اول تفاهم في هذا السياق، وتبعتها فنلندا و السويد ورومانيا وبلغاريا وسلوفاكيا وجمهورية التشيك وهنغاريا ولتوانيا[٣٥]. وتظهر هنا مسألة الربط بين توسيع N,A.T.O "وبرنامج الشراكة من اجل السلام"، تحت مسمى" بناء تكامل حقيقي لاوروبا والمجتمع عبر الاطلسي"[٣٦].

غير ان حلف N,A.T.O لم يقف عند برنامج الشراكة، بل ان هذه الشراكة اعطت للحلف المرونة للبدء باستئناف التجربة بعد ذلك مع دول الجوار في جنوب وشرق المتوسط، وكان هذا التطور وراء اطلاق N,A.T.O لمبادرة الحوار مع دول جنوب وشرق المتوسط والتي بدأها في عام ١٩٩٥ مع مصر والاردن و [اسرائيل]، وتونس والمغرب وموريتانيا، ثم بعد ذلك في الاعلان عن نيته في تحويل الحوار الى مشاركة وتعاون كامل مع دول المتوسط وما وراءها من دول الشرق الاوسط الكبير ليشمل كامل المنطقة العربية اضافة الى تركيا [اسرائيل] الى افغانستان، لتوضح مدى التكيف والتوسع الذي وصل اليه حلف N,A.T.O بعد الحرب الباردة[٣٧].

وفي اجتماع لوزراء خارجية الحلف في ٥/كانون الأول/١٩٩٦، اتفقوا على ان تكون عملية الانضمام الى الحلف من ثلاثة خطوات : الاولى، تعميق الحوار الجماعي والفردي بين N,A.T.O والدول المتطلعة للعضوية، والثانية، الافادة من الية "الشراكة من اجل السلام" للتعجيل في استعداد الدول الاكثر تقدماً نحو العضوية، وترصين العلاقات مع تلك الدول الاقل استعداداً، أما الثالثة فهي أن ينظر الحلف في مسألة العضوية لكل مرشح في ضوء تأكد من آثارها على فاعلية الحلف[٣٨]. وهذا ما أكده

الأمين العام الأسبق (للناتو) (خافيير سولانا) بقوله "سيساعد هذا الحوار في تحديد الخطوات التي على البلدان اتخاذها خلال التحضير لعضوية N,A.T.O، في الوقت نفسه، سيستمر الحلف بتحضيراته ليضمن ظهور الحلف بتماسك اكبر وليس اقل، وكما اعتاد المعلق الاميركي والترليبمان، على القول (ان الحلف يشبه السلسلة وهذه السلسلة لن تكون قوية باضافة حلقات ضعيفة اليها، ان التوسع عملية تدريجية ومحسوبة وواضحة وسنرى بأنه قبل ان يمكن للتوسع ان يحدث فان الحلقات الجديدة ستصبح بقوة الحلقات الموجودة ذاتها")[٣٩].

لقد تم وضع شروط العضوية ومعاييرها، بأن تكون الدولة لها القدرة على تعزيز مبادئ N,A.T.O وتوفير الامن، وتكون ديموقراطية، وتؤيد قيم ومبادئ الديموقراطية واحترام حقوق الانسان، وان تقع في شرق الحلف وعلى استعداد للمشاركة بفاعلية في برنامج الحلف ومؤسساته وآلياته مثل مراكز القيادة ولجان التنسيق والتخطيط الدفاعي المشترك والتدريبات والمناورات مع N,A.T.O، فضلاً عن تبادل المعلومات الامنية والدفاعية مع قيادة الحلف[٤٠].

وسيراً على ما تقدم، جاءت قمة مدريد في الثامن والعاشر من تموز عام١٩٩٧، لتسجل الخطوة الحاسمة التي اتخذت في موضوع التوسع شرقاً لحلف N,A.T.O، فقد اسفرت القمة عن اختيار مبدأ "التوسع المقيد" لدول ثلاثة فقط، وقد تم اختيارها لتنضم لعضوية N,A.T.O في عام ١٩٩٩. وكانت هذه الدول هنغاريا المجر وبولندا وجمهورية التشيك، ولم يقتصر نشاط قمة مدريد على اقرار توسيع الحلف فحسب، وانما اللقاء قد ضم جميع دول الكومنولث المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق كمراقبين، وقد اعرب هؤلاء القادة عن رغبتهم في التعاون مع حلف N,A.T.O وذلك من خلال "الشراكة من اجل السلام"، بل ان دول مثل أوكرانيا وجورجيا وافقت على إجراء مناورات مشتركة مع حلف N,A.T.O ومن ثم توقيع ميثاق تعاون بين اوكرانيا N,A.T.O عام ١٩٩٧[٤١].

لقد عزز حلف N,A.T.O برنامج "الشراكة من اجل السلام"، وانشأ خطة عمل للعضوية في قمة (واشنطن) المنعقدة في نيسان /١٩٩٩، وكانت هذه المبادرات تهدف الى توفير بعض الاحساس بالمشاركة للدول غير الاعضاء في الحلف، فضلاً عن عملية هيكلية لاصلاح القدرات العسكرية وتطويرها، وبذلك اسهمت عملية توسيع الحلف في العملية الاوسع وهي دمج دول اوروبا الوسطى والشرقية في المجموعة الاورو – اطلسية، ومن ثم الاسهام في استقرارها[٤٢].

غير أن عملية توسيع N,A.T.O لم تتوقف عند الدول السابقة في انضمامها اليه، اذ شهدت عملية التوسع ثلاث مراحل، الاولى، بدأت منذ اوائل التسعينيات واكتملت مع مؤتمر مدريد ١٩٩٧، كما مر سابقاً، والمرحلة الثانية بدأت بعد مدريد وانتهت بمؤتمر واشنطن عام ١٩٩٩، اذ انضمت بصورة

نهائية الدول الثلاثة المشار اليها سابقاً، ليصبح اعضاء N,A.T.O تسعة عشر عضواً، وكانت مدة تمهيدية لتوسيع جديد.

المبحث الثاني: الولايات المتحدة الامريكية وحلف N,A.T.O وتحديات ما بعد الحرب الباردة

بانتهاء الحرب الباردة، بدأ الحديث يتردد عن ضرورة اجراء تغيرات جذرية وشاملة على هيكلية الحلف الدفاعية والادارية لتتناسب مع معطيات البيئة الامنية الجديدة، وعن الوسائل الملائمة لاحلال الاستقرار وتحقيق التغيرات السلمية في اوروبا الشرقية وغيرها من المناطق الحيوية، وابتكار وسائل جديدة من اجل الحفاظ على بنية الحلف وتقويته(٤٣).

بانهيار الاتحاد السوفيتي، تغيرت كثيرٌ من المفاهيم، فتلاشى مفهوم "التهديد الشامل" وعوضه مفهوم "المخاطر المنتشرة"، التي برزت كنزاعات غير محددة اقليميا لكنها قادرةُ على التطور مستقبلاً لتكون تهديدات فعلية، لذا تحدث (ديك تشيني) الذي كان يشغل في وقتها وزير الدفاع، في شباط /١٩٩٠، عن وجود تهديدات متنامية او تهديدات قيد التطور(٤٤). وهذا ما اكده مستشار الامن القومي الاميركي الاسبق (بريجنسكي) عندما اكد ، بانه في عصر نشوء السياسة العالمية العضوية، فان التهديدات الرئيسة يمكن ان تنشأ من داخل الدول، اما عن طريق المنازعات الاهلية، واما بسبب تزايد استعمال التطور التكنولوجي في الاعمال الارهابية، اذ يصف هذه التهديدات: ١-يظهر بسبب انتهاء الحرب الباردة، ٢- ينطوي على منازعات اقليمية تستمر امداً طويلاً، ٣-تراث للامبريالية، ٤- ينشأ بسبب ظهور قوة اقليمية جديدة، ٦- كامن في الاحوال الانسانية التي تتسم بالظلم والفقر ويزيدها سوء الانفجار السكاني، وجميعها من المحتمل ان تسبب قدراً اكبر من الهلاك نتيجة الانتشار الذي لا مفر منه للاسلحة التي تسبب دماراً شاملاً(٤٥).

وفي ضوء هذه المخاطر، بدأت محاولات تكييف الحلف تظهر مع اجتماع مجلس N,A.T.O في لندن عام ١٩٩٠، فقد بدا واضحا في مداولات الاجتماع وما صدر عنه، التحول في مهام الحلف من مواجهة تهديد مباشر من حلف (وارسو) الى تحقيق الامن والاستقرار في القارة الاوروبية، مما ادى الى تغيير مضمون التحالف، فألى جانب استمرار مهامه الاساسية التقليدية اي الدفاع الجماعي، ظهرت مهمة بناء هيكل جديد للسلام في كل اوروبا مما يقتضي دعم عمليات التحول السياسي والاقتصادي في دول المعسكر الشرقي (السابق)(٤٦). فضلا عما تقرر من ادخال تغييرات على الاستراتيجية العسكرية للحلف بحيث تستطيع العمل خارج المنطقة (Out Area) المحددة له. واستمراراً لهذه السياسة تم تشخيص التحديات والمخاطر الامنية التي يواجهها الحلف في اجتماع روما في تشرين الثاني /١٩٩١، اذ شخصت المخاطر التي تواجه الدول الاعضاء في الحلف ومبينه انها لن تأتي من عدوان محدد على اراضيهم، وانما من اوضاع وظروف ناجمة عن صعوبات سياسية واقتصادية واجتماعية خطيرة، ولاسيما

الصراعات العرقية والنزاعات الحدودية التي تهدد امن واستقرارها، كما ان امن الدول الاعضاء في الحلف يمكن ان يتأثر بانتشار اسلحة الدمار الشامل وعرقلة تدفق الموارد الحيوية وعمليات الارهاب والتخريب[٤٧].

لذلك فان التغييرات التي طرأت على البيئة الامنية مع نهاية الحرب الباردة، قد اجبرت N,A.T.O على مراجعة منهاجه واسلوب تعامله مع الازمات[٤٨]. فتعدد وتنوع مصادر التهديد الجديدة أوتنوعه ظهرت مفهوماً جديداً يحل محل فكرة الامن الجماعي، وبالتدريج اخذت تظهر فكرة الامن المشترك، الذي تهدده اخطار عديدة يمكن ان تكون نابعة من داخل اراضي الحلف او من خارجها[٤٩].

ودعت الولايات المتحدة الامريكية الى اجتماع لمجلس N,A.T.O في لندن عقد في ٦/تموز /١٩٩٠، وقد نتج عن الاجتماع اثبات حقيقة "غياب العدو"، لهذا قرر المجلس اعادة تنظيم استراتيجية الحلف وتوجيهها نحو مصالح N,A.T.O[٥٠]. وبذلك اعتمد ما يسمى "بالمفهوم الاستراتيجي" (Strategic Concept) الذي نشر في قمة روما عام ١٩٩١، ومثل تغييراً كاملاً في طريقة تفكير الحلف، اذ قام هذا المفهوم على افتراض ان التهديد واسع المدى قد انتهى بصورة كاملة ومن ثم لم يعد هناك حاجة لتخطيط الحلف على مثل هذا الهجوم المفترض، فضلاً عن اعتماد هذا المفهوم على ما يسمى بالارضية الامنية الجديدة في اوروبا، والتي تساعد بدرجة اكبر على تحقيق اهداف N,A.T.O الاصلية من خلال الوسائل السياسية، وهي الاهداف التي اشارت اليها اتفاقية (واشنطن) الاصلية اجمالاً بتطوير الاستقرار في منطقة الاورو – اطلسية والاسهام في تطوير العلاقات السلمية على الصعيد الدولي[٥١].

وفي ضوء ذلك، وخلال قمة روما ١٩٩١، أقرت لجنة مراجعة العقيدة العسكرية التي شكلتها لجنة تخطيط الدفاع في N,A.T.O، بأن الحلف يواجه مخاطر تختلف في طبيعتها عما كان في الماضي من حيث : ان التهديد بهجوم شامل على كل جبهات الحلف الاوروبية لم تعد قائمة، مما لم تعد نقطة التركيز في استراتيجية الحلفاء، وان خطر الهجوم المفاجئ في وسط اوروبا قد تراجع واتسعت مدة الانذار بالنسبة للحلفاء، فضلاً عن ان الاخطار اصبحت متعددة الاوجه والجهات مما يجعل من الصعب التنبؤ بها وتقييمها، مما يستدعي من الحلف ان يكون قادراً على هذه المخاطر لضمان الاستقرار في اوروبا، كما ان هناك الازمات التي قد تنشأ بسبب الظروف الناجمة عن صعوبات اقتصادية واجتماعية وسياسية خطيرة، بما في ذلك الصراعات العرقية والنزاعات الحدودية، كما مر سابقاً، مما تهدد استقرار اوروبا، اما بالنسبة لروسيا الاتحادية فان المخاطر التي تصاحب عملية التغيير لا يمكن فصلها عن حقيقة ان قواتها التقليدية هي الاكبر في اوروبا، وان ترسانتها النووية لا يمكن ان تقارن الا بترسانة الولايات المتحدة الامريكية، لذا فان هذه القدرات ينبغي ان توضع في الحسبان حرصاً على الامن

والاستقرار في اوروبا، فضلاً عن الحفاظ على علاقات سلمية مع دول جنوب المتوسط والشرق الاوسط، واخيراً فان امن الحلفاء يمكن ان يتأثر – كما اشرنا سابقاً – بعوامل اخرى ذات طبيعة اوسع تشمل انتشار اسلحة الدمار الشامل، وتعطيل تدفق الموارد الحيوية لاسيما النفط، والعمليات الارهابية والتخريبية[٥٢].

وفي ضوء ذلك كتب المندوب الدائم الاسبق للولايات المتحدة في مجلس الحلف (الكسندر فيرشبو). إن كثيراً من التهديدات لأمن الحلفاء يأتي من الخارج سواء في صورة اسلحة دمار شامل او صراعات اقليمية[٥٣]. لقد كان السبب وراء هذه المخاوف والمخاطر هو ان الحدود السابقة للامبراطورية النمساوية – الهنغارية، كذلك الحدود السابقة لدول البلطيق، والامبراطورية البروسية والامبراطورية العثمانية، ستشجع على الحلم بتحالفات جديدة[٥٤].

لذلك عد اعضاء حلف N,A.T.O شرق اوروبا شبحاً امنياً مشحوناً بالمنافسات الدينية والسياسية والاقتصادية والعرقية المعقدة، واذا لم يتم دمج الديموقراطيات الشرقية الجديدة ضمن صيغة امنية مع (ناتو) اوسع، فان هذه الدول قد تشعر بالرفض وتقرر البحث في مكان اخر، او الخضوع لقوى رجعية داخلية، او الدخول في صراعات كما حدث في البوسنة وكوسوفو، وبذلك لابد من حلف N,A.T.O لاحتواء هذا السلوك العام مما ينشيء اماناً في اوروبا[٥٥]. ومما زاد من اهمية الجهود المبذولة في هذا الشأن انتشار السلاح النووي الى دول جديدة واحتمال انتشاره الى دول اخرى من خلال التعاون بين الدول[٥٦].

ان متطلبات البيئة الامنية الجديدة تحتم على N,A.T.O التدخل للاسهام في استقرار المنطقة الاورو – اطلسية، وعلى وفق رؤية الولايات المتحدة الامريكية، لذلك فان هذا الطار العام الشامل للاهداف – اي حماية حرية جميع الدول الاعضاء وسلامتها بالسبل السياسية والعسكرية – يعطي قيادة N,A.T.O مرونة سياسية عالية في تحديد شكل الاخطار المحتملة التي تواجه اعضائه، كما انه لا يحدد وبشكل مقصود طبيعة تلك المخاطر وجوهرها، مما يعني ان التكيف السياسي والاستراتيجي سيحدده الحلف ولا يحدده طرفٌ اخر بما فيها منظمة الامم المتحدة[٥٧]. وامام هذه المخاطر والتحديات التي صورها N,A.T.O فإن مفهومه الاستراتيجي الجديد، رسم قوسين للازمات التي تهدد الامن والاستقرار عبر الاطلسي، اولهما القوس الشرقي الذي يبدأ من الجنوب ويمر عبر تركيا ومنطقة القوقاز وآسيا الوسطى ثم يمتد الى المانيا وغربي روسيا حتى يصل الى شمالي اوروبا. اما ثانيهما فهو القوس الجنوبي: الذي يبدأ من شمالي افريقيا بدءا بالمغرب ومروراً بالسواحل الشمالية للبحر المتوسط وكلها مناطق حيوية للامن الغربي، ثم يعبر منطقة الشرق الاوسط حتى يصل الى الباكستان وافغانستان وحدود الهند في جنوب غربي اسيا، فالصراعات والنزاعات في مناطق قوس الازمات يحتمل ان تؤدي إلى

انعكاسات سلبية على الدول الاعضاء في N,A.T.O، وذلك على شكل موجات هجرة جماعية او انهيارات اقتصادية وسياسية، على ان الامر الاكثر اهمية والاكثر خطورة يتمثل في المخاطر التي قد تنجم عن احتمالات احياء الخلافات والمنافسات القديمة ولاسيما بين المانيا وروسيا، او يزداد اتساع نطاق المواجهة بين الحضارتين الغربية والاسلامية[٥٨]. وهذا ما ذهب اليه (سولانا) بتأكيده أنّ اية ازمة قد تنشأ خارج الحلف من المحتمل ان تتحول الى تهديد لدولنا الاعضاء"[٥٩].

لذلك سعت الولايات المتحدة الامريكية ان يكون الدور الجديد لحلف N,A.T.O على مبدأ "التوسع المزدوج" الذي يضمن اولاً توسعاً في نوعية المهمات بحيث تتخطى عمليات الدفاع الجماعي وتمتد الى مساندة عمليات حفظ السلام خارج حدود الدول الاعضاء في الحلف، وثانياً، بسط بعض مزايا الحلف الى ما يسمى "بالتفاعل الامني الديموقراطي"، الى الدول الاعضاء في "الشراكة من اجل السلام"[٦٠].

وعلى هذا النحو، اوضح وزير الدفاع الأميركي الأسبق (وليام كوهين)، انه من اجل ان يصبح N,A.T.O بمستوى المهام الجديدة في "خارج المنطقة" لابد من تحقيق ما يأتي: أولاً، زيادة العمليات المشتركة للوحدات العسكرية للحلف، ثانيا، وضع الحلف في اوضاع سياسية ولوجستية لتنفيذ التدخلات في المستقبل، وثالثاً، تحسين فاعلية نظام الكومبيوتر المستخدم، واخيراً الاهتمام بشكل خاص واعطاء عناية فائقة للعلاقات مع روسيا واوكرانيا[٦١].

واتساقاً مع ذلك، وفي عام ١٩٩٣ تقدمت الولايات المتحدة الامريكية بفكرة انشاء "قوات المهام المتجمعة المشتركة" (Combined Joint Task Force)، اذ حظيت بالموافقة في مؤتمر بروكسيل عام ١٩٩٤ واكد المؤتمر أنّ انشاء هذه القوات هو ليس بمعزل عن عملية التكيف والتأقلم التي يجريها الحلف، اذ اريد لهذه القوات ان تكون في صيغة مؤسسة امنية اوروبية كاتحاد غرب اوروبا، وان القوات هي لاغراض حفظ السلام، ومنع النزاعات والتدخل الذي سينهض بها N,A.T.O في مناطق خارج اوروبا، وفي المناطق المجاورة لنطاق عمل الحلف وميدانه، وهذا ما اتاح للناتو تطبيق اتفاقية (دايتون)[•] للسلام عام ١٩٩٥ في البوسنة وارساء اسس السلام[٦٢].

لقد عمل N,A.T.O على توسيع مهامه ونطاق عمله، ففي قمة (واشنطن) ١٩٩٩، اقر في توسعه ليشمل المنطقة الاورو – اطلسية، كما تضمن مهمتين جديدتين للمنطقة هما : "ادارة الازمات" و "الشراكة"، ومن ثم حددت مهمات الحلف لتشمل:[٦٣] العمل على توافر مناخ اوروبي مستقر، توافر اطار اطلسي اساس لدول الحلف، لاجراء مشاورات حول اي مسألة تمس مصالحهم الحيوية، التشجيع على اقامة علاقات واسعة من الشراكة والتعاون والحوار مع دول المنطقة الاورو – اطلسية الاخرى لتعزيز المكاشفة والثقة المتبادلة والقدرة على العمل المشترك مع الحلف.

ومما يؤكد ما سبقت الإشارة اليه من سعي أمريكي يؤدي دور القيادة في (النظام الدولي الجديد)، وبتوليفة أمريكية لقيادتها الأطلسية – العالمية المزعومة دعت الى إطلاق اليد الأطلسية ذات القيادة الأمريكية وعلى لسان وزيرة خارجيتها السابقة مادلين أولبرايت بعيداً عن الأمم المتحدة وفي إرادة تعلو إرادة المجتمع الدولي، إذ قالت في قمة بروكسل كانون الأول عام ١٩٩٨: «إنّ واشنطن ترغب في وضع مفهوم ستراتيجي جديد لمهمات الحلف مع مطلع القرن الحادي والعشرين يجعل الحلف مستقلاً تماماً عن الأمم المتحدة ويعطي الحلف صلاحية التدخل السريع في الأزمات الدولية التي تمس مصالح الدول الأعضاء»[٦٤].

ولم تكن المرة الأولى التي يناقش فيها مستقبل الحلف ودوره الجديد بعد الحرب الباردة، لذا تمت إعادة الصياغة لدور الحلف في المؤتمر الإحتفالي بالذكرى الخمسين لتأسيس حلف N,A.T.O في نيسان ١٩٩٩. وفي خضم الحرب الأطلسية التي شنت ضد يوغسلافيا الإتحادية في أقليم كوسوفو[٦٥]. تحدث الرئيس الأسبق بيل كلينتون (١٩٩٣–٢٠٠١) في هذا الحفل:«منذ خمسين عاماً وأسلافنا أنشئوا مجتمعاً أطلسياً الذي ضمن لأجيالنا السلم والأمن (لأولادنا وأحفادنا..) ان الجهاز العسكري والسياسي حدد هدفه في الدفاع عن الحرية والديمقراطية وخلال كل هذه المدة، لم يقم بأي عمل عدواني وسنبقى حذرين لكل التحديات التي يمكن أن تواجه مصالحنا مباشرة، وخصوصاً بعدم الإستقرار والأحقاد بين القوميات الذي يهدد شركاءنا كما يهددنا»[(٦٦)]، ليدعو الى:إعادة التفكير في المهمات الجديدة للحلف على ضوء ما تحقق في الماضي.

ومن خلال هذه المهام والمخاطر، ارادت الولايات المتحدة الامريكية ان يكون للحلف معالم ومفاهيم اساسية تتناسب ودوره الجديد، وفي هذا الإطار تم إطلاق "مبادرة القدرات الدفاعية" في قمة واشنطن ١٩٩٩ التي تهدف الى تحسين القدرات الدفاعية للحلف وضمان فعالية اي عمليات متعددة الجنسيات في المستقبل، وايجاد معايير موحدة للاشتراك والتنسيق في تبادل المعلومات[٦٧].

بانتهاء الحرب الباردة، اصبح لأسلحة الدمار الشامل وظائف جديدة، لان الادوار التي اخذت تلعبها هذه الاسلحة لم يعد لها حدود تكنولوجية معينة، بل ربما تصبح بشكل متزايد سلاح الدول الضعيفة في المستقبل، فضلاً عن ان بعض التهديدات الجديدة ليست قابلة للردع وان دور ضبط التسلح في التعامل مع بعض الاسلحة قد تقلص، لذا فان الرد يجب ان يكون له الاولوية الكبرى حالياً ويتمثل في العمل على تقليل منافع الهجوم على الولايات المتحدة الامريكية خصوصاً والدول الغربية عموماً[٦٨].

لذلك فان قمة الحلف في روما ١٩٩٩، قد اقرت عقيدة عسكرية جديدة للحلف تنهض على اربعة مبادئ، تعلق الاول باستمرار الحلف في اداء دوره الدفاعي عبر الدفاع الجماعي، وتجسد الثاني بالحفاظ على وحدة امن الأعضاء، كونه وحدة لا تتجزأ وان الاعضاء الاوروبيين سيضطلعون بمزيد من

المسؤوليات للدفاع عن انفسهم، اما ثالثاً، هو الحفاظ على هيكل القوات الموحدة للاستمرار في اداء مهمة الدفاع الجماعي، وان الحلف عليه استحداث هيكل قوة يعتمد على قوات اكثر مرونة وحرية في الحركة، واخيراً، استمرار الاعتماد على كل من الاسلحة التقليدية والنووية مع خفض حجم القوات والحد من الاعتماد على المكون النووي(٦٩).

وعليه فان الوظيفة العسكرية تفرض على الدول الاعضاء في N,A.T.O العمل على تغيير انماط استخدام القوة العسكرية لهذه الدول سواء من حيث الحجم او النوع او التفكير الاستراتيجي، بحيث تكون مستوعبة للتغيرات التي طرأت على الاستراتيجية العسكرية، والتي لم تعد استراتيجية عسكرية دفاعية بقدر ما اصبحت استراتيجية ردع او منع ظهور الازمات والمخاطر التي تهدد الأمن الغربي، واستخدام القوة بشكل هجومي ضد التحديات التي تواجه الهيمنة الغربية في مناطق قوس الازمات الخارجية(٧٠).لذلك اعتمدت استراتيجية N,A.T.O على مبدأ "الاشتباك الآمن عن بعد" (استراتيجية الذراع الطويلة) التي تهدف الى تحقيق الاهداف الموضوعة، مع الاقلال في الوقت نفسه من الخسائر الى اقل درجة ممكنة(٧١). بمعنى اخر، ان مبدأ الاشتباك الامن يقوم على فكرة تمكين القوات المساهمة من تحقيق اهدافها العسكرية وتنفيذ هجماتها من مسافات امنة باستعمال اسلوب التصعيد التدريجي في "ضرب اهداف عسكرية ميدانية"، ثم الانتقال الى معالجة اهداف داخل العمق الاستراتيجي للعدو– او اسلوب القصف المتزامن للعمليات العسكرية – ضرب اهداف عسكرية ميدانية واهداف حيوية داخل العمق الاستراتيجي للعدو في آن واحد – وبما يضمن للقوات المهاجمة قدرة عالية على التحكم بمسارح العمليات، كما يضمن لها الابتعاد عن الهجوم ووسائل الدفاع الجوي المعادية(٧٢)، ولهذا فهي تنص على الكيفية التي ينبغي ان تكون عليها تلك القوات في المستقبل من حيث انها اصغر حجماً، واكثر قدرة على الحركة والمناورة والوصول الى مناطق الازمات بوقت قياسي، اذ تحقق للحلف تفوقاً جوياً ساحقاً وسيطرة تامة على البحار والمحيطات مما تمكنه من نقل المعركة الى ارض الخصم(٧٣).

وفي اجتماع وزراء خارجية دول الحلف الذي عقد في بروكسيل يومي ٨ – ٩ /كانون الاول /١٩٩٨ ساد فيه نوع من الاتفاق على الخطوط العامة لأستراتيجية الحلف والتي تمثلت في : اولاً اقرار دور الحلف في مواجهة انتشار اسلحة الدمار الشامل والتصدي للارهاب، ثانياً اقرار دور الحلف للتدخل في الصراعات الاقليمية والنزاعات العرقية والدينية داخل الدول، الاسهام في ضمان تنفيذ اتفاقات تسويتها(٧٤).

واستناداً الى ما تقدم جاءت قمة (واشنطن) التي عقدت في نيسان /١٩٩٩ التي اكد بيانها الختامي أ نّه "يتعرض امن الحلفاء لمخاطر عسكرية وغير عسكرية كثيرة ومتنوعة تأتي من اتجاهات عديدة وغالباً ما يصعب توقعا، وتتضمن هذه المخاطر، عدم الاستقرار واحتمال نشوء ازمات اقليمية قابلة

للتطور السريع في المناطق المحيطة بدول الحلف، ويمكن ان تواجه المصالح الامنية للحلفاء مخاطر ذات طابع اكثر عمومية تنجم عن الارهاب والتخريب والجريمة وانقطاع وصول الموارد الحيوية"[٧٥]، وبهذا فان الفقرة قد رصدت ملامح التغيير في المفهوم الاستراتيجي (للناتو)والانتقال به من مفهوم "امن الدول الاعضاء" الى اعتماد مفهوم "المصالح الامنية كأساس لعمل الحلف"، فضلاً عن بدء مرحلة جديدة في تاريخ الحلف يأخذ فيها المبادرة بشن الهجوم ضد الطرف او الاطراف التي ترى قيادته السياسية انها تمثل تهديداً لمصالح الحلف. مما تجاوز هذا المفهوم صيغة الدفاع عن دول الحلف الى صيغة الدفاع عن مصالح الحلف[٧٦]. اذ منح الحلف لنفسه الحق في القيام بما يطلق عليه "المهام الامنية" الذي يسمح للحلف بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول بما يمتاز به هذا المفهوم من مرونة في التفسير تجعله يصل الى ابعد المديات[٧٧]. وهذا يعني اسقاط الجغرافية وما تمثله من حواجز على المجال الامني للحلف[٧٨].

ان المفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف جاء نتيجة إدراك الولايات المتحدة الامريكية للفصل بين التحديات الامنية المعاصرة والقدرات العسكرية لهم في ازمة كوسوفو، فقد انتقل الحلف الى التشديد على قوات اكثر حركية وقابلة للانتشار واكثر استدامة، مما يقتضي ذلك اجراء اصلاح جوهري على المدى الطويل من المواقف الفكرية والهيكلية والاجرائية[٧٩].

لقد تبلور مفهوم استراتيجي (للناتو) ذو دور وتصور امني واسع يتجاوز ما كان منوطاً به من قبل، اذ يتحدث عن القيم الديموقراطية، وحماية السوق المفتوحة، واقرار استقرار طويل له حق التدخل في مناطق خارجية، وهو ما يعني تحوله من حلف اقليمي الى اداة لفرض النظام والامن على النطاق العالمي[٨٠]. وهذا ما مثله تدخل الحلف في البوسنة وكوسوفو ومقدونيا، اذ اكد (خافيير سولانا) أ نّ الاستراتيجية الجديدة التي اقرها الحلف خلال قمة (واشنطون)، تؤكد تغيير دوره من حلف دفاعي الى جهاز عسكري له صلاحيات التدخل العسكري في النزاعات الاقليمية داخل حدوده وخارجها، اذ انه يوسع مهامه ويكلفه للمرة الاولى بادارة الازمات على مجمل الاراضي الاوروبية وخارجها، واشار الى ان الدور الجديد يعد خطوة مهمة لمساعدة الحلف في مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين، كما انه يعني امتداد الحلف الى ما وراء الحدود الاوروبية لتشمل الشرق الاوسط والخليج العربي وشمال وشرق ووسط اسيا[٨١].

وفي ضوء هذه التطورات، كان من الضروري ان يعطي الحلفاء "للمفهوم الاستراتيجي" كعقيدة عسكرية مضامين اضافية جديدة ليكون دور الحلف منسجماً مع التطورات الكبيرة الواقعة في البيئة الامنية، فجاءت مبادرتان اساسيتان: الاولى، هي "مبادرة قابليات الدفاع"، والثانية هي "مبادرة الكيان الامني والدفاع الاوروبي". وكان الهدف الرئيس من ورائهما المواجهة الفاعلة للقرن الجديد، وتهيئة الامن للاجيال القادمة[٨٢].

ان من الضروري ان يمنح الحلف اهمية الى "مبادرة قابليات الدفاع" لتصبح اداة "لاستراتيجية الكفاية" الرادعة والقادرة على ادارة الازمات في الوقت الملائم وبصورة فاعلة فضلاً عن ارساء الامن. وتقوم هذه الاستراتيجية على الجمع بين قابليات الدفاع الجماعي وامكانيات عرض القوة وتنفيذ العمليات في المناطق خارج نطاق المادة الخامسة مثلما هو عليه الحال في تنفيذها في اطار جغرافية تلك المادة، كما هو منصوص عليها في اتفاقية (واشنطن) الاصلية[٨٣]. وعليه جاءت قمة (واشنطن) لعام ١٩٩٩ لتأكد "مبادرة قابليات الدفاع" لانها كانت تهدف الى تحسين القدرات الدفاعية لضمان فاعلية اي عمليات متعددة الجنسيات في المستقبل، وايجاد معايير محددة للاشتراك والتنسيق في تبادل المعلومات والعمل على رفع مستوى التقدم التقني العسكري الاوروبي[٨٤].

لذلك كانت استراتيجيات N,A.T.O على عدة مستويات، فعلى المستوى التقليدي، اخذ الحلف يتبنى مبدأ ادارة الازمات داخل مسرح عملياته التقليدية، اذ يعمل هذا المبدأ على احتواء الازمات وحلها سياسياً قبل ان تتحول الى صراع مسلح، واذا ما تحولت الى صراع، فانه سيلجأ الى استخدام قواته التقليدية بشكل تعرضي محدود، على شكل ضربات جوية تأديبية وعقابية من اجل ارغام اطراف الصراع بالرجوع الى الحلول السلمية للازمة. واذا ما اضطر لاستخدام قواته التقليدية برياً فسيكون ذلك في اضيق الحدود ولغرض الاغاثة الانسانية او اقامة المناطق الامنة بين اطراف الازمة بعد انتهائها. اما خارج المنطقة الاطلسية، فان المفهوم الاستراتيجي للحلف يعمل على ضرورة تطوير القوات التقليدية بحيث تكون اصغر حجماً واكثر قدرة على الحركة والمناورة للوصول الى مناطق الازمات البعيدة بوقت قياسي، لكي يتمكن N,A.T.O من تحقيق تفوق جوي وسيطرة تامة على البحار والمحيطات، تمكنه من نقل المعركة الى ارض الخصم، اذ يأخذ N,A.T.O في مواجهة الازمات الخارجية بمبدأ الهجوم الذي يتراوح بين التعرض المحدود والتعرض الواسع[٨٥].

اما على المستوى النووي، فان المفهوم الاستراتيجي الجديد ينظر الى الاسلحة النووية التي في حوزته على انها رمز نهائي للسلام في منطقة الاورو – اطلسية، وانها ليس للاستخدام الفعلي، اي انها لاغراض الردع. اما خارج المنطقة الاورو – اطلسية، فان الحلف يطلق عليها عبارة الملاذ الاخير، اي ان الحلف يضع في حساباته الاستراتيجية احتمالية دخوله في حرب تقليدية واسعة مع احدى القوى الاقليمية، اذ تتعرض فيها هجماته الجوية والبحرية للاخفاق نتيجة ثبات تلك القوة وعدم استسلامها وتحول الحرب معها الى اشبه بحرب استنزاف، او طويلة المدى، عندئذ يلجأ الى استخدام اسلحته النووية والتكتيكية لحسم الحرب كملاذ اخير لتدمير القوات المعادية وارغامها على الاستسلام[٨٦].

المبحث الثالث": دور الولايات المتحدة الامريكية تطور هيكل حلف N,A.T.O والبحث عن الاعداء.

اعلنت قمة N,A.T.O المنعقدة في روما عام ١٩٩١، عن تمسكها بالهيكلية القائمة للحلف، وجاء هذا نتيجة تحليلها الوضع الاستراتيجي العالمي بعد نهاية الحرب الباردة، مما افضى الى استنتاجين: الاول ان ما استجد في المحيط الدولي لا يؤثر في الأهداف ولا في المهمات الامنية في الحلف، بل يؤكد صلاحيتها المستمرة، والثاني، هو ان البيئة الجديدة توفر في المقابل فرصاً جديدة للحلف بوضع استراتيجية في اطار مفهوم اوسع للامن(٨٧).

غير ان متغيرات العالم المتسارعة والمتلاحقة، والمهام والمخاطر التي شخصها الحلف واوكلها الى نفسه، والتصورات التي حدثت على المفهوم الاستراتيجي للحلف، ادت في النهاية الى توصل اللجنة العسكرية (للناتو) خلال الحقبة الممتدة من عام (١٩٩١ – ١٩٩٧) الى مقترح بالهيكلية القيادية الجديدة، وقدمت في ٢/كانون الاول /١٩٩٧ الى وزراء دفاع N,A.T.O الذين وافقوا على الهيكل التنظيمي الجديد بشكل عام، كذلك على نمط ومواقع القيادات وعددها، وتضمن هذا التنظيم تخفيضا في عدد القيادات من (٦٥) قيادة، الى (٢٠) قيادة، وبذلك يحقق التنظيم الجديد من وجهة نظر خبراء N,A.T.O اجابة فعالة وكفوئة واقتصادية للاحتياجات العسكرية (للناتو) في القرن الحادي والعشرين، بمعنى انه سيحقق مبدئي الاقتصاد بالجهد من جهة، والمرونة من جهة اخرى(٨٨).

وفي ضوء ذلك، تم تطوير هيكلية المؤسسات العسكرية لحلف N,A.T.O والتي تضم عدداً كبيراً من القيادات الاستراتيجية والاقليمية والفرعية والقيادات الاقليمية الفرعية المشتركة، ومن اهم هذه القيادات قيادة حلف N,A.T.O الاستراتيجية في (نورفوك) في ولاية فيرجينيا الاميركية، المسؤولة عن التخطيط والتوجيه والنشاطات العسكرية المختلفة للحلف. وتشرف هذه القيادة على قيادات استراتيجية على طرفي الاطلسي مثل القيادة الاقليمية في (نورفوك) والقيادة الاستراتيجية في (نورث وود) في المملكة المتحدة والتي تعد منطقة ايسلندا من مسؤولياتها، كما ان هناك القاعدة الاقليمية للجنوب الشرقي للاطلسي في (لشبونة) في البرتغال، وهناك اربع قواعد اقليمية كبيرة في الولايات المتحدة الامريكية قريبة من (نورفوك) مهمتها حماية الجناح الغربي من الاطلسي، فضلاً عن علاقاتها اليومية من خلال العمل مع القواعد الاستراتيجية في هولندا والمملكة المتحدة والنرويج والمانيا وهنغاريا وتشيكيا وبولندا وايطاليا – هناك خمس قواعد في ايطاليا – واسبانيا وتركيا واليونان(٨٩). بمعنى قسمت القيادات الاطلسية الجديدة الى نمطين قياديين هما القيادة الاستراتيجية (SC)، والتي تتضمن قيادتين استراتيجيتين شاملتين، هما القيادة الاطلسية الاستراتيجية، والقيادة الاوروبية الاستراتيجية، اما النمط الثاني فسمي بالقيادة الاقليمية، وهي قيادات اقليمية ترتبط بأي من القيادتين الاستراتيجيتين (الاطلسية او الاوروبية)، ويرتبط بالقيادة الاقليمية نمطان من القيادات وهما القيادة المشتركة شبه الاقليمية، والقيادات المتخصصة؛ لذلك فان هذا التنظيم القيادي سيتيح اسناد مهام الحلفاء الاصليين، كما انه سيحقق مشاركة مناسبة للاقطار المنضوية مع N,A.T.O ضمن برنامج "الشراكة من اجل السلام" او "مجلس الشراكة الاورو – اطلسي"، كما انه

سيسهل عملية تكامل الاعضاء المستقلين في الهيكل العسكري (للناتو)[٩٠]. وتعلقاً بما ذكرنا يثار تساؤل من هو العدو الجديد الذي تواجه الولايات المتحدة الامريكية وحلف N,A.T.O؟

ان خلق العدو الخارجي يشكل لعموم شعوب الغرب العصب الايديولوجي للدعاية والنشاط الفكري الثقافي استناداً للقاعدة الميكافيللية القائمة على ان المحافظة على الوحدة الداخلية يتطلب خلق خطر خارجي يهدد الكيان الاجتماعي[٩١]. اذ ان الرؤية الغربية ولاسيما للولايات المتحدة، قامت على الفلسفة البرغماتية (Pragmatism) والادواتية او الوسائلية (Instrumentalism) وهي فلسفة الذرائع اي ميكافيللية غربية تبرر لهم التدخل في اماكن بعيدة في العالم بحجة حماية مصالحهم الحيوية وامنهم القومي[٩٢]. وهذا ما عبر عنه سابقاً (ادولف هتلر) قائلاً "ان لم يكن لك عدواً فاخلقه حيثما استطعت الى ذلك سبيلا"[٩٣]. وعليه فان النظم الاجتماعية يمكن ان تحافظ على تماسكها بعدد من القوى في مقدمتها اللغة والدين، الا ان هذين العاملين ليسا كافيين، فالتهديد الخارجي يؤدي الى وحدة الامة، فبقاء اقتصاد العالم الرأسمالي الغربي متماسكاً في النصف الثاني من القرن الماضي لم يكن بسبب الايديولوجية الرأسمالية فحسب، وانما الخوف من الشيوعية والقوى الناجمة عنها[٩٤].

لقد كان هناك عدواً واضحاً ومعروفاً بقوته خلال فترة الحرب الباردة ، غير انه باختفاء هذا العدو، وعليه اصبح احتمال تفكك N,A.T.O امراً قريب الحصول، لان التهديد الشيوعي كان هو العامل الرئيس الذي حافظ على تماسك الكتلة الغربية وترابط اعضائها وتضامنهم، لذلك شكلت عملية ايجاد العدو عاملاً حافزاً الى استمرار تماسك دول N,A.T.O وفضلاً عن استمرارها في الانضواء تحت قيادة الولايات المتحدة الامريكية بعدها حامية للقيم الليبرالية الغربية من هذا الخطر المزعوم بما يؤمن مرجعيتها السياسية والايديولوجية[٩٥].

لقد وجدت الولايات المتحدة الامريكية نفسها امام معضلة، هي كيفية إدامة الهيمنة ولاسيما انها ترى بنفسها دلائل الاخفاق والتدهور تتنامى، وتظهر من خلال ملامح قوى دولية بازغة بدأت تتشكل[٩٦]. اذ بغياب الخطر الامني والايديولوجي السوفيتي بات من الصعوبة بمكان على الولايات المتحدة الامريكية ان تقود اوروبا من دون منافس[٩٧]. وهو الامر الذي عبر عنه النائب الجمهوري (دايفيد بورين) بقوله ان "الدول الاوروبية واليابان كانت مستعدة لاعطاء الولايات المتحدة الامريكية دور القيادة حين كان المناخ الدولي يتطلب ذلك، ومع تراجع التهديد السوفيتي فان هذه الدول سوف لا تقبل باستمرار الدور القيادي للولايات المتحدة"[٩٨]. وهذا ما ذهب اليه الجنرال (كولن باول) في بداية التسعينيات من القرن الماضي مؤكدا بان "ما نخطط له هو اننا قوة عظمى ونحن لا نملك وجود اخطار نخطط لمواجهتها"[٩٩].

لذلك وجدت نخب السياسة الاميركية نفسها امام مهمة وضع نظام عالمي جديد واعتناق أو تبنيه وتحديد دور الولايات المتحدة الامريكية في هذا النظام، اذ كان من الضروري استبدال عقيدة الامن

القومي القائمة على معاداة الشيوعية[١٠٠]. اذ ان مجمل الاهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة بنيت ونشأت على اساس وجود العدو الشيوعي، واصبحت ثمة رؤية واحدة للاستراتيجية الاميركية لايعتريها الانقسام او التناقض وهو ما لم يكن ليُقدر لها كل هذا في حال غياب العدو السوفيتي[١٠١].

لقد رأى عالم السياسة البارز صاموئيل هنتنغتون Samuel Huntington ان الولايات المتحدة الامريكية تأتي في مقدمة دول العالم من حيث امتلاك عناصر القوة المتكاملة، والان لا توجد دولة في العالم تمتلك هذه القوة المتعددة الابعاد لتهدد زعامة الولايات المتحدة الامريكية، غير انه يرى ان المجتمعات الناجحة هي التي تبتكر اساليب الحفاظ على ديناميتها[١٠٢]. لذلك اكد هنتنغتون قائلاً "ان انتهاء الحرب الباردة غير كل التوازنات بحيث ان الحاجة لم تعد لايجاد القوة الكامنة لخدمة الاهداف الاميركية بل على العكس ايجاد اهداف لاستخدام القوى الاميركية"[١٠٣]. غير ان ما اكدت عليه (كونداليزا رايس) وزيرة الخارجية، قبل توليها مسؤولياتها، هو صعوبة تحديد الاهداف بعد اختفاء العدو مؤكدة بأن "الولايات المتحدة الامريكية تجد صعوبة فائقة في تحديد مصالحها القومية في غياب القوة السوفيتية"[١٠٤].

وامام هذه المستجدات، اكد (نيكسونNexon) بأن "اليوم على الحلف الاطلسي ان يتكيف مع الظروف المستجدة والا فانه يفقد قيمته ويذبل، من اجل ان نضمن له البقاء يجب اعادة النظر باهدافه ومهماته. في الوضع الدولي واجب الولايات المتحدة الامريكية الرئيسي لايكون في فك ارتباطها مع حلف الاطلسي بل ان تجعل الحلف يتكيف مع الظروف المستجدة ببراعة"[١٠٥]. وهذا ما ذهب إليه الرئيس الأميركي السابق (كلينتون) بأن "توسع N,A.T.O يعتمد على ظهور تهديد جديد في اوروبا"[١٠٦].

لهذا سعت الولايات المتحدة الامريكية الى ايجاد خطر خارجي جديد، وهذا الخطر لا يمثل دولة واضحة وقوية يدخل معها في سباق تسلح مكلف ومعقد، وانما عدو تكون اثار محاربته السابقة قليلة ونتائجها تفضي الى تنفيذ استراتيجية الولايات المتحدة الامريكية الكونية ومبدأ استخدام القوة المسلحة، فالزمن الذي قضته الولايات المتحدة الامريكية في سباق تسلح وتحسين ترسانتها النووية يجب ان يعوض على شكل اهداف حقيقية تؤمن لها السيطرة الكونية[١٠٧]. فضلاً عن قيادة استراتيجية قادرة على إدارة العمليات العسكرية في كل اقاليم العالم، ويؤشر جوهر سلوك الولايات المتحدة الامريكية الجديد الميل الشديد لايجاد هذا العدو واصطناعه بهدف العودة بالدول الكبرى، التي تحاول الافلات منها الى الانضواء مرة اخرى تحت هيمنتها[١٠٨]. اذ تجد الولايات المتحدة الامريكية في حالة فقدان ذلك، وبصورة متزايدة في مواجهة تحد مع أوروبا وغيرها ما لم يظهر خطر بعيد الاثر يبنى عليه اتفاق في الرأي[١٠٩].

لذا وجدت الولايات المتحدة الامريكية تركيبة جديدة من صيغ التدخل يجب ابتداعها من لدن القوى العظمى للحفاظ على ماتم انجازه، فنوع العلاجات كانت غير كافية للابقاء على الولايات المتحدة الامريكية كأقوى ما يمكن، ان لم يوجد حل لتجنب زوال القوى العظمى وتأكيد من عدم قدرة الولايات

المتحدة الامريكية على ان تلعب دورها، فمن الافضل لها عندئذ التكيف مع النتائج، فالعنف والفوضى اللذان لن تسيطر عليهما قوى عظمى ستكون لهما نتائج مباشرة ومستقبلية، بضمنها تهديد طرق التجارة، وتزايد اعداد اللاجئين الذين سيكونون مصدراً جديداً للجرائم العالمية والارهاب[١١٠]. وفي ضوء ذلك فان سياسة العدو المشترك يخلق مصلحة مشتركة[١١١].

وعليه طرحت الولايات المتحدة الامريكية رؤيتها الجديدة وذلك على لسان مندوبتها السابقة في الامم المتحدة (باتريك) مصورة للغرب العدو المشترك الذي ينبغي ان تتفق الاراء حوله، اذ اكدت أ نّ "العدو التالي هو الاصولية الاسلامية"، مما ترتب على اثره اعلان حلف N,A.T.O في بيان له صدر في ٢١/شباط /١٩٩٢، بأن الاصولية الاسلامية هي العدو القادم للحلف، اذ ان الاسلام يملك مقومات سياسية شبيهة بالشيوعية ويسعى لمناهظة المشروع الرأسمالي، بيد ان العقيدة العسكرية عدت الشيوعية عدواً في عقر دارها وليس وراء الاسوار[١١٢]. وهذا ما صرح به الامين الاسبق (للناتو) (ويلي كليسن) بأن الاسلام هو عدو الغرب[١١٣]. وهذا ما اتفق وعبر عنه كل من المستشار الالماني الاسبق ورئيس الوزراء الفرنسي السابق عام ١٩٩٥ بأن الاصولية الاسلامية خطيرة مثلما كانت الشيوعية للغرب[١١٤].

وفي ضوء هذا، اخذ المراقبون الغربيون يروجون وينبهون الى ان عالم الاسلام سيتحول الى قوة دزلية موحدة ومتعصبة، وانه سيشكل تحدياً كبيراً، وان الغرب سيضطر إلى عقد تحالفات جديدة مع روسيا لمواجهة عالم اسلامي خصم (وعدواني)، وان الاسلام والغرب نقيضان، ويتنبأ اصحاب هذا الرأي بان قوى الاسلام الاصولي الصاعدة ستنظم ثورة على امتداد العالم الاسلامي لاسيما من ايران الى العربية السعودية ودول اخرى، الامر الذي يبرز الحاجة الملحة الى سياسة احتواء شاملة يتفق عليها الغرب مع روسيا الاتحادية[١١٥]. اذ يرى الغرب، بان الاسلام هزم الديموقراطية الغربية في اجزاء كثيرة من العالم الاسلامي موجهاً تهديداً خطيراً لقيمها في البلاد التي لا تمثل قوة سياسية ذات تأثير، وبذلك فانه يشكل عقبة في وجه الديموقراطية الغربية[١١٦]. فضلاً عن ذلك، فان اولئك المنتمين الى اقصى اليمين في الولايات المتحدة الامريكية يرون بأن اصل المشكلة ثقافي وفلسفي بوضوح، وبالنتيجة ينبغي عدم النظر الى المواجهة الاميركية مع الارهاب على انها تحدي سياسي نابع من التأريخ المعاصر للشرق الاوسط وانما هي جزء من تهديد اسلامي عالمي اكبر للحضارة الغربية يستدعي رداً عالمياً مكافئاً له[١١٧].

وهكذا فان حدود الدول الاسلامية في نظر الغرب هي حدود دموية[١١٨]. اذ يسير الاسلام الى الامام قالباً الزخم الدولي [١١٩]. مما يؤدي الى احياء الهوية الاسلامية، ومن ثم الى انتشار الايديولوجية الاسلامية الجذرية داخل الشرق الاوسط وخارجه، بما في ذلك جنوب شرق اسيا ووسطها وأوروبا الغربية[١٢٠]. لذلك فان العالم الاسلامي في نظرهم (عدواني) وبشكل متزايد[١٢١].

ان استبدال الشمولية "بالاسلامية" يعني ان المدرك السياسي (للناتو) ينطلق من ان الواقع الدولي الجديد قد اتسم "بالفراغ الامني"، وهذا ينطوي على ان يدرك الغربيون ان امامهم دوراً جديداً هو الانتشار الى هذا المجال، والا فإن البديل هو ان لا يصبح للغرب "نظام امن مشترك" في وجه هذه التحديات[١٢٢]. وعليه اصبح تخطيط N,A.T.O بعدها موجهاً للتهديدات المحتملة على طول خط جنوبي يربط بالخطر الاسلامي، ومن ثم اعطت هذه التهديدات تبريرات شرعية لاستمرار الوجود العسكري الاميركي في اوروبا[١٢٣].

الخاتمة والاستنتاجات:

إن هدف الولايات المتحدة الامريكية الاستراتيجي في حقبة الحرب الباردة، هو العمل على منع اتحاد مراكز القوى القديمة بصيغة يجعل منها ائتلاف معادٍ لمصالحها الحيوية، وعليه كان لابد لها من أطلاق دبلوماسية مدعومة لتدعيم الانسجام بينها وبين الدول الحليفة، لذا أصبحت السياسة الخارجية عالمية و عُولمت أكثر الشؤون السياسية والعسكرية والإيديولوجية والاقتصادية، وتكون نتيجة لهذا دوائر نفوذية لكلا القطبين المتنافسين، وللحفاظ على هذه الدوائر النفوذية، تطلب من الولايات المتحدة الامريكية بما إنها بعيدة عن مركز التفاعلات الدولية، أن تمد نفوذها لاسيما في القارة الأوروبية والحفاظ على استقرار هذه المنطقة؛ لذا كان من الضروري لها إقامة تحالفات وائتلافات سياسية وعسكرية لإدامة وجودها في هذه المنطقة، لذا ظهرت دور N,A.T.O في تنسيق السياسة الخارجية والدفاعية بين الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها الغربيين.

ويستنتج الباحث ان قوة الولايات المتحدة الامريكية باعضاء الحلف وليس بقوتها المنفردة ،إذ وجهت الولايات المتحدة الامريكية حلف N,A.T.O اداة لمقاومة ما يمكن أن يشكل تهديداً لمنظومتها وقيمها، اذ أثارت التصورات والطروحات الفكرية السوفيتية مخاوف الولايات المتحدة الامريكية على مستقبل النظام الرأسمالي المترسخ في أوروبا الغربية، وبالتالي نتج صراع أيديولوجي، مما دفع الولايات المتحدة الامريكية الى انتهاج إستراتيجية تقوم على تطويق الكتلة الاشتراكية بالأحلاف والقواعد العسكرية في كل قارات العالم، وكان لابد لهذه الأحلاف أن تكون عاملة على الدوام بحكم ديمومة هذا العداء الأيديولوجي بين العملاقين، ومن ثم أُنشئ حلف N,A.T.O لحماية القيم الرأسمالية الليبرالية الغربية. وكان مسار العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والدول الأوروبية الغربية في إطار حلف N,A.T.O تبين الاعتماد الكلي من قبل الدول الأوروبية على إمكانيات وقدرات الولايات المتحدة الامريكية ومن ثم هيمنة الأخيرة على مسارات حلف N,A.T.O وقراراته.

المصادر:

(١)كيسنجر، هنري: مفهوم السياسة الخارجية الاميركية، اعداد حسين شريف، بلا، ١٩٧٣، ص٥٤.

(٢) كاظم هاشم نعمة،الوجيز في تاريخ العلاقات الدولية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٩٠،ص٤١٥.

(٣)فضة، محمد إبراهيم: مشكلات العلاقات الدولية، دور الجيوسياسية والجيوستراتيجية في السياسة الخارجية، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٦، ص٣٧.

(٤) ديني، بروسترك: نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأميركية، ترجمة ودودة بدران، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١، ص ص ١٧٢ – ١٧٣.

(٥) هاليبرين، مورتن – اج.: الإستراتيجية العسكرية المعاصرة، ترجمة سليم شاكر الإمام، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٧. ، ص٥٥.

(٦) مصطفى، نيفين عبد الخالق: أزمة تفكك الكومنولث : انعكاسات التنافس الإقليمي والدولي، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ع(١٢٠)، ١٩٩٥، ص٣٣.

(٧) كيستل، هيو: التعايش السلمي، ترجمة قسطو، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧، ص ٤٧ – ٤٨.

(٨) كنيدي، بول: القوى العظمى التغيرات الاقتصادية والصراع العسكري من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠، ترجمة عبد الوهاب علوب، دار سعاد الصباح، ط١، القاهرة، ١٩٩٣، ص٥٣٤.

(٩)بيان الناتو في عيده العشرين، ابريل سنة ١٩٦٩، وثائق خاصة بحلف الأطلنطي في عيده العشرين، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ع(١٧)، يوليو/١٩٦٩، ص٢٣٨.

(١٠) الحيالي، نزار إسماعيل ، المهمات الجديدة للناتو والتطبيقات المحتملة، دراسات سياسية، بيت الحكمة، بغداد، ع(٣)، شتاء ١٩٩٩ – ٢٠٠٠، ص٩.

(١١) ديني، بروسترك: نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأميركية، ترجمة ودودة بدران، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١، ص١٠٠.

(١٢) بيان الناتو في عيده العشرين، ابريل سنة ١٩٦٩، وثائق خاصة بحلف الأطلنطي في عيده العشرين، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ع(١٧)، يوليو/١٩٦٩، ص٢٣٨.

(13) Naidu, M. V.: Alliances and Balance of Power, A Search for Conceptual Clarity, The Macmillan press Ited, London, 1974, p.12.

(١٤) جاء في تقرير عدة رؤساء هيئات الأركان الأمريكية المشتركة حول ستراتيجية التعامل مع الحلفاء الأوربين الآتي: أن هدف الولايات المتحدة يجب أن يكون منع أوربا من تفكيك حلف الناتو والتدخل بمبادرة منها وحدها في الأزمات العالمية، ويجب ثني عزم الدول الصناعية المتقدمة عن تحدي زعامتنا ويجب الوقوف بوجه جهود الحلفاء لوضع ترتيباتهم الأمنية الخاصة بعد أن أنتهى الخطر الذي تواجه بلدانهم": ينظر: جعفر عبد الرزاق، "ركائز النظام الدولي"، المصدر: الأنترنيت، الموقع/www.aljazeera.net

(١٥) هنري كيسنجر، كيف يصبح "الناتو" أكثر من مجرد ؟ ، صحيفة الشرق الوسط، العدد٧٥٦٥، الأحد١٥/٨/١٩٩٩،ص٩.

(١٦) زبغينيو بريجنسكي، "خياران أمام الناتو وسط أوربا وروسيا"، ترجمة: حسام سري، شؤون سياسية، العدد الخامس، السنة الثانية، ١٩٩٥، ص٧٣– ص٧٤.

(١٧) وهو ما حصل فعلاً في حرب البوسنة (١٩٩٥)، وكوسوفو (١٩٩٤) والإستفراد مع بريطانيا بضرب العراق (كانون الثاني ١٩٩٨). المصدر: د.نزار أسماعيل عبد اللطيف، المهمات الجديدة للناتو والتطبيقات المحتملة بعد أزمة كوسوفو، أوراق ستراتيجية،،العدد (٢٦)، السنة الثانية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص٢–٦.

(١٨) هاغل، تشاك : دور الحلف الاطلسي في تحقيق الامن في الشرق الاوسط الكبير، ١٧/ايلول /٢٠٠٤، مكتب برامج الاعلام الخارجي، نشرة واشنطون. http://usinfo.stat.gov

(١٩) الجاسور، ناظم عبد الواحد، "حلف شمال الأطلسي (الناتو) والمفهوم الإستراتيجي الجديد"، متابعات دولية، العدد (٤٠) مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص٩.

(٢٠) حمزة مصطفى، في ضوء متغيرات أوربا الشرقية والعلاقة بين العملاقين ما مستقبل حلف وارشو والناتو؟"، آفاق عربية، شباط ١٩٩٠، ص٥١.

(٢١) منعم العمار، "في معنى التدخل دراسة تحليلية للتدخل الأمريكي في الخليج العربي"، ام المعارك، العدد الثالث، تموز١٩٩٦، ص٦١– ص٨٢.

(٢٢) عماد مؤيد المرسومي، توظيف فكرة العدو في الستراتيجية الأمريكية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ١٩٩٩. ص٧٧–ص٧٩.

(٢٣) رويجودنري، راجياسري : توسع الناتو الى شرق اوروبا تحدي مؤسساتي، ترجمة سميرة ابراهيم، في منظمة حلف شمال الاطلسي الناتو، سلسلة دراسات مترجمة، مركز الدراسات الدولية جامعة بغداد، ص١٤.

(٢٤) المصدر نفسه، ص١٠.

(٢٥) توفيق، سعد حقي : مستقبل النظام الدولي الجديد، الادوار المحتملة للفواعل الرئيسة في النظام الدولي، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، ع (١)، كانون الثاني،١٩٩٤، ص٥٨.

(٢٦) كالو، دومنيكو: النظام الدولي الجديد بين الهيمنة الاميركية وتهميش الامم المتحدة، ترجمة مالك الواسطي، مجلة شؤون سياسية، مركز الجمهورية للدراسات الدولية، بغداد، ع(٩)، مايس،١٩٩٤، ص٦٨.

(٢٧) جاد، عماد:حلف الاطلنطي والحرب في البلقان،مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، ع (١٣٧)، ١٩٩٩، ص ص ١٠٠

(٢٨) الشاهد، جاسر : تأثير استراتيجيات السياسة الأميركية على توجهات الناتو، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ع(١٢٩)، تموز،١٩٩٧،ص ٩٧ – ٩٨.

(29) – Simon, Jeffrey : The Next Round of Nato Enlargement, Strategic forum, Institute for National Strategic Studies, National Defense University, No.176, October/2000, p.11.

(٣٠) الشالجي، مندوب أمين : تطوير التحالفات العسكرية الأوروبية وانعكاسها على العرب، في فيصل عودة الرفوع وآخرون: العرب والقوى العظمى، ٣ – العرب وأوروبا، سلسلة المائدة الحرة، بيت الحكمة، بغداد، ع(٣٤)، ١٩٩٩، ص٧٥.

(٣١) رويجودنري، راجياسري: مصدر سابق ذكره، ص١٨.

(٣٢) فتحي، ممدوح أنيس : إجراءات عملية توسيع الناتو المشكلات والحلول المطروحة، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ع(١٢٩)، يوليو/١٩٩٧، ص٧٨.

(33) Baker, Tessa: North Atlantic Treaty Organization, NAIMUN XLIV, The Georgetown International Relations, Inc. www.georgetown.edu .

(٣٤) نعمة، كاظم هاشم : حلف الأطلسي التوسع إلى الشرق، الحوار مع الجنوب والأمن القومي العربي، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، ٢٠٠٣، ص١٢١.

(٣٥) المصدر نفسه، ص١٢٣.

(٣٦) ابو طالب، حسن : توسيع الناتو ومستقبل الامن الاوروبي، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، ع(١٢٩)، يوليو/١٩٩٧، ص١٠١.

(٣٧) حلف الناتو والشرق الاوسط الكبير، مصدر سابق ذكره، ص٦٥.

(٣٨) نعمة، كاظم هاشم : حلف الاطلسي، مصدر سابق ذكره، ص ص ١٣٩ – ١٤٠.

(٣٩) سولانا، خافيير : الناتو في تحول، ترجمة سميرة إبراهيم، في منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو)، سلسلة دراسات مترجمة، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ص٦.

(40)Mihailova, Nadezhda: Security in South – Eastern Europe and Bulgaria's Policy of Nato Integration, Nato Review, No.1, Vol.46, Spring/1998, p. p. 6 – 7.

(٤١) الاصفهاني، نبيه : الأمن والدفاع الأوروبي بعد قمة مدريد (يوليو/١٩٩٧)، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، ع(١٣٠)، ١٩٩٧، ص١٣٤. كذلك انظر حول انضمام الدول الثلاث:

– Solana Javier: On Course For A Nato of legations in 1999, Nato Review No.1, Vol.46, Spring/1998, p.p. 3 – 5.

(٤٢) كاباريني، ماريانا : إصلاح قطاع الأمن وتوسيع الناتو والاتحاد الأوروبي، في التسلح ونزع السلاح والأمن العالمي، الكتاب السنوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣، ص٤٠٠.

(٤٣) الشالجي، مندوب امين: مصدر سابق ذكره، ص٧٥.

(٤٤) علي، محمد جواد : قوات الاوروفور في حوض المتوسط وقوات الناتو الانتشار السريع، في الناتو... بين الفعل التقليدي والمهام المستحدثة، قضايا استراتيجية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ع(١)، ١٩٩٧، ص٢٢.

(٤٥) بريجنسكي، زبغنيو: عواقب انتهاء الحرب الباردة على الامن الدولي، سلسلة اوراق دلفي، المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، لندن، ع(٢٦٥)، شتاء ١٩٩١ – ١٩٩٢، ص ص ١٤ – ١٥.

(٤٦) العزاوي، رند حكمت: حلف شمال الاطلسي والجهود الاميركية لتكريس الاستراتيجية الجديدة للحلف، في حلف شمال الاطلسي الناتو الرؤية الاوروبية وخيارات الاستراتيجية الاميركية، قضايا دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ع(٤١)، ٢٠٠٠، ص٢٨.

(٤٧) جاد، عماد : حلف الاطلنطي والحرب في البلقان، مصدر سابق ذكره، ص ص ١٠١ – ١٠٢.

(٤٨) بشير، هاشم (اعداد): ادارة الازمات ونظام الناتو الجديد للأنذار المبكر، قراءات استراتيجية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجة، القاهرة، عن شبكة المعلومات الدولية (انترنت) www.ahram.org.eg

(٤٩) الهواري، عبد الرحمن رشدي : المهام المحتملة لحلف الناتو في الشرق الاوسط، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، ع(١٣٧)، يوليو/١٩٩٩، ص٢٨٠.

(٥٠) كالو، دومنيكو: مصدر سابق ذكره، ص٦٤.

(٥١) ابو طالب، حسن، مصدر سابق ذكره، ص١٠٢.

(٥٢) جاد، عماد:حلف الأطلنطي والحرب في البلقان، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ع(١٣٧)،تموز/١٩٩٩ ، ص ص ١٠١ – ١٠٢.

(٥٣) ثابت، احمد وايمان صبري (اعداد) : العيد الخمسون للناتو، قراءات استراتيجية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، عن شبكة المعلومات الدولية الانترنت www.ahram.org.eg.

(٥٤) أتالي، جاك : افاق المستقبل، احدث وادق استشراف للسياسات المتصارعة على الساحة الدولية في مستهل القرن الحادي والعشرين، ترجمة محمد زكريا اسماعيل، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢، ص١٠٧.

(٥٥) رويجودنري، راجياسري: مصدر سابق ذكره، ص١٠.

[٥٦] توفيق، سعد حقي : نزع السلاح بعد انتهاء الحرب الباردة "دراسة نقدية"، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، ع(٣٢)، شباط/٢٠٠٦، ص٩.

[٥٧] نوري، قيس محمد : الناتو الجديد : التوسع في مديات العمل، دراسات سياسية، بيت الحكمة، بغداد، شتاء/١٩٩٩ – ٢٠٠٠، ص٣١.

[٥٨] الدسوقي، فراد ابراهيم : الشراكة من اجل السلام واشكالية الامن في المنطقة العربية، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، ع(١١٦)، ابريل/١٩٩٤، ص٢٤٨.

[٥٩] سولانا، خافيير : مصدر سابق ذكره،ص١٢.

[٦٠] الاصفهاني، نبيه: الامن والدفاع بعد قمة مدريد، مصدر سابق ذكره، ص١٣٤.

[٦١] باسل، احمد : المهام الجديدة لحلف شمال الاطلسي، مجلة العلوم السياسية جامعة بغداد، ع(٢٦)، ٢٠٠٢، ص٥٧.

[•] تدخل حلف الناتو في حرب البوسنة والهرسك ضد قوات صرب البوسنة دعماً للامم المتحدة لكي يفرض العقوبات الاقتصادية ويحضر السلاح ويحدد منطقة لحظر الطيران ويوفر التخطيط العسكري الطارئ، الا انها كانت غير فعالة، فعملت حملة الناتو الجوية التي استمرت (١٢) يوماً في تعبيد الطريق الى اتفاقية دايتون، وهي اتفاقية السلام التي انهت حرب البوسنة واصبحت سارية المفعول في ٢٠/كانون الاول /١٩٩٥، وبموجب نصوص الاتفاقية، نشر الناتو قوات حفظ السلام لأول مرة مما قاد الى قوة تنفيذ المهام وقوامها (٦٠) الف فرد. ولاحقاً في اطار قوة توفير الاستقرار (اسفور). انظر في ذلك :

الناتو في القرن الواحد والعشرين،Nato Otan,Nato Public Diplomacy Division, Brouxells، ٢٠٠٤، ص١٦.

[٦٢] نعمه، كاظم هاشم : حلف الاطلسي، مصدر سابق ذكره، ص٢٤٤.

[٦٣] مظلوم، محمد جمال : حلف الناتو ودوره الجديد في المنطقة، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، ع(٨٤)، ٢٠٠٦، عن شبكة المعلومات الدولية الانترنت www.kkmaq.gov.sa

[٦٤] عماد جاد، "الجدل حول المفهوم الستراتيجي الجديد لحلف الأطلسي"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٣٦، نيسان١٩٩٩، ص٢١١.

[٦٥] الجاسور، ناظم عبد الواحد ، "حلف شمال الأطلسي (الناتو) والمفهوم الإستراتيجي الجديد"، متابعات دولية، العدد (٤٠) مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ٢٠٠٠،ص٣.

[٦٦] مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ٢٠٠٠،ص٢.

[٦٧] الهواري، عبد الرحمن رشدي : المهام المحتملة لحلف الناتو في الشرق الاوسط، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، ع(١٣٧)، يوليو/١٩٩٩، ص٢٨١.

[٦٨] توفيق، سعد حقي: الردع بعد انتهاء الحرب الباردة، المجلة القطرية للعلوم السياسية، جامعة بغداد، ع(٢)، ٢٠٠٢، ص٢.

[٦٩] العزاوي، رند حكمت: مصدر سابق ذكره، ص ص٢٨ – ٢٩.

[٧٠] علي، محمد جواد: حلف شمال الأطلسي والوظائف الجديدة، في حلف شمال الأطلسي (الناتو) الرؤيا الأوروبية وخيارات الإستراتيجية الأميركية، قضايا دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ع(٤١)، ٢٠٠٠، ص٨٧.

[٧١] محمود، احمد ابراهيم: الاستراتيجية العسكرية الاميركية في حرب البلقان، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، ع(١٣٧)، يونيو/١٩٩٩، ص١٢١.

[٧٢] فهمي، عبد القادر محمد: الاستراتيجية العسكرية الاميركية بعد الحرب الباردة، فرضيات اساسية لمظاهر التغيير، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، ع(٢١)، تموز/٢٠٠٠، ص ص ١٠٧ – ١٠٨.

[٧٣] الحيالي، نزار اسماعيل: دور حلف شمال الاطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، اطروحة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص١١١.

[٧٤] جاد، عماد: حلف الاطلنطي وحرب البلقان، مصدر سابق ذكره، ص١٠٢.

[٧٥] المصدر نفسه، ص١٠٥.

[٧٦] حسن، حارث محمد: المنظور الاوروبي الجديد لحلف الناتو، في حلف شمال الأطلسي (الناتو) الرؤيا الأوروبية وخيارات الإستراتيجية الأميركية، قضايا دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ع(٤١)، ٢٠٠٠، ص٣٦.

[٧٧] الهواري، عبد الرحمن رشدي، مصدر سابق ذكره، ص٢٨٢.

[٧٨] عبد الصادق، علي: الناتو والشرق الاوسط الكبير، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، ع(١٦٣)، يناير/٢٠٠٦، ص١٦١.

[٧٩] كابا ريني، ماريانا: اصلاح قطاع الامن وتوسيع الناتو والاتحاد الاوروبي، في التسلح ونزع السلاح والامن العالمي، الكتاب السنوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣، ص٣٩٥.

[٨٠] مصطفى، نادية محمود: حرب كوسوفا في التوازنات الاوروبية والعالمية الجديدة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع(٢٤٥)، تموز/١٩٩٧، ص ص ١١٨ – ١١٩.

[٨١] الهواري، عبد الرحمن رشدي: مصدر سابق ذكره، ص٢٧٩.

[٨٢] نعمة، كاظم هاشم : حلف الاطلسي، مصدر سابق ذكره، ص٢٠٣.

[٨٣] المصدر نفسه، ص٢٠٤.

[٨٤] نوري، قيس محمد: مصدر سابق ذكره، ص٣٢.

[٨٥] الحيالي، نزار اسماعيل: المهمات الجديدة للناتو والتطبيقات المحتملة، دراسات سياسية، بيت الحكمة، بغداد، ع(٣)، شتاء ١٩٩٩ – ٢٠٠٠، ص ص ٣٧ – ٣٨.

[٨٦] المصدر نفسه، ص٣٨.

[٨٧] العزي، غسان: سياسة القوة مستقبل النظام الدولي والقوى العظمى، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ٢٠٠٠، ص ص ١٧٧ – ١٧٨.

[٨٨] القصاب، عبد الوهاب: الهيكل التنظيمي القيادي العسكري الجديد للناتو، دراسات سياسية، بيت الحكمة، بغداد، ع(٣)، شتاء ١٩٩٩ – ٢٠٠٠، ص ص ٥٤ – ٥٥.

[٨٩] الداود، محمود علي: المشاريع المستقبلية لحلف الاطلسي والامن القومي العربي، في عبد اللطيف علي المياح وآخرون: توسيع الاطار الجغرافي لحلف الاطلسي الواقع والتوقعات، اوراق عربية، مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٩٩، ص١٠.

[٩٠] القصاب، عبد الوهاب : مصدر سابق ذكره، ص٥٥.

[٩١] بلعيد، شكري: نظام دولي جديد ام مرحلة انتقالية؟ مجلة شؤون سياسية، مركز الجمهورية للدراسات الدولية، بغداد، ع(٣)، ١٩٩٤، ص٥٦.

[٩٢] موسى، عبدة مختار: مستقبل العلاقات السودانية – الاميركية بعد اتفاقية السلام، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع(٣١٩)، ايلول/٢٠٠٥، ص٦٠.

(٩٣) عبد أسعيد، محمد توهيل فايز: علم الاجتماع السياسي، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٩٩، ص٢٨١.

(٩٤) النجفي، سالم توفيق: عالم متعدد الاقطاب بدون قوة مهيمنة، الحكمة، بيت الحكمة، بغداد، ع(٢٢)، كانون الثاني/٢٠٠٢، ص١٠١

(٩٥) مصطفى، ممدوح محمود: مفهوم "النظام الدولي" بين العلمية والنمطية، دراسات استراتيجية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، ع(١٧)، ١٩٩٨، ص٣٧.

(٩٦) نوري، قيس محمد وآخرون : تقديم، في، زبغنيو بريجنسكي: جيواستراتيجية اوراسيا، ترجمة عبد الوهاب القصاب، افاق استراتيجية، بيت الحكمة، بغداد، ع(١)، شتاء ١٩٩٨ – ١٩٩٩، ص٢.

(٩٧) نعمة، كاظم هاشم: مستقبل توزيع القوى في النظام العالمي الجديد وجهة نظر جيوبوليتيكية، في باسل البستاني (محرر): مصدر سابق ذكره، ص٩٨.

(٩٨) سيد، كريم: ادارة الازمة الدولية في ظل النظام الدولي الجديد (انموذج ازمة حرب الخليج)، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، ع(٩)، شباط/١٩٩٣، ص١٦١.

(٩٩) العايب، خير الدين: مسار الافتراق الاوروبي عن الولايات المتحدة، مجلة الفكر السياسي، دمشق، ع(١٦)، ٢٠٠٢، عن شبكة المعلومات الدولية (انترنت) www.awu-dam.org

(١٠٠) عاروري، نصير: حروب جورج دبليو بوش "الوقائية" بين مركزية الخوف وعولمة ارهاب الدولة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع(٩٢٧)، تشرين الثاني، ٢٠٠٣، ص ص ٨ – ٩.

(١٠١) الامارة، لمى مضر: التوظيف الاستراتيجي الأمريكي لقضية الإرهاب، مجلة دراسات سياسية، بيت الحكمة، بغداد، ع(١١)، شتاء ٢٠٠٣، ص١٣٦.

(١٠٢) موسى، عبدة مختار: مصدر سابق ذكره، ص٦٢.

(١٠٣) هنتنغتون، صاموئيل: تآكل المصالح القومية الاميركية، ترجمة سهيل احمد حسين، مجلة ام المعارك، بغداد، ع(٤)، ١٩٩٨، ص٢٣.

(١٠٤) فرسون، سميح: جذور الحملة الاميركية لمناهضة الارهاب، في احمد بيضون واخرون: العرب والعالم بعد ١١/ايلول – سبتمبر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، سلسلة دراسات المستقبل العربي(٢٣)، اذار /٢٠٠٤، ص١٨٨.

(١٠٥) نيكسون، ريتشارد: اميركا والفرصة التاريخية، كيف تواجه اميركا الدولة العظمى الوحيدة التحديات العالمية الراهنة، ترجمة محمد زكريا اسماعيل، مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٢، ص٢٥١.

(١٠٦) بريجنسكي، زبغنيو: خطة لأوروبا في منظمة حلف شمال الاطلسي الناتو، ترجمة سميرة ابراهيم، مركز الدراسات الدولية، بغداد، ص٣٢.

(١٠٧) حميد، هالة خالد: الاستراتيجية الاميركية الجديدة واساليب تنفيذها "ثلاثية الهيمنة الاميركية" النفط، الاحتواء، الانتشار، دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ع(٢٢)، كانون الاول/٢٠٠٣، ص ص ٣٥ – ٣٦.

(١٠٨) الامارة، لمى مضر: مصدر سابق ذكره، ص١٢٤.

(١٠٩) رسم خريطة المستقبل العالمي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع(٣١٣)، ص٥٥.

(١١٠) لوتواك، ادوارد: اين هي القوة العظمى؟، مجلة شؤون سياسية، مركز الجمهورية للدراسات الدولية، بغداد، ع(٤)، ١٩٩٥، ص٦٧.

(١١١) هنتنغتون، صاموئيل: صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة،مالك عبيد وشيهون محمود محمد، دار الجماهير، ليبيا، بيروت، ١٩٩٩، ص٣٣٦.

[١١٢] الشطي،اسماعيل: تحديات استراتيجية بعد احداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، في احمد بيضون وآخرون: مصدر سابق ذكره ص ص١٣٩- ١٤٠.

[١١٣] اومليل، علي: حلف الاطلنطي والاسلام، مجلة المنتدى، منتدى الفكر العربي، عمان، م (١٠)، ع(١١٤)، اذار /١٩٩٥، ص٣.

[١١٤] هنتنغتون، صاموئيل: مصدر سابق ذكره، ص ص ٣٧٩ – ٣٨٠.

[١١٥] نيكسون، ريتشارد: اميركا والفرصة التاريخية، مصدر سابق ذكره، ص١٨٧.

[١١٦] فوكوياما، فرانسيس: نهاية التاريخ، ترجمة وتعليق حسين لشيخ، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٣، ص٦١.

[١١٧] برجينسكي، زبغنيو: الاختيار السيطرة على العالم ام قيادة العالم، ترجمة، عمر الايوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤،ص ص ١٠٢- ١٠٣.

[١١٨] هنتنغتون، صاموئيل: صدام الحضارات، مجلة شؤوون سياسية، مركز الجمهورية للدراسات الدولية، بغداد، ع(١)، ١٩٩٤ص١٢٢.

[١١٩] بريجنسكي، زبغنيو: الفوضى،الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين،ترجمة،مالك فاضل البديري، الاهلية، عمان،١٩٩٨، ص١٣٨.

[١٢٠] مجلس المخابرات القومي الاميركي، مشروع سنة٢٠٢٠: رسم خريطة المستقبل العالمي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع(٣١٣)، اذار/٢٠٠٥، ص٥٣.

[١٢١] هنتنغتون، صاموئيل: صدام الحضارات وبناء النظام العالمي الجديد، مصدر سابق ذكره، ص ١٦٩.

[١٢٢] نعمة، كاظم هاشم: حلف الاطلسي، مصدر سابق ذكره، ص٢١٩.

[١٢٣] خليل، بكري محمد: الدوافع الايديولوجية في مفهوم هنتنغتون حول صدام الحضارات، افاق عربية، ع(١ – ٢)، كانون الثاني – شباط/٢٠٠٠، ص١٢.

أثر استراتيجية التنبؤ الموجه في تحصيل مادة التاريخ لطلاب الصف الرابع الادبي

الكلمات المفتاحية: استراتيجية دليل التوقع، طريقة التدريس التقليدية، التنبؤ الموجي

م. قاسم ارزوقي قاسم*

The effect of the Anticipation Guide strategy on the achievement of history for fourth-grade literary students

Keywords: Anticipation Guide strategy, traditional teaching method, wave prediction

مستخلص البحث

يهدف البحث إلى معرفة أثر استراتيجية التنبؤ الموجه في تحصيل مادة التاريخ لطلاب الصف الرابع الادبي ، اختار الباحث المنهج التجريبي ذا الاختبار البعدي والضبط الجزئي، تم تحديد شعبة الرابع - أ - من إعدادية الثورة للبنين بوصفها مجموعة تجريبية لتطبيق الاستراتيجية، وشعبة الرابع - ب - الضابطة التي لاتدرس بالاستراتيجية، بلغ عدد الطلّاب في المجموعتين /٧٠/ طالباً بواقع /٣٥/ طالباً في كلّ مجموعة. كافأ الباحث بين المجموعتين في: (العمر محسوب بالاشهر ومتغير الذكاء). وأعد الباحث أداة ألبحث ألاختبار ألتحصيلي، واستخرج لها ألصدق و الثبات، وتم معالجة البيانات بواسطة الاختبار ألتائي لعينتين مستقلتين، واستمرت التجربة الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (٢٠٢١- ٢٠٢٢). كشفت نتيجة البحث التفوق لصالح المجموعة التجريبية التي طبق عليها استراتيجية التنبؤ الموجة في التحصيل، و أوصى الباحث استعمال استراتيجية التنبؤ الموجه في التدريس.

Abstract:

The research aims: to know the effect of the "Anticipation Guide strategy" on the achievement of history for fourth-grade students of middle school.

The researcher: used the experimental desìgn with partial control with the post achievement test.

Division –A- of the fourth literary grade, "Al-Thawra Preparatory School" for Boys, was determined to represent the experimental group: that is taught according to the "Anticipation Guide strategy", and Division –B- represented the control group that studies the traditional teaching method. The number of students was -70- students, with -35- students in each Collection. The two groups were rewarded in the variables: chronological age, intelligence. The researcher prepared the research tool, the achievement test, and the validity and reliability of the tool were verified. The :-T-test- test was used to process the data:, and the results showed the superiority of the experimental group that was studied according to the Anticipation Guide strategy in achievement, and the researchers recommended using the wave prediction strategy in teaching.

* كلية الامام الكاظم(عليه السلام)
qassim.razouki@alkadhum-col.edu.iq

مشكلة البحث: problem of the Reserch

تعد مشكلة انخفاض مستوى التحصيل لدى الطلاب في مادة التاريخ المرحلة الاعدادية من المشكلات التي تشغل من له علاقة بالتربية والتعليم جميعا، الأمر الذي يظهر عملية التناقض مع الاتجاهات التعليمية الحديثة التي تؤكد الحاجة الى استعمال الاستراتيجيات التعلم وادواته التي تجعل الطالب مركز العملية التعليمية، فنعيش اليوم في عصر العولمة و التطور العلمي و التكنولوجي في المجالات كافة التي شهدت تطوراً سريعاً في تدفق المعلومات فما أحوجنا إلى الدخول في هذا العصر وما أحوجنا إلى المعرفة، ويتم ذلك بالإفادة من أستراتيجيات التدريس وادواته المتنوعة والحديثة لتحقيق احتياجات الطلاب والمجتمع في عالم متجدد ومتغير لمواكبة التقدم المعرفي المتلاحق والمتسارع، لكن بالرغم من ذلك نرى أنَّ المواد الدراسية على نحو عام و التاريخ في المرحلة الاعدادية على نحو خاص يدرس بواسطة استعمال طرق الحفظ واقتراح المعلومات، لتعليم الحقائق التاريخية للطلّاب وتعتمد على تذكر المعلومات فقط ، ويبقى الطالب يلعب دورا سلبيا في الموقف التعليمي؛ فهو يكتفي باستقبال ما يتم تدريسه في كتاب مادة ألتاريخ ألمنهجي، ويجب عليه قبول كلّ ما هو مذكور فيه من غير ادراك وتفسير وتوظيف المعنى، ويتضح ذلك من خلال مشكلة البحث من الواقع التعليمي للمرحلة الاعداديه، مما يدل على انخفاض مستوى التحصيل في التاريخ – تاريخ ألحضارة ألعربية الإسلامية -، الذي توضح للباحث من خلال متابعته لدرجات التحصيل في هذه المادة للسنوات السابقة؛ والاجتماع مع بعض مدرسي هذا الموضوع في المدارس الثانوية للمحافظة وما دار فيها من حوار ونقاش عن الطرائق و الاستراتيجات المتبعة في تدريسهم لها، وظهر أن التدريس كان يعتمد المحاضرة التي تتناوب مع الإلقاء، والأسئلة القصيرة، وأخذ معلومات الحفظ والتعلم بناء على تذكر المعلومات.

يستنتج الباحث أنَّ الاسلوب التقليدي في التدريس لايرفع مستوى تحصيل الطلاب وتسبب في انخفاض مستواه وهو مشكلة تواجه ألتعليم ألثانوي، و لمواكبة الاتجاهات التربوية الحديثة في تاكيدها استعمال الاستراتيجيات الحديثة و لذلك فقد حددت المشكلة بالسؤال الآتي :-

ما أثر أستراتيجية التنبؤ الموجه في تحصيل مادة التاريخ لطلاب الصف الرابع الادبي؟

أهمية ،البحث : Importance of the research

يعد ألتاريخ ضروري ومهم لأنه مجال معرفي وهو من بين الاتجاهات الضرورية التي تساهم في تحقيق الأهداف التعليمية من أجل تكوين روح المواطنة وتنمية احترام الذات وإعطاء الطلاب الاتجاهات والقيم والسلوكيات المرغوبة، فضلا عن تطوير التفكير التاريخي، وكذلك تركيزه على تنمية التفكير التاريخي(سعادة وابراهيم،١٩٩١: ص١٧).

ان مادة التاريخ للمرحلة الاعدادية وما سيحتويه من معلومات تاريخية تتطلب من الطالب البحث والتقصي عنها، أي تحويل التعليم من التلقين والتلقي الى عملية تعمل على استثارة دافعية الطالب وحب التعلم وتنمية الفضول المعرفي لديه، وذلك من خلال توجيه الاسئلة من قبل المدرس للبحث عن المعلومات التي يتم طرحها في الدرس، و المحفزة للفضول المعرفي والاستكشاف، وبالتالي تحقيق تحصيل عالي، وهذا يتفق مع ما اشار اليه - بيرلاين- الذي أكد أنّ الفضول هو ردّ فعل للمثيرات

الجديدة و يتطلب مشاعر الاهتمام والشك، وهذه الحالات الداخلية يفترض انها تحفز السلوك الاستكشافي للمثيرات الجديدة من أجل اكتساب معلومات جديدة عنها(Collins et al,2004,P:1128).

نظرا لأهمية موضوع التاريخ في المرحلة الثانوية، ونتيجة لاحتياجات الطلاب، كانت هناك حاجة لاستراتيجيات التدريس الحديثة، ومن بين الاستراتيجيات التي تجعل الطالب مركز الموقف التعليمي هي أستراتيجية التنبؤ الموجة، الذي يركز على توفير المعرفة والمعلومات للطالب ويتجاوز دراسة الحقائق لتحقيق فهم أعمق للعالم من حوله والمجتمع العالمي المتنوع الذي يعيش فيه. هذا يسمح له بتقييم المعلومات في المواقف الجديدة وتطبيقاتها. فاستراتيجية التنبؤ الموجه تمكن الطالب من كيفية اصدار الحكم عن صحة المعلومات أو عدم صحتها ومن خلالها يتم تطوير فهم أعمق للمعلومات و الأحداث التي من شأنها مساعدته للتوافق مع تغيرات الحياة التي لا يمكن التنبؤ بها

(Mctighe & Elliott ,2011,p15).

في ضوء ما سبق، يمكن للباحث تحديد أهمية الدراسة والحاجة إليها على النحو التالي :

١- الحاجة إلى تحسين الأداء الأكاديمي لطلاب المرحلة الاعداديه للصف الرابع في موضوع التاريخ.
٢- كانت هناك حاجة لاستعمال الاستراتيجيات الحديثة في تدريس ذلك التي تتوضح فاعليتها بما تحتويه من اجراءات و خطوات تدريسية مناسبة تسهم في تحقيق أهداف العملية التعليمية، في المواقف التعليمية التعلمية التي ترفع مستوى التحصيل من خلال ازدياد التنبؤ بالمعلومات وزيادة أثرها وعدم نسيانها، وارتباط المعلومات التاريخية الوثيقة لتحقيق الاهداف التربوية في التعليم الثانوي لضمان التطور المعرفي الفعال الذي يساعد الطلّاب على استعمال مهارات التفكير التاريخي لتحقيق النجاح و التوافق الصحي في مجال التعلم ورفع مستوى التحصيل.

هدف البحث : The aim of research

يهدف البحث الحالي تعرف أثر استراتيجية التنبؤ الموجه في تحصيل مادة التاريخ لطلاب الصف الرابع الادبي.

فرضية البحث: Hypotheses of research

-الفرضيه الصفرية الآتية:

""لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة -٠.٠٥- بين، متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا، مادة التاريخ وفقا لاستراتيجية التنبؤ الموجه، و متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا المادة نفسها بالطريقة التقليدية في التحصيل"".

حدود البحث: Limitation of the research

يتحدد البحث الحالي :-

- عينة من طلاب الصف الرابع الادبي في محافظة ميسان.
- الفصل الدراسي الثاني للعام ٢٠٢١/٢٠٢٢م
- موضوعات من الفصل الثاني(تاريخ الحضارة العربية الاسلامية.)

تحديد، المصطلحات:Define terms

أولا- أستراتيجية التنبؤ الموجه Anticipation Guide Strategy

- عرفها فيشر و آخرون (Fisher et al,2011) بانها:

استراتيجية تشجع الاهتمام والفضول في المادة التعليمية عند عرضها على الطلاب، كما تساعد الطلاب على لعب دور أكثر نشاطا في العملية التعليمية وتحفيزهم على امتلاك مهارات تحليلية ومنطقية ودعم آرائهم بالأدلة والبراهين، فضلاً عن مساعدتهم على رؤية الموضوعات من زوايا مختلفة، مما يسهل على الطالب فهم المعلومات والتنبؤ بها مسبقا، ثم التحقق مما إذا كان التنبؤ صحيحا أم لا. (Fisher et al,2011:p.42)

التعريف الإجرائي:-

استراتيجية تعليمية يتبناها الباحث لتحفيز الادراك عند طلّاب المجموعة التجريبية من خلال توفير نص للقراءة وتوجيه سؤال تنبؤي لطلاب الصف الرابع الادبي لتحقيق أهداف تدريس موضوعات تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في أثناء تطبيق التجربة.

٣- التحصيل: Achievement

عرفه (السعدون، ٢٠١٢):

" وهو من عوامل التكوين العقلي ودرجة التحصيل للطالب في دراسة الموضوعات الدراسية ويتم تأكيده في ضوء إجابته على ما يتضمنه من اختبارات التحصيل "(السعدون، ٢٠١٢ ص٣٢).

التعريف الاجرائي:

هي درجة انجاز الغرض الذي تهدف الية استراتيجية التنبؤ بالموجه إلى تحقيقه ،الذي يتم من أجله إجراء اختبار بعد أن يقيس الباحث عدديا إنجازات عينة البحث من الطلّاب لتحقيق أهداف المادة التعليمية.

خلفية نظرية :

- **استراتيجية التنبؤ الموجة**

استراتيجية التنبؤ الموجه هي استراتيجية ادراك واستيعاب تُستعمل قبل شرح الموضوع لتنشيط المعرفة السابقة لدى الطلّاب وخلق حب الاستطلاع والحماس حول الموضوع الجديد، إذ يستع الطلّاب أو يقرأون عبارات عدة عن المعلومات الأساسية المعروضة في النَصّ؛ وغالباً ما يتم تنظيمها في سلسلة من العبارات التي تمكن الطالب من الموافقة أو عدمها عَليها وتحفز استراتيجية التنبؤ الموجة اهتمام الطلّاب بموضوع ما وتحدد الغرض من تعلمه (Duffelmeyer, 1994:p.452)

يكون المدرس ساندا تعليميا للطلاب في مراحل تعلمهم ويشارك الطلاب بنشاط في المناقشة حول كل من العبارات الموجودة في جدول التنبؤ الموجه، فعندما يقوم المدرس بتقديم الاسناد لطلّابه، فإنه يزودهم بالمهارات اللازمة والفهم لإكمال الدرس او النشاط أو قراءته أو القيام به بنحو صحيح و في هذا النشاط، يمكن للمدرس أن يضع نموذجاً للمادة بصورة جدول و يدعمها في البداية، وبعد ذلك يدع الطلاب يكملون مهام التعلم في التنبؤ (Wright, 2015:p.15).

يمكن للمدرس مساعدة الطلاب في تنمية المعرفة الأساسية من خلال:

تضمين تقنيات في الدروس مثل اسئلة التنبؤ باستعمال التقنيات التربوية، عندها يبدأ الطلّاب في تطوير إطار معرفي لتعلمهم وفهمهم ، اذ يبنون مخزون من الخبرات الأساسية التي يمكن من خلالها تكوين البنى المعرفية (Echevarria, et al, 2013: p.66).

لذا يتم استعمال استراتيجية التنبؤ الموجه في القراءة، لتنشيط المعرفة السابقة للطلاب وإثارة الحماس لديهم وفضولهم بشأن موضوع جديد قبل القراءة، ويستمع الطلّاب إلى المدرس أو طالب آخر يذكر الأفكار الرئيسة عن المعلومات الموجودة في النص و يمكنهم أيضاً من قراءة العديد من البيانات عن المعلومات الأساسية الواردة في النص و عادةً ما يتم وضع العبارات في نموذج يقول فيه الطالب إنه صحيح أو خاطئ (Reading Rockets, 2015,p.45) .

٢ـ فوائد أسسنراتيجية ألتنبؤ ألموجه :

- يمكن تطبيق اسنراتيجية، ألتنبؤ الموجه واكمالها شفويا.
- يمكن تعديل عدد العبارات لتناسب احتياجات المتعلم.
- يمكن للمدرسين تخصيص فقرات قراءة مختلفة عن نفس الموضوع بناءً على الأَهداف المطلوب تحقيقها.
- تلوين أعمدة الاجابة في الجدول حتى يتمكن المتعلم من التمييز بوضوح بين العمود "قبل" و "بعد."
- استعمال جملاً بسيطة لكي يركز الطالب على المحتوى بدلاً من فهم الجملة .مثال: "نظام الحكم في الحضارة الاسلامية قائم على اساس العدل و الشورى" إلى " استفادت الحضارة الاسلامية من الحضارات الانسانية التي سبقتها." الشكل ادناة يمثل جدول التنبؤ الموجة.

(Wood, et al, 2008:p.52)

التنبؤ الموجه					
النص المختار	قبل دراسة النص النارخي		بعد دراسة النص النارخي		الدليل
	صحيح	خاطئ	صحيح	خاطئ	
الاثاث المستعمل في البيوت المصنوعة من القصب هي الحصران.					
(ملكية -ارض الصلح): الاراضي ،التي صالح، اهلها يدفعوا عنها ضريبة للعرب المسلمين الذين حرروا بلادهم وتبقى اراضيهم في ايديهم					
(ملكية- الارض ،الخراجية الاراضي دفع ضريبة الخراج عنها و تبقى بأيدي اهلها)					
نظام المقاسمة وفقا لري الأرض تأخذ، الدولة نسبة معينة من الحاصل الزراعي					
حررالعرب المسلمون الفلاح في العراق من سيطرة الاقطاع الساساني يعد الفلاح عبداً					

الخلفاء العباسيون صادروا الأراضي وعدوها فيما بعد ضياعاً سلطانية و اصطفاها الإمويون لأنفسهم وجه ذلك					

٣-خطوات استخدام استراتيجية التنبؤ الموجه:

- **إنشاء جدول التنبؤ الموجه :**

يجب أن يكون إنشاء جدول التنبؤ الموجه بسيطًا قدر الإمكان للطلّاب .بكتابة أربعة إلى ستة عبارات عن الأفكار الرئيسة في النص ؛ بعضها صحيح وبعضها خاطئ ،يقوم المدرس بتضمين الأعمدة التي تلي كلّ عبارة، و يمكن تركها فارغة أو يمكن تسميتها " نعم "أو " لا " او يكتب صحيحاً او خاطأ .

- **يمكن اضافة اعمدة اضافية للجدول :**قد يرغب المدرس في إنشاء عمود إضافي لمراجعة جدول التنبؤ الموجه بعد قراءة الموضوع.
- **نمذجة العملية** : يقدم المدرس النص أو مادة القراءة ويشارك الجدول مع الطلاب كنموذج لعملية الرد على العبارات الواردة في الجدول وتمييز الأعمدة.
- يقرأ المدرس كلّ عبارة ويسأل الطلاب عما إذا كانوا يوافقون عليها أو لا يوافقون عليها و يوفر الفرصة للمناقشة.
- لا ينصب التركيز على الإجابات الصحيحة ولكن على مشاركة ما يعرفونه والتنبؤ به.
- يقرأ المدرس النص بصوت عالٍ أو يطلب من الطلاب قراءة النص المختار بنحو فردي.
- في حالة القراءة بصوت عالٍ، يجب على المدرسين القراءة ببط ء والتوقف عند أماكن في النص تتوافق مع كلّ عبارة من العبارات.

يختتم المدرس القراءة كمراجعة كل من العبارات.(Head, and Readence, 1992:p. 227)

ثانيا : التحصيل: Achievement

يعد التحصيل الدراسي أنشطة نفسية ذهنية ناتجة عن التعلم، و بمثابة نتائج بيئية ونتائج مدرسية، مشيراً إلى أن التحصيل والتعلم وجهان لعملة واحدة، وحدوث أحدهما يفترض حدوث الآخر في الأحوال العادية للدماغ البشري، وهو النتيجة المباشرة للتعلم، والتعليم نفسهُ يعتمد على قدرة بشرية مهمة تسمى الذكاء في الشخصية. لذلك ، فإنَّ التعليم الإنتاجي بوصفه مفهوماً نفسياً هو ترميز الزيادة الكيميائية الحيوية أو الكهروكيميائية للنبضات العصبية التي تمر من خلايا الدماغ وفقاً لتخصصاتها المختلفة على اعتبار أن الرسائل الحسية القادمة للدماغ تمر من بوابة الإدراك البصري، والسمعي، والشمي، والذوقي، والحسي، واللمسي إلى المدخلات الحسية للدماغ (حمدان،١٩٩٦: ص٩ــ١٠).

انواع التحصيل الدراسي :

أ: التحصيل الدراسي المعرفي:

يشمل هذا التحصيل مستويات العمليات العقلية المختلفة للمتعلم، من استرجاع المعلومات التي يسمعها أو يقرئها، وصولا إلى فهم ما يعنيه وتطبيقه، إلى تحليل ما بينها من علاقات متشابكة، ثم الحكم على المضمون من حيث الموضوعية، والدقة، والحداثة.

ب: التحصيل المهاري :

يتمثل هذا النوع من التحصيل الدراسي بالمهارات الحركية لإطراف الجسم الإنساني، مثل حركات اليد أو القدم أو الجسم كله، إذ من الضروري أن يتوافر المحك أو المعيار الذي عن طريقهُ يتم قياس أداء المهارة في الزمن أو بالنسبة المئوية للدقة بالأداء .

قام – سمبسون - بتصنيف المجال الحركي المهاري إلى مستويات عدة وهي :

مستوى الإدراك الحسي

مستوى الاستعداد

مستوى الاستجابة الموجهة

مستوى الآلية

مستوى الاستجابة المعقدة

مستوى التعديل

مستوى الإبداع

ج: التحصيل الدراسي الوجداني :

يتطرق هذا النوع من التحصيل إلى العواطف واثارة المشاعر، و اذ يتعامل مع جميع ما في القلب من مشاعر واتجاهات وقيم أحاسيس، تؤثر في نشاطه المتنوع ومظاهر سلوكه (سعادة، وإبراهيم،١٩٩١:ص٣٢٩).

الدراسات السابقة: previous studies

دراسة فالي واخرون (Valle et al,2020) أثر أستراتيجية التنبؤ الموجه على توزيع الانتباه البصري في بيئة الوسائط المتعددة، أجريت هذه الدراسة في ولاية كنت في الولايات المتحدة الامريكية، وهدف البحث تعرف أثر أستراتيجية التنبؤ الموجه على توزيع الانتباه البصري في بيئة الوسائط المتعددة و تتبع العين و لدعم البحث عن توزيع الانتباه البصري في بيئة تعليمية متعددة الوسائط.
فقد تكونت عينة البحث من ١٧ متعلما تم تقسيمها على مجموعتين تجريبية واخرى ضابطة. وتم استعمال اختبار نقل المعرفة الذي تضمن ستة أسئلة متعددة الخيارات تستند إلى السيناريو المستخدم في اختبار نقل المعرفة هو اختبار التذكر ، حيث طُلب من المتعلمين أن يتذكروا الكلمات والمفاهيم ويتكون من ثلاثة بدائل. وعند استعمال اختبار ويلكوكسون. اظهرت النتائج تفوق المجموعة التجريبية التي درست باستراتيجية التنبؤ الموجه في توزيع الانتباة البصري بين النص و الصورة و تفوق في اختبار نقل المعرفة (Valle, et al 2020,p.2-25).

- **دراسة انتوني (Antoni,2017)** أثر استخدام استراتيجية التنبؤ الموجة على اثارة الاهتمام بالقراءة وفهمها لدى طلاب الصف الثاني عشر، اجريت الدراسة في نايجيريا. الكشف عن تاثير استراتيجية التنبؤ الموجه على اثارة الاهتمام بالقراءة وفهم القراءة لدى طلاب الصف الثاني عشر.

كان التصميم العاملي ٢x ٢ و تكونت عينة البحث ٣٢٢ متعلما مقسمين على ٦ شعب من الصف الثاني عشر و سحبت العينة بالاسلوب العنقودي العشوائي. وكانت اداة البحث اختبار الفهم القرائي ، استعمل في البحث الوسائل الاحصائية تحليل التباين الاحادي و الاختبار التائي لعينتين مستقلتين. وكانت النتائج، تحقيق فهم قراءة أفضل النص فيما يخص المجموعة التي درست باستخدام استراتيجية التنبؤ الموجه((Antoni, 2017.p:12

منهجية البحث و أَجراءاته

المنهج المتبع: اعتمد الباحث منهج البحث التجريبي، لتحقيق هدف البحث.

التصميم التجريبي :

اختير تصميم المجموعتين (مجموعة ت / والأخرى ض) ذات ضبطا جزئياً.

المجموعتان	المتغير المستقل	الاختبار البعدي	المتغير التابع
التجريبية	استراتيجية التنبؤ الموجه	الاختبار التحصيلي	اختبارالتحصيل البعدي
الضابطة	الاعتيادية		

مجتمع البحث :

تمثل مجتمع البحث من طلّاب المدارس الاعدادية التابعة لمديرية تربية محافظة ميسان الدراسة الحكومية الصباحية للعام الدراسي ٢٠٢١-٢٠٢٢م.

عينة البحث :

اختير طلاب، الصف الرابع الادبي من اعدادية الثورة للبنين / حي الشبانة عشوائيا لتمثيل العينة، بالأَسلوب، العشوائي وحدد الباحث طلّاب ألصف ألرابع الأَدبي الشعبة - أ - المجموعة التجريبية التي تدرس تاريخ الحضارة العربية الاسلامية على وفق استراتيجية التنبؤ الموجه، والشعبة – ب - تمثل الضابطة و تدرس تاريخ الحضارة العربية الاسلامية بالطريقة التقليدية، بلغ عدد الطلّاب - ٧٠ - طالباً بواقع -٣٥- طالباً.

ألتكافؤ بين المجموعتين :

تم مكافئة المجموعتين كما ياتي :

-العمر.

-الذكاء.

العمر الزمني، بالأشهر للمجموعتين:

جُمِعت المعلومات العُمر الزّمنيّ للطلاب و كان مُتوَسِّط أَعمار طلاب المجموعة التجريبية ١٨٨,٢٥٤ شهرا و مُتوَسِّط اعمار طلّاب الضّابِطة هو١٨٨,٣١٢ شهراً ، تم تطبيق الأَختبار التائي - T-Test - للعينتين المستقلتين لتعرف دلالة الفرق في متوسط الأَعمار للمجموعتين ، و ظهرت القيمة التائية المحسوبة - ٠,١٥٤- أصغر من الحرجة ٢ عند دلالة ٠.٠٥ وبدرجة حرية ٦٨ ، جدول -١- والنتيجة تظهر أن المجموعتين متكافئتان إحصائياً في العمر.

ألجدول -١-

يبين النتائج لاعمار طلّاب العينة

المجموعة	العينة	م.الحسابي	ن.معياري	د-ح	التائية		مستوى الدلالة ٠.٠٥
					محسوبة	جدولية	
التجريبية	٣٥	١٨٨.٢٥٤	١.٢٤٥	٦٨	٠,١٥٤	٢	غير دالة
الضابطة	٣٥	١٨٨.٣١٢	١.٨٥٤				

الذكاء :

طبق اختبار رافن للذكاء ، والمقنن على الواقع العراقي (الدبّاغ ، ١٩٨٣: : ٦٠٠) وبعد تطبيق الإختبار ، كان متوسط التجريبية -٢١٣, ٤٥- و متوسط \الضابطة -٩٨٦, ٤٤-، وظهرت التائية المحسوبة - ٠,٤٠٢ - أقل -٢- عند دلالة -٠,٠٥- وبدرجة حرية -٦٨- ، وظهر ان التكافؤ بين المجموعتين ، يبين ذلك جدول -٢-.

الجدول-٢-

القيمتان التائيتان المحسوبة والجدولية في إختبار الذكاء للمجموعتين

ألمجموعة	الافراد	م. الحسابي	انحراف معياري	د.ح	القيمتان التائيتان		مستوى الدلالة ٠,٠٥
					ألمحسوبة	ألجدولية	
التجريبية	٣٥	٤٥.٢١٣	٢.٤١٢	٦٨	٠,٤٠٢	٢	غير دالة
الضابطة	٣٥	٤٤.٩٨٦	٢.٣١٥				

مستلزمات البحث:

- المادة التعليمية :

حددت المادة التعليمية من - تاريخ الحضارة العربية الإسلامية – موضوعات الفصل الثاني من كتاب التاريخ الطبعة الخامسة المقرر من وزارة التربية للعام الدراسي ٢٠٢١ / ٢٠٢٢م.

- الخطط التدريسية و الأغراض السلوكية :

تم اعداد الخطط التدريسية للمجموعتين في المحتوى والاغراض السلوكية لموضوعات - تاريخ الحضارة العربية الاسلامية- تم إعداد -١٤- خطة تدريس لكلّ مجموعة و صياغة -١٢٠- غرضاً سلوكياً لمحتوى المادة المقرر تدريسها في الفصل الدراسي الثاني وقد عُرضَت على مجموعة من المحكمين واجريت بعض التعديلات البسيطة وفقا لارائهم .

اداة البحث:

الاختبار ألنحصيلي:

تم إنشاء اختبار تحصيلي بالنظر إلى الأهداف السلوكية للتجربة فضلاً عن محتوى تاريخ الموضوع وتاريخ الثقافة العربية الإسلامية.

- الخارطة الاختبارية:

اعدت خريطة اختبار تضمنت المستويات الستة للمجال المعرفي للأهداف السلوكية من تصنيف - بلوم - والمعرفة والاستيعاب والتطبيق والتحليل والتوليف والتقويم – فضلاً عن محتوى موضوعات التاريخ ذات الصلة. لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية. واستنادًا إلى العدد الإجمالي للعناصر في الاختبار النهائي ، تم التوصل إلى أن هناك ٤٠ عنصرًا في كلّ المستويات الستة للأهداف السلوكية. الجدول -٣- يوضح ذلك الأهداف السلوكية.

جدول -٣-

الاهداف السلوكية

ت	الموضوعات	عدد الأهداف	الاهمية النسبية للاهداف	الأهداف السلوكية					
				معرفة	فهم	تطبيق	تحليل	التركيب	التقويم
١	الفصل الخامس	٢٢	١٨٪	٧	٥	٤	٣	٢	١
٢	الفصل السادس	٢٨	٢٣٪	٨	٦	٥	٤	٣	٢
٣	الفصل السابع	٣٠	٢٥٪	٨	٧	٦	٥	٣	١
٤	الفصل الثامن	٤٠	٣٣٪	١٠	٨	٧	٦	٥	٤
	المجموع	١٢٠	١٠٠٪	٣٣	٢٦	٢٢	١٨	١٣	٨

جدول -٤-

جدول مواصفات لفقرات الاختبار التحصيلي

ت	الموضوعات	الاهداف السلوكية						مجموع فقرات الاختبار
		٢٨٪ /معرفة/	٢٢٪ /فهم/	١٨٪ /تطبيق/	١٥٪ /تحليل/	١١٪ /التركيب/	٧٪ /التقويم/	
١	الفصل الخامس النظام الاقتصادي في الدولة العربية الاسلامية	٢	٢	١	١	١	٠	٧

٢	الفصل السادس المدن العربية الأسلامية	٣	٢	٢	١	١	١	٩
٣	الفصل السابع الحياة الفكرية والعلمية	٣	٢	٢	٢	١	١	١١
٤	الفصل الثامن تفاعل الحضارة العربية الأسلامية مع الحضارات الانسانية وتأثيرها فيها	٤	٣	٢	٢	١	١	١٣
	المجموع	١١	٩	٧	٦	٤	٣	٤٠

صياغة فقرات الاختبار:

تكون الاختبار من الفقرات الموضوعية وهي -الاختيار من متعدد- والمقالية و تنوعت فقرات الاختبار التحصيلي ، فكانت فقراته -٣٥- فقرة موضوعية و -٥- فقرات كانت تمثل أسئلة مقالية وقد وزعت فقرات الأسئلة على وفق الأغراض السلوكية بمستويات بلوم المعرفية الستة ، وبذلك يكون عدد فقرات الاختبار التحصيلي -٤٠- فقرة

صدق الاختبار:

عرض الاختبار على عدد من المحكمين الذين شاركوا في عمليات القياس والتقويم بلغ مجموعهم عشرة محكمين. عند إنشاء خريطة الاختبار ، كان أحد مؤشرات الصلاحية السابقة إعداد الخارطة الاختبارية التي استعملها الباحث الجدول -٤-.

تعليمات التصحيح للاختبار:

قدم الباحث استجابات ممتازة لكلّ من عناصر الاختبار المقبولة للتصحيح. إذا كانت الإجابة على سؤال اختبار موضوعي صحيحة ، فإنها تحصل على نقطة واحدة. ، والصفر إذا كانت الإجابة خاطئة أو متروكة. و الدرجة الكلية لفقرات الاختبار الموضوعي - صفر – ٣٥ - درجة . أما الأسئلة المقالية فقد تراوح مداها - صفر – ٢- درجة للسؤال الواحد اذ أعطيت درجة لكل فكرة.

وبهذا أصبحت الدرجة الكلية لتلك الأسئلة بالمدى - صفر – ١٠ - درجة و الكلية هي - ٤٥ - .

التجربة الاستطلاعية:

طُبق الاختبار على عينة مدرستي الإعدادية جعفر النقدي ومدرسة ميثم التمار الإعدادية حسب معايير العينة البحثية وتضم ٢٠ طالباً.فكانت التعليمات واضحة، و وقت ألاجابة -٤٥- دقيقة.

التحليل الاحصائي:

تكونت عينة التحليل الإحصائي ، من -١٠٠- طالب من مدرستي - إعدادية جعفر النقدي وإعدادية ميثم التمار-.

معامل صعوبة الفقرات:

استعمل الباحث معادلة الصعوبة الخاصة بها لاستخراج الصعوبة لفقرات الاختبار الموضوعي. فتراوحت بين -٠,٤٣ -٠,٦٧- . و صعوبة الفقرات المقالية حسبت بواسطة معادلة الصعوبة الخاصة بها فتراوحت بين -٠,٥٠ ـــــ ٠,٥٢ ٠- وتبين ان الاختبار مقبول ومعامل الصعوبة مناسباً ، الجدول -٥- و -٦-.

القوة التميزية للفقرات:

من الخصائص القياسية المهمة القوة التمييزية للفقرات للتمييز بين الدرجات العليا و الدنيا لفقرات الاختبار الموضوعي فتراوحت بين -٠,٤٤ ـــــ ٠,٩٣- ، وكذلك للفقرات المقالية فتراوحت بين - ٠,٤١ ـــــ ٠,٥٧- ، الجدول -٥- و -٦-.

الجدول -٥-

معاملي الصعوبة والتمييز للفقرات الموضوعية في المجموعتين

سلسل الفقرة	الاجابات الصحيحة في المجموعة العليا	الاجابات الصحيحة في المجموعة الدنيا	نسبة صعوبة الفقرة	نسبة تمييز الفقرة
١.	٢٤	٤	٠.٥٢	٠.٧٤
٢.	٢٥	٧	٠.٥٩	٠.٦٧
٣.	٢٥	٩	٠.٦٣	٠.٥٩
٤.	٢٢	٥	٠.٥٠	٠.٦٣
٥.	٢٧	٩	٠.٦٧	٠.٦٧
٦.	٢١	٥	٠.٤٨	٠.٥٩
٧.	٢٦	٧	٠.٦١	٠.٧٠
٨.	٢٣	٤	٠.٥٠	٠.٧٠
٩.	٢٢	٨	٠.٥٦	٠.٥٢

٠.٨٩	٠.٥٢	٢	٢٦	.١٠
٠.٦٣	٠.٦٥	٩	٢٦	.١١
٠.٦٣	٠.٥٤	٦	٢٣	.١٢
٠.٦٣	٠.٤٦	٤	٢١	.١٣
٠.٨٥	٠.٥٠	٢	٢٥	.١٤
٠.٩٣	٠.٥٤	٢	٢٧	.١٥
٠.٥٦	٠.٥٤	٧	٢٢	.١٦
٠.٧٤	٠.٥٩	٦	٢٦	.١٧
٠.٦٧	٠.٤٤	٣	٢١	.١٨
٠.٥٩	٠.٦٣	٩	٢٥	.١٩
٠.٧٤	٠.٥٢	٤	٢٤	.٢٠
٠.٤٤	٠.٥٦	٩	٢١	.٢١
٠.٨٩	٠.٥٢	٢	٢٦	.٢٢
٠.٩٣	٠.٥٤	٢	٢٧	.٢٣
٠.٨٥	٠.٤٦	١	٢٤	.٢٤
٠.٨١	٠.٥٢	٣	٢٥	.٢٥
٠.٨١	٠.٤٨	٢	٢٤	.٢٦
٠.٨٩	٠.٥٦	٣	٢٧	.٢٧
٠.٧٨	٠.٥٠	٣	٢٤	.٢٨
٠.٨١	٠.٤٨	٢	٢٤	.٢٩
٠.٩٣	٠.٥٤	٢	٢٧	.٣٠
٠.٨٩	٠.٥٢	٢	٢٦	.٣١
٠.٥٩	٠.٤٨	٥	٢١	.٣٢
٠.٨٩	٠.٥٢	٢	٢٦	.٣٣
٠.٨٥	٠.٥٤	٣	٢٦	.٣٤
٠.٧٠	٠.٤٣	٢	٢١	.٣٥

جدول -٦-

الصعوبة ،والتمييز للفقرات، المقالية في المجموعتين

النوع	فق	الإجابات في						الصعوبة	التمييز
		المجموعة .ع			المجموعة. د				
		0	1	2	0	1	2		
السؤال الثاني المقالي	.1	2	7	18	16	10	1	0.51	0.57
	.2	4	8	15	13	12	2	0.50	0.41
	.3	2	9	16	14	12	1	0.51	0.50
	.4	3	6	16	18	8	3	0.52	0.52
	.5	3	7	17	15	11	1	0.50	0.52

فعالية البدائل الخاطئة :

في اسئلة الاختبار الموضوعي ، استعمل الباحث معادلة فعالية البدائل غير الصحيحة ، واكتشف أن جميع معاملات الفعالية للبدائل سلبية ، مما يعني أنّ جميع الخيارات غير الصحيحة تعدّ فعالة.

الثبات:

استعمل الباحث معادلة - Kuder , Richardson-20 - الطريقة الأكثر شيوعاً لتحديد الاتساق الداخلي لعنصر ما هي حساب ثباتها ، و يتم منحها درجة واحدة للاستجابة الصحيحة وصفرًا للاستجابة الخاطئة (ملحم ، ٢٠٠٠ : ص٢٦٥) . وكان معامل ثبات هذه الفقرات -٠,٨٢- ، طبقت معادلة كرونباخ ألفا - Cronbach Alpha - للحصول على ثبات الفقرات المقالية و تقدير درجاتها حسب صنف الإجابة ، بلغ معامل الثبات -٠,٨٠- و ثبات الفقرات الموضوعية والمقالية جيدا.

إجراءات تطبيق التجربة و الاختبار:

طبق مدرس مادة التاريخ للصف الرابع الأدبي تجربة البحث على طلاب مجموعتي البحث -التجريبية والضابطة-حيث طبقت التجربة في الفصل الثاني من العام الدراسي ٢٠٢١- ٢٠٢٢ وفي نهاية التجربة طبق الاختبار التحصيلي على طلاب مجموعتي البحث بعد استخراج خصائصة السيكومترية و كان الاختبار موحدا لمجموعتي البحث.

الوسائل الإحصائية :

استعمل الباحث الوسائل الإحصائية الآتية :-

معادلة صعوبة الفقرات، معامل تمييز الفقرة ، فعالية البدائل الخاطئة، معامل ارتباط بيرسون، الفا كرونباخ. اختبار لعينتين مستقلتينT-Test .

-عرض ألنتائج وتفسيرها:

يمكن عرض النتائج وتفسيرها وفق فرضية البحث على النحو الآتي من خلال تطبيق أداة البحث:

فرضية البحث:

""لا توجد فروق ذات دلالة إحصائيَة ، عِند مُستوى دلالة - ٠٥، ٠ - بيْن مُتوَسِّط درجات طلّاب المجموعة التجريبية ، الّذين دُرِسوا مادّة التّاريخ على وفق استراتيجية التّنبُؤ الموْجة ، و مُتوَسِّط درجات طلّاب المجموعة الضّابِطة دُرِسوا المادّة نفسُها بِالطّريقة التّقليديّة في التحصيل"".

ومن خلال المقارنة ظهر متوسط المجموعة التجريبية قد بلغ -٤١,١٢٧٠- بانحراف -١٦٢, ٢- و متوسط الضابطة -٣٤,٢٧١١- بانحراف -٣,٣٠٢ -، و باستعمال الاختبار التائي - T-Test- لعينتين مستقلتين تبين وجود فرق دال احصائي بين المجموعتين يبين ذلك الجدول -٧-.

ألجدول -٧-

نتائج الاختبار التائي في الاختبار التحصيلي

المجموعة	العينة	م. الحسابي	ان. المعياري	التائية		د. ح	مستوى الدلالة ٠.٠٥
				محسوبة	جدولية		
التجريبية	٣٥	٤١,١٢٧٠	٢,١٦٢	١٠,٢٧٧	٢	٦٨	دالة
الضابطة	٣٥	٣٤,٢٧١١	٣,٣٠٢				

في جدول /٧/ تظهر القيمة التائية المحسوبة -١٠,٢٧٧- اكبر من الجدولية -٢- بدرجة حرية -٦٨- وعند مستوى دلالة - ٠٥، ٠- يمكن أن تُعزى هذه النتيجة إلى حقيقة أن التدريس بأستراتيجية التنبؤ الموجه له تأثير إيجابي في لزيادة التحصيل لدى طلاب المجموعة التجريبية لأن هذه الاستراتيجية تفوقت على الطريقة التقليدية ، مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح من المجموعة التجريبية. نتيجة لذلك ، رفضت فرضية العدم. وان استعمالها الفعال يساعد الطلّاب في التكيف مع ما يعرفونه من معرفة جديدة و تطبيقها في السياقات و المواقف المعقدة ، اذ اوضحت استراتيجية التنبؤ الموجه انها استراتيجية فعالة لتحديد احتياجات الطلاب واستعملت بوصفها أداة تقييم تكوينية . من خلال مطالبة الطلّاب بملئ الجدول بالاجابات وتاكيد الآراء عن صحة العبارة او عدم صحتها، ويمكن للمدرسين الحصول على تصور دقيق لمعرفة الطلاب وخبراتهم في موضوع ما و تنظيم الأهداف وتعمل على تهيأ المواقف المرنة للطلّاب التي تتميز بالوضوح وتقلل من الغموض والالتباس وتحسن مواقف الطلاب في التفكير بالمهام المعطاة ، واختيار الانشطة وتحديد المهام ، و يتم تقويم دور الطلاب باسلوب تعاوني وتشجعهم على المناقشة الحرة مع المدرس مما يجعل عملية التعلم مسؤولية مشتركة، و تتيح للطلاب الفرصة لتحديد الأهداف وتنفيذها وفقا لنمط تعلمهم مما يزيد دافعيتهم وثقتهم بانفسهم و حماستهم للتعلم ورفع مستوى تحصيلهم.

الاستنتاجات:

يستنتج مما يأتي :

١- إنّ التدريس على وفقِ أستراتيجية التنبؤ الموجه رفع مستوى تحصيل طلاب الرابع الادبي من خلال بنائهم للمعرفة بانفسهم على وفق مراحل الاستراتيجية مما ولد الثقة بأنفسهم في متابعة انجاز المهام والتعلم الذاتي.

٢- إنَّ التدريس على وفق استراتيجية التنبؤ الموجه أكسب الطلاب الثقة في النفس في ابداء الآراء واختبار صحتها و مناقشتها واتضح من خلال قدراتهم على حل المشكلات ودعمها بالبراهين.

٣- إنَّ استراتيجية التنبؤ الموجه اكسبت طلّاب الصف الرابع الأدبي مرونة التفكير وانسيابيته في تكوين البنى المعرفية ممّا عزز ثقتهم بانفسهم في اختبار الافكار والحكم عليها وصياغة التنبؤات.

٤- أظهر التدريس على وفق استراتيجية التنبؤ الموجة نتائج إيجابية من تعزيز الحوار بين الطلاب والمعلمين.

التوصيات :

يوصى بما يأتي :

١- تقديم دورات تدريبية عن الاستراتيجيات المعاصرة لمعلمي التاريخ بالمرحلة الثانوية من الذكور والإناث الذين يقومون بتدريس مادة العلوم الاجتماعية بنحو عام وتاريخ الحضارة العربية والإسلامية بنحو خاص. ومنها استراتيجية التنبؤ الموجه لاهميتها في رفع مستوى التحصيل .

٢- تدريب الطلبة على تطبيق جدول التنبؤ الموجه في المواد العلمية و الانسانية واستعمالها وجعلها اسلوبا يومياً في المواقف التعليمية لسيطرة على تدفق المعلومات الغزيرة للافادة في الحياة اليومية.

٣- ادماج مادة التاريخ - تاريخ الحضارة العربية و الإسلامية - ضمن مادة طرائق التدريس في كليات التربية من اجل تطوير مهارات المدرسين وحل المشكلات مما يساعدهم في النمو المهني السليم .

المقترحات :

يقدم الباحث عدد من العناوين المستقبلية :

١- أثر استراتيجية التنبؤ الموجه على مستويات دراسية ومواد أخرى ولكلا الجنسين.
٢- أثر استراتيجية التنبؤ الموجه في الفهم التاريخي.
٣- أثر استراتيجية التنبؤ الموجه في تنمية التفكير مهارات التفكير التاريخي لدى طلبة المرحلة المتوسطة.
٤- اثر برنامج تدريبي على وفق استراتيجية التنبؤ الموجه في اكتساب مهارات التفكير الجدلي لدى معلمي الابتدائية.

المصادر :

١-أبو جادو ، صالح محمد علي (٢٠٠٠) ، علم النفس التربوي، عمان، دار المسيرة .
٢- حمدان ،محمد زياد -١٩٩٦-،"التحصيل الدراسي مفاهيم، مشاكل وحلول" دار التربية الحديثة ،دمشق ،عمان .
٣- الدباغ، فخري واخرون(١٩٨٣)، اختبار رافن للمصفوفات المتتابعة المقننة للعراقيين، الموصل ،مطبعة جامعة الموصل.
٤-سعادة ،جودة احمد، وابراهيم، عبدالله محمد، (١٩٩١)، المنهج المدرسي الفعال، دار عمار، ط١، عمان .
٥-السعدون، زينة، عبد المحسن (٢٠١٢) ، أثر البرنامج لتعليم التفكير في حل المشكلات والتحصيل الدارسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، كلية التربية – ابن الهيثم – جامعة بغداد .
٦-ملحم ، سامي محمد (٢٠٠٠) القياس والتقويم ، ط٢، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
7- Antoni, D. (2017). THE EFFECT OF "ANTICIPATION GUIDE STRATEGY" AND STUDENTS'READING INTEREST ON STUDENTS'READING COMPREHENSION AT GRADE XII OF SMKN 1 PARIAMAN. English Language Teaching and Research, 1(1).
8- Collins, R. P., Litman, J. A., & Spielberger, C. D. (2004). The measurement of perceptual curiosity. Personality and Individual Differences, 36, 1127– 1141.
9- Duffelmeyer, F. (1994). Effective Anticipation Guide statements for learning from expository prose. Journal of Reading, 37, 452-455.
10- Echesvarría, J., Vogt, M. E., & Short, D. (2013). Making content comprehensible for Eleementary English lannguage learrners: The SIOP model .
11- Fisher ،D. ،Brozo ،W. ،Frey ،N. ،& Ivey ،G. .(2011). 50 Instructional Routines to Develop Content Literacy.Pearson.

12- Head, Ms. H., & Readeence, J. Es. (1992). Anticipation guidess Using preediction to promote learnning from text. In E.K. Deishner, Reading in the content areas: (3rd ed., pp. 227-233). Dubugue.
13- MCTIGHE JAY AND ELLIOTT SEIF (2011) Teaching for understanding ,A meaningful education for 21st century learners .http://jaymctighe.com/wordpress/wp-ontent/uploads/2011/04/Teaching-for-Understanding.pdf .
14- Reading Rockets (2015)https://www.readingrockets.org/strategies/anticipation_guide Anticipation Guide | Classroom Strategies.
15- Valle, N., Antonenko, P., Wang, J., & Luo, W. (2020). Effects of Anticipation Guide Use on Visual Attention Distribution in a Multimedia Environment: An Eye Tracking Study. Excellence in Education Journal, 9(3), 5-25.
16- Woobd, K. D Lapfp, J. Flood, and D. B. Tayleor. 2008. *Guiding Readers Through Text: Strategy Guides for New Times*. 2nd ed. Newark, .
17- Wriefght, W. E. (2015). Feoundations for teaeching Engelish langueage learneers: Research, theory, poliecy, and pracetice (2nd ed.).

محو الأمية الرقمية ودعمها الكترونيا وفقا لنظرية التقرير الذاتي لدى طلبة المرحلة الاعدادية

م. د. ميثاق عيسى عبد الحسين*

الكلمات المفتاحية : محو الامية الرقمية ، نظرية التقرير الذاتي ، دعم التعلم الكترونيا.

digital literacy and supporting it electronically according to the theory of self-report among middle school students

Keywords: digital literacy, self-report theory, electronic learning support

المستخلص

هدف البحث الحالي التعرف على محو الامية الرقمية ودعمها الكترونيا وفقا لنظرية التقرير الذاتي لدى طلبة المرحلة الإعدادية، وقد تحدد مجتمع الدراسة الحالية بطلبة المدارس الاعدادية لمديرية تربية محافظة بغداد الرصافة الثالثة الدراسة الصباحية، وتألفت عينة البحث من (٣٠٠) طالب وطالبة بواقع (١٤٨) ذكور و(١٥٢) اناث، تم اختيارهم بالطريقة الطبقية العشوائية المتناسبة من (٦) مدارس ،وتحقيقاً لأهداف البحث الحالي قام الباحث بأعداد مقياس محو الامية الرقمية مكوناً من (٥٧) فقرة موزعة على خمسة مجالات وفقا لنظرية التقرير الذاتي وذلك لعدم وجود مقياس لهذا المتغير، وقد توصل البحث الى النتائج الاتية:

١- ان طلبة المرحلة الإعدادية لديهم محو الامية الرقمية ودعمها الكترونيا .

٢- يوجد فروق ذات دلالة إحصائية في محو الامية الرقمية وفقا لنظرية التقرير الذاتي لدى طلبة المرحلة الإعدادية وفقا لمتغيري الجنس لصالح الذكور والفرع الدراسي لصالح العلمي.

وفقا لهذه النتائج خرج الباحث بمجموعة من الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات.

Abstract:

The current research aimed to identify digital literacy and support it electronically in the light of the theory of self-report for Students of Preparatory stage and the current study population was determined by students of the preparatory schools of the Directorate of Education of Baghdad Governorate Rusafa 3 morning study, and the research sample consisted of (300) male and female students by (148) males and (152) Females, they were selected by the method of random stratification proportional from (6) school, and to achieve the objectives of the current research, the researcher prepared a digital literacy scale consisting of (57) items Distributed to five areas according to the theory of self-report because there is no scale for this variable, The research reached the following results:

1-Students of Preparatory stage have digital literacy.

2- There are statistically significant differences in digital literacy according to the theory of self-report for Students of Preparatory stage, according to the variables of gender in favor of males and specialization in favor of science.

* كلية الامام الكاظم (عليه السلام)
meethaq.essa@alkadhum-col.edu.iq

According to these results, the researcher came up with a set of conclusions, recommendations and proposals.

الفصل الاول

التعريف بالبحث

مشكلة البحث:

إن مشكلة محو الأمية الرقمية من المشكلات الكبيرة في عملية التعليم، لأنه أصبح ينظر إلى الفرد الذي لا يجيد ولا يحسن استخدام التكنولوجيا الحديثة بأنه يدخل في عداد الأميين الذين لا يتيسر لهم الانخراط في المنظومة الرقمية.

وعلى الرغم من أن مفهوم محو الأمية واجه تحولاً وتوسعاً بالتركيز على مهارات جديدة ترتبط بمحو الأمية الرقمية وأهميتها لدى الكبار، فإن بعض الدراسات قد أشارت إلى العديد من مظاهر الخلل ومن ضمنها عدم وجود إحصائيات دقيقة عن الأميين الرقميين من حيث أعمارهم ونوعية المهن التي يمارسونها، والاحتياجات المتطلبة من برامج محو الأمية الرقمية لدى الكبار (الهنداوي ومحمد، ٢٠١٠ ، ص ٣٨٠)

لقد طغت جائحة كوفيد-١٩ على جميع جوانب التعليم متمثلة بنقل التعليم من الفصول الدراسية إلى الشاشات الالكترونية، كذلك غيرت في الأدوار التي لعبتها من خلال التكنولوجيا في التعلم والتعليم، وتأثر الكثير من الطلبة بإغلاق المدارس بسبب تفشي وباء كوفيد ١٩، لذا قام معلمو المدارس بتكييف ممارساتهم التعليمية، والابتعاد عن التدريس وجها لوجه نحو المزيد من التعلم المشبع بالتكنولوجيا (مثل التعليم عبر الإنترنت)، ولم يتلق التعليم المدرسي أي تعليم عبر الإنترنت قبل الجائحة. فمعظم طلاب المدارس هم من الأطفال الصغار والمراهقين الذين قد لا يكون لديهم التطور، ومحو الأمية الرقمية اللازمة لتحقيق أقصى قدر من بيئات التعلم غير المألوفة المشبعة بالتكنولوجيا (Chiu,2021,p.28).

وقد هذا الوباء الى أزمة صحية عامة وتجربة واسعة النطاق من العزلة الاجتماعية، مما أدى إلى القلق والتوتر و تجميع الإجهاد و قد يكون القلق قد أحبط الطلبة فيما يتعلق بتعلمهم، لأن العواطف السلبية تعيق التعلم (Pekrun et al,2021, p.1656).

تسلط هذه السياقات الضوء على التنظيم الذاتي للطلبة والدافع، للتعلم والذي يمكن تفسيره بنظرية تقرير الذاتي وهي نظرية تحفيزية حول كيفية ميول النمو المتأصلة لدى الأفراد وأنها تتطور بشكل طبيعي

نحو مستويات أعلى من النضج النفسي والاجتماعي لأنها تقترح إشباع ثلاثة نفسية فطرية – الاستقلالية والكفاءة والانتماء – تؤثر على نموها (Ryan& Deci, 2020, p.27)

يرى النقري (٢٠٠٢) أن الأمية الرقمية تعني جهل الفرد بالتعامل مع الحاسبات وبرامجها، والبرامج المتصلة بشبكة الإنترنت (النقري، ٢٠٠٢، ص ١٨٩)

كما ذكر النجار وحسين (٢٠٠٨) أن مصطلح الأمية الرقمية يعني التقسيم غير المتكافئ لتقنية المعلومات والاتصالات بين الفئات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة في المجتمع فيما يتعلق باستخدام الهاتف النقال، والحواسيب واستخدام الإنترنت (النجار وحسين، ٢٠٠٨، ص١٩٤)

ان إحباط أي من هذه الاحتياجات الثلاثة في سياق اجتماعي قد يكون له تأثير ضار على مشاركة الشخص في مهمة وأداء معين، تم استخدام المعاملة الخاصة والتفاضلية لتصميم أنشطة التعلم عبر الإنترنت ولدعم حاجة الطلبة إلى مشاركة أكبر (Bergdahl et al., **2020, p. 959**)

وركزت البحوث السابقة المتعلقة بالمعاملة الخاصة والتفاضلية حول تكنولوجيا التعلم على طلبة الجامعات أكثر من تركيزها على طلبة المدارس، ومع ذلك يختلف الطلبة في المدارس عن طلبة الجامعات في التحفيز والمشاركة، وبالتالي قد لا تنطبق نتائج الدراسات السابقة على الأفراد الأصغر سنا. كذلك، لم يكن هناك بحث قائم على نظرية التقرير الذاتي حول تطوير محو الأمية الرقمية (Blau et al., 2020,p.48.

، لذا يمكن ان تتلخص مشكلة البحث الحالي بالتساؤل الاتي: هل يتمتع طلبة المرحلة الاعدادية بمحو الامية الرقمية المدعوم الكترونيا وفقا لنظرية التقرير الذاتي ؟

اهمية البحث:

أتاحت التغييرات التي حدثت في العالم فرصا جديدة لاستكشاف كيفية تطوير التعليم التكنولوجيا لتحقيق تعلم أكثر فعالية، واستخدام التكنولوجيا ازداد في المدارس بشكل كبير ، مما أدى إلى غرس التكنولوجيا في بيئات التعلم (مثل التعلم عن بعد أو عبر الإنترنت أو التعلم المحمول) بالنسبة لمعظم الطلبة، التعلم في البيئات المشبعة بالتكنولوجيا يعد أكثر تحديا من التعلم في الفصول الدراسية كما ان محو الأمية الرقمية التي يمكن تعريفها على أنها الأمية المرتبطة باستخدام التقنيات الرقمية ، هو شرط أساسي للمشاركة في سلوكيات التعلم عبر الإنترنت مثل التفاعل مع المعلمين والأقران (Hsu et al., 2019, p.2162)

ومن المرجح أن يبدأ الطلبة الذين يتمتعون بمعرفة رقمية جيدة المناقشات مع المعلمين والتواصل مع زملاء الدراسة بشكل فعال ونشر رسائل جديدة في منتديات المناقشة، وان محو الأمية الرقمية هو تطوير وبناء على معرفة الفرد ومهاراته وخبراته، ولتطوير محو الأمية الرقمية يجب على المعلمين خلق فرص

التعلم للطلاب لتشغيل الأدوات الرقمية، وتحليل الموارد والتفكير في تجاربهم (Prior et al., , p.95 2016)

يمكن تطوير محو الأمية الرقمية عندما يشارك الطلبة بنشاط في الموارد الرقمية، واستخدام الوسائط المتعددة الاتصالات والتعاون عبر الإنترنت، ووفقا لذلك تشير الأدبيات الرقمية إلى معرفة القراءة والكتابة على أنها الكفاءة والمهارات والقدرة والموقف الذي يمكن قياسه موضوعيا وذاتيا، أي محو الأمية الرقمية والاعتقاد بالكفاءة الرقمية (Blau,2020,p. 50)

وقد ذكر (Ryan& Deci, 2020) اللذان طورا المعاملة الخاصة والتفاضلية لأول مرة، أن أحد التحديات الكبرى للتعليم المعاصر هو تعزيز الطلبة للمشاركة في مهام التعلم التكنولوجي. وأشاروا إلى أن المعاملة الخاصة والتفاضلية في المستقبل يجب أن تبحث في كيفية تصميم الفصول الدراسية عن بعد باستخدام التكنولوجيا بشكل يمكن أن يحفز المشاركة والتعلم (Ryan& Deci, 2020, p.29)

قدم COVID-١٩ فرصة لسد الفجوة في هذا المجال البحثي بسبب الاستخدام الجماعي لبيئات التعلم المشبعة بالتكنولوجيا من قبل الطلبة، حيث تم استخدام الأدوات والموارد الرقمية لتسهيل تعلم الطلبة عن بعد خلال فترات إغلاق المدرسة (Chiu,2020, p.31).

وفقا لذلك، يتدخل دعم التعلم التكنولوجي باستخدام مبادئ المعاملة الخاصة والتفاضلية، بهدف دراسة أثر التدخل في تطوير محو الأمية الرقمية والتحقيق في دور رضا احتياجات الطالب في العلاقة بين التكنولوجيا المدركة دعم التعلم ومحو الأمية الرقمية (Ismailov &Ono, 2021, p.266)

ان محو الأمية الرقمية هو التنمية اذ يبنى تدريجيا على اساس القدرات والمهارات والمعرفة المكتسبة، ولتطوير محو الأمية الرقمية، يجب إعطاء الطلبة فرصا لممارستها بطرق توضح قيمة الخيارات التي يتخذونها وان هذا التطوير الخاص بمحو الأمية الرقمية يمكن تعزيزه من خلال تحفيز مشاركة الطلبة في الموارد الرقمية، متعددة الوسائط والاتصالات والتعاون عبر الإنترنت (.2020,p ,, (Blau et al52

وقد هدفت دراسة (Green,2009) الى "مراجعة مداخل ووجهات نظر محو الأمية الرقمية" والكشف عن ضرورة وفائدة مفهوم محو الأمية الرقمية، ومقارنة الصياغات النظرية لمحو الأمية الرقمية وتتبعها، واستعرضت كيف استخدم المفهوم في ثلاث مجالات بحثية في أوروبا وأستراليا، حيث -حدد القسم التمهيدي الطرائق التي بقدم بها محو الأمية الرقمية نفسه كوسيلة للتمكين في التراث فكان المجال الأول: خطاب الإعلام أو الوسائط خارج المقررات ، اذ تم دراسة الأفكار التي تم تداولها في أستراليا منذ أوائل التسعينات حول الحاجة إلى أن يتربى الأطفال تربية رقمية، وببحث المجال الثاني: كيف تطور مفهوم الثقافة الرقمية خلال العقد الماضي في مجال السياسة المدرسية ووثائق المناهج والممارسات في النرويج؛ ويستعرض المجال الثالث :البحوث الوطنية لاستكشاف كيف استخدم مصطلح محو الأمية الرقمية في مجال الممارسات الثقافية الرقمية للأطفال والشباب خارج المدارس، وتم التوصل إلى أن مصطلح "محو الأمية الرقمية" يشتمل عادةً على عدد من مفاهيم الإقصاء والانقسام أكثر مما يُفترض، و يكشف السياسات المتناقضة لتعليم محو الأمية بطرق جديدة واستفزازية(Green,2009,p.108)

وقد بين (Jacobs, et al, 2014) ان القدرة الى الوصول الذاتي عبر الإنترنت، هي التي سهلت على المعلم فرص المشاركة في اكساب محو الأمية الرقمية، والوصول إلى السكان المستبعدين تاريخيا من الثورة الرقمية (Jacobs, et al, 2014,p.625)

كما حاولت دراسة (Bouma Rafi,2018) التعرف على اتجاهات الطلبة الجزائريين نحو الامية الرقمية ومدى تأثيرها في استعمال التكنولوجيا وفقا لنموذج قبول التكنولوجيا" والتي هدفت فيها إلى الكشف عن تأثير التطور التكنولوجي في خلق بيئة تعليمية جديدة وايجابية، يسعى فيها الطلبة والأساتذة إلى تأسيس تقنيات مركزية مبتكرة في أنظمة التعليم الحالية، اذ يحتاج الطلبة إلى تكوين ذا جودة عالية ليكونوا فعالين. ويعد محو الأمية الرقمية الأداة الحاسمة التي تتيح لهم إقامة روابط وثيقة مع متطلبات هذه البيئة التي تعتبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أهم جوانبها، وقد اشارت النتائج الى أن محو الأمية الرقمية أصبح ضرورة لأي طالب يطمح في الاندماج في العالم الرقمي، وقدمت الدراسة تصوراً لكيفية استثمار الطلاب المهارات التكنولوجية في الوصول إلى المعرفة والمعلومات للحفاظ على صلة قوية بين هذه المهارات والتطورات الجديدة التي تولدها البيئة الرقمية والتي تؤثر على دورهم كطلبة وباحثين (Bouma Rafi,2018 ،p.227)

واقترح (Chiu, 2022) نموذجا للطالب اثناء المشاركة في التعليم عبر الإنترنت وأشار النموذج إلى أن المعلمين يمكن استخدام نوعين متميزين من الدعم– الرقمي (التكنولوجيا) والفصول الدراسية – من أجل تحفيز وتشجيع مشاركة الطلبة سلوكيا ومعرفيا وعاطفيا، والتي تكون قادرة على تلبية الاحتياجات الفطرية الثلاثة في المعاملة الخاصة والتفاضلية؛ وان أشكال الدعم الرقمي المقترحة مستمدة من الأبعاد الثلاثة لدعم المعلم (Chiu, 2022, P.32).

اذ يمكن للفرد المتعلم رقميا التواصل بفعالية واحترام عبر الشبكات الاجتماعية باستخدام موارد الوسائط المتعددة المختلفة، هذا البعد من محو الأمية يتم إثباته من خلال، استخدام اللغة والصور المناسبة لتجنب سوء التفسير وسوء الفهم، وحماية خصوصية الآخرين وسلامتهم والتقاط لغة سيمائية جديدة للتواصل بسهولة. أن تصبح رقميا، لذلك يتطلب محو الأمية تطوير مجموعة من المهارات الأساسية التقنية، المعرفية والاجتماعية والعاطفية(Du . et al , 2020 , p. 1254)

وتعد محو الأمية الرقمية أمرًا ضروريًا لمساعدة الطلاب على أن يصبحوا متعلمين في مواقف الحياة، وتعلمهم المهارات الحياتية الأساسية وكذلك المهارات الأكاديمية. يمكن لمحو الأمية الرقمية إشراك الطلاب في عملية التعلم في جميع الجوانب، ويمكن للطلاب استخدام التكنولوجيا لمساعدتهم على تذكر المعلومات الجديدة(Martin, & Grudziecki,2006 ,p.257)

لذا يمكن تلخيص اهمية البحث بأنها تستمدها من أهمية تناولها لمحو الامية الرقمية لما لها من دور فعال في المنظومة التعليمية، كذلك ممكن ان تفيد نتائج هذه الدراسة القائمين على برامج تدريب الطلبة والتعليم المستمر لتعزيز العمليات المتعلقة بمحو الأمية المعلوماتية والتعليم الإلكتروني.

اهداف البحث: يستهدف البحث الحالي التعرف على:

١- **محو الامية الرقمية ودعهما الكترونيا وفقا** لنظرية التقرير الذاتي **لدى طلبة المرحلة الاعدادية**
٢- محو الامية الرقمية ودعمها الكترونيا وفقا لنظرية التقرير الذاتي حسب متغيري الجنس والفرع الدراسي.

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بطلبة المرحلة الإعدادية من مديرية تربية محافظة بغداد الرصافة الثالثة للعام الدراسي (2022 - 2021) ومن كلا الجنسين.

تحديد المصطلحات: محو الامية الرقمية وقد عرفها كل من:

١- (Riel ،2012) تعني استخدام التقنية بشكل ملائم ومسؤولا وهي ليست مجموعة من القواعد التي يجب اتباعها لكنها طريق لوجود أساس في الامية الرقمية للأفراد لتمييز الاستخدام الملائم وغير الملائم للتقنية (Riel,2012,p.39)
٢- (العجمي، ٢٠١٦) بأنها مجموعة من القواعد والسلوكيات الملائمة والمسؤولة التي يجب اتباعها في العالم الرقمي لتحقيق الاستعمال الأفضل للتكنولوجيا والإنترنت (العجمي، ٢٠١٦ ، ص ٩).
٣- (Terry Heick) :بأنها القدرة على فهم الوسائط الرقمية من خلال ما يتمتع به الفرد من القدرة على التحليل وتحديد الأولويات (Terry Heick,2018,p.36)
٤- (Alex Gay) بأنها القدرة على استّخدام الأدوات الرقمية التي تمكن الطلاب من حل المشكلات وإنشاء مشاريع مبتكرة لمواجهة تحديات العمل المتطور (Alex Gay,2020 ,p.47)

التعريف النظري: وقد عرف الباحث محو الامية الرقمية بأنها: مدى تمتع الفرد بالمهارات وقدرته على استعمال التقنيات الحديثة بشكل ملائم وتمكنه من الوصول الى الوسائل الرقمية وتحديدها وتحليلها وادارتها بصورة صحيحة ، وإنشاء المعنى وصنعه ومشاركته والتواصل بشكل فعال مع الاخرين في أوضاع وأنساق مختلفة.

التعريف الإجرائي : يتمثل بالدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب على المقياس المعتمد في البحث الحالي.

الفصل الثاني

إطار النظري

يتضمن هذا الفصل الأطر النظرية لمتغير البحث الذي تناوله الباحث في البحث الحالي وعليه قام الباحث بعرض النظرية التي تناولت متغير البحث الحالي:

استخدم (Ng,2012) كذلك المفهوم المحدد الذي طوره (Eshet,2004) فيما يتعلق بتعدد محو الأمية لنفترض أن محو الأمية الرقمية له ثلاثة أبعاد متقاطعة: التقنية المعرفية والاجتماعية والعاطفية. يرتبط البعد التقني بالمهارات الفنية والتشغيلية اللازمة لاستخدام التكنولوجيا للتعلم وفي الحياة اليومية، أي محو الأمية البصرية، محو الأمية الإنجابية محو الأمية المتفرعة، ويتجلى هذا البعد عندما يعمل الأفراد بشكل كاف تقنيات لحل مشاكلهم الخاصة، مثل توصيل الأجهزة الطرفية بأجهزة الكمبيوتر أو استكشاف مشكلة وإصلاحها عن طريق قراءة دليل عبر الإنترنت أو مشاهدة فيديو، يتعلق البعد المعرفي بالقدرة على التفكير النقدي عند البحث ، وتقييم وإنشاء المعلومات الرقمية ، أي محو الأمية المعلوماتية (Ng,2012,p.1069).

يفهم الفرد المتعلم رقميا القضايا القانونية والأخلاقية والمعنوية المتعلقة بالموارد الرقمية (مثل حقوق النشر والانتحال) في هذا البعد يتم إثبات معرفة القراءة والكتابة من خلال تقييم الآراء من المواد المكتوبة ، مقاطع الفيديو والصور؛ التكيف بسرعة مع التكنولوجيات الجديدة والناشئة؛ و التنقل الفعال وتحديد المعلومات المناسبة في بيئات الوسائط الفائقة لإكمال المهام، ويرتبط البعد الاجتماعي العاطفي بالقدرة على التواصل والاختلاط عبر الإنترنت ، أي محو الأمية الاجتماعية والعاطفية ، وتشمل هذه التقنيات الأجهزة والبرامج، مثل الهواتف المحمولة، وحدات التحكم في الألعاب وتقنيات الويب والاتصالات الأدوات وموارد المعلومات والوسائط المتعددة(Hague and Payton,2010,p.59).

تتكون محو الأمية الرقمية من خمسة أبعاد: محو الأمية البصرية (القدرة على تعلم من خلال القراءة من المرئيات) ، محو الأمية الإنجابية (القدرة على تحرير أو الجمع بين مختلف موارد الوسائط المتعددة) ، محو الأمية المتفرعة (القدرة على استخدام الوسائط الفائقة) ، محو الأمية **المعلومات** (القدرة على البحث عن موارد الويب وتحديد موقعها وتقييمها بشكل فعال) ومحو الأمية الاجتماعية والعاطفية (القدرة على أن تكون ناقدا وتحليليا للغاية في السياق التنشئة الاجتماعية والتعاون عبر الإنترنت (99 .**Eshet**, 2004 ،p).

نظرية التقرير الذاتي (Ryan & Deci ، 2020):

تستخدم هذه الدراسة إطار محو الأمية الرقمية متمثلا بنظرية (Ryan & Deci) من أجل شرح النتائج في كل من الأدبيات السابقة وفي هذه الدراسة. خمسة أبعاد لمحو الأمية الرقمية ، اذ يشير محو الأمية الرقمية إلى تعدد محو الأمية المرتبطة باستخدام الرقمية التكنولوجيات (Ng,2012,p.1069)

يمكن أن تكون المشاركة نتيجة العمليات التحفيزية، أي ان تعزيز أنواع مختلفة من التحفيز يمكن أن يساعد على اشتراك الطلبة في التعلم القائم على التكنولوجيا، والذي يمكن أن يعزز محو الأمية

الرقمية. لذلك، يمكن أن تفسر المعاملة الخاصة والتفاضلية مشاركة الطلبة في محو الأمية الرقمية على تلبية احتياجات الطلبة الفطرية والتكنولوجيا، وقد عدد ديسي وريان (Ryan & Deci)العديد من مصادر التحفيز الجوهرية والخارجية ، متباينة بين الدافع المستقل والمتحكم فيه ، وصنفا الاحتياجات الفطرية على ثلاثة أنواع التي تشارك في تقرير المصير هذه الاحتياجات الثلاث هي الاستقلالية والكفاءة والانتماء ، وتحفز الناس على المبادرة في السلوك وبذل الجهد نحو نموهم ورفاهيتهم **(Ryan and Deci ,2020, p.42)**

يشير الاستقلال الذاتي إلى تجربة السلوك على أنها معتمدة ذاتيا وطوعية؛ اما الكفاءة تشير إلى تجربة السلوك كما تم تحقيقها وتحديها بشكل فعال؛ ويشير الانتماء إلى تجربة الشعور بالتواصل مع الآخرين. وان الرضا من الاحتياجات الفطرية التي يمكن أن تعزز شكلا عالي الجودة من التحفيز (أي استقلال الدافع بدلا من الدافع المتحكم فيه) والمشاركة في الأنشطة. فالفرد ذو الدافع المستقل قد يشعر بالدفع الذاتي والتوجيه الذاتي، في حين قد يشعر الفرد الذي يتم التحكم في دوافعه بأنه مجبر ومرهق وغير قادر على الدفع الذاتي من منظور المعاملة الخاصة والتفاضلية، ويمكن أن تكون مشاركة الطلبة على أنها نتيجة لعمليات تحفيزية؛ وبالتالي فان الدافع المستقل يمكن فهمه على أنه عامل يسمح للطلبة بالمشاركة بشكل بناء في أنشطة التعلم عبر الإنترنت **(Chiu,2021 p.39)**.

تم تطبيق دعم تلبية الاحتياجات على نطاق واسع في مختلف المجالات التعليمية وإعدادات مكان العمل. حيث ركزت الدراسات السابقة حول هذا الموضوع على دعم الاحتياجات التي يقدمها المعلمون والمدربون وأصحاب العمل للمتعلمين أو الموظفين، في المدارس يحتاج الدعم الذي يقدمه المعلمون للمتعلمين لكي يلعب دورا حاسما في تحفيز وتشجيع الطلبة ضمن بيئات التعلم التكنولوجية، من خلال اتباع نهج المعاملة الخاصة والتفاضلية، وهذا يحتاج إلى دعم يمكن تصنيفها على ثلاثة أنواع: دعم الاستقلالية (الذي يدعم استقلالية الطلبة)، ودعم هيكل التعلم (الذي يساعد على الكفاءة)، ودعم الانتماء مما يزيد من الصلة**(Lietaert et al, 2015,p.504)**

فدعم الاستقلالية هو الجهد التعليمي الذي يقدمه المعلمون أثناء التدريس. يتم تقديم هذا النوع من الدعم أولا للتحديد، ثم لتأييد وتشجيع وفي النهاية لتطوير وتعزيز الدافع الذاتي للطلبة **(Reeve, 2016, p.143)**

ضمن البيئات التكنولوجية، يأخذ المعلمون الداعمون للاستقلالية وجهات نظر الطلبة، والسماح لهم باتخاذ خيارات بشأن تعلمهم، وتوفير المبررات التفسيرية عندما يتم فرض الاختيار واستخدام لغة غير مضغوطة، مثال على دعم الحكم الذاتي هي عندما يزود المعلمون الطلبة بموارد تعليمية رقمية متنوعة

بعدة لغات وتنسيقات مختلفة ، وإعطاء الأوصاف التي تساعدهم على التنقل في البيئة التكنولوجية بشكل أفضل، وشرح أهمية المهام للطلاب (Bedenlier, 2020 , p. 134)

تساعد هذه الإجراءات الطلبة على الشعور بالتمكين في تعلمهم لأنه يتم تشجيعهم على اتخاذ خياراتهم وقراراتهم الخاصة، التعبير عن أفكارهم والبحث عن مسارات نحو أهدافهم الشخصية، والتي هي مناسبة لقدرتهم على التعلم. فضلا عن ذلك، في البيئات التكنولوجية، الحكم الذاتي– يعزز التدريس الداعم للأنواع الثلاثة لمشاركة الطلبة السلوكية، المشاركة المعرفية والعاطفية **(Chiu,2021, p.43)**.

فالمشاركة السلوكية هي التي يتم تعزيزها عندما يتم تشجيع التركيز وإدارة الوقت بشكل أفضل، ويتم تعزيز المشاركة المعرفية عندما يصبح الطلبة أكثر قدرة على إنجاز المهام؛ ويتم تعزيز المشاركة العاطفية عندما يكون التعلم أكثر متعة **(Skinner, et al 2008, p.771)**

ويرتبط هيكل التعلم بمدى جودة توصيل توقعات المعلمين للطلبة في البيئات التعليمية التكنولوجية، والمعلمون الذين يقدمون الدعم لطلبتهم قد ينظمون هيكل التعلم من خلال الإشراف على الطلبة للسماح للطلاب بمشاركة المعلومات مع بعضها البعض، وتقديم التوجيه والنصائح لوضع حدود أنشطة التعلم، وإعطاء تعليقات خاصة بالكفاءة والانتماء واستخدام الموارد المعرفية لمساعدة الطلبة على تحقيق نتائج التعلم المرجوة (Lim &Chiu, 2020 , p.722)

والمعلمون الذين يقدمون الهيكل التنظيمي يجعلون الطلبة يشعرون بالفعالية والقدرة والتحدي. وأنها تساعد الطلبة على الانخراط المعرفي في التعلم من خلال المساعدة ويطورون إحساسا قويا بالإتقان عندما تكون هذه الحاجة للكفاءة راضية، يتم تشجيع الطلبة على المشاركة بنشاط في التكنولوجيا القائمة على (المشاركة السلوكية) والشعور الإيجابي تجاه الأنشطة (العاطفية) **(Hague and ,2010,p.72 Payton)**.

ترتبط مشاركة المعلم بسلوكيات المتعلمين والتي تؤثر على علاقتهم مع طلابهم، قد تشمل هذه السلوكيات أفعال المعلمين وكلماتهم والردود على الطلبة، حيث يطور المعلمون الإيجابيون والمهتمون والفعالون مناخا دافئا في الفصل الدراسي يجعل الطلبة يشعرون بالارتياح ، مما يؤدي إلى التعلم والتعليم الذي هو أكثر متعة وتفاعلية (Skinner, et al 2008, p.777)

يعمل المعلمون على مساعدة الطلبة في تطوير علاقات وثيقة مع بعضهم البعض، مما يسهل التعاون ومناقشات المجموعات الصغيرة بدلا من استخدام لغة مباشرة قد تكون غير شخصية ، اذ يستخدم هؤلاء المعلمون المزيد من الاتصالات المثيرة للعواطف ، مثل الموارد المرئية والرموز التعبيرية ، التي تعزز جو تعليمي إيجابي **(Riel, 2021 p.64)**.

يقدم المعلمون دروسهم في الوقت الحقيقي وتشجيع التفاعل والمحادثة ، ولا تكون مجرد إلقاء المحاضرات اذ تساعد مثل هذه الإجراءات الطلبة على الشعور بمزيد من القبول والترحيب والأمان والراحة، هذا يساعدهم على استيعاب مواردهم التحفيزية الفطرية ويظهر مشاركة أكبر من قبل المعلمين الذين يطورون قدرات ومهارات طلبتهم و الحفاظ على علاقات جيدة بين المعلم والطالب، كذلك تساعد الطلبة على ان يصبحوا أكثر انخراطا في التعلم التعاوني القائم على التكنولوجيا. كما أنها تساعد الطلبة ليصبحوا أكثر انخراطا سلوكيا من خلال تشجيع زيادة الاهتمام، وأكثر انخراطا عاطفيا من خلال إثارة المشاعر الإيجابية؛ وأكثر إدراكا بالمشاركة من خلال تقديم المزيد من الملاحظات (Blau ,2020,p.73 et al).

يلاحظ من ذلك انه بالإمكان أن يؤدي تلبية الاحتياجات الفطرية إلى تعزيز الطلبة للمشاركة في التكنولوجيا، مما يؤدي إلى زيادة الكفاءة في محو الأمية الرقمية ، حيث قدمت الدراسات السابقة القائمة على المعاملة الخاصة والتفاضلية في نظرية التقرير الذاتي حول التعلم والتكنولوجيا للمعلمين مع استراتيجيات مقترحة لدعم احتياجات الطلبة الفطرية لتحفيزهم بمشاركة أكبر، وقد أكدت هذه الدراسات أن المعلم يعد التواجد عنصرا مهما في دعم تلبية الاحتياجات (Xie & Ke, 2011 , p.923).

لقد تم اقتراح طرائق عدة للمعلمين يمكن استخدام التكنولوجيا فيها لدعم مشاركة الطلبة وفحص كيفية إدراكهم لها، ويتعلق دعم المعلم بكل من الدافع الداخلي والخارجي والمشاركة في القاعة الدراسية ، في بعض الدراسات، يعد دعم المعلمين هو العنصر الأساسي الذي تجري دراسته؛ وبالتالي، فإن استخدام تصميم التكنولوجيا ليتم تنفيذها شخصيا أو تقديمها من قبل المعلمين ومع ذلك، في أنواع بيئات التعلم المشبعة بالتكنولوجيا التي يستخدمها الطلبة أثناء إغلاق المدارس، وان دعم التعلم المتصور الذي يتلقاه الطلبة من البيئات التكنولوجية نفسها قد تكون حاسمة للطالب، فضلا عن ذلك قد يتنبأ دعم التعلم المتصور بتطور الطلبة من محو الأمية الرقمية (**Pendell,et al ,2013,p.114**).

وقد أبرزت الدراسات السابقة القائمة على نظرية (**Ryan and Deci**) أهمية دعم المعلم كما يراه الطلبة؛ ومع ذلك ، فإن الطلبة بحاجة إلى دعم يدركونه من البيئات المشبعة بالتكنولوجيا ،قد يكون تصور المعلمين بنفس أهمية دعم الطلبة، لذلك فإن دعم التعلم التكنولوجي المتصور هو بحث المنطقة التي تحتاج إلى عناية، ويوفر التعليم الإلكتروني فرصا بحثية فريدة لنا لمعرفة المزيد حول كيفية دعم التكنولوجيا لاحتياجات الطلبة في تطوير محو الأمية الرقمية، ومع ذلك، على حد علمنا، لم يتم فحص أي دراسة قائمة على المعاملة الخاصة والتفاضلية العلاقة بين دعم التعلم التكنولوجي ومحو الأمية الرقمية، وفي الآونة الأخيرة ، دعا(Ryan and Deci) إلى توسيع نطاق تركيزهم ليشمل التعلم والتكنولوجيا ، وبالتالي دعم أهمية البحث في هذا الشأن، وأوصوا بأن تبحث بحوث المعاملة الخاصة

والتفاضلية في المستقبل وكيف يمكن أن تكون التكنولوجيا مصممة لتحفيز المشاركة والتعلم عبر الوسائط التعليمية والتعلم عبر الإنترنت والفصول الدراسية عن بعد(d DeciRyan an ,2020 p.61).

الفصل الثالث

منهجية البحث واجراءاته

مجتمع البحث : يتحدد مجتمع البحث الحالي بطلبة تربية محافظة بغداد الرصافة الثالثة، المرحلة الاعدادية ومن كلا الجنسين ،الدراسة الصباحية للعام الدراسي(٢٠٢١- ٢٠٢٢) والبالغ عددهم (٢٠٦٧٩)* وموزعين على المدارس الاعدادية البالغ عددها (٣٤) مدرسة ، والجدول (١) يوضح ذلك.

جدول(١)

توزيع افراد مجتمع البحث في تربية محافظة بغداد الرصافة الثالثة للعام الدراسي ٢٠٢١-٢٠٢٢

نوع المدرسة	عدد المدارس	عدد الطلبة
البنين	١٨	١٢٤٠٣
البنات	١٦	٨٢٧٦
المجموع	٣٤	٢٠٦٧٩

ثانياً ــ عينة البحث : ضمت عينة البحث الحالي طلبة المرحلة الإعدادية من مدارس تربية محافظة بغداد الرصافة الثالثة وقد بلغ حجمها(٣٠٠) طالبٍ وطالبة، تم اختيارهم بطريقة العشوائية الطبقية، طريقة الاختيار المتناسب، قام الباحث باختيار(٦) مدارس من أصل(٣٤)مدرسة، ثم تم اختيار عدد أفراد العينة المطلوبة من كل مدرسة بواقع(١٤٨) طالبا و(١٥٢) طالبة كما في الجدول(٢) .

جدول (٢)

توزيع افراد عينة البحث وفقا لمتغير الجنس والفرع الدراسي

العينة	ت	اسم المدرسة	الصف	العدد	المجموع
الذكور	**١**	**العراق الناهض**	**الرابع ــ الخامس**	٥٤	١٤٨
	٢	**الرافدين**	**الرابع ــ الخامس**	٤٥	
	٣	**النهروان**	**الرابع ــ الخامس**	٤٩	
الاناث	**٤**	**المسرة**	**الرابع ــ الخامس**	٥١	١٥٢
	٥	**النجاة**	**الرابع ــ الخامس**	٥٣	
	٦	**أمنة الصدر**	**الرابع ــ الخامس**	٤٨	
		المجموع			٣٠٠

ثالثاً ــ أداة البحث

* تم الحصول على الإحصائية من قسم الإحصاء والتخطيط في تربية محافظة بغداد الرصافة الثالثة .

١-مقياس محو الامية الرقمية :

قام الباحث بإعداد مقياس محو الامية الرقمية وفقا لنظرية التقرير الذاتي الذي يتألف من ٥٧ فقرة موزعة على خمس مجالات.

-خطوات بناء مقياس محو الامية الرقمية :

- ولغرض بناء مقياس محو الامية الرقمية، قام الباحث بأتباع الآتي: -
- تحديد التعريف النظري لمتغير محو الامية الرقمية .

-تحديد مجالات مقياس محو الامية الرقمية، فتم تحديد خمس مجالات هي

- محو الأمية البصرية (القدرة على تعلم من خلال القراءة من المرئيات) ،
- محو الأمية الإنجابية (القدرة على تحرير أو الجمع بين مختلف موارد الوسائط المتعددة)
- محو الأمية المتفرعة (القدرة على استخدام الوسائط الفائقة)
- محو الأمية المعلوماتية (القدرة على البحث عن موارد الويب وتحديد موقعها وتقييمها بشكل فعال)
- محو الأمية الاجتماعية والعاطفية (القدرة على أن تكون ناقدا وتحليليا للغاية في السياق التنشئة الاجتماعية والتعاون عبر الإنترنت

قام الباحث بصياغة فقرات المقياس من خلال مراجعة الأدبيات والدراسات السابقة التي تناولت مجالات محو الامية الرقمية.

صلاحية الفقرات :

لمعرفة صلاحية فقرات المقياس، فضلاً عن البدائل المعتمدة في القياس تم عرض المقياس على مجموعة من الخبراء المختصين في مجال التربية وعلم النفس، لإصدار حكمهم على مدى صلاحية الفقرات عدمه وسلامة صياغتها وفي ضوء آراء الخبراء تم تعديل صياغة فقرات المقياس، حيث استبقيت الفقرات التي حصلت على نسبة اتفاق(٨٠%)

التحليل الاحصائي لفقرات مقياس محو الامية الرقمية:

تم تحليل الفقرات باستخدام أسلوب المجموعتين المتطرفتين من خلال تحديد الدرجة الكلية لكل استمارة من الاستمارات البالغ عددها (٣٠٠) استمارة، ثم تعيين نسبة(٢٧%) من الاستمارات الحاصلة على الدرجات العليا والدرجات الدنيا والبالغ عددها((١٦٢) استمارة من أصل(٣٠٠) استمارة، بعد تطبيق الاختبار التائي t-test لعينتين مستقلتين لاختبار دلالة الفروق بين المجموعتين العليا والدنيا على كل فقرة، تبين ان جميع الفقرات مميزة من خلال

مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة(١.٩٦) عند مستوى دلالة(٠.٠٥) وبدرجة حرية (١٦٠) كما موضحة في الجدول (٣)

جدول (٣)
تمييز فقرات مقياس محو الامية الرقمية بطريقة أسلوب العينتين المتطرفتين

ت	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية المحسوبة	الدلالة
الفقرة	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري		
1	2.74	0.570	1.92	0.833	8.485	دالة
2	2.64	0.633	1.96	0.808	6.842	دالة
3	2.63	0.635	1.84	0.845	7.739	دالة
4	2.57	.700٠	1.77	.849٠	7.606	دالة
5	2.64	.633٠	1.65	.801٠	10.084	دالة
6	2.73	.523٠	1.91	.768٠	9.221	دالة
7	2.78	.518٠	2.18	.818٠	6.459	دالة
8	2.86	.420٠	2.02	.820٠	9.501	دالة
9	2.85	.406٠	1.85	.818٠	11.378	دالة
10	2.84	.436٠	2.06	.884٠	8.297	دالة
11	1.87	0.750	1.25	0.613	6.654	دالة
12	1.81	0.775	1.07	0.297	9.275	دالة
13	2.19	0.712	1.56	0.714	6.392	دالة
14	1.86	0.779	1.18	0.470	7.826	دالة
15	2.63	.605٠	1.94	.857٠	6.880	دالة
16	2.06	.674٠	1.43	.567٠	7.541	دالة
17	2.14	.690٠	1.37	.573٠	8.903	دالة
18	2.40	.610٠	1.54	.587٠	10.568	دالة
19	2.36	.791٠	1.56	.600٠	8.335	دالة
20	2.27	.650٠	1.37	.540٠	11.046	دالة
21	2.43	.686٠	1.74	.675٠	7.397	دالة
22	2.77	.485٠	2.14	.803٠	6.976	دالة
23	2.00	.785٠	1.46	.603٠	5.638	دالة
24	2.89	.460٠	2.38	.559٠	7.309	دالة
25	2.75	.566٠	2.19	.833٠	5.828	دالة
26	2.87	.364٠	2.20	.794٠	7.929	دالة
27	2.81	.456٠	1.90	.796٠	10.377	دالة
28	2.71	0.581	1.89	0.765	8.914	دالة
29	2.81	0.496	2.00	0.785	9.117	دالة
30	2.82	0.429	1.98	0.683	10.856	دالة
٣١	2.75	0.532	2.01	0.826	7.837	دالة
٣٢	2.86	.442٠	2.36	.703٠	6.255	دالة
٣٣	2.80	.608٠	2.41	.656٠	4.519	دالة
٣٤	2.76	.625٠	2.46	.618٠	3.505	دالة
٣٥	2.64	.690٠	2.06	.846٠	5.466	دالة
٣٦	2.79	.548٠	2.47	.755٠	3.509	دالة
٣٧	2.63	.590٠	1.81	.742٠	9.037	دالة
٣٨	1.93	0.839	1.18	0.429	8.269	دالة

٣٩	2.09	0.792	1.53	0.703	5.543	**دالة**
٤٠	2.69	0.606	2.02	0.761	7.122	**دالة**
٤١	2.78	0.535	2.06	0.783	7.910	**دالة**
٤٢	2.56	0.702	1.89	0.801	6.506	**دالة**
٤٣	2.82	.526٠	2.32	.639٠	6.277	**دالة**
٤٤	2.62	.733٠	2.24	.639٠	4.057	**دالة**
٤٥	2.44	0.702	1.58	0.698	8.948	**دالة**
٤٦	2.09	0.792	1.53	0.703	5.543	**دالة**
٤٧	2.73	.523٠	1.97	.837٠	7.998	**دالة**
٤٨	2.48	.742٠	1.46	.618٠	10.959	**دالة**
٤٩	2.79	.548٠	2.47	.755٠	3.509	**دالة**
٥٠	2.63	.590٠	1.81	.742٠	9.037	**دالة**
٥١	2.66	.614٠	1.70	.846٠	9.485	**دالة**
٥٢	2.85	.428٠	2.37	.744٠	5.830	**دالة**
٥٣	2.88	.327٠	2.53	.716٠	4.643	**دالة**
٥٤	2.86	.420٠	2.02	.820٠	9.501	**دالة**
٥٥	2.19	.658٠	1.78	.740٠	4.275	**دالة**
٥٦	2.47	.676٠	1.56	.674٠	9.881	**دالة**
٥٧	2.33	.670٠	1.61	.624٠	8.199	**دالة**

-علاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس:

استخدم الباحث معامل ارتباط بيرسون لاستخراج العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية لـ(٣٠٠) استمارة، وأظهرت نتائج ان جميع الفقرات دالة احصائيا عند مقارنتها بالقيمة الجدولية (٠.٠٩٨) عند مستوى دلالة (٠.٠٥) وبدرجة حرية (٢٩٨) والجدول (٤) يوضح ذلك .

جدول (٤)

معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية

ت	معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية	ت	معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية	ت	معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية
1	0.430	20	0.506	٣٩	٠.489
2	0.335	21	0.473	٤٠	٠.500
3	0.257	22	0.449	٤١	٠.522
4	0.290	23	0.446	٤٢	٠.481
5	0.382	24	0.554	٤٣	٠.458
6	0.296	25	0.461	٤٤	٠.501
7	0.370	26	0.464	٤٥	٠.546
8	0.455	27	.443٠	٤٦	٠.561
9	0.457	28	.376٠	٤٧	.437٠
10	٠.429	29	.393٠	٤٨	.441٠
11	٠.489	30	.403٠	٤٩	.345٠
12	٠.462	٣١	٩٨.٣٠	٥٠	.279٠
13	٠.451	٣٢	.397٠	٥١	.306٠
14	٠.488	٣٣	.359٠	٥٢	.392٠

15	٠.430	٣٤	.384٠	٥٣	.309٠
16	٠.404	٣٥	.469٠	٥٤	.373٠
17	٠.433	٣٦	0.361	٥٥	.489٠
18	٠.536	٣٧	0.380	٥٦	.473٠
19	٠.443	٣٨	0.355	٥٧	٠.462

-علاقة درجة الفقرة بدرجة المجال الذي تنتمي إليه:

لغرض حساب قيمة معامل الارتباط بين درجة كل فقرة ودرجة المجال الذي تنتمي إليه، استعمل الباحث معامل ارتباط بيرسون، وبعد اجراء المعالجات الإحصائية لدرجات استجابات افراد العينة اتضح إن جميع معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مقارنتها بالقيمة الحرجة البالغة(٠.٠٩٨) عند مستوى دلالة(٠.٠٥) وبدرجة حرية(٢٩٨)، ومن خلال هذا المؤشر اتضح أن جميع فقرات المقياس تنتمي لمجالاتها، والجدول(٥) يبين ذلك.

جدول (٥)

معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية للمجال

المجال	عدد الفقرات	ت	علاقتها بالمجال	ت	علاقتها بالمجال
محو الأمية البصرية	١١	١	0.612	٧	.542٠
		٢	0.482	٨	.619٠
		٣	0.649	٩	.573٠
		٤	0.390	١٠	.361٠
		٥	0.437	١١	.307٠
		٦	0.364		
محو الأمية الإنجابية	٩	١٢	0.561	١٧	.453٠
		١٣	0.631	١٨	.578٠
		١٤	0.547	١٩	.083٠
		١٥	0.279	٢٠	.464٠
		١٦	0.263		
محو الأمية المتفرعة	١٣	٢١	0.338	٢٨	.508٠
		٢٢	0.311	٢٩	.477٠
		٢٣	0.397	٣٠	.430٠
		٢٤	0.427	٣١	.551٠
		٢٥	0.292	٣٢	.657٠
		٢٦	0.215	٣٣	.464٠
		٢٧	0.516		
محو الأمية المعلوماتية	١٤	٣٤	0.352	٤١	.676٠
		٣٥	0.393	٤٢	.671٠
		٣٦	0.331	٤٣	.640٠
		٣٧	0.265	٤٤	.601٠
		٣٨	0.278	٤٥	.612٠
		٣٩	0.308	٤٦	.599٠

		٤٠	0.355	٤٧	.257٠
محو الأمية الاجتماعية والعاطفية	١٠	٤٨	0.413	٥٣	.695٠
		٤٩	0.225	٥٤	0.327
		٥٠	0.342	٥٥	0.592
		٥١	0.443	٥٦	0.425
		٥٢	0.538	٥٧	0.626

- **علاقة المجال بالمجالات الأخرى لمقياس محو الامية الرقمية**

أستعمل الباحث معامل ارتباط بيرسون لايجاد العلاقة بين درجة المجال بالمجالات الاخرى لمقياس محو الامية الرقمية وبمقايسة معاملات الارتباط المحسوبة بالقيمة الجدولية والبالغة (٠.٠٩٨) عند مستوى دلالة (٠.٠٥) بدرجة حرية (٢٩٨) تبين ان العلاقة بين مجالات مقياس محو الامية الرقمية دالة كما موضح في الجدول (٦).

جدول (٦)

علاقة المجال بالمجال الاخر

محو الامية الرقمية	محو الأمية البصرية	محو الأمية الإنجابية	محو الأمية المتفرعة	محو الأمية المعلوماتية	محو الأمية الاجتماعية والعاطفية	الكلي
محو الأمية البصرية	1					
محو الأمية الإنجابية	.506٠	1				
محو الأمية المتفرعة	.391٠	.372٠	1			
محو الأمية المعلوماتية	.463٠	.539٠	.461٠	1		
محو الأمية الاجتماعية والعاطفية	.528٠	.344٠	.451٠	.538٠	1	
الكلي	0.764	0.778	0.699	0.782	0.627	1

الثبات Reliability: وقد تم حساب الثبات بطريقتين هما :

– **طريقة الاتساق الخارجي إعادة الاختبار Test–Rtest:** تم حساب معامل ارتباط (بيرسون) بين درجات أفراد العينة في التطبيقين إذ بلغت قيمة معامل الثبات لمقياس محو الامية الرقمية (٠.٨٣) وهو ثبات جيد

– **طريقة الاتساق الداخلي (الفا كرونباخ)** : ولأجل استخراج الثبات لمقياس البحث الحالي بهذه الطريقة تم استعمال معادلة (ألفا كرونباخ) وقد بلغ معامل الثبات لمقياس محو الامية الرقمية(٠.٧٤) وهو ثبات جيد.

الوسائل الإحصائية : استعمل الباحث الوسائل الإحصائية الآتية:

١– الاختبار التائي(T–Test) لعينتين مستقلتين

٢- معامل التمييز لأستخراج القوة التمييزية .

٣- الاختبار التائي لعينة مستقلة واحدة .

٤- معامل ارتباط بيرسون.

وقد استعمل الباحث برنامج الحقيبة الإحصائية (SPSS)لتحليل البيانات.

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها

- الهدف الأول: التعرف على محو الامية الرقمية ودعمها الكترونيا وفقا لنظرية التقرير الذاتي لدى طلبة المرحلة الاعدادية.

وتشير المعالجة الإحصائية المتعلقة بمقياس محو الامية الرقمية إلى أنَّ المتوسط الحسابي لدرجات أفراد العينة والبالغ عددهم(٣٠٠) طالب وطالبة على هذا المقياس، قد بلغ (133.48) وبانحراف معياري قدره (18.416) درجة، في حين بلغ المتوسط الفرضي(114) وبمقارنة المتوسط الحسابي مع المتوسط الفرضي[*][1] باستعمال الاختبار التائي لعينة واحدة كانت القيمة التائية المحسوبة(18.318) وهي اعلى من القيمة الجدولية البالغة (١.٩٦) ظهر أن هناك فرقاً دالاً عند مستوى دلالة (٠.٠٥) وبدرجة حرية (299)، وكما موضح في الجدول(٧)

الجدول(٧)

نتيجة الاختبار التائي لعينة واحدة لمقياس محو الامية الرقمية

العينه	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	درجة الحرية	القيمة التائية	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
٣٠٠	133.48	18.416	114	299	18.318	١.٩٦	٠.٠٥

تشير النتائج إلى أن التكنولوجيا المقترحة يمكن ان تدعم التعليم وأن يطور بشكل فعال الأبعاد الخاصة بمحو الأمية الرقمية لدى الطلبة، فالاحتياجات الفطرية تتمثل بالدعم الذي يتلقاه الطلبة من التكنولوجيا هو نفس الدعم الذي يتلقونه من المعلمين للتعلم بنجاح في مجال التكنولوجيا- بيئات مملوءة بالمعلومات- اذ ان محو الأمية الرقمية شرط أساسي للتعلم الرقمي، وعندما تحفز البيئة مشاركة الطلبة، فمن المرجح أن يهتم الطلبة بالأدوات والموارد

[*] المتوسط الفرضي = مجموع أوزان البدائل على عددها × عدد الفقرات

الرقمية ويحترمونها ورعاية الآخرين في الاتصالات والتعاون، مما يؤدي إلى تحسين محو الأمية الرقمية.

كما تثبت النتائج وجود صلة تجريبية غير مستكشفة بين التكنولوجيا المدركة لدعم التعلم ومحو الأمية الرقمية. بالنظر إلى الأدوار المعتاد تصورها للتكنولوجيا في التعلم والتعليم ، لا سيما في التعليم المدرسي ، اذ يمكن أن تسهم نتائجنا برؤى مفيدة حول كيفية دعم الطلبة بشكل أفضل من خلال تصميم بيئات تكنولوجية داعمة للاحتياجات يمكن أن تمكنهم من تطوير التكنولوجيا الرقمية لمحو الأمية بشكل فعال (Ng، ٢٠١٢).

وأن التعلم التكنولوجي المدرك الداعم لمحو الامية الرقمية تنبأ بشكل غير مباشر بالأبعاد التقنية والمعرفية لمحو الأمية الرقمية من خلال إشباع الحاجة إلى الاستقلالية والكفاءة، وتنبأ بمحو الامية الاجتماعية العاطفية وبقية أبعاد محو الأمية الرقمية من خلال تلبية كل من الاحتياجات ، واتفقت هذه النتائج مع دراسة (Chiu، ٢٠٢٢) التي اشارت الى تمتع الطلبة بمحو الامية الرقمية .

الهدف الثاني : الفرق في محو الامية الرقمية ودعمها الكترونيا وفقا لنظرية التقرير الذاتي وفقا لمتغيري الجنس والفرع الدراسي

أ: الجنس (ذكور – اناث)

ولأجل التعرف على الفروق في محو الامية الرقمية ودعمها الكترونيا وفقا لنظرية التقرير الذاتي وفقا لمتغير (الجنس) فقد تم استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين ، اذ تم حساب المتوسط الحسابي لعينة الذكور على مقياس محو الامية الرقمية وقد بلغ (139.10) درجة وبانحراف معياري (16.236) درجة وبلغ المتوسط الحسابي للإناث (128.00) درجة وبانحراف معياري (18.807) درجة ، وعند موازنة متوسط الذكور مع متوسط الإناث تبين أنهُ يوجد فروقاً ذات دلالة إحصائية في محو الامية الرقمية لصالح الذكور ، بدلالة القيمة التائية المحسوبة والبالغة (٥.٤٦٦) أكبر عند موازنتها بالقيمة التائية الجدولية والبالغة (١.٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٢٩٨) وهي دالة أحصائياً ، والجدول (٨) يوضح ذلك.

جدول (٨)

الفروق في محو الامية الرقمية تبعاً لمتغير الجنس

الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة(٠,٠٥)
الذكور	١٤٨	139.10	16.236	٢٩٨	٥.٤٦٦	١.٩٦	دالة

الإناث	١٥٢	128.00	18.807				

تشير النتائج في هذا الهدف إلى أن يؤدي دعم التعلم التكنولوجي لنظام إدارة التعلم إلى تطوير محو الأمية الرقمية للطلاب بشكل فعال اكثر مما هو لدى الطالبات مع مستويات مختلفة من الأهمية ، وقد يرجع ذلك للعزلة الاجتماعية للإناث والتي قد أثرت على تصورات الطالبات، وقد يعود السبب أيضا الى تمتع الطلاب بحرية في تناول الأجهزة التكنولوجية (الموبايل – الحاسوب) بكشل اكبر مما هو لدى الطالبات ، فضلا عن وجود فجوة بين تصور طلاب المرحلة الثانوية لمحو الأمية الرقمية وفهمهم الفعلي لأداء مهارات التواصل ، لا سيما في الاجتماعية والعاطفية (Porat et al,2018, p.29)

وان تعزيز محو الأمية الرقمية للطلاب، وتلبية الاحتياجات قد تكون الحاجة إلى ابعاد نظرية التقرير الذاتي (الاستقلالية – والكفاءة– الانتماء) يعد أكثر أهمية لديهم من تلبية الحاجة للطالبات، تشير هذه النتائج إلى أن التجربة النفسية للطلاب قد يكون أكثر إدراكية بطبيعته فيما يتعلق بمهارات التعلم والتعليم والتقييم (الأبعاد التقنية والمعرفية) ، ولكن أكثر عاطفية فيما يتعلق بالتواصل والتنشئة الاجتماعية (البعد الاجتماعي العاطفي) وأن نتائج الطلاب المرتبطة بالاحتياجات المعرفية يمكن تفسيرها من خلال رضا احتياجات الاستقلالية والكفاءة والانتماء (Sierens et al,2009, p.66)

ب: الفرع الدراسي (العلمي – الادبي)

ولأجل التعرف على الفروق في محو الامية الرقمية لدى طلبة المرحلة الاعدادية تبعاً لمتغير (الفرع الدراسي) فقد تم استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين ، اذ تم حساب المتوسط الحسابي لعينة العلمي على مقياس محو الامية الرقمية وقد بلغ (138.98) درجة وبانحراف معياري (16.044) درجة وبلغ المتوسط الحسابي للأدبي (127.43) درجة وبانحراف معياري (19.001) درجة ، وعند موازنة متوسط العلمي مع متوسط الادبي تبين أنهُ يوجد فروقاً ذات دلالة إحصائية في محو الامية الرقمية لصالح الفرع العلمي، بدلالة القيمة التائية المحسوبة والبالغة (٥.٧٠٣) أكبر عند موازنتها بالقيمة التائية الجدولية والبالغة (١.٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٢٩٨) وهي دالة إحصائيا ، والجدول (٩) يوضح ذلك.

جدول (٩)

الفروق في محو الامية الرقمية تبعاً لمتغير الفرع الدراسي

الفرع الدراسي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة(٠,٠٥)
العلمي	157	138.98	16.044	٢٩٨	٥.٧٠٣	١.٩٦	دالة
الأدبي	143	127.43	19.001				

ويمكن ان يعزى ذلك الى طبيعة المواد الدراسية التي يدرسونها ، كما ان البيئات المشبعة بالتكنولوجيا ترتبط بنجاح تلبية هذه الاحتياجات الثلاثة ، عندها يشعر الطلبة أقوى شعورا بالاستقلالية لاختيار التقنيات المفضلة لديهم لتحديد المعلومة، وإدارة وتحليل وتقييم وتوليف الموارد الرقمية (مظهر من مظاهر التقنية بعد محو الأمية الرقمية)؛ وشعور أقوى بالكفاءة بشكل مناسب و استخدام التقنيات بشكل صحيح لإنشاء المعنى وصنعه ومشاركته (مظهر من مظاهر البعد المعرفي) ؛ وشعور أقوى بالارتباط للتعاون والتواصل بشكل فعال مع الآخرين في أوضاع وأشكال مختلفة وهذا ما يتمتع به الطلبة من الفرع الدراسي العلمي اكثر مما لدى الفرع الادبي ، وأن النتائج التي توصل إليها الباحث تؤكد اتفاقها مع نتائج الدراسات السابقة التي حددت بوجود رابط علمي جيد بين دعم احتياجات الطلبة والتعلم باستخدام التكنولوجيا الذي يحتاجه الطلبة من الفرع الدراسي العلمي.

التوصيات:

١- أن يقوم المعلمون بتصميم استراتيجيات التعلم بشكل فعال لتطوير محو الأمية الرقمية لدى طلبتهم.

٢- تنظيم ورشات او ندوات تختص بالطلبة لفهم أهمية دعم الاحتياجات في بيئات التعلم التكنولوجيا ، وإدخال مفهوم دعم التعلم التكنولوجي في البيئات المليئة بالتكنولوجيا.

المقترحات:

١- علاقة محو الامية الرقمية بالذكاء الاصطناعي لدى الطلبة المتفوقين.

٢- دراسة محو الامية الرقمية لدى معلمي المدارس الابتدائية.

المصادر :

أولا : المصادر العربية :

- النجار، إخلاص باقر هشام و حسين، مصطفى مهدي (٢٠٠٨) قياس وتحليل الفجوة الرقمية في الوطن العربي ، مجلة العلوم الاقتصادية ، جامعة البصرة ، ٦ (٢٢) ص ١٨٩ – ٢١٣.

- النقري، معن.(٢٠٢٢) الوطن العربي والفجوة الرقمية. مجلة التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ١٢ (٢٣) ص ١٨٥ – ١٩٦.

- الهنداوي ،ياسر فتحي و محمد ، نسرين صالح (٢٠١٠): دور المنظمات غير الحكومية في تخطيط وتقويم برامج محو أمية الكبار في مصر وباكستان: دراسة مقارنة، بحث منشور بمؤتمر مركز تعليم الكبار جامعة عين شمس، ملخص دكتوراه.

ثانيا :المصادر الأجنبية :

- Bedenlier, S., Bond, M., Buntins, K., Zawacki-Richter, O., & Kerres, M. (2020). Facilitating student engagement through educational technology in higher education: A systematic review in the field of arts and humanities. Australasian Journal of Educational Technology, 36(4), 126–150.
- Bergdahl, N., Nouri, J., & Fors, U. (2020). Disengagement, engagement and digital skills in technology- enhanced learning. Education and Information Technologies, 25(2), 957–983.
- Blau, I., Shamir-Inbal, T., & Avdiel, O. (2020). How does the pedagogical design of a technology enhanced collaborative academic course promote digital literacies, self-regulation, and perceived learning of students? The Internet and Higher Education.
- Boumarafi, B. (2018): Attitude Of Algerian Students Towards The Digital Culture And Its Impact On The Technology Use Based On The Technology, Acceptance Model (Tam), Revue Des Sciences Humanins & Social, N.50, P.P.226-237
- Chiu, T. K. F. (2021). Digital support for student engagement in blended learning based on Self-determination Theory. Computers in Human Behavior.
- Chiu, T. K. F., & Lim, C. P. (2020). Strategic use of technology for inclusive education in Hong Kong: A content-level perspective. ECNU Review of Education, 3(4), 715–734.
- Du, K., Wang, Y., Ma, X., Luo, Z., Wang, L., & Shi, B. (2020). Achievement goals and creativity: The mediating role of creative self-efficacy. Educational Psychology, 40(10), 1249–1269.
- Eshet, Y. (2004). Digital literacy: A conceptual framework for survival skills in the digital era. Journal of Educational Multimedia and Hypermedia, 13(1), 93–106.
- Green, j. S (2009): Reviewing Approaches and Perspectives on "Digital Literacy", Pedagogies: An International Journal, Volume 4, pp107-125
- Hague, C., & Payton, S. (2010). Digital literacy across the curriculum. Futurelab.
- Hsu, H. C. K., Wang, C. V., & Levesque-Bristol, C. (2019). Reexamining the impact of self-determination theory on learning outcomes in the online learning environment. Education and Information Technologies, 24(3), 2195–2174.
- Ismailov, M., & Ono, Y. (2021). Assignment design and its effects on Japanese college freshmen's motivation in L2 emergency online courses: A qualitative study. The Asia-Pacific Education Researcher, 30(3), 263–278.

- Jacobs, G. E.& other (2014): Production and Consumption: A Closer Look at Adult Digital Literacy Acquisition, Journal of Adolescent & Adult Literacy, v57 n8, p624-627.
- Lietaert, S., Roorda, D., Laevers, F., Verschueren, K., & De Fraine, B. (2015). The gender gap in student engagement: The role of teachers' autonomy support, structure, and involvement. The British Journal of Educational Psychology, 85(4), 498–518.
- Martin, A., & Grudziecki, J. (2006). DigEuLit: Concepts and tools for digital literacy development. Innovation in Teaching and Learning in Information and Computer Sciences, 5(4), 249–267.
- Ng, W. (2012). Can we teach digital natives digital literacy? Computers & Education, 59(3), 1065–1078.
- Pekrun, R., Lichtenfeld, S., Marsh, H. W., Murayama, K., & Goetz, T. (2017). Achievement emotions and academic performance: Longitudinal models of reciprocal effects. Child Development 88 (5), 1653–1670.
- Pendell, K. D., Withers, E., Castek, J., and Reder, S. (2013). Tutor-facilitated adult digital literacy learning: Insights from a case study. Internet Reference Services Quarterly, (18), 105-125.
- Porat, E., Blau, I., & Barak, A. (2018). Measuring digital literacies: Junior high-school students' perceived competencies versus actual performance. Computers & Education, 126, 23–36.
- Prior, D. D., Mazanov, J., Meacheam, D., Heaslip, G., & Hanson, J. (2016). Attitude, digital literacy and self efficacy: Flow-on effects for online learning behavior. The Internet and Higher Education, 29, 91–97.
- Reeve, J. (2016). Autonomy-supportive teaching: What it is, how to do it. In J. C. K. Wang, W. C. Liu, & R. M. Ryan's (Eds.), Building autonomous learners: Perspectives from research and practice using self-determination theory. (pp. 129–152). Springer.
- Riel, J. (2012). The Digitally Literate Citizen: How Digital Literacy Empowers Mass Participation in the United States. Unpublished Master Dissertation, Georgetown University, USA.
- Ryan, R. M., & Deci, E. L. (2020). Intrinsic and extrinsic motivation from a self-determination theory perspective: Definitions, theory, practices, and future directions. Contemporary Educational Psychology.
- Ryan, R. M., & Deci, E. L. (2020). Intrinsic and extrinsic motivation from a self-determination theory perspective: Definitions, theory, practices, and future directions. Contemporary Educational Psychology.
- Sierens, E., Vansteenkiste, M., Goossens, L., Soenens, B., & Dochy, F. (2009). The synergistic relationship of perceived autonomy support and

structure in the prediction of self-regulated learning. The British Journal of Educational Psychology, 79 (Pt 1), 57–68.

- Skinner, E. A., Furrer, C. J., Marchand, G., & Kindermann, T. A. (2008). Engagement and disaffection in the classroom: Part of a larger motivational dynamic? Journal of Educational Psychology, 100 (4), 765–781.
- Xie, K., & Ke, F. (2011). The role of students' motivation in peer-moderated asynchronous online discussions. British Journal of Educational Technology, 42(6), 916–930.

التغيرات التطورية في ما وراء الدافعية لدى الاطفال والمراهقين

م. د. مريم هاشم حمد البدري*

Developmental changes in metamotivation in children and adolescents

الكلمات المفتاحية: تطور،ما وراء الدافعية ،الانجاز ،الاطفال، المراهقين

Keywords: development, beyond motivation, achievement, children, adolescents

المستخلص :

يهدف البحث الحالي معرفة تطور مستوى ما وراء الدافعية لدى طلاب المرحلة المتوسطة والاعدادية، وبحسب متغيرات العمر والجنس والكشف عن دلالة الفرق في مستوى ما وراء الدافعية بين فئات كل من متغيرات العمر(١١ ، ١٣ ، ١٥ ،١٧) عاماً والجنس (ذكور ، إناث). ولتحقيق هذه الأهداف اختارت الباحثة عينة تكونت من (٢٠٠) طالب وطالبة ، بواقع (٥٠) تلميذاً من تلامذة الصف الرابع الابتدائي الذين هم بعمر (٩) اعوام و(٥٠) تلميذاً من تلامذة الصف السادس الابتدائي الذين بعمر (١٢) عاماً ، و(٥٠) طالباً من طلبة الصف الثالث المتوسط الذين هم بعمر (١٥) عاماً ، و(٥٠) طالباً من طلبة الصف الخامس الاعدادي الذين هم بعمر (١٧) عاماً ومن كلا الجنسين بالتساوي. وقامت الباحثة بتبني مقياس (الغرباوي ،٢٠١٩م) لما وراء الدافعية والذي يتكون من (٣٥) فقرة يجيب عنها المجيب باختيار احد البدائل(نعم، لا) وتعطى لمقياس التصحيح الدرجات (١ ،٠) على التوالي ولذلك فان اكبر درجة له (٧٢) واقل درجة (٢٤) درجة وبمتوسط فرضي (٤٨) درجة. وبعد تطبيق مقياس (ما وراء الدافعية ، الغرباوي ٢٠١٩) على عينة البحث وبعد تحليل الدرجات إحصائياً أظهرت النتائج الاتية:

- بلغ المتوسط الكلي للدرجات لما وراء الدافعية لدى عينة البحث وفي فئات متغيرات العمر والجنس والترتيب الولادي كانت اقل من المتوسط الفرضي للمقياس وبفرق دال إحصائياً عند مستوى(٠.٠٥).
- يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥) في ما وراء الدافعية بين فئات العمر (٩ ، ١٢ ، ١٥ ،١٧) عاماً ولصالح العمر الاكبر.
- يوجد فرق دال إحصائيا في مستوى(٠.٠٥) لسلوك ما وراء الدافعية لكلا من الذكور والإناث ولصالح الذكور.

* كلية الامام الكاظم (عليه السلام)
mariamhashim@alkadhum-col.edu.iq

Abstract:
The current research aims to find out the development of the level of meta-motivation among middle and high school students, according to the variables of age and gender, and to reveal the significance of the difference in the level of meta-motivation between the categories of each of the variables of age (11, 13, 15, 17) years and gender (male, female). . To achieve these goals, the researcher selected a sample consisting of (200) male and female students, with (50) students from the fourth grade of primary school who are (9) years old, and (50) students from the sixth grade students who are (12) years old, and (50 students from the third intermediate grade who are (15) years old, and (50) students from the fifth grade middle school who are (17) years old and of both sexes equally.

أولاً :- مشكلة البحث

واتضح من نتائج الدراسة التي قدمها تشن عام (١٩٩٥) م – ان الأشخاص الذين لديهم مستوى ضعيف من المهارات لما ماوراء الدافعية تظهر لديهم حالة ضعف المشاعر والسلوك باتجاه الاشخاص الآخرين والذيم يتميزون بعدم تقبلهم الطبيعة والناس، وهذا ما يولد لديهم الضعف في العلاقات الشخصية والخوف من مواجهة المستقبل (Chen,١٩٩٥– ص٦٧)

اكد (مايرز،عام ١٩٩٩) ان العدائية تتولد عن ضعف ما وراء الدافعية كما يضعف الابداع والابتكار وهذا يجعل الاشخاص خاضعين للثقافة المحددة دون الانفتاح على الثقافات المتنوعة (myers,1999;p212).

ان اول من صاغ مصطلح ما وراء الدافعية (ماسلو) ووضع نظرية خاصة بها اسماها (نظرية ما وراء الدافعية)،(Theery of metamotivtion) واستخدمها المتعلم للتركيز والسيطرة على ستراتيجيات الدافعية ، فكلمة (meta)، التي وضعت قبل (motivation)، لغرض تمييز مصطلح (meta- motivotion)من قبل (motivtion) ، الذي يعني دافع الفرد للتعلم وكذلك ضبط التعلم في البرنامج التربوي (conti&ffellnz,2019;p4-10).

ثانياً :- اهمية البحث

وترجع أهمية ما وراء المعرفة بالنسبة للطلبة الى سببين الاول لانه يساعد الطلبة على ضبط عمليات تعلمهم المختلفة ، انما يساعدهم على ان يصبحوا متعلمين مستقلين والثاني انه يساعدهم على تطبيق ما تعلموه في مواقف مختلفة (Wang,2020;43).

تزيد قيمة التعلم لدى التلميذ لنفسه حيث انها تنفع التلاميذ في عدة جوانب ومنها صياغه الاهداف بعد تحليل وتزويد فعالية وتوقعات التلاميذ بالنجاح هذا ما يؤكده (conti,1999;p4).

وفي هذا الصدد يشير ماسلو (maslow,1967;p120) ، من خلال كفاءة الفرد وادركه للواقع الذي يعيشه وقدرته على الحكم الدقيق للواقع والتنبؤ باحداثه ليس نتيجة حدس او قدرات نافعة وانما لقدرته على رؤية وادراك الاشياء كما هي دون احكام مسبقة كذلك العقدة على قبول الاختلافات والطبقية واختلاف الرأي وكذلك اهمية تفاعل الاراء المختلفة من اجل الحقيقة (maslow,1967;p120).

ثالثا:- أهداف البحث :

يهدف البحث الحالي التعرف على :-

١. تطور سلوك ما وراء الدافعية لدى الاطفال والمراهقين بأعمار (٩-١٢-١٥-١٧) عاماً.
٢. دلالة الفروق الاحصائية في قياس سلوك ما وراء الدافعية لدى الاطفال والمراهقين تبعاً لمتغيري (النوع الاجتماعي ،العمر).

رابعا:- حدود البحث :

١. الحدود المكانية :- المدارس الابتدائية في مركز مدينة واسط (الكوت).
٢. الحدود الزمانية:- العام الدراسي ٢٠٢٢-٢٠٢٣.
٣. الحدود البشرية:- الاطفال في المدارس الابتدائية والمراهقين في المدارس المتوسطة والاعدادية (البنين ، البنات) المتواجدين في مركز مدينة الكوت.

خامسا:- تحديد المصطلحات :

١-تعريف التغير (Change) لغةً

تعريف لسان العرب (ب،ت):-

تغير الشيء عن حالة :تحول ،وغيره: حوله وبدله كأنه جعله غير ما كان ،وفي التنزيل العزيز : ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ،قيل معناه يبدلوا ما أمرهم الله .والغُيَر: الاسم من الغيَر(ابن منظور ،ب ت،ج٥: ٤٠).

تعريف المعجم الفلسفي (١٩٧٩):-

تغير، تحول صفة او اكثر من صفات الشيء ، او حلول صفة محل اخرى ،وهو احد انواع : التغير في الكيف ويسمى الاستحالة ، اوفي الكم بالزيادة ، او النقص ،او في المكان ويسمى الانتقال ،اما التغير في الجوهر فهو تغير بالكون ،او بالفساد (مدكور،١٩٧٩: ٥٠).

التعريف اصطلاحاً:-

تعريف دسوقي (١٩٨٨):-

تبديل في البناء ،او التركيب في العملية ،او في الواقعة ،او الحدث(دسوقي، ١٩٨٨: ٢٣٠).

ويعرف التغير في البحث الحالي بأنه:-

مجموعه من التحولات النوعية ،والكمية في الخصائص المعرفية لدى المراهقين المتعلقة بقدرتهم على الانتباه الانفعالي والناتجة عن تقدمهم بالعمر.

٢-تعريف التطور

- **لغة : المعجم الوسيط (ب ت)** :تطور مشتقة من الطور .طوره: حوله من طور إلى طور. وتطور تحول من طور إلى طور(المعجم الوسيط ، ب ت :٥٧٥) .
- **اصطلاحاً:**

أ. **بياجيه (١٩٨٦):** هو التوازن المتدرج من حالة ضعيفة إلى حالة أقوى من السابقة (بياجيه ،١٩٨٦: ٧) .

ب. **عريفج (١٩٨٧)** : هي حالة التجديد المستمر في ذات الإنسان الذي يحقق وجوده في أثناء مراحل نموه وخلال عمليات تكيفه (عريفج ، ١٩٨٧ :١٦) .

١- تعريف الأطفال Children :

- **لغةً:** الطفل أي المولود، والجمع (اطفال) وهو الصغير في كل شيء او المولود، والطفل الولد حتى البلوغ، ويستوي فيه الذكر والأنثى (الرازي، ١٩٨٣ : ٣٩٤) .
- **اصطلاحاً :**

أ. **تعريف زهران (١٩٨٦)** : المرحلة التي تمتد من عمر(٩) سنوات إلى عمر(١٢) سنة (زهران،١٩٨٦: ٢٣٣).

٢- تعريف المراهقون Adolescents :

- **لغة :** من راهق أي اقترب من الشيء ، وراهق الغلام فهو (مراهق) ، أي قارب الاحتلام ، فالمراهقة تعني الاقتراب والدنو من الحلم ، يقال (رَّهَّقَّ) أي لحق ودنا وشارف (الرازي ، ١٩٨٣ : ٢٦٠) . ومصطلح "المراهقة" باللغة الانكليزية (Adolescents) مشتقة من الفعل اللاتيني (Adolescere) ومعناه الاقتراب المتدرج من النضج البدني والجنسي والعقلي والانفعالي والاجتماعي (هرمز وإبراهيم ، ١٩٨٨ : ٥٦٥) .

٣- ماوراء الدافعيةmetacognition :

التعريف النظري:-

تعريف ومعنى الدافع او الدافعية في معجم المعاني الجامع :-

اسم مصدر صناعي من دافع :رغبة

الدافعية اللاشعورية (علم النفس) الرغبة الجارفة التي لايدري الفرد عنها شيئاً ولكنها تؤثر فيه لكي يسلك سلوكا معيناً قد يكون ضد ارادته.

تعريف الدافع في (المعجم لسان العرب)- دفعه دفعاً ودفاعاً ودفعه ودفعه فاندفع وتدفع- دافعية كلمة صلها الاسم (دافع) في صورة مفرد مذكر وجذرها (دفع) وجذعها (دافع) وتحليلها (دافع+ يه) (معجم المعاني الجامع ، ب ت :٥٧٦) . .

- **تعريف (maslow,1967):-**

هي دافعية الافراد الذين يتجاوزون نطاق حاجاتهم الاساسية والسعي الى التطور المستمر (Goble,1970;p35).

- **تعريف فورود (Ford,1992):-**

هي بناء اساسي يسهل للمتعلم الاستخدام الكامل والمتبادل لاستراتيجيات التعلم بالاعتماد على وعيه الدافعي وعلى معرفته وخبراته السابقة (ford,1992;p209).

التعريف الاجرائي:- وهي الدرجة التي يحصل عليها المستجيب عن مقياس ما وراء الدافعية.

الفصل الثاني : الاطار النظري

شهدت الاعوام الاخيرة دراسة متغيرات ما وراء الدافعية التي تنسق المهارات المعرفية التي تتضمن في الذاكرة والقراءة النصوص واستيعابها هذا ما اكدته مقالات براون (Brawn,1978;p46) ، وتتضمن ما وراء الدافعية او عمل الدافعية وكمثال على ذلك ما تتجه اليه الافكار من نقص او زيادة في الدافعية ، او ما تحتويه البيئة من حوافز للأفراد (Kuhl&kras,1989;p343).

كما ركزت الدراسات والبحوث في مجال الماورائيات على (ما وراء الدافعية) والاستراتيجيات التي يمكن ان تستعمل في ذلك فعلى الرغم من فعالية لما وراء الدافعية وفعالية واهميتها في عملية التعلم نفسها .

وللتركيز على سيطرة المتعلم على الدافعية استخدم مصطلح (meta)، فقد قامت الابحاث والدراسات التي تناولت (الدافعية وما وراء الدافعية) باستخدام متبادل للمصطلحين معاً وكذلك وصفت ما وراء الدافعية العمليات التالية:-

١- تحفيز السلوك واظهاره.

٢- تحديد اتجاه واعطاء سبب للسلوك.

٣- السماح للسلوك بالاستمرار.

٤- يوصل الى تفضيل واختيار سلوك معين (wlodkowski,2014,112).

مكونات ما وراء الدافعية

ان سلوك ما وراء الدافعية يتكون من مكونين رئيسيين هما :-

١- Energization تنشيط السلوك - التنشيط يشير الى الرضا والقناعة للحاجات الاساسية .

٢- Direction اتجاه السلوك يشير الى الوصول الى الهدف والغاية الاساس المنشودة او المطلوب تحقيقها (yabui,1992;p25).

اولا:- نظرية (ماسلو maslow,1967) للحاجات

بعد الممارسة والبحث الطويل وجد ماسلو ان يجب ان يعدل نظريته الكلاسيكية كي تتضمن الدوافع للافراد الذين حققوا ذواتهم في اطار نظرية ما وراء الدافعية (theory of metamotivation) التي تقوم على الاختلاف لدى الافراد بين الدوافع العادية والذين ما زالت تحركهم الحاجات الاساسية (Basic Needs) ، ودوافعهم الارقى والافراد الذين تم اشباع حاجاتهم الاساسية بشكل تام ، وتتطلب كذلك التفرقة بين (ما وراء الدافعية – metaneed) ، وبين الحاجات (needs)، كما بين ماسلو ان الافراد الذين تم اشباع حاجاتهم الاساسية يشعرون بقوة داخلية يصعب تحديدها تدفعهم بقوة لتكريس حياتهم ووجودهم في سبيل رسالة او قضية او عمل او دعوة وكذلك قد يصل سعيهم الى درجة تسمح لهم دون احراج ان يستخدمون المصطلحات السابقة ليصفون ما يقومون به وبكل اخلاص من اعمال وتفان .

وفي الصدد نفسه يؤكد (maslow) ان هؤلاء الافراد نذروا انفسهم بالمعنى الديني لإكمال عمل خارج انفسهم ، ويصفهم بانهم قد خلقوا للقيام بذلك العمل، ويؤكد ماسلو بان الافراد اذا حرموا من التعبير عن هذه القيم الداخلية الموجودة في الطبيعة البشرية يعني القيم الجوهرية (intvinsic Values)، فقد يصابون بالأمراض العليا (metapathologies)،وبالطريقة نفسها يصاب الفرد الذي يحرم من اشباع حاجاته الاساسية ، وقد يصاب بعض الشباب الميسورين (الاغنياءا المترفين) فقد يرون ان المجتمع الذي يعيشون فيه يركض وراء المادة ،دون وجود للقيم الراقية (maslow,1973,30) .

ويؤكد ماسلو ان الاشخاص الذين يمتلكون مستوى عالٍ من الدافعية والمعرفة وتحقيق الذات يمتازن بصفات منها.

١- التقبل للذوات وللطبيعة وللأفراد الاخرين.

٢- البساطة والطبيعة التلقائية وعدم الخوف من انفسهم ويثقون في سلوكهم ومشاعرهم تجاه الافراد الاخرين.

٣- استقلال نسبي عن بيئاتهم وعن الاخرين والارادة القوية .

٤- علاقتهم الشخصية بالافراد الاخرين ، عميقة ولكن محدودة العدد ، فهم يميلون الى الاقامة علاقات عميقة اكثر من السطحية.

٥- لديهم روح دعابة غير عدائية وفلسفية.

٦- لديهم الخلق والابداع والولع الشديد بالابتكار.

٧- يتجاوزون فروق الثقافات ومقاومة الخضوع ومقاومة للقولبة الثقافية(maslow,1970;p121).

العيوب التي تظهر لدى الافراد ذوي سلوك ما الدافعية العالية

١- غير مبالين (باردين).

٢- مضجرين (متهيجين).

٣- عنيدين (قساة).

٤- صارمين .

٥- شفوقين الى حد السذاجة.

٦- قلقين ولديهم احساس بالذنب .

٧- لديهم صراعات (maslow,1970;p30).

وفي هذا الصدد يؤكد ماسلو بان اهمية ما وراء الدافعية للمتعلمين تكمن في الاتي:-

١- تسمح للافراد بان يسعون نحو تحقيق رغباتهم ومطالبة اختياراتهم الشخصية.

٢- تقوم للافراد كل البيانات الاولية الضرورية المتطلبة للابداعية والروحية ، فضلاً عن الوفاء بحاجاته الاساسية.

٣- يقبلون التأجيل والتخلي عن الاختبارات.

٤- يستطيعون الخلاص من المواقف اذا امكنهم ذلك (maslow,1970;p32).

ثانيا:- موديل (نموذج) الزمن المتصل Time Continuun model

اول من وضع هذا الموديل (النموذج) هما رايموند وودكاوسكي عام (١٩٨٥) والغرض من وضعه هو تفسير الكيفية لزيادة الدافعية ، وما وراء الدافعية لدى الافراد الراشدين وفيه ست عوامل (اتجاهات ، حاجات، استثارة، انفعال والكفاية) بالاضافة الى (التعزيز والتنظيم) في الاطار الزمني والذي يحدده الموديل (النموذج) ، وفي مدد زمنية ثلاث وهي في البداية لكل درس وفي وسط الدرس واثناء الدرس وفي نهاية الدرس ، وقد يبنى هذا الموديل على نتائج البحث في كل من علم النفس التربوي وعلم النفس المعرفي، وعلم نفس الدافعية ، وفي نفس الصدد يقسم هذا الموديل العملية التعليمية الى ثلاث مراحل ضرورية جداً وهي البداية لعملية التعلم واثناء العملية ونهاية عملية التعلم كذلك.

١- **مرحلة البداية لعملية التعلم:-**

يتم التركيز في هذه المرحلة على بناء الاتجاهات الموجبة نحو عملية التعلم والعمل بقدر المستطاع على الاشباع للحاجات التعليمية وبالاخص الفسيولوجية منها ، وتستعمل لزيادة الرغبة في التعلم استراتيجيات منها استراتيجية التمهيد المشوق كذلك تحديد الاهداف الواضحة للدرس والتي تساعد على تطوير مهم وواضح للوصول الى النجاح.

٢- **مرحلة اثناء العملية التعليمية:-** يتم التركيز في هذه المرحلة الاثارة وذلك لاثارة ما وراء دافعية المتعلم وتشويقه)، ومن الاستراتيجيات المستعملة فيها استراتيجية اثارة الدافعية للمتعلم من خلال التشويق والنكات وتنوع الاساليب العرض لاستعمال طرائق التدريس المتنوعة كالمحاضرة والمناقشة والمنافسة في عمل الفريق.

٣- **مرحلة النهاية لعملية التعليمية:-** ويتم التركيز فيها على الكفاءة والاداء والتعزيز ومن الاستراتيجيات لزيادة الدافعية التي تستعمل فيها التغذية الراجعة التي تقدم من مرة الى المرة الاخرى، واعلام المتعلم عن تقدمه (wlodkowsk,1985;p1-6).

ثالثاً:- موديل (نموذج كلير- Keller,1987):-

وضعه كلير لفرض تفسير ما وراء الدافعية وسماها (التعميم التحفيزي)، ويتضمن اربع خطوات (التعزيز والحفاظ على دافعية المتعلم في العملية التعليمية وكذلك الانتباه لصلة الموضوع والثقة والرضا (Bohlin&milheim,1994;p71).

١- **الانتباه:-** ان الحصول على الانتباه بإثارة ادراك ووعي المتعلمين من خلال عرض ورواية او احداث مفاجئة والغير منطقية او الغير مؤكدة وذلك من خلال اثارة استفسارية حين يحفز المقرر الالكتروني فصول المتعلمين عند طرح مجموعة من الاسئلة او مشكلات صعبة يراد حلها ويندرج الوعي بما وراء الدافعية ضمن هذا الجانب وفي الصدد نفسه يؤكد _كيلر)ست استراتيجيات للانتباه لدى المتعلمين وهي كالاتي.

أ- **المشاركة النشطة:-** والمقصود بها تصميم شرائح تفاعلية للتعليم ، تضمن ان يكون المتعلم ايجابيا مع المقرر الالكتروني ، والمقصود تصميم او تركيب لخصائص المحتوى العلمي ،وليس سلبياً كالانتقال من شريحة الى شريحة اخرى.

ب- **التغير:-** وتعني عدم استعمال نمط واحد للتعلم فيجب تنويع الاساليب لتقديم المحتوى من الملفات الفيديوية والرسوم المتحركة والصور وغير ذلك من الاساليب للعرض.

ت- **الفكاهة:-**وتعني عدم وجود مانع من عرض الاشكال الفكاهية في المقرر الالكتروني مع ضرورة التوظيف السليم لها للاستخدام في التغذية الراجعة.

ث- **التنافر والصراع:-** وهو عرض المعلومات التي تتعارض مع الخبرات للمتعلمين في الماضي لاحداث صراع في عقله قد يؤدي الى زيادة الانتباه والتركيز في المعلومات المقدمة بالتعليم الالكتروني.

ج- **الامثلة المحددة:-** وهو عرض الامثلة المحددة والهادفة لاجزاء من المحتوى العلمي الذي يحتاج المتعلم لغرض الفهم وكذلك عرض الامثلة التوضيحية المتعمقة وشبه المتعمقة وذلك عبر مجموعتين لمثيرات بصرية او قصص وكذلك الروايات الرقمية فكلما تفاعل المتعلم وشارك مع زملائه زادت دافعيته نحو التعلم.

ح- **الاستفسار:-** وهي اخراج المشكلات والامثلة للمتعلمين التي يعملون على حلها، ويخطأ الكثيرون من مصممي زيادة الاثارة الحسية بالاضافة الى الرسوم المتحركة او التاثيرات للوسائط المتعددة ويمكن ان تكون الاثارة سلبية وغير ملائمة في الواقع لتعريف المتعلم عن الاستفادة مما حدده (كيلر،١٩٨٧) من طرق الاثارة للانتباه ويجب الا يتبين المصمم التعليمي في البحث عن المعلومات ولها الاثر الكبير في انتباه المتعلم وزيادة تركيزه في العملية التعليمية لان المتعلم يصبح عنصرا اساسياً وفعالاً في عملية التعلم (keller,1987;p8-12).

٢- **الصلة:- Relevance**ويقصد بها الصلة الوثيقة بين المتعلم وموضوع التعلم كلما ازدادت دافعية المتعلم المتعلم وحدد كلير (٦استراتيجيات) لزيادة الصلة بين موضوع التعلم والمتعلم وهي كالاتي:-

أ- **الخبرة:-** وهي ابلاغ المتعلم بالكيفية التي يتم بها التعلم الجديد وكيف ينمي الخبرات الحالية من خلال المقدمة للمقرر الالكتروني او التمهيد لكل الوحدات التعليمية.

ب- **القيمة الوقتية او الحالية:-** وهي ابلاغ المتعلم ما هو التعلم الذي يصبح قادراً عليه بعد اكمال عملية الدراسة ، مباشرةً وقد يأتي هذا من خلال الاهداف للمقرر الالكتروني.

ت- **القيمة المستقبلية:-** وهي ابلاغ المتعلم ما يستطيع تحقيقه مستقبلاً بعد اكمال موضوع التعلم، والكيفية التي يتم بها تنمية مهاراته الحالية كي يستخدمها في حياته العملية.

ث- **مطابقة الاحتياجات:-** وهي ابلاغ المتعلم بضرورة مطابقة وعزو موضوعات التعلم مع الاحتياجات للمتعلم ، وغالباً نجد أن مؤلفي المقررات الدراسية يحددون المادة العلمية حسب رؤيتهم ويجبرون الطلبة على تدريس مواد علمية في حين نجدهم على قناعة تامة ان هذه المواد لا تلبي

الاحتياجات للمتعلمين ، ومن الافضل في هذه الحالات يفضل ان ينخرط المؤلفون للمقررات مع المتعلمين في الاحتياجات العقلية بالاضافة الى مصادر التعلم الاثرائية تلبي احتياجات المتعلمين فضلاً عن المادة المفروضة عليهم.

ج- **النمذجة:-** هي توفير النماذج الحية مثل الفيديوات الرسوم المتحركة لكيفية شرح المهارات المطلوب ان يتعلمها الطلبة.

ح- **الاختيار:-** وهي السماح للمتعلمين باستعمال الطرق والاساليب المختلفة اثناء العملية التعليمية (Bohlion&milheim,1994;p84).

٣- **الثقة:- Confidence** ويقصد بها الحاجة الذاتية لشعور المتعلم بان ما يدرسة سوف يحقق الاهداف ولكي يشعر بثقة تحفزه وتزيد دافعيته نحو التعلم ، وقد وجد كلير (٦امور) تحقق الثقة المتبادلة بين المتعلم وموضوع التعلم وهي :-

أ- احتمالية النجاح وفهمها.

ب- ضمان التعلم

ت- سماح النجاح

ث- تطور ونمو المتعلم

ج- التغذية الراجعة

ح- التحكم المدرك (Keller,1987;p18-19).

الدراسات السابقة:-

١- **دراسة (سماوي، ٢٠١١):-** (التعليم المنظم ذاتياً وعلاقته بكل من وراء الدافعية والتوجه نحو اهداف الانجاز والمعتقدات المعرفية الذاتية لدى طلبة الجامعة).

هدف البحث الى المعرفة بين التعلم المنظم ذاتيا وما وراء الدافعية والتوجه نحو تحقيق الاهداف للإنجاز والمعتقدات المعرفية الذاتية لدى طلبة جامعة البلقان في الاردن تحت متغيرات النوع الاجتماعي ومستوى الدراسة والتخصص وضمت عينة البحث (٨٠١) طالب وطالبة للأعوام الدراسية ٢٠١٠-٢٠١١م تمت دراستهم بالطريقة العشوائية الطبقية واستعمل الباحثون فيها ادوات تمثلت في مقياس الاستراتيجيات الدافعية للتعلم او ما وراء الدافعية والتوجه نحو اهداف الانجاز والمعتقدات المعرفية الذاتية ، وقد خرجت النتائج بامتلاك العينة لمستوى متوسط للتعلم المنظم ذاتياً والمعتقدات والمعرفة الذاتية ومستوى مرتفعاً لكل من ما وراء الدافعية والتوجيه لاهداف الانجاز واظهرت النتائج الى وجود العلاقة الارتباطية بين التعلم المنظم ذاتيا وما وراء الدافعية والتوجيه نحو الاهداف للانجاز والمعتقدات المعرفية الذاتية، اما بالنسبة الى مستوى الطالب الدراسي للطالب فقد اشارت النتائج الى عدم وجود الفروق بين المتغيرات (سماوي، ٢٠١١م: ص١٢).

٢- **دراسة (جين ,chen,1995) –** ما وراء الدافعية وتنظيم الذات في تعلم اللغة الثانية – melamotivation and self Regulated second language leaming):- ان قياس ما وراء الدافعية هو الهدف من الدراسة في اطار التعلم المنظم ذاتياً عند تعلم اللغة الثانية وتضمنت عينة البحث (١٧٤طالباً)تايوانياً يدرسون في جامعة تكساس (٩٣عدد الطالبات و ٨١عدد الطلاب) وقد تم تطبيق مقياس ما وراء الدافعية الذي اعتمد في البحث وخرجت النتائج الى امتلاك عينة البحث مستوى مرتفعاً من ما وراء الدافعية ، كما ظهرت نتائج البحث وجود (٦ عوامل) لتحديد ما وراء الدافعية عند الطلبة وهي (الوعي ما وراء الدافعي ، والاتجاهات والقيم ووضع الاهداف التأملية والعزو التأملي والفعالية الذاتية ومجالات الانفعال الذاتية (chen,1995;p10).

٣- دراسة **ميرس (myers,1999) Astud of the leaming startegies of metacognition metamotivation,of atarg mdwestem university)**

الهدف من البحث قياس ما وراء الدافعية لطلبة قسم التمريض في الجامعة وتكونت عينة البحث من (٥٣طالباً) في قسم التمريض وتضمنت العينة من (١٩) طالب بكلوريوس تمريض لقياس ما وراء الدافعية والذي صمم من قبل الباحثين في جامعة مونتانا الامريكية ، واظهرت نتائج البحث ان الطلبة لديهم ما وراء الدافعية اكبر من طلبة المعهد (myers,1999;28).

٤- **دراسة (الغرباوي ،٢٠١٩م) (الاستدلال الاستقرائي وعلاقته بما وراء الدافعية والتحكم المدرك لدى طلبة الجامعة)**

هدف البحث التعرف على الاستدلال الاستقرائي وعلاقته بما وراء الدافعية والتحكم المدرك لدى طلبة الجامعة وتحقيقاً لاهداف البحث تم اختيار (٥٥٠طالباً وطالبة) بالطريقة الطبقية العشوائية من كليتين علميتين وانسانيتين ، وتم اعتماد ٣ادوات الاولى اختيار الاستدلال الاستقرائي الذي اعده (لويولا) وتكون من (٥٠فقرة) والثانية مقياس (chen) ، وتكون من (٣٦فقرة) موزعة على (٦ابعاد) اما الاداة الثالثة فهي مقياس التحكم المدرك الذي تم اعداده من قبل الباحثة وتكون من (٢٨فقرة) موزع على ابعاد وخلصت الدراسة بان طلبة الجامعة بمستوى من الاستدلال الاستقرائي وما وراء الدافعية والتحكم المدرك (الغرباوي، ٢٠١٩، ٦).

وعند مناقشة نتائج الدراسات السابقة نجد ان نتائج بحثنا الحالي تتفق مع معظمها ومنها دراسة الغرباوي ،٢٠١٩ لانها طبقت على نفس البيئة العراقية.

الفصل الثالث : منهجية البحث وإجراءاته :

منهجية البحث : يهدف البحث الحالي إلى الكشف عن تطور سلوك ما وراء الدافعية لدى الاطفال والمراهقين ممن هم بأعمار (١٧,١٥,١٢,٩) سنة ، ولتحقيق هذا الهدف اتبعت الباحثة منهج الدراسات

التطورية ضمن المنهج الوصفي (Descriptive Research) والذي يهتم بالتغيرات التي تحدث عبر مدة زمنية يحددها الباحث (جابر، ١٩٨٩: ١٣٤ –١٣٨) .

مجتمع البحث : تكون المجتمع الإحصائي للبحث الحالي من الطلاب والطالبات ممن هم بأعمار : (٩ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧) سنة الموجودين في المدارس المتوسطة والاعدادية الرسمية في مدينة الكوت بجانبيها من نهر دجلة (الضفتين اليمنى واليسرى لنهر دجلة) للعام الدراسي (٢٠٢٢ – ٢٠٢٣) ، والبالغ عددهم (٥٢٢١٨) ، منهم (٢٩٦٥) طالب وطالبة من المدارس الابتدائية والمتوسطة ، والاعدادية (٤٩٢٥٣) ، ويمثل جدول رقم (١) المجتمع البحثي وكالاتي .

الجدول (١)

يمثل المجتمع البحثي موزع بحسب التوزيع الجغرافي لمناطق مدينة الكوت وفقاً لمتغيري والنوع الاجتماعي للعام الدراسي (٢٠٢١– ٢٠٢٢)

مديرية تربية واسط	عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة	عدد الطلبة في المداس المتوسطة		المجموع	عدد المدارس الاعدادية	عدد الطلبة في المدارس الاعدادية		المجموع
		ذكور	إناث			ذكور	إناث	
الضفة اليمنى الغربية لنهر دجلة	١٢	٤٨١	٤٥٥	٩٣٦	١٢	٧٦٦٠	٧٠٦٨	١٤٧٢٨
الضفة اليمنى الشرقية لنهر دجلة	١٠	١٤٤	١٥٨	٣٠٢	١٠	٣٠٧٤	٣٠١٧	٦٠٩١
الضفة اليسرى الغربية لنهر دجلة	١٤	٣١٧	٣٠٧	٦٢٤	١٤	٥٠٧٩	٥٠٠٥	١٠٠٨٤
الضفة اليسرى الشرقية لنهر دجلة	١٦	٤٠٤	٣٠٨	٧٨٤	١٦	٨٧٦٣	٨١٨٣	١٦٩٤٦
المجموع	٦٢	١٦٤٣	١٣٢٢	٢٩٦٥	٤٢	٢٤٦٨٨	٢٤٥٦٥	٤٩٢٥٣
المجموع الكلي	٥٢٢١٨							

عينات الدراسة الحالية : اختيرت عينة البحث الحالي من المدارس الابتدائية والمتوسطة والاعدادية الاهلية والحكومية بالطريقة الطبقية العشوائية من المديرية العامة لتربية واسط ومن مناطق مختلفة والتي تقع ضمن هذه المديرية ، وفي ضوء هذه الإجراءات قامت الباحثة باختيار مدرسة واحدة لكل رقعة جغرافية عشوائياً ، وبواقع (١٠%) من عدد المدارس في كل رقعة سكنية ، وبذلك تكونت عينة الدراسة الحالية من (٤) مدارس ابتدائية و(٤) مدرسة متوسطة و(٤) مدارس اعدادية، استناداً إلى التقسيم الجغرافي للمنطقة والجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢)

يوضح توزيع اعداد افراد العينة في مدينة واسط (الكوت) بحسب النوع الاجتماعي والعمر

محافظة واسط	المدارس	٢٠عام	٣٠عام	٤٠عام	٥٠عام
الجانب الايمن من نهر دجلة	المدارس الابتدائية والمتوسطة والاعدادية التي تقع في الجانب الايمن لنهر دجلة	٦	6	6	6
		٦	6	6	6
		٦	6	6	6
		٦	6	6	6
الجانب الايسر من نهر دجلة	المدارس الابتدائية والمتوسطة والاعدادية التي تقع في الجهة اليسرى لنهر دجلة	٦	6	6	6
		٦	6	6	6
		٦	6	6	6
		٨	8	8	8
		٥٠	٥٠	٥٠	٥٠

التكافؤ بين مكونات العينة في العمر والنوع الاجتماعي : تمت المكافأة في العمر بسحب اعداد متساوية من كل فئة عمرية بواقع (١٠٠) طالب وطالبة من كل فئة عمرية ، واختيار أعداد متساوية من الذكور والإناث لكل فئة عمرية ، وكما وضحه جدول رقم (٢) .

أداة البحث :

مقياس ما وراء الدافعية : لتحقيق أهداف البحث الحالي في قياس تطور ما وراء الدافعية لدى الطلبة بأعمار : (٩-١٢-١٥-١٧) الملحق (٢) قامت الباحثة بالاطلاع على عدد من الدراسات الأجنبية كدراسة ترانتر وكوتستال (٢٠٠٧) ، ودراسة كاراكيل (٢٠٠٩) ، فضلاً عن بعض الدراسات العربية مثل دراسة الطلاك (٢٠٠٦) ، ودراسة الجلاد (٢٠١٤) ، ارتأت الباحثة تبني مقياس تطور سلوك ما وراء الدافعية ، في ضوء نظرية جيلفورد (١٩٦٠) ، (١٩٦٢) الذي اعدته (الغرباوي،٢٠١٩).

- **وصف المقياس:** تكون المقياس في صورته النهائية من (٣٤) فقرة ، وتمثل كل فقرة عبارة تكتب باللغة العربية الفصحى ، ويُطلب من الطالب او الطالبة الاجابة عن اسئلة المقياس بإجابة واحدة من بين اجابتين توزعت على (أ ، ب) إزاء مقياس ما وراء الدافعية التي يتعرض لها يومياُ في بيئته مثل : دائما ، ابداً ..الخ ، وتتحد إجابته بـ (أ) ، أو (ب) ، وتُعطى درجة (١) للإجابة عن (أ) ، ودرجة (٠) عن الاجابة (ب) ،الملحق (١)
- **التحليل المنطقي لفقرات المقياس** : تم عرض فقرات المقياس على لجنة مكونة من (١١) عضواً من المتخصصين في التربية وعلم النفس ، وطلب منهم الحكم على صلاحية فقرات المقياس ، وتعديل

الفقرات ، وقد أكدت اللجنة صلاحيات فقرات المقياس لقياس سلوك تطور ما وراء الدافعية ، وقامت الباحثة بتعديل صياغة مجموعة من الفقرات في ضوء ملاحظات افراد اللجنة .

- **التحليل الاحصائي لفقرات المقياس** : اجرت الباحثة تحليلاً إحصائياً لفقرات المقياس على عينة التحليل الإحصائي من خلال المؤشرات الآتية :

- القوة التمييزية للفقرات : قامت الباحثة بحساب قوة التمييز بين فقرات المقياس باستعمال اسلوب مجموعتين طرفيتين والبالغ عدد كل واحدة منها (١٠٨) طالب وطالبة ، واستعملت الباحثة معامل (ارتباط فاي). للكشف عن القوة التمييزية للفقرات ، لذا تعد الفقرة صادقة إذا كانت قوة العلاقة طردية معنوية وللكشف عن معنوية العلاقة استخدم الباحث (مربع كاي)، وعند مقارنة القيمة المحسوبة لاختبار (مربع كاي) بالقيمة الجدولية عند درجة حرية (١) وعند ومستوى دلالة (٠٥,٠) وهي (٨٤,٣) نجد أن الفقرات جميع الفقرات مميزة والجدول (٣) يوضح ذلك .

الجدول (٣)

يبين الاوساط الحسابية الانحرافات المعيارية والقيم التائية للمجموعتين العليا والدنيا

ت	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		قيمة مربع كآي		قيمة فآي	الدلالة ٠.٠٥
الفقرة	(واحد)	(صفر)	(واحد)	(صفر)	المحسوبة	الجدولية		
1	72	9	31	50	44,812	3.84	0,525	دالة موجبة
2	66	15	29	52	44,557		0,481	دالة موجبة
3	57	24	21	60	32,044		0,444	دالة موجبة
4	68	13	31	50	35,558		0,467	دالة موجبة
5	69	12	30	51	39,506		0,492	دالة موجبة
6	60	21	6	75	74,557		0,678	دالة موجبة
7	74	7	8	73	107,572		0,814	دالة موجبة
8	72	9	8	73	101,151		0,789	دالة موجبة
9	74	7	7	74	110,840		0,827	دالة موجبة
10	74	7	7	74	110,840		0,827	دالة موجبة
11	78	3	6	75	128,176		0,889	دالة موجبة
12	75	6	6	75	117,556		0,851	دالة موجبة
13	77	4	9	72	114,610		0,840	دالة موجبة
14	75	6	9	72	107,703		0,814	دالة موجبة
15	80	1	8	73	128,963		0,892	دالة موجبة
16	76	5	7	74	117,627		0,852	دالة موجبة
17	72	9	8	73	101,151		0,789	دالة موجبة

18	76	5	9	72	111,110		0,827	**دالة موجبة**
19	72	9	6	75	107,703		0,814	**دالة موجبة**
20	73	8	11	70	95,044		0,765	**دالة موجبة**
21	71	10	9	72	94,928		0,764	**دالة موجبة**
22	68	13	3	78	105,936		0,808	**دالة موجبة**
23	70	11	3	78	111,931		0,830	**دالة موجبة**
24	72	9	2	79	121,898		0,867	**دالة موجبة**
25	71	10	5	76	107,967		0,816	**دالة موجبة**
26	68	13	6	75	95,628		0,768	**دالة موجبة**
27	72	9	5	76	111,110		0,827	**دالة موجبة**
28	71	10	15	66	77,728		0,692	**دالة موجبة**
29	64	17	10	71	72,542		0,668	**دالة موجبة**
30	66	15	12	69	72,099		0,667	**دالة موجبة**
31	63	18	29	52	29,088		0,423	**دالة موجبة**
32	65	16	23	58	43,883		0,519	**دالة موجبة**
33	63	18	17	64	52,255		0,567	**دالة موجبة**
34	61	20	19	62	43,562		0,517	**دالة موجبة**

- **صدق الاتساق الداخلي لفقرات المقياس :** قامت الباحثة بحساب معامل ارتباط درجة كل فقرة بالدرجة الكلية للمقياس كمؤشر لصدق الاتساق الداخلي ، يتبين أن جميع معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مقارنتها بالقيمة الحرجة لمعامل الارتباط البالغة (٠،٠٩٨) ، وبذلك تكون جميع الفقرات تتمتع باتساق داخلي وكما يظهر في الجدول رقم (٤) .

الجدول (٤)

يبين معاملات ارتباط درجة كل طالب عن الفقرات وبالدرجة الكلية عن المقياس

رقم الفقرة	معامل ارتباط بوينت بايسيريال	رقم الفقرة	معامل ارتباط بوينت بايسيريال	رقم الفقرة	معامل ارتباط بوينت بايسيريال	رقم الفقرة	معامل ارتباط بوينت بايسيريال
1	**0,258**	**10**	**0,598**	**19**	**0,642**	**28**	**0,452**
2	**0,269**	**11**	**0,673**	**20**	**0,680**	**29**	**0,437**
3	**0,286**	**12**	**0,649**	**21**	**0,687**	**30**	**0,38**
4	**0,249**	**13**	**0,610**	**22**	**0,578**	**31**	**0,365**
5	**0,296**	**14**	**0,622**	**23**	**0,683**	**32**	**0,294**

6	0,315	15	0,688	24	0,594	33	0,259
7	0,486	16	0,598	25	0,648	34	0,265
8	0,536	17	0,658	26	0,693		
9	0,648	18	0,644	27	0,649		

- **ثبات المقياس** : قامت الباحثة بحساب ثبات المقياس باستعمال معامل الفا ـ كرونباخ وقد بلغ معامل ثبات المقياس (٠،٧٨٦) وهو معامل ثبات مقبول .

نتائج الهدف الأول : التعرف على تطور سلوك ما وراء الدافعية لدى الاطفال والمراهقين تبعاً لمتغيري العمر والنوع الاجتماعي : ولتحقيق هذا الهدف فقد استخرجت الباحثة المتوسطات الحسابية لدرجات أفراد العينة على مقياس التنمر في الأعمار : (٩ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧) سنة ، وبلغت متوسطات درجاتهم على المقياس :(٥٠,٣٩ ، ٣٧,٩٥ ، ٤٢,٧٢ ، ٣٧,٤٢) على التوالي ، وبانحرافات معيارية هي : (٣,٦٦١ ، ٣,٤٧٥ ، ٣,٨٤٢ ، ٣,٥٤٥) ، ولزيادة اللتأكد من معنوية فروق المتوسطات المتحققة بالمتوسط النظري البالغ (١٧) درجة ، استخدمت الباحثة الاختبار التائي لعينة واحدة ، أظهرت النتائج أن الفروق دالة في جميع الأعمار، إذ كانت القيم التائية المحسوبة أكبر من القيمة التائية الجدولية والبالغة (٢،٣٤٦) ولصالح المتوسطات المحسوبة ، وكما مبين في جدول رقم (٥) ، والشكل البياني رقم (١) يوضح ذلك .

الجدول (٥)

متوسطات الفئات العمرية والقيمة التائية المحسوبة ومستوى الدلالة

العمر	العدد	الوسط الحسابي	الوسط النظري	الانحراف المعياري	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
٩	٥٠	٣٩،٥٠	١٧	٣،٦٦١	٤٣.١٨٦	٢،٣٤٦	دالة
١٣	٥٠	٣٧،٩٥		٣،٤٧٥	٤٢.٦٦٨		دالة
١٥	٥٠	٤٢،٧٢		٣،٨٤٢	٤٧.٣٤٠		دالة
١٧	٥٠	٣٧،٤٢		٣،٥٤٥	٤٠.٧٣٤		دالة

شكل (١) متوسطات استجابات افراد العينة بحسب اعمارهم

يتبين من الجدول (٥) ، والشكل (١) أن جميع افراد العينة يمتلكون سلوك ما وراء الدافعية وبدرجة اعلى من المتوسط النظري ، وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى تطور البنية المعرفية للمراهقين بتقدم العمر وزيادة خبرتهم في التعامل مع المؤثرات اليومية في مواقف الحياة اليومية ، بخاصة في مرحلتي الثانوية التي تتطلب اتخاذ قرارات مهمة على صعيد الحياة الشخصية والتعليمية ، وتفرض الحياة

المدرسية متطلبات تفرض على المراهقين التعامل معها بمرونة تلقائية وتكيفية لتحقيق التوافق مع الحياة الجامعية .

وللتعرف على درجة تطور سلوك ما وراء الدافعية لدى افراد العينة بحسب متغير النوع الاجتماعي تم حساب متوسط درجات المراهقين الذكور في العينة على مقياس التنمر والبالغ (٥٢،٦٥) ، بينما بلغ متوسط المراهقات الإناث على المقياس (٥٢،٩٣) ، وللتأكد من معنوية متوسطاتهم المحسوبة ، استعملت الباحثة الاختبار التائي للعينة الواحدة وكما هو موضح في الجدول رقم (٦) ، والشكل (٢) ، وتؤكد هذه النتيجة ان المراهقين الذكور والمراهقات الاناث لديهم سلوك ما وراء الدافعية بدرجة متقاربة واعلى.

جدول (٦)

الاوساط الحسابية في تطور سلوك ما وراء الدافعية بحسب النوع الاجتماعي والقيم التائية

النوع الاجتماعي	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		الدلالة
				المحسوبة	الجدولية	
ذكور	١٠٠	٥٨.٦٥	٩.١٧	٤.٨٨٠	١.٩٦	دالة
إناث	١٠٠	٥٢.٩٣	٧.٣١			

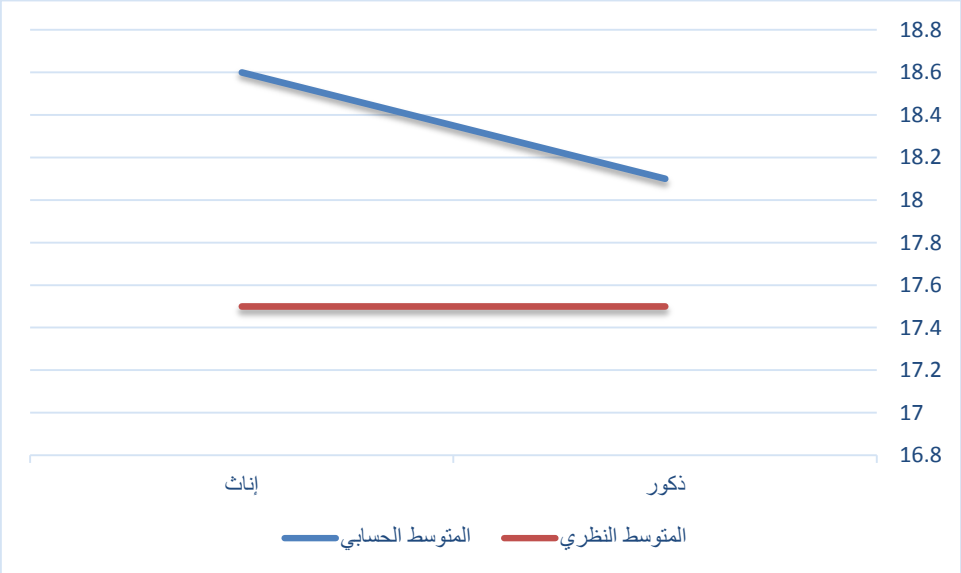

نتائج الهدف الثاني : تعرف دلالة الفروق في درجة تطور سلوك ما وراء الدافعية تبعاً لمتغيري العمر والجنس : تحقيقاً لهذا قامت بحساب متوسطات درجات الطلبة في سلوك ما وراء الدافعية وفقاً لمتغيري الجنس والعمر ، واستخدمت الباحثة الاختبار التائي للتأكد من وجود المعنوية في المتوسطات ، وكما هو واضح مبين في الجدول رقم (٦) .

جدول (٦)

يبين الاوساط الحسابية الانحرافات المعيارية للمجموعات العمرية بحسب النوع الاجتماعي والقيم التائية

العمر	النوع الاجتماعي	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
١١	ذ	٢٥	٧.٤٢	٢.١٨	١.٦٠٤١	2.021	غير دالة
	أ	٢٥	6.56	١.٥٦			غير دالة
١٣	ذ	٢٥	٩.٨	٢.٦٨	−2.0757		غير دالة
	أ	٢٥	١١.٤	٢.٧٧			غير دالة
١٥	ذ	٢٥	٢٤.٠٤	٣.٣١	−1.7686		غير دالة
	أ	٢٥	٢٥.٤٨	٢.٣٧			غير دالة
١٧	ذ	٢٥	٨.٠٤	٣.١١	٠.٧٣٨٣		غير دالة
	أ	٢٥	٧.٤٨	٢.١٧			غير دالة

وللتعرف على دلالة الفروق في تطور سلوك ما وراء الدافعية تبعا لمتغيري العمر والنوع الاجتماعي استعملت الباحثة تحليل التباين الثنائي لمعرفة الدلالة في الفروق بين المتوسطات المتحققة تبعاً لمتغيري العمر والجنس ، والتفاعل بينهما كما هو موضح في الجدول (٧) .

- **متغير العمر** : يبدو من جدول رقم (٧) كما أن القيمة الفائية لمتغير العمر والبالغة (١٩٤،٧٢٩) هي أكبر من القيمة الفائية الجدولية والبالغة (٣،٨٤) بمستوى دلالة (٠،٠٥) وبدرجة حرية (٣، ٣٩٢) ، وهذه النتيجة تشير الى وجود الفروق ذات الدلالة إلاحصائية في التطور الحاصل لسلوك ماوراء الدافعية بين المجموعات العمرية ، وللكشف عن مصادر الفروق بين متوسطات درجات أفراد العينة تبعاً لمتغير العمر استعملت الباحثة اختبار شيفيه في برنامج (SPSS) ، وكشفت المقارنات البعدية بين المجموعات الاربعة وجود مسار تطوري مرحلي في السلوك ما وراء الدافعية عبر المجموعات العمرية الأربعة ، وكما هو موضح في جدول رقم (٧) .

جدول (٧)

نتائج تحليل التباين الثنائي لمتغيري العمر والنوع الاجتماعي والتفاعل بينهما في درجة تطور سلوك ما وراء الدافعية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	القيمة الفائية		الدلالــة
				المحسوبة	الجدولية	
الجنس	١٢.٥	١	١٢.٥	٢.٣٨	17.44	غير دالة
العمر	١٥٨٨٥.١٨	٣	٥٢٩٥.٠٦	١٠١٠.١١		دالة

الجنس * العمر	٢١.٣٤	٣	٧.١١	١.٣٦		غير دالة
الخطأ	١٠٠٦.٤٨	١٩٢	٥.٢٤			
الكلي	٨٤٢٧٠	٢٠٠				

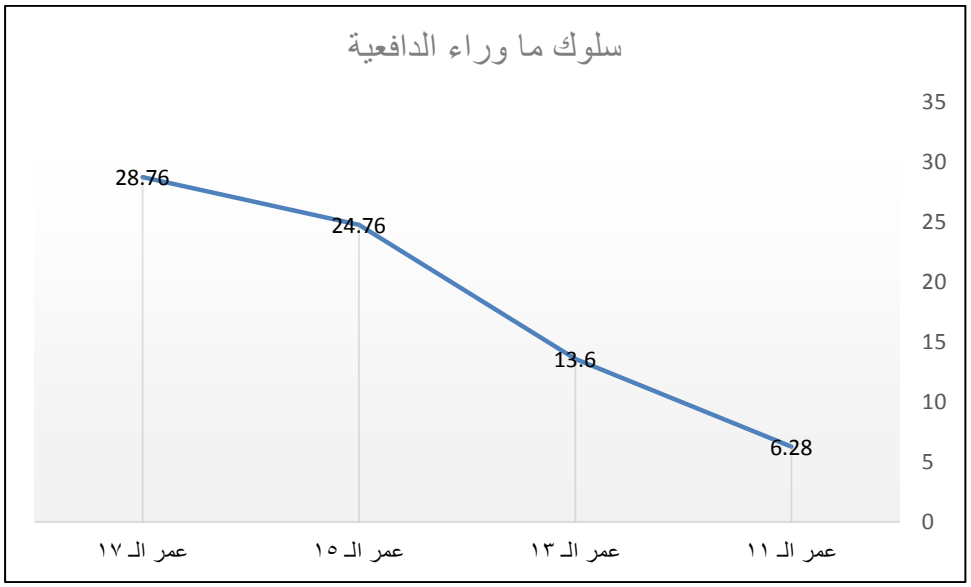

جدول (٨)

دلالة الفروق في اختبار شيفيه بين متوسطات درجات أفراد العينة بين الأعمار الأربعة في تطور سلوك ما وراء الدافعية

العمر	العمر	الفرق	الدلالة
عمر ١١	عمر ١٣	-٧.٣٢-*	دالة
	عمر ١٥	-١٨.٤٨-*	دالة
	عمر ١٧	-٢٢.٤٨-*	دالة
عمر ١٣	عمر ١١	٧.٣٢*	دالة
	عمر ١٥	-١١.١٦-*	دالة
	عمر ١٧	-١٥.١٦-*	دالة
عمر ١٥	عمر ١١	١٨.٤٨*	دالة
	عمر ١٣	١١.١٦*	دالة
	عمر ١٧	-٤.٠٠-*	دالة
عمر ١٧	عمر ١١	٢٢.٤٨*	دالة
	عمر ١٣	١٥.١٦*	دالة
	عمر ١٥	٤.٠٠*	دالة

- **متغير النوع الاجتماعي** : وقد أظهرت نتائج التحليل في التباين الثنائي في جدول رقم (٧) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي في درجة تطور سلوك ما وراء الدافعية لدى الاطفال والمراهقين ، إذ كانت القيمة الفائية المحسوبة (٠،٤٥٤) اصغر من القيمة الجدولية (٣.٨٤) عند مستوى دلالة (٠.٠٥) وبدرجات حرية (١، ٣٩٢) ، أي أن الذكور والاناث يتأثروا بعوامل ثقافية واجتماعية واحدة ، ويتعرضون لمواقف حياتية ضاغطة تدفعهم لممارسة سلوك ما وراء الدافعية .
- **التفاعل بين العمر والنوع الاجتماعي** : وقد أظهرت النتائج لتحليل التباين الثنائي في جدول رقم (٧) وجود فرق دال إحصائياً للتفاعل بين متغيري العمر والنوع الاجتماعي ، إذ كانت القيمة الفائية المحسوبة (١٧،٦٢٥) أكبر من القيمة الجدولية البالغة (٣,٨٤) عند مستوى (٠.٠٥) وعند درجتي حرية (٣،٣٩٢) ، وللتعرف على مصادر الفروق استعملت الباحثة اختبار شيفيه للمقارنات البعدية بين المجموعات وكما في الجدول (٩) .

يبدو واضحاً من الجدول (٨) والشكل (٣) وجود فروق طفيفة بين الذكور والاناث ولصالح الذكور في فئة الطفولة ، بينما كانت المراهقات في اعمار (١٥) ، (١٧) أكثر تطوراً في سلوك ما وراء الدافعية من المراهقين الذكور ، ونجد فرقاً محدوداً في تطور سلوك ما وراء الدافعية ولصالح الذكور في عمر (١٩) سنة .

التوصيات:

١- توعية الأسرة العراقية بمخاطر وسلبيات سلوك انعدام او ضعف سلوك ما وراء الدافعية لدى الأطفال والمراهقين والذي قد يتحول إلى سمة عدائية تتجه نحو المجتمع عموماً.

٢- ان تراقب المدرسة سلوك ما وراء الدافعية لدى الطلبة وتمنع ذلك بعدم السماح بظهور تصرفات تدل على العدوان والايذاء والضعف الدراسي ، وتقدم التوجيهات والإرشادات.

٣- تقديم توعية الأسرة العراقية عن طريق الإعلام واجتماعات مجالس الآباء والمعلمين بالأساليب التربوية الصحيحة لتنشئة الطفل الأول وعدم تشجيعه على التطور في سلوك ما وراء الدافعية.

المقترحات

١- دراسة مماثلة للبحث الحالي للأطفال والمراهقين في محافظات أخرى غير محافظة بغداد.

٢- دراسة حول علاقة ما وراء الدافعية بمتغيرات لم يتناولها البحث الحالي مثل الذكاء ، وأساليب التربية الأسرية ، والتحصيل الدراسي.

٣- اجراء دراسة مقارنة في سلوك ما وراء الدافعية لابناء الريف والمدينة.

٤- اجراء دراسة حول مدى شيوع سلوك ما وراء الدافعية وسلوك التعلم لدى طلبة الجامعة الاهلية والحكومية.

المصادر

- ابن منظور ، ابي الفضل جمال الدين (١٩٧٧) ، **لسان العرب** ، ط١ ، ج٦، دار صادر للنشر ، بيروت .
- ابو الديار ، مسعد (٢٠١٢) ، **سيكولوجية التنمر بين النظرية والعلاج** ، مركز تقويم وتعليم الطفل ، ط٢ ، الكويت .
- أبو جادو، صالح (٢٠٠٤) ، **علم النفس التطوري** ، عمان : دار الميسرة للنشر والتوزيع .
- أبو غزال ، معاوية (٢٠١٠) . **الاستقواء وعلاقته بالشعور بالوحدة والدعم الاجتماعي** ، المجلة الاردنية في العلوم التربوية ، م (٥) عدد (٢).
- البدري ، سميرة (٢٠٠٥) **مصطلحات تربوية ونفسية** ، دار الثقافة والتوزيع ، عمان ، الاردن .
- البطش ، محمد وليد وابو زينة ، فريد كامل (٢٠٠٧) ، **مناهج البحث العلمي تصميم البحث وتحليل إحصائي** ، ط١ ، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان.
- بكري ، محمد حسن مصطفى (٢٠٠٩) **الفروق بين الذكاء الانفعالي لسلوك التنمر لدى طلبة المرحلة الابتدائية في محافظة عكا** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات التربوية العليا ، جامعة عمان العربية .
- جابر ، جابر عبد الحميد (١٩٨٩) ، **التقويم التربوي والقياس النفسي** ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .
- جرادات ، عبد الكريم (٢٠٠٨) ، الاستقواء لدى طلبة المدارس الاساسية انتشاره والعوامل المرتبطة به ، **المجلة الاردنية في العلوم التربوية** ، م٤، العدد (٢) .
- الجسماني ، عبد علي (١٩٩٤) **سيكولوجية الطفولة والمراهقة وحقائقها الاساسية** ، ط٢ ، الدار العربية للعلوم .
- حجازي ، فتياني أبو المكارم (٢٠٠٠) ، **مدى فاعلية برنامج ارشادي في تخفيض حدة السلوك العدواني لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات .
- حمدان ، فيصل (١٩٩٩) ، **سيكولوجية التفاؤل والتشاؤم لدى طلبة الثانوية العامة في المدارس الحكومية في محافظة جنين** ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس .
- حمودة ، محمود عبد الرحمن ، وامام عبد العزيز (١٩٩٤) ، **مقاييس الحالة النفسية للمراهقين والراشدين ، مجلة علم النفس** ، القاهرة ، العدد (٣١) ، ٦-٣٥.
- الحنفي ، عبد المنعم (١٩٧٨) ، **مدخل علم النفس** ، ط١ ، دار ماكجروهل للنشر ، بيروت .
- الخطيب ، جمال ، الحديدي ، منى (٢٠٠٩) ، **ارشاد اسر الاطفال ذوي الحاجات الخاصة** ، العين ، دولة الامارات العربي .
- الخولي ، محمد سعيد (٢٠٠٧) ، **العنف المدرسي** ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .
- داود ، عزيز حنا ، عبد الرحمن ، انور حسين (١٩٩٠) ، **مناهج البحث التربوي – بغداد** ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، مطبعة جامعة بغداد.
- الرازي ، محمد ابي بكر (١٩٨٣) ، **مختار الصحاح** ، دار الرسالة للطبع ، للكويت .
- رجب ، مصطفى (١٩٩٣) **اطفالنا ومشكلاتهم التربوية والنفسية** ، القاهرة المكتب المصري لتوزيع المطبوعات .

- رمضان ، محمد وشعبان ، محمد (١٩٨٤) ، **اصول التربية وعلم النفس** ، القاهرة : دار الفكر العربي .
- زهران ، حامد عبد السلام (١٩٨٦) ، **علم نفس النمو والطفولة والمراهق**، ط٨ ، القاهرة ، عالم الكتب .
- سعادة ، جودت (١٩٩٦) ، اثر مستوى تعليم الاب والام والترتيب الولادي في قدرات التفكير الابداعي لدى عينة من اطفال ما قبل المدرسة بدولة البحرين ، **مجلة مركز البحوث التربوية** ، جامعة قطر ، م(٥) ، العدد(٩).
- سلمان ، خمائل علي صالح (٢٠٠٧) ، **المفاضلة بين انماط صياغة فقرات المواقف اللفظية في ضوء الخصائص السيكومترية للمقاييس النفسية** ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية – ابن رشد .
- السيد ، فؤاد البهي (١٩٧٥) ، **اسس علم النفس من الطفولة الى الشيخوخة**، ط٣ ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- شكور ، جليل (١٩٩٧) ، **تأثير الاهل في مستقبل ابنائهم على صعيد التوجيه الدراسي والمهني** ، بيروت ، مؤسسة المعارف .
- الصبحين ، علي (٢٠٠٧) ، **اثر برنامج ارشاد جمعي عقلاني انفعالي سلوكي في تخفيض سلوك الاستقواء لدى طلبة المرحلة الاساسية العليا** ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة اليرموك ، اربد .
- الصرايرة ، منى (٢٠٠٧) ، **الفروق في تقدير الذات والعلاقات الاسرية والاجتماعية والمزاج والقيادة والتحصيل الدراسي بين الطلبة المتنمرين وضحاياهم والعاديين في مرحلة المراهقة** ، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الاردنية .
- الطفيلي ، امتثال زين الدين (٢٠٠٤) ، **علم نفس النمو** ، ط١ ، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت .
- فيلد ، ايفلين (٢٠٠٤) ، **حصن طفلك من السلوك العدواني والاستهزاء :** اقتراحات لمساعدة الاطفال على التعامل مع المستهزئين والمتحرشين ، الرياض ، مكتبة جرير .
- قطامي نايفة ، الصرايرة ، منى (٢٠٠٩) ، **الطفل المتنمر** ، ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان الاردن .
- الكبيسي ، كامل ثامر (٢٠٠٢) ، اثر استبعاد الفقرات غير المميزة وغير الصادقة في زيادة صدق المقياس النفسي وثباته ، **مجلة العلوم الاقتصادية والادارية** ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، العدد (٣٢) . ١٨٤-١٩٣ .
- مصطفى ، عبد الرحمن (٢٠٠٧) ، **التنمر** ، جريدة ايلاف الالكترونية العدد ٢١١٦ .
- ملحم ، سامي (٢٠٠٠) ، **القياس والتقويم في التربية وعلم النفس** ، ط١، دار الميسرة لنشر والتوزيع ، عمان .
- مليكة ، لويس كامل (١٩٩٠) ، **العلاج النفسي وتعديل السلوك** ، الكويت : دار القلم للنشر والتوزيع .
- منسي ، محمود عبد الحليم (١٩٨٨) ، برامج العنف في التلفزيون وعلاقتها بالسلوك العدواني ، **مجلة التربية المعاصرة** ، العدد (٩) ، القاهرة .
- ـ (١٩٩٨) ، **المدخل الى علم النفس التعليمي** ، مركز اسكندرية للكتاب ، الاسكندرية .

المصادر الأجنبية

- Ahmed , E. & Braitthwaite , V.(2004) Bullying and victimization : cause for concern for both families and schools , social **psychology of Education** .
- Anastasi , A. (1988) **Psychological testing**, New York, Prentice, Hall.

- Barash, D (2001). Economic status community Danger And psychological problems Among south African children childhood: agloal, **Journal of child Research**, 8, 115-133.
- Beale , A.V. (2001) , Bully busters : Using drama to empower students to take a stand against bullying behavior , **professional school counseline** , 4 , 300 – 306 .
- Beane, A. (1999). **The Bully free classroom : over 100 tip and strategies for**
-
- Hubner, A. (2002). Adolescent bulling. **Human Development**. Posted April, 2002 http://www.ext.vt.edu/pubs/family/html.
- Roberts , w (2006) **Bullying from Both sides : strategic intervention for working with Bullies and victims** , USA : corwin press .
- Roberts,W.(2006).**Bulling From Both sides: strategic intervention for working with Bullies and victims**, USA,: Corwin press.
- Sarazen, J. A. (2002). **Bullies and their victims: Identification and interventions** A Research paper. University of Wisconsin .
- Smith PK. (2000) . Bulling and harassment in school and the rights of children, **children & Society**. 14-294-303.
- Smith, C. A. (2004). Raising courageous kids bullying facts. **Extension Specialist in Kansas state University research and extension**.
- Starr, L. (2000). Sticks and Stones and names can hurt you: De-MYTH-tidying the class room bully-**Education word**.
- Sutton, J. Smith, P. (1999). Bullying as a group process : An adaptation of the participant role approach**. Aggresssive Behavior**.

Tatum , D. and Lane , D. (1989) , **Bullying in School** . stoke – on – Trent : Trent ham Bo

مقياس سلوك ما وراء الدافعية لدى الاطفال والمراهقين

مقياس ما وراء الدافعية بصيغته النهائية

بسم الله الرحمن الرحيم

اختي الطالبة / اخي الطالب

نضع بين أيديكم مجموعة من الفقرات تتضمن عبارات تصف ظاهرة نفسية معينة تروم الباحثة دراستها الرجاء قراءة الفقرات بتمعن والإجابة تحت حقل البدائل المذكورة يرجى ملء التعليمات المرفقة علما ان البحث معد لأغراض البحث العلمي ولا داعي لذكر الاسم

وتقبلـــوا منـــا فـــائق الـــشكر والامتنـــان

تعليمات الإجابة:

١- توخيا للموضوعية في الإجابة لا داعي لكتابة اسمك إذ إن نتائج هذا البحث ستكون من دون تشخيص وستستخدم المعلومات التي يسفر عنها هذا البحث لأغراض البحث العلمي

٢- أقرا كل فقرة بدقة.

٣- يرجى عدم ترك أية عبارة من غير إجابة، علما انه ليس هناك إجابة صحيحة او خاطئة، ولكن الصحيح هو ما يعبر فعلا عن وجهة نظرك أنت اتجاه كل عبارة من عبارات الاستبانة.

٤- ضع إشارة (✓) امام كل فقرة وتحت البديل الذي تختاره، وكما يأتي:

مثال :

ت	الفقرات	نعم	لا
١	افكر في أدائي اليومي وانطباعات الاخرين عني.	✓	

معلومات تحتاجها الباحثة

الجنس : ذكر ☐ أنثى ☐

الصف : الاول ☐ الثاني ☐ الثالث ☐ الرابع ☐

الباحثة :- د.مريم هاشم حمد البدري

مقياس ما وراء الدافعية

الرقم	الفقرات	نعم (دائما	لا (ابدا)
١	ادرك بأن اخفاقي في التعلم يعود الى عدم اتخاذي استراتيجيات صحيحة .		
٢	ارى أن كل ما ابذله من جهد في الدراسة يعد مفتاح التقدم والنجاح بالنسبة لي .		
٣	اعطي اعتبارًا لمدى دافعيتي لتعلم خبرة جديدة.		
٤	ادرك تأثير الدافعية عندي على تقدمي في التعليم.		
٥	ادرك ان لديي دافعية لتحسين شخصيتي وادائي.		
٦	اعتبر الدافعية عاملًا مهمًا لتحسين تعلمي.		
٧	_افكر فيما يمكنني عمله لتحسين دافعيتي للتعلم .		
٨	اتأمل كثيراً فيما يمكنني عمله لاضع مواقف متحدية لتحسين تعلمي.		
٩	افكر في اولويات يجب علي عملها لتحسين تعلمي.		
١٠	افكر في اهداف محددة يمكنني انجازها في القريب العاجل.		
١١	افكر ماذا اتعلم .		
١٢	اذكر نفسي بالاهداف التي اسعى لانجازها.		
١٣	افكر كيف تؤثر مشاعري على تعلمي خبرة جديدة.		

١٤	افكر اذا اخفق في ادائي في تعليم مهمة معينة فإن ذلك يعود الى صعوبة المهمة نفسها.		
١٥	ادرك مدى دافعيتي للتعلم قبل البدء بها.		
١٦	اذكر نفسي بأن لديي القدرة على القيام بالواجب الذي تعمدت اهماله .		
١٧	افكر في العواقب عند اخفاقي في الامتحان .		
١٨	افكر في اتجاهاتي نحو زملائي عند تعلمي مهمة ما .		
١٩	قبل ان ابدأ بتعلم خبرة ما اذكر نفسي بأنه استطيع ان اتعلمها .		
٢٠	اعتقد بخبرة الاخرين على تعلمي خبرة جديدة .		
٢١	اشعر بالسعادة نتيجة لتعلمي خبرة ما واقنع نفسي بأن لديي القدرة لتعلم المزيد .		
٢٢	اذكر نفسي انه طالما اني جيد في تعلم مهارات اخرى فاني بالتأكيد اتعلم بشكل جيد.		
٢٣	استعمالي السيئ لمهارات التفكير افكر اني لديي القدرة لتحسين هذه المهارات.		
٢٤	افكر في أهمية تحسين تعلمي .		
٢٥	احمل افكارًا ايجابية نحو الموضوعات التي اتعلمها .		
٢٦	افكر في الفائدة التي ستعود علي من تعلمي خبرة جديدة .		
٢٧	افكر في أدائي اليومي وانطباعات الاخرين عني .		
٢٨	افكر في تعلمي لثقافتي ومدى دعهما لي في تحسين تعلمي .		
٢٩	افكر في تحسين تعلمي من خلال اتصالي بثقافات اخرى.		
٣٠	ادرك شعوري عندما احرز تقدمًا في تعلمي خبرة ما .		
٣١	اشعر بالثقة والكفاءة عندما يثني الاخرون على ادائي .		
٣٢	اشعر بالثقة في قدرتي على استخدام ما تعلمي عندما يكون أدائي جيدا.		
٣٣	عندما اشعر بالتوتر واني اؤدي مهمة معينة اذكر نفسي بأني يجب أن لا اخاف من أدائي هذه المهمة.		
٣٤	ادرك كم اني سعيد عند النجاح في مهمة معينة.		

أثر التصيد الاحتيالي في الاعتداء على الخصوصية في المجال الرقمي

م. د. علياء زامل مشتت*

الكلمات المفتاحية: التصيد الاحتيالي، الخصوصية، المجال الرقمي

The impact of phishing on privacy attacks in the digital domain

Keywords: phishing, privacy, digital domain

مستخلص :

يعتبر التصيد الاحتيالي أحد أبرز الوسائل التقنية ، التي تهدف الى الحصول على البيانات الشخصية لمستخدمي شبكة الانترنيت كتفاصيل بطاقات الائتمان وكلمات المرور لحساباتهم وأسمائهم الحقيقية واستخدام تلك البيانات لغايات غير مشروعة ، وتظهر تلك الوسيلة عبر التنكر ككيان جدير بالثقة عبر الشبكة العنكبوتية كالصفحات الالكترونية ، إذ تقوم بخداع المستخدم لتلك الشبكة عبر الطلب منه لدخول رابط معين أو وضع رقم للاتصال به لتمكين المتصيّد بعد ذلك من الاستيلاء على بياناته الشخصية أو تعطيل جهاز الهاتف او الكمبيوتر الخاص به او التجسّس عليه.

Abstract:

Phishing is one of the most prominent technical means aimed at get the personal data of Internet users, such as credit card details, passwords for their accounts, and their real names, and using that data for illegal purposes. network by asking him to enter a specific link or put a number to call him to enable the phisher to seize his personal data, disable his phone or computer, or spy on him.

المقدمة:

أولا : نطاق البحث:

يتمتع التطور التقني الهائل الذي نعيشه الآن بإيجابيات عديدة، من حيث تسهيلُ التواصل بين الأفراد و تحويل العالم إلى قرية صغيرة ، إلا أنّهُ في المقابل برزت الى السطح سلبيات تتمثّل في استغلال جهات او أفراد أو شركات هذا التطوّر للقيام بأفعال مجرمة محلياً ،ودولياُ منافية للآداب العامّة، تستخدم لأغراض مادية أو سياسية او انتقامية وغيرها ضّد الأفراد عبر انتهاك خصوصياتهم المعلوماتية ،فضلاُ عن تهديد الأمن المحلّي لأيّ دولة عبر إثارة النعرات الطائفية أو الدينية أو التجسس لصالح جهات او دول معادية .

* كلية الامام الكاظم (عليه السلام)
aliazamil@alkadhum-.col.edu.iq

وهذه الظاهرة والتي يطلق عليها (التصيد الاحتيالي) سرعان ما اخذت بالانتشار الواسع مما حدا بالدول الى مواكبة الزمن للإلحاق بهذا الانفلات ومحاولة السيطرة عليه والتسابق فيما بينها لضمان برامجها ومؤسساتها من الهجمات الالكترونية .

ثانيا: أهمية البحث:

رغم حداثة هذه الظاهرة إلا أنّها لم تكن لتشكل خطورة على العراق لغاية ما قبل ٢٠٠٣ بسبب ما كان سائدا في المجتمع من قلة التعامل بالشبكة العنكبوتية ، إلا أنّهَ بعد تلك السنة ودخول الانترنيت في مفاصل حياة المواطن العراقي بشكل واسع بالتزامن مع ضحآلة الوعي الثقافي الالكتروني حول الاستخدام الصحيح لتلك التقنية قاد الكثيرالى الوقوع في براثن المستغلين لتلك الشبكة تحقيقا لغايات مختلفة عبر أبتزازهم مادياً وجنسياً في اغلب الاحوال.

ثالثا: مشكلة البحث:

نسعى في هذا البحث الى معالجة مشكلة تشريعية تتعلق بافتقار التشريعات العراقية النافذة الى نصوص تعالج بشكل مباشر الاعتداء على الخصوصية في المجال التقني (التصيد الاحتيالي) . إذ أنّنا إلى الآن نستعين بالنصوص التقليدية التي قد تسعفنا في موضوع بحثنا فضلاً عن تقليدية القواعد الخاصة بالمسؤولية المدنية ومحاولة تطويعها بما يخدم موضوع البحث .

رابعا : صعوبات البحث:

واجهنا صعوبة في المقارنة بين التشريع العراقي وبعض التشريعات المقارنة المتطورة فما لاحظناه في الواقع من نقص القواعد التشريعية المنظمة لحماية المتضرر من هذه الظاهرة وهو متأتً بطبيعة الحال من غياب التشريعات الجنائية المتصدية لظاهرة (التصيد الاحتيالي) فضلا عن ذلك صعوبة تطويع قواعد المسؤولية المدنية التقليدية في تعويض المتضررين من تلك الاعتداءات الالكترونية.

خامسا:منهج البحث:

اتبعنا المنهج المقارن عبر المقارنة التشريعية والفقهية بين التشريع العراقي والفرنسي فضلا عن قوانين اخرى كالاماراتي والمصري كلما دعت الحاجة الى ذلك

سادسا: خطة البحث:

نتناول موضوع اثر التصيد الاحتيالي في الاعتداء على الخصوصية في المجال الرقمي ، وفق خطة مكونة من مبحثين:- يختص الاول منه في تعيين مفهوم التصيد الاحتيالي من حيث تعريفه وتحديد

صور الاعتداء على خصوصية مستخدمي شبكة الانترنيت عبر التصيد الاحتيالي ، وفي الثاني منه نبحث في المسؤولية المدنية المترتبة على الاعتداء على الخصوصية بواسطة التصيد الاحتيالي خاتمين البحث بأبرز النتائج والتوصيات ... نسال الله التوفيق فيما قدمناه.

المبحث الأوَّل

مفهوم التصيد الاحتيالي

نبدأ دراسة هذا المبحث بتعريف مفصل للتصيد الاحتيالي (أو ما تُعرف بالقرصنة الالكترونية) مستعرضين فيه التعاريف الفقهية والتشريعية ثم نعرج بعد ذلك لدراسة أبرز صور التصيد الاحتيالي وماله من تأثير في الاعتداء على الحق في الحياة الخاصة وذلك في مطلبين نبحثهما على التوالي :

المطلب الاول

تعريف الاعتداء على الخصوصية في المجال الرقمي (التصيد الاحتيالي)

يُعرف التصيد الاحتيالي بأنّهٌ: مجموعة من التقنيات التي يستخدمها الهاكرز من أجل جمع المعلومات الشخصية عن مستخدمي الانترنيت .[1]

وأيضاً يُعرّفُ : حَثُّ الحاسب الآلي على تغيير بعض الحقائق بأيّ وسيلةٍ كانت بهدف الحصول على ربح غير مشروع على شخص آخر أو إعادة نسخ ونشر برامج الحاسوب بدون ترخيص واستخدامها مما يُعَدُّ اعتداء على حقوق الملكية الفكرية للبرمجيات .[2]

وكذلك: قيام شخص بسرقة معلومات عبر ما يُسمَّى ب(التهكير) عبر دخوله الى قاعدة بيانات مشتركة او منظمة ويقوم بسرقة او تغيير في البيانات او تعطيل شبكتها حتى يصبح (السوفت وير) غير مؤهل لنقل البيانات التي تطلبها الشركة المبتزة. [3]

ونلاحظ أنّ التعريفات السابقة تركز على الشخص القائم بالسرقة دون توضيح للغاية التي تنشدها بشكل دقيق ولم نجد تحديد لطبيعة المعلومات أو البيانات الشخصية ومدى سريتها او حصوله على المعلومات سواء بوضع رابط معين أو لطلب من الضحية للنقر على زر معين اووضع رقم للاتصال به .

أمَّا في الاصطلاح التشريعي فنبدأ مع الشريعات الفرنسية التي نجدها قد تميزت بمواكبتها للتطورات العلمية او معالجة الخروقات التقنية التي تجرم اعمال القرصنه (الاحتيال الالكتروني).

فقد عرَّفه قانون رقم ١٧-١٩٧٨ بشأن معالجة البيانات والملفات والحريات الفرنسي في المادة (٣٤/ اولا) بأنه((الخرق الامني للبيانات الشخصية ، والتي تؤدِيّ الى تدمير البيانات الشخصية أو فقدها أو

تغييرها أو الكشف عنها أو الوصول غير المصرح به إليها فيما يتعلّق بتوفير خدمات الاتصالات الألكترونية للجمهور...)). [4]

في حين تصدى تقنين الاتصالات البريدية الألكترونية الفرنسية الى تحديد البيانات التي يحق لمشغلي الخدمات الالكترونية الاحتفاظ بها ومدة الاحتفاظ وذلك في المادة (١٠ف١١) والمادة(١٠ف١٣). [5]

ولم نجد في التشريعات تعريف واضح للتصيد الاحتيالي بل وجدنا إشارات للتدابير الوقائية لمنع وقوع تهديد الكتروني كبير على مستوى الأمن الوطني أو على مستوى دول الاتحاد الاوربي إذ وجدنا في المادة (٩٨D-٥) اذ نصت ((... عندما يحدث الخرق الامني أو من المحتمل أن يحدث نتيجة قرصنة الكترونية يجب على مشغل الخدمة ابلاغ هيئة الدفاع عن نظم المعلومات الوطنية ... وعندما يكون للخرق الامني تأثير كبير في دولة أو اكثر من الدول الاعضاء في الاتحاد الأوروبي يقوم الوزير المسؤول عند الاتصالات الالكترونية بإبلاغ السلطات المختصة في الدول الاعضاء...)).[6]

وعاد التقنين ذاته في المادة(٣٤L-٥) التأكيد على ضرورة إتّخاذ التدابير الوقائية لمنع حدوث اعمال الاحتيال الإلكتروني في حالة ما اذا أراد (الهاكرز) استخدام الرسائل الترويجية للايقاع بالضحية ، إذ نصّت ((... يحظر اخفاء هوية الشخص الذي صدر عنه الاتصال لاغراض الترويج لخدمة او بصناعة واستبدالها بذكر كيان لا علاقة له بالخدمة المقدمة ...)) .[7]

أمَّا في التشريعات العربية وبالأخص التشريعات الأّماراتية فقد وجدنا إنَّها فضلت اتخاذ التدابير العلاجية لموضوع القرصنة الإلكترونية دون وضع تعريف له اذ اكدت في المادة (٢٩) من قانون المعاملات التجارية الالكترونية رقم(٢) لسنة ٢٠٠٢ لأمارة دبي إذّ ذكرت ((يعاقب كلَّ من أنشأ أو نشر عن معرفة أو شهادة او بيانات غير صحيحةً لأيّ غرض احتيالي او اي غرض غير مشروع ...)) كذلك عاقب القانون الاتحادي الإماراتي في المادة (١٢) ((كل من استخدم الشبكة المعلوماتية أو نظام المعلومات الالكتروني ووسائل تقنية المعلومات بهدف الحصول على أرقام أو بيانات بطاقة ائتمانية أو الكترونية أو حسابات مصرفية)). [8]

وبالحديث عن التشريعات العراقية نجدأنّ المشرع العراقي كان متأخراً بشكل كبير عن التشريعات محل المقارنة في معالجة الخروقات الامنية الماسة بالبيانات الشخصية للأفراد إذّ لم تستطيع الشريعات النافذة من وضع جدار أمني لمنع اختراق المعلومات الخاصة بالأفراد و بالدولة بشكل عام فما زالت المحاكم العراقية تستند إلى قانون العقوبات العراقية في المواد (٤٣٠-٤٣٢) الخاصة بالابتزاز وكذلك المادة(٤٥٢) الخاصة بالاحتيال.[9]

فبالرغم من صدور قوانين تخص الاتصالات والمعاملات الالكترونية إلا إنَّها لم تضع تعريف للتصيد بل اقتصرت في البعض منها على الجانب العلاجي دون الوقائي رغم الاهمية الكبرى للتدابير الوقائية في منع وصد عمليات التصيد الاحتيالي فنجد أنّ قانون التوقيع الالكتروني رقم(٧٨) لسنة ٢٠١٢ الذي يعد اول قانون في العراق خاص بالتعاملات الالكترونية قد اشار إلى إمكانية انتهاك المعلومات الخاصة بالمتعاقدين عبر الشبكة العنكبوتية وذلك في المادة (٢٠/١) من اذ نصت((القيد غير المشروع: اي قيد مالي اضيف على حساب الزبون دون علمه او موافقته او تفويض منه)) في حين اقتصر قانون رقم (٦) لسنة ٢٠٠٨ المتعلق بالحد من اضرار الاستعمال لأجهزة الاتصالات في اقليم كوردستان العراق في المادة (٢) منه .[10] وكذلك قانون تصديق الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات في المواد(١٠-١١-١٤-١٨) منه .[11]وايضا مشروع قانون جرائم المعلوماتية العراقية الذي لم ير النور لغاية الان إذّ اكدّ في المادة (٢) إلى ضرورة حماية الأفراد والمجتمع من الجرائم الالكترونية كما عاقب كلّ من تعدى على سرية وسلامة البيانات والمعلومات الإلكترونية ونظم المعلومات في المادة (٥) منه.[12]

وبرأينا فأنّ التشريعات محل المقارنة لم توفق في صياغة تعريف مناسب عليها للتصيد الاحتيالي بل عمدت الى تحديد البيانات التي تحظر الافصاح عنها او التعدي عليها واعتباره من قبيل انتهاك الخصوصية كالبيانات التي تكشف عن الأصل العرقي او الآراء السياسية أو المعتقدات الدينية أو الصحية أو الجنسية أو البيانات الوراثية أو البيو مترية، وعناوين البريد الالكتروني ،والحسابات المرتبطة به ،وارقام الهاتف وميلاد الشخص ولقبه والمعلومات التي يقدّمها المستخدم عند الاشتراك في عقد او انشاء بطاقات الائتمان ،والدفع ،والبيانات التي تحدد مصدر الاتصال وموقعه كنعوان IP رقم معرف المستخدم والهاتف والموقع. [13]

إذن برأينا فإنّ التعريف الأمثل للتصيد الألكتروني الاحتيالي هو ((اختراق جهاز آلي او موقع الكتروني مملوك للغير من قبل شخص غير مخول في دخوله بقصد المساس بالسرية وسلامة المحتوى أو تعطيل قدرة الجهاز وكفائته او الموقع او التأثير على سلامته او اتلافها بواسطة وسائل الكترونية معدة مسبقاً لهذا الغرض)) اذ نجد ان هذا التعريف قد حدد مسبقاً صفة المتصيد ونية التهكير والادوات المستخدمة لذلك .

المطلب الثاني

صور التصيد الاحتيالي

يظهر التصيد الاحتيالي في صور عدّة فقد يقوم الهاكرز بأنشاء صفحة تسجيل وهمية أو إنشاء أو استنساخ من صفحة تسجيل الدخول الخاصة بالمستخدم فيتمكن من خلاله من اختراق الحسابات

الشخصية ، بحيث يبدو من خلال المظهر الخارجي بأنهٌ يمثل صاحب الحساب الحقيقي، ويتمكنّ مِن خلاله مِن سرقة المراسلات الخاصة وكشفها أو الابتزاز بواسطتها، كذلك قد تظهر عبر جمع المعلومات السرية التي يتم نقل معظمها من رسائل البريد الالكتروني بهدف اختراق الحسابات الشخصية وإتلاف المعلومات السرية كالاسم والعنوان وكلمة السر وأرقام الهاتف وغيره كما قد يكون بصيغة استخدام مواقع الويب الزائفة ورسائل البريد الالكترونية الخاصة بالأفراد والمؤسسات التجارية أو المصارف أو الهيئات الحكومية للكشف عن تفاصيل بطاقات الائتمان الخاصة بهم وسنبحث ذلك تفصيلاً وعلى النحو الاتي:

أوّلاً: اختراق الحسابات الشخصية:

يلتزم مقدم الخدمة بمنع اختراق ببيانات المشترك واتصالاته ومصطلح الاختراق واسع فضفاض يجعل النص شاملاً لكلَّ ما يخصُّ هذه البيانات أو الاتصالات .[14]

يتعرّضُ النظام المعلوماتي للأفراد والدولة إلى الدخول إليه من قبل أشخاص غير مُصرَّح لهم بالدخول أو البقاء فيه مِّما يقود إلى نتائج سلبية وأضرار مادية بسبب الاختراق وإتلاف البيانات أو نسخها أو تزويرها وغيرها من الاضرار، والاختراق إما يكون منصبّاً على نظام التشغيل والتحكم (الحاسب الآلي) أو عن طريق اختراق الحسابات والمواقع الخاصة كالبريد الالكتروني والصفحات التي يتم انشائها على مواقع التواصل الاجتماعي ، فاختراق الحاسب الآلي يكون عبر التلاعب من قبل المتصيد في البرامج الموجودة في الحاسب الالي بواسطة عدة طرق والقيام بإدخال تعديلات غير مرخص بها على البرامج المستهدفة (خلق برامج وهمية لارتكاب فعل التصيد)[15]

والأجهزة التي يتّمُ اختراقها إمّا عائدة لأشخاص طبيعين أو تابعة لمؤسسة كأن تكون مصارف أو مستشفيات تعتمد نظم معلومات وبيانات يتمُّ الاستفادة منها بعد معالجتها فهي تعتمد تقنية الاتصال عن بعد للتشغيل والتحكم والتحليل لأي موضوع ،والربط بينهما بواسطة الحاسب الآلي فاذا ما تّم اختراقها او الدخول اليها وإتلافها فأن الأمر يؤدي بدوره الى حدوث اضرار سلبية على الافراد أو المؤسسات على حدٍّ سواء .[16] ومثال ذلك ما قامت به شركة امريكية من اصطناع وثائق تأمين لأشخاص وهميّن بلغ عددها (٤٦٠٠٠) وثيقة ثمُّ قامت الشركة ببيعها لأشخاص آخرين وحصلت مقابل ذلك على عمولات من شركات التأمين التي تعمل لحسابها.[17]

كما قد يكون الاختراق للحسابات الشخصية كالبريد الإلكتروني أو الصفحات المنشأة على مواقع التواصل الاجتماعي ، فقد يقوم البعض بتسجيل موقع الكتروني مشابه لإحدى العلامات التجارية الكبرى متعدياً بذلك على العلامة التجارية المسجلة ،أو قد يجري تعديلات طفيفة على العلامة التجارية لايهام الجمهور بأنّ الموقع تابع للمؤسسة التجارية المالكة للعلامة المسجّلة ، فيقوم المتصَّيد إمَّا بعرض الموقع

على الشركة الاصلية لإجبارها على شراء اسم الموقع او ايقاع الجمهور في غلط نتيجة الوهم الذي ينشأ في أذهان العامة بسبب التشابة الكبير بين العلامة التي يعرضها في الموقع والعلامة التجارية الاصلية المسجلة .

وتطبيقاً لما ذكرناه نجد القرار الصادر من محكمة التحكيم والوساطة في سنة ٢٠٠٢ المتعلّق بقضية (Toyota France) الفرنسيةحيث رفضت اللجنة التي تنظر النزاع ،قول المدعى عليه بتميز عنوانه الالكتروني Toyota occasion .com عن العلامة التجارية المشهورة Toyota ويرجع التميز من وجهة نظر المسجل هو اضافة كلمة مستعمل (occasion) وهذه الكلمة تعني أنّهُ مستخدم لبيع جميع أنواع السيارات المستخدمة وَمِن ثَمَّةَ ليس هناك خلط بين عنوانه الالكتروني وبين العلامة التجارية الاصلية ،وقد أكَّدتِ اللجنةُ رفضها هذه الحجة إذ أنّ اضافة كلمة مستعمل للعنوان الالكتروني لا يجعله متميزاً عن العلامة التجارية والعبره في هذا الصدد يكمن في تشابه العلامتين في اذهان العامة ،والذي يمثل بلا شكَّ في أنَّ العنوان ملكُ للشركة المالكة العلامة التجارية. [18]

والطرق المعتمدة في اختراق الحسابات الشخصية او اجهزة الحاسب الآلي كثيرة وشائعة ومنها :-

ملفات (أحصنة طروادة) حيث يتم إرسال برنامج التجسس من قبل المستفيد الى جهاز الضحية ليكون حلقة الوصل بين جهاز الضحية و المتصيد ، ويتم ارسال برنامج بأكثر من طريقة ومنها البريد الالكتروني حيث يقوم الضحية بفتح المرفقات المرسلة ضمن رسالة غير معروفة المصدر او عن طريق المحادثة (الدردشة) في مواقع التواصل الاجتماعي او رابط معين او انزال برامج من احدى المواقع غير الموثوق بها وبمجرد زرع برنامج التجسس يقوم بفتح منفذ الاتصال او بوابة الدخول للجهاز او للحساب. [19]

وايضا من الطرق المتبعة في الاختراق هي برامج (الفيروسات) وهي((برامج تُصمم لتغيير خصائص الملفات التي يصيبها لتقوم بتنفيذ بعض الاوامر اما بالإزالة او التعديل او التخريب)) [20]وايضا عبر خداع (بروتوكول الانترنيت IP) وذلك عن طريق استغلال بروتوكولات النقل بأن ينتحل المتصيد صفة مستخدم اخر ويقوم بتزويد العنوان الصحيح للمرسل من داخل الشبكة وبذلك يسمح لحزمة البيانات بالمرور باعتبارها حزمة مشروعة [21]

ومن طرق الاختراق ما يُعرف ب(تدمير المواقع) وذلك عبر ضخ الالاف الرسائل الالكترونية من جهاز الحاسب الخاص بالمتصيد الى الموقع او اختراق الصفحات الخاصة بالأفراد او الصفحات الرسمية لدولة معينة وتغييرها بصفة اخرى وبشعارات معادية للدولة متضمنة ما يرغب المتصيد بإيصاله للعالم [22]

وتطبيقا لما سبق نجد ان في قضية (Rems BurG v. Docu search inc) التي عرضت أمام المحكمة العليا في ولاية نيوهامشير وتتلخص وقائعها في ان (Docusearch) وهي شركة تقدم المعلومات عبر الانترنت أو مايعرف بالمحقق الخاص (Private investigator) قامت بتقديم معلومات إلى أحد الاشخاص عن أحد عملائه نظير مبلغ معين من النقود تم دفعه عبر بطاقة الائتمان وكان آخر المعلومات التي قدمتها الشركة له عنوان العمل الخاص بالعميل والذي استخدمه بعد ذلك في الوصول اليه وأثناء خروجه من العمل قتلهُ متلقي المعلومات بالرصاص ثم قتل نفسهُ بعد ذلك ورغم ان القاعدة العامة هي عدم المسؤولية عن واجب العناية عن الافعال الإجرامية الواقعة على الشخص الآخر إلا ان المحكمة قضت بمسؤولية الشركة عندما كشفت عن المعلومات الشخصية للقتيل إلى أحد عملائها وبالتالي فإن المحكمة لم تلتزم عناية الشخص المعتاد، فالشركة لم تتوقع ان الكشف عن تلك المعلومات الشخصية ومايمثلهُ ذلك من انتهاك للخصوصية يمثل خطراً كبيراً على حياة أحد عملائها والذي كان محل مطاردة من قبل أحد الاشخاص فكيف للشركة أن لاتتوقع ان فعلها وهو يمثل تعدياً على حماية الخصوصية يمثل خطراً على هذا العميل ولهذا فإن المحكمة اعتبرت الشركة مسؤولة عن هذا الفعل.[23]

ثانيا : الاعتداء على سرية المراسلات الخاصة :

ويُقصد بها ((التجسس للاطلاع على المعلومات الخاصة بغيرها والتي لا يُسمح لغير المخولين بالاطلاع عليها)) فالتجسس هنا هو تعدَّ على الحق في السرية والذي يعتبر جوهر الحق في الخصوصية إن لم يكن وجهاً لازماً لهذا الاخيرة ،وذلك لأنّ الرسائل أياً كان نوعها سواء كانت في اطار شبكات التواصل الاجتماعي أو البريد الالكتروني وهي تُعُّد ترجمةً مادية لإنكار شخصية لا يجوز لغير مصدرها ،ومن توجه إليه الاطلاع عليها وغير ذلك يعد انتهاكاً لحرمة المراسلات. [24]

ومن الأمثلة القضائية على فعل الدخول غير المصرح به قضية United states v.kernell والتي تتلخص وقائعها في إن (sarah palin) السياسية ومرشحة الحزب الجمهوري لمنصب نائب الرئيس في الولايات المتحدة الامريكية في الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٨ قد تم اختراق البريد الالكتروني الخاص بها على موقع (yahoo) وذلك من قبل الطالب David Kernell البالغ من العمر (٢٠) عاماً وهو ابن النائب الديمقراطي في مجلس النواب (Mike kernel) النائب عن مدينة ممفيس ولاية تينيسي فقد استخدم المخترق بعض المعلومات التي جمعها عن المرشحة كتاريخ ميلادها، محل الاقامة والكود البريدي في اختراق الإيميل من خلال الدخول إلى موقع yahoo والضغط على خيار (help) ثم الضغط على خيار استرجاع كلمة السر بسبب نسيانها واستخدام المعلومات التي جمعها عنها حتى وصل إلى السؤال السري: اين قابلت شريك حياتك؟ خمن الطالب الإجابة وبعد الاخفاق مرتين وضع الاجابة الصحيحة ممّا مكّنه من تغيير كلمة السر الخاصة بالإيميل وبذلك سيطرعليه، وفي اليوم الثاني للاختراق

قام بنشر كلمة السر الجديدة للإيميل على موقع chain.org٤) (وتمكن مكتب التحقيقات الفدرالي من القاء القبض عليه وادانته بتهمة الدخول غير المصّرح به.[25]

ثالثا: الاعتداء على بطاقات الدفع الالكتروني :

ويُقصد بها ((سرقة وابتزاز الاموال باستخدام شبكة الانترنيت ويكون عبر الدخول الى شبكات البنوك والتحويل غير المشروع للاموال من حساباتها او التلاعب في الحسابات المالية المودعة لدى البنوك وتحويلها من حساب لاخر او سرقة الارقام السرية التي تمكن المتصيد من الدخول الى الحسابات)) [26] ويكون ذلك بأستخدام البطاقات البنكية المسروقة (شيفرة غير صحيحة) أومحكومة للنظام نفسه أوتضع بطاقات مزورة بعد الحصول على ارقام واسماء البطاقات الاصلية فالبطاقة ليست بالضرورة ان تكون هي بذاتها غير صحيحة انما قد تستمد عدم صحتها من استخدامها من قبل شخص لاحق له في ذلك. [27]

المبحث الثاني

المسؤولية المدنية المترتبة على الاعتداء على الخصوصية بوساطة التصيد الاحتيالي

اذا ما ثبت تعدي المتصيد على خصوصية الانسان وحصوله على معلومات شكلت مساس بحرمة حياته فأن ذلك مدعاة لنهوض المسؤولية عن تعديه، وما يهمنا في هذا الصدد هو بحث المسؤولية المدنية الناشئة عن الاعتداء على الخصوصية عبر التصيد الاحتيالي (القرصنة الالكترونية ولقيام هذه المسؤولية لأُبدّ من توافر اركانها والتي سنبحثها في المطلب الاول ثم نعرج الى بحث الاشكاليات المتصور حدوثها نتيجة تطبق اركان هذه المسؤولية في المطلب الثاني وعلى التفصيل الاتي:

المطلب الاول

اركان المسؤولية المدنية المترتبة عن الاعتداء على الخصوصية بوساطة التصيد الاحتيالي

تتكون المسؤولية المدنية من ثلاثة أركان هي الخطأ والضرر وعلاقة السببية سواء كانت المسؤولية عقدية أم تقصيرية وبما أنَّ التصيد هو تعدي على حرمة الحياة الخاصة وبيان شخصية للمتضرر، اذن الغالب أن لا يكون هناك عقد سابق بين المتضرر والمتصيد ،ذلك ان المسؤولية العقديةمتصورة في حالة تعاقد المتضررمع المتصيد لادارة موقعه او حساباته ثم يقدم على اختراقها لذا فأن تركيزنا يكون على المسؤولية التقصيرية اكثرمن المسؤولية العقدية استجابة للواقع العملي .

الفرع الاول

الخطأ

اشارت التشريعات الى الخطأ التقصيري في المادة في المادة(١٨٦) وكذلك المواد (٢٠٢-٢٠٤-٢٠٥) من القانون المدني العراقي([28])

ومن الجدير بالذكر ان التعويض لا يُعدُّ بديلا عن العقوبة الجنائية اذا ما شكل التصيد الاحتيالي جريمة معاقب عليها وفق المادة(٤٥٦) من قانون العقوبات العراقي[29]

وبالعودة الى تعريف الخطأ نجد ان الفقه قد تصدى لتعريفه فهو : إخلال بالتزام قانوني سابق صادر عن ادراك. [30]والالتزام القانوني في موضوعنا يكمن في عدم انتهاك خصوصية الآخرين وما يتمُ إيداعُهُ من بيانات شخصية على الشبكة العنكبوتية فاذا ما قام المتصّيد بانتهاك الخصوصية مع علمه بآثار تصرفه سواء كان عن تعدٍ (قاصدَ الإضرار بالغير) او صدر عن اهمال او تقصير او بدافع الفضول في كشف بيانات الغير ففي كل الاحوال يعد مرتكباً لخطأ تقصيري فهو يتمتع بالإدراك التام والتميز لفعل المتصيد ودون علم المضرور أو رضاه الصريح او الضمني (يُتصور الضرر الضمني في حالة عدم قيام المتضرر بحماية معلوماته بكلمات سرّ وغيرها من التقنيات)، كما يتصور ان يصدر الخطأ التقصيري ممن هو دون السن القانوني (١٨ سنة) اذ يُبيّن القانون المدني العراقي في المادة(١٩١) امكانية صدور الخطأ التقصيري من عديم التميز او ناقص الاهلية خاصة وان غالبية مستخدمي المواقع الالكترونية هم دون سن ١٨ وقد بين النص ان التعويض مفروض على كل من تسبب بخطأ تقصيري سبب ضرر للغير سواء من امواله الخاصة او من اموال وليه او وصيه او القيم عليه اذا تعذر الحصول من مال المتسبب بالضرر (المتصيد) ويكون ذلك في حالة ما اذا صدر الخطأ من الصغير او من هو في حكمه.[31]

وعلى ذلك يُعرّف خطأ التصيد الاحتيالي بأنه: إخلال بواجب قانوني مقترن بادراك المخل اياه.[32] وفي اطار التعاملات الالكترونية يتم تعريف الخطأ بأنه: إنحراف في السلوك المعتاد ينشأ عن الاستخدام غير المشروع للموقع الالكتروني أو الأداة الالكترونية يسبب ضرر يستوجب المسؤولية التقصيرية الناشئة عن اساءة إستعمال الانترنت. [33]

ورغم تعمقنا في التأكيد على ان الخطأ التقصيري في مجال القرصنة الالكترونية غير ان ذلك لا يمنع من إمكانية وجود الخطأ العقدي اذ يتحقق بمجرد عدم قيام المدين بتنفيذ التزامه اذا كان ناشئ عقد بينه وبين الدائن ويُتصور ذلك عندما يقوم المضرور بالتعاقد مع شخص (المتصيد) لادارة حساباته او صفحته او لادارة بطاقاته الائتمانية اي ان المتصيد هو شخص معروف سابقاً.[34]

ولكي يتم التأكد من وقوع الخطأ التقصيري لابد من إثبات ان الفعل (التصيد الاحتيالي) يشكل إنحرافاً عن سلوك الرجل المعتاد المحاط بنفس ظروف الفاعل الخارجية سواء كان إخلالاً متعمداً او غير متعمد وسواء صدر من مميز او عديم التميز والمعيار المعتمد هنا هو معيار موضوعي (الرجل المعتاد) الذي يمثل طائفة الفاعل الذي يتمتع بمتوسط الصفات فلا هو شديد الذكاء ولا هو بالمهمل البليد التفكير فاذا ما كان مسلك الفاعل (المتصيد الاحتيالي) كمسلك الشخص المعتاد نفينا عنه الخطأ وان كان دون ذلك عدّ مخطئاً .[35]

وتطبيقا لذلك قضت محكمة Amtgprichde Munich في قضية (Compuserve) والتي تتمثل وقائعها في إن شركة (Compuserv Gmbh) الالمانية عملت لمزود خدمة في المانيا لتسهيل الدخول إلى منتدى المناقشة التي قامت بإيوائه شركة (Compuserve Inc) الامريكية، أخبر وزير الاتصالات الالماني الشركة الالمانية بالمحتوى المسيء للمنتدى، والطلب بمنع تزويد المنتدى بميزة الوصول اليه لمنع الألمان من ارتياد المنتدى. ونقلت المؤسسة الالمانية هذا الإخطار إلى المؤسسة الامريكية التي بادرت بتسليمها وسيلة تتيح للآباء برقابة الموقع بحيث يمكنهم من منع الوصول اليه بأنفسهم. وطالب وزير الاتصالات عند القضاء الالماني بأدانة المؤسسة الالمانية على اساس ارتكابها اخلال مضمونه عدم الغاء جميع الطرق التي تؤدي إلى دخول المنتدى لعلمها السابق بالمضمون المسيء واقر القضاء بالدعوى المرفوعة واقرت بأن المدعى عليها متأكدة تماما وبشكل مسبق بالمضمون المسيء وذلك نتيجة لاخطار المدعي(وزير الاتصالات) الموجه اليها، اذ تعمدت عدم مراعاة الحيطة في قطع طرق الدخول للموقع.[36]

مع ملاحظة ان الخطأ قد يتسبب به اكثر من شخص – وهنا يقع على المضرور بطبيعة الحال اثبات الخطأ – كأن يكونُ هناك مجموعات متخصصّة في التصيد الاحتيالي فاذا ما ثبت اشتراك عدة اشخاص في فعل التصيد المتسبب في إحداث الضرر مع ثبوت علاقة سببية بين فعلهم والضرر الحادث عُدوا مسؤولين بالتضامن تجاه المضرور الذي يستطيع الرجوع على اي منهم بالتعويض كله ويستطيع من دفع التعويض الرجوع على البقية بقدر نصيبهم فيه كما يمكن ان توزع المسؤولية بينهم بحسب جسامة اخطائهم فيحكم على كل منهم بجزء من التعويض بجزء من التعويض يتناسب وجسامه خطئه اذا امكن تحديد جسامه الخطأ المنسوب الى اي منهم والا يتم تقسيم التعويض بينهم بالتساوي . [37]

الفرع الثاني

الضرر

يُعرف الضرر بأنُّه: اذى يصيب الشخص في حق او في مصلحة مشروعة.[38] والضرر يُعّد الركن الاساسي في المسؤولية التي تعني التزاما بالتعويض ،والتعويض هنا يقدر بقدر الضرر وينتفي بأنتفائه ، فالمسؤولية تدور وجودا وعدماً مع الضرر.

والضرر نوعان اما مادي يتمثل بخسارة تمس المتضرر في امواله كأتلافه او فوات ربح او اصابة تكبد المتضرر تكاليف مالية .[39]

وفي موضوعنا الحالي يتمثل الضرر المادي في الخسارة المالية التي تسببها سرقة الحسابات المصرفية او بطاقات الدفع الائتمانية او قفل شاشة الحاسوب او الهاتف او قصفها بفيروسات او الحصول على معلومات حساسة عن الشخص تؤدي الى الايذاء به او بأسرته. [40]

اما الضرر الادبي يتمثل الم ناشئ من اصابة او مس بمشاعر ناشئ عن اهانة او مساس بحقوق الشخص كان يتم حبسه بظلم.[41]

ويتمثل ذلك في نشر الصور والمعلومات الشخصية او اعادة نشر مؤلفات اشخاص بأسماء اخرى او سحب معلومات قديمة منتهكين بذلك حق النسيان.[42]

ويشترط في الضرر ان يكون محققاً اي مؤكد الوقوع سواء وقع حالاً او مستقبلاً اذا كان وجوده مؤكداً وان تراخى في وقوعه الى زمن لاحق ، كما يشترط ان يكون مباشراً سواء كان متوقعاً او غير ذلك [43]ويكون مباشراً اذا ما كان يّعد اثر طبيعي للاخلال بالالتزام او التأخير انجازه وهو ما نصت عليه م(٥٠٧) من القانون المدني العراقي فيشترط ان يكون الضرر نتج مباشرة عن فعل التصيد الاحتيالي. [44]

ومن الامثله على ذلك تتمثل بزراعة فيروس في النظام المعلوماتي لشخص معين او مؤسسة معينة لغرض نقل المعلومات من ذلك الشخص او المؤسسة، كما قد تتمثل في زراعة فيروس في نظام معلوماتي عائد لمصرف معين يقوم من خلاله باختراق نظام ذلك المصرف الالكتروني ويقوم بتحويل مبالغ مالية بأية صورة يشاء[45] وايضا يشترط ان يصيب الضرر حقوق او مصالح ذا قيمة مالية ومشروعة للمتضرر .[46]

الفرع الثالث

علاقة السببية

وتعني ان الضرر نتيجة طبيعية مباشرة لاخلال المدين بواجبه القانوني (في المسؤولية التقصيرية) او لعدم قيام المدين بتنفيذ التزامه التعاقدي(في المسؤولية العقدية) ، وعلاقة السببية ركن مستقل عن ركني

الخطأ والضرر وتثير علاقة السببية صعوبة تقديرها اما لتعدد الاضرارالمترتبة على خطأ واحد او لاجتماع عدد من الاخطاء في احداث النتيجة الضارة.[47]

وتنقطع علاقة السببية لقيام السبب الاجنبي كما اكدت على ذلك المادة (٢١١) من القانون المدني العراقي كالقوة القاهرة او فعل الغير او خطأ المضرور نفسه .[48]

ومن امثله القوة القاهرة توقف الاجهزة والبرامج او حدوث خلل فيها او تدميرها نتيجة صاعقة او زلزال او نشوب حرب او وجود فايروس مدمر ليس بالوسع مقاومته الامر الذي يؤدي الى حدوث الضرر . ومن الامثلة على خطأ المضرور اذا اهمل شخص يستخدم الانترنت في حماية الكومبيوتر الشخصي الخاص بهِ بحيث لم يقم بتثبيت برنامج لحمايتهِ من الفيروسات وملفات التجسس التي تأتي إلى جهازه وتستقر في ذاكرته من خلال تصفحه لمواقع الانترنت المختلفة الامر الذي نتج عنهُ اختراق جهازه والاستيلاء على صوره وملفاته المحمية رغم ان الواضح في المثال اعلاه ان خطأ المضرور قد اشترك مع خطأ المدعى عليه ولكن خطا المتصيد (المدعى عليه) قد تجاوز خطأ المضرور كون خطأه كان متعمد في فعل التصيد (الاختراق) .[49]

غير ان تحديد رابطة السببية في المجال الالكتروني يعد من الامور الشاقة والعسيرة نظراً لطبيعة المسائل الالكترونية وعدم وضوح الاسباب ، فقد تعود اسباب الضرر الى عوامل خفية تعود الى تركيب الاجهزة وتداخل المعلومات والادوار مما يتعذر تحديد محدث الضرر، كذلك صعوبة تحديد هوية المتصيد لسعة الفضاء الالكتروني.

ففي حالة ما اذا افشى صحفي في مقالة عبر شبكة الانترنت جانباً من الحياة الخاصة لشخص ما او نشر خبراً لم يتحقق من صحته ادى الى وفاة ذلك الشخص الذي كان مصاباً بنوبة قلبية مثلاً ما كان يؤدي الى ذلك لو كان ذلك الشخص سليماً معافى فهذا الامر يؤدي الى تحقق الخطأ في جانب الصحفي ، والضرر في جانب المصاب ولكن لاتنهض المسؤولية وذلك لانتفاء العلاقة السببية بين الخطأ والضرر.[50]

المطلب الثاني

آثار المسؤولية الناشئة عن الاعتداء على الخصوصية بواسطة التصيد الاحتيالي

بعد ان تكلمنا عن اركان المسؤولية المدنية (التقصيرية) المترتبة على التصيد الاحتيالي كان لابد ان نستتبع ذلك في اثار المسؤولية وهي (التعويض) اي جبر الضرر الناتج عن فعل التصيد الاحتيالي لذا سنبحث في تعريف التعويض وعناصره في الفرع الاول ثم نعرج بعد ذلك الى بحث انواع التعويض واخيرا نبحث في كيفية تقدير التعويض.

الفرع الاول

تعريف التعويض وعناصره

يُعرف التعويض بأنه: ((مبلغ من النقود او اي ترضيه اخرى من جنس الضرر تعادل ما لحق المضرور من خسارة وما فاته من كسب كانا نتيجة طبيعية للفعل الضار ، فالتعويض هو وسيلة لجبر الضرر محوا او تخفيفاً وهو يدور مع الضرر وجودا وعدماً ولا تأثير لجسامة الخطأ فيه وينبغي ان يتكافأ مع الضرر دون ان يزيد عليه او ينقص منه)).[51]

ويشمل التعويض في اطار المسؤولية المدنية عنصرين هما الخسارة اللاحقة والكسب الفائت وذلك في اطار الضرر المادي، وهذان العنصران يجب ان يدخلهما القاضي في حسابه عند تقدير تعويض الدائن لما اصابه من ضرر وكعنصر قائم بذاته في اطار الضرر الادبي[52]ويشترط ان يكون الضرر نتيجة طبيعية للاخلال بالالتزام ويعتبر الضرر نتيجة طبيعية اذا لم يكن في استطاعة الدائن ان يتوقاه ببذل جهد معقول اذا كان مستخدم الانترنت يسأل عن الاضرار التي يسببها الفيروس الذي اطلقه او الذي وضعه في البرنامج اياً كان اسمه او نوعه فأنه لايسأل عن وجود الفيروس الضار في البرنامج فقط انما يسأل ايضاً عن جميع الاضرار المباشرة المتوقعة وغير المتوقعة مادام كانت هذه الاضرار المباشرة نتيجة طبيعية لاخلال المدين بالتزامه القانوني اي نتيجة طبيعية لوجود الفيروس او للاعتداء على الخصوصية عبر الانترنت ، او التشهير عبر وسائل التواصل الاجتماعي ، ولكن يجب على مستعمل الانترنت ان يبذل جهداً معقولاً وهو جهد المستخدم اليقظ الحريص الى اتخاذ الاجراءات الضرورية للحد من انتشار الاضرار عبر الانترنت ، فاذا تقاعس المستخدم المضرور عن اتخاذ الاجراءات الضرورية اهمالاً منه فأن المدعى عليه الذي اطلق الفيروس لايضمن الا الضرر المباشر.[53]

الفرع الثاني

انواع التعويض

ينقسم التعويض الى نقدي وعيني والاصل فيه ان يكون نقدي ولكن استثناء من ذلك يمكن ان يحكم بالتعويض العيني او بالوسيلة التي يراها مناسبة للوضع القائم [54]. والاصل ان التعويض النقدي هو الاصل ذلك انها خير وسيلة لجبر الضرر وتقويمها سواء كانت مادية اوادبيه

اولا: التعويض النقدي:

التعويض النقدي هو التعويض المقدر بقدر من النقود يعادل قيمة الضرر الذي اصاب المتضرر ويعطي هذا المبلغ دفعة واحدة للمتضرر وللمحكمة وفقا لظروف الحال تقسيط هذا المبلغ او جعله في صورة ايراد مرتب لمدة تحددها المحكمة او لمدى الحياة ولذا ضمانا لوفاء المدين بهذه الاقساط او الايراد يمكن للمحكمة ان تلزمه بتقديم تأمين ويكون هذا التأمين عادة اما شخصيا بأن يكفل المدين شخص ملئ او ايداع مبلغ من المال لدى احدى المصارف يخصص للوفاء بهذه الاقساط او الايراد كما يجوز ان يدفع هذا المبلغ الى شخص ثالث كشركة تأمين وبما يضمن الوفاء بالتعويض للمتضرر حيث تتولى شركة التأمين دفع الاقساط او الايراد المرتب الى المتضرر دوريا .

وسبب اعتماد التعويض النقدي كأصل في التعويض من قبل المحكمة هو لكون النقود تمثل وسيلة للتبادل ووسيلة للتقويم لذا ففي كل حالة يتعذر فيها الحكم بالتعويض العيني ولم يكن هناك سبيل للحكم بالتعويض غير النقدي يتعين على المحكمة ان تحكم باتعويض النقدي فللنقود وظيفة اصلاح الضرر الناتج عن الفعل الضار مهما كان نوع الضرر جسديا ام ماليا ام معنويا فالاصل في التعويض ان يكون مبلغ نقدي ، كما ان تغليب التعويض النقدي يرجع الى اعتبارات عملية فالتعويض العيني قد لا يحسم النزاع القائم ويحتاج الى تدخل شخصي من المدين الذي لا يمكن اجباره على ذلك تجنبا للمساس بحريته الشخصية مما يقتضي صدور حكم بالتعويض النقدي .[55]

وقد كان للقضاء العراقي فرصة للحكم بتعويض نقدي عن خطا ارتكبة شخص عبر تعليق مسئ في صفحة عبر مواقع التواصل الاجتماعي اذ قررت بالزام المدعى عليه بتعويض نقدي مقابل الضرر الذي اصاب المتضرر جراء النشر.[56]

اذن في الاحوال التي لا يمكن اعادة الحال الى ما كان عليه لا يمكن ترك اللجوء الى التعويض النقدي ايا كان نوع الضرر فاذا الحق احد الاشخاص ضررا باخر يتمثل بتشويه سمعته عن طريق منشور له في احد مواقع التواصل الاجتماعي فلا يمكن في هذا الحاله اعادة الحال الى ما كانت عليه سابقا قبل نشر المنشور فلا يبقى الا التعويض النقدي عن طريق تقديم ترضية لمن مسه المنشور واضر به .[57]

ثانيا: التعويض العيني:

يُقصد به إعادة الحال الى ما كان عليه قبل وقوع الخطا الذي ادى الى حدوث الضرر [58] ومن صوره طلب المدعي وقف تعرض الغير ممن ينازعه في استعمال لقبه او انتحال هذا الغير للقبه غير سرقة (تهكير) صفحته الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي او اعادة البريد الالكتروني الذي تمت سرقته من قبل المتصيد بعد كشفه او قد يكون باعادة الاموال التي سرقها من البطاقات الائتمانية للمضرور [59].

اما اذا كان الضرر الناشئ عن التصيد الاحتيالي ضررادبي كحالة الاعتداء على حق الشخص في الحياة الخاصة او حقه في السمعه كنشر معلومات مسئية للمتضرر بعد ان يتم سرقة صفحته الشخصية او ان يقوم المتصيد باذاعة الاسرار الشخصية بعد ان يحصل عليها من ملفات المتضرر مما يؤدي الى شعور الشخص بالالم النفسي وتحرجه في محيطه الاجتماعي ومن ثم يصعب جبره باعادة نشر منشور تكذيب لما قد قيل من قبل المتصيد ، خاصة مع صعوبه تصديق المحيطين بأن الصفحة او الموقع كان قد تعرض للسرقه وان ما نشر لم يكن قد صدر عن صاحب الموقع حقيقه فيتم الحكم هنا بالتعويض العيني الذي يكون في صورة اعتذار يقوم بنشره الشخص الذي اساء للغير على ذات الموقع وبشكل تصوير حي مما يضمن رد اعتبار المتضرر. [60]

ونشر الاعتذار يعرف ب (حق الرد) وهو يعرف بانه حق مقرر للافراد في تقديم إيضاحات او تعليقات على كل ما قد ينشر بشأنهم في وسائل الاعلام المختلفة متى كان النشر ضارا بمصلحتهم ويستوي ان تكون تلك المصلحة مادية او ادبيه كما يستوي ان يكون التعرض صريحا او ضمنيا .[61]

وهو يعد صورة من صور التعويض العيني عن الضرر الناشئ عن التصيد الاحتيالي سواء كان الضررماديا او ادبيا ،وذلك لانه من جنس الضرر فكلاهما يكونان عبر النشر وفي ذات الصفحة التي تعرضت للتهكير فالغرض من اقامة دعوى التعويض عن الضرر الذي يصيب الشرف والاعتبار لايتحقق الا باعلان يصل الى الاشخاص الذين علموا بالضرر اول مرة وان المتضرر على حق وان هناك شخص قد تحدث وتصرف كبديل عنه خاصة اذا كان من الشخصيات المشهورة او العامة .

والتعويض عن الاضرار المعنوية الناشئة عن استعمال الانترنت قد يتم بأتخاذ شيء اخر غير النقود كي يمكن ازالة آثار الضرر وفي بعض الاحيان يجب ان تتضمن التعويض النقدي فضلاً عن التعويض العيني والذي يمكن ان يتخذ صورة اعتذار عن التشهير او تكذيب المعلومات المنشورة على شبكة الانترنت او بإجبار مزود خدمة الانترنت بحذف المعلومات الموجودة على شبكة الانترنت او بمنع الجمهور من الوصول اليها.

وقد اشار المشرع العراقي الى حق المتضرر في التعويض العيني وذلك في م (٢٠٩) من التشريع المدني وذلك بالنص "تعين المحكمة طريقة التعويض تبعا للظروف ،ويصح ان يكون التعويض اقساطا او ايرادا مرتبا ويجوز في هذه الحالة الزام المدين بأن يقدم تامينا.

٢ – ويقدر التعويض بالنقد على انه يجوز للمحكمة تبعا للظروف وبناء على طلب المتضرر ان تأمر بإعادة الحالة الى ما كانت عليه او ان تحكم بأداء أمر معين او برد المثل في المثليات وذلك على سبيل التعويض". [62]

ايضا اشار له القانون المدني المصري للتعويض العيني في المادة (٢/١٧١) وذلك بالنص " يُعيّن القاضي طريقة التعويض تبعاً للظروف. ويصح أن يكون التعويض مقسطاً كما يصح أن يكون إيراداً مرتباً، ويجوز في هاتين الحالتين إلزام المدين بأن يقدّم تأميناً. ٢- ويقدّر التعويض بالنقد، على أنه يجوز للقاضي، تبعاً للظروف وبناءً على طلب المضرور، أن يأمر بإعادة الحالة إلى ما كانت عليه، أو أن يحكم بأداء أمر معين متصل بالعمل غير المشروع، وذلك على سبيل التعويض " .[63]

وبخصوص التشريعات الفرنسية نجد ان القانون المدني تعرض في المادة (٩) الى حق المتضرر في الحصول على التعويض العيني اذا ما تعرض للمساس بالحياة الخاصة اذ نص ((لكل فرد الحق في احترام حياته الخاصة. يجوز للقضاة ، دون المساس بالتعويض عن الضرر الذي لحق بهم ، أن يفرضوا جميع التدابير ، مثل الحراسة والمصادرة وغيرهما ، القادرة على منع أو وضع حد لانتهاك خصوصية الحياة الخاصة: ويجوز أن تكون هذه التدابير ، إذا كان هناك حاجة ملحة ، أمر بإجراءات موجز))[64].

ايضا قانون ١٧–٧٨ الخاص بمعالجة البيانات والملفات والحريات الفرنسي اذ نص في المادة (٤٣) منه على التعويض العيني للتهكير اما بأيقاف فعل التهكير او بتحميل الهاكرز مسؤولية اعادة المبالغ المسروقة او المعلومات او نشر رد اعتبار اواي نوع تعويض للاضرار المادية والمعنوية .[65]

ايضا اشار الى امكانية اتخاذ التدابير الاحترازية اللازمة لايقاف افعال التهكير وتجنب اخفاء البيانات الشخصية اذا ما استطاع الهاكرز الوصول اليها لاخفائها وذلك في المادة (٤٩) وقد طبق فعلا القضاء الفرنسي ذلك في قضية تخص اذ ذهب الى اصدار حكم مستعجل امر فيه مقدم خدمة (yahoo) بمنع وصول مستخدمي الشبكة الى بعض المواقع الالكترونية التي تحث على العنصرية وألزمه بضرورة تحذير جميع المشتركين على سبيل التعويض عن الاضرار من مغبة الدخول الى تلك المواقع .[66]

كذلك سعى تقنين الاتصالات البريدية والالكترونية الى ضرورة اتخاذ التدابير الاحترازية الكافية لمنع وصول الهاكرز الى البيانات الشخصية وتعليقها او منع حذفها من قبل الهاكرز واستعادتها اذا ما تم

حذفها او اتلافها فعليا وابلاغ الجهات الامنية المختصة اذا ما تعلق الامر بمعلومات تخص امن الدولة او اختراق المعلومات الحكومية. [67]

اما على صعيد القضاء فقد وجدنا قرار قضائي خاص بالقذف والسب الا اننا استشهدنا به لبيان التطبيق القضائي للتعويض العيني عبر نشر الاعتذار او رد الاعتبار ،اذ يعد من جنس الضرر وذلك في قرار لمحكمة التميز العراقيه [68] ومن الممكن ان يكون حق للمتضرر قبل اللجوء للقضاء اذ جاء في احد احكام محكمة التمييز ((... وكان بأمكان المدعي استخدام حق الرد على ما جاء بحديث المدعى عليه في نفس وسيلة التواصل الاجتماعي فان المدعي لا يستحق التعويض ...))[69]

ولابد من الاشارة الى ان الحكم بالتعويض العيني او النقدي يخضع لتقدير المحكمة فالاصل ان تحكم بالتعويض النقدي فاذا طلب المتضرر الحكم له بالتعويض العيني ووجدت المحكمة ان الانسب ان يحكم بالتعويض النقدي حكمت له بهذا التعويض دون التقيد بطلبه اما اذا طلب المدعي التعويض النقدي وكانت ظروف الحال تسمح باجابه التعويض العيني فليس للمحكمة ان تحكم بالتعويض العيني الا اذا طلب المتضرر ذلك منها. [70]

الفرع الثالث

كيفية تقدير التعويض

بما أن التعويض هو الاثر الطبيعي المترتب على تحقق الضرر ولكي يتمكن القاضي من تقدير التعويض على نحو يجبر الضرر او يزيل او يخفف على الاقل من الاضرار الناتجة عن التصيد الاحتيالي فان الطرق المعتمدة في تقدير التعويض تكون اما بشكل جزافي او بشكل عادل :

اولا: التعويض الجزافي :

وذلك بتعويض كل الاضرار التي لحقت بالمضرور سواء أكانت اضراراً مادية او ادبية ، ويلجأ القضاة الى هذه الطريقة لما تتمتع به من مزايا اذ انها تجنب الحكم الصادر بالتعويض اي نقدٍ يوجه اليه يتعلق بعدم تناسب مبلغ التعويض المحدد لكل ضرر مع هذا الضرر المعين ، كمن يقوم بسرقة برنامج ويقوم بنشره على شبكة الانترنت مع نسبته لنفسه فأنه يجمع بين التعويض عن الضرر المادي وهو الاعتداء على حق الاستغلال المالي للمؤلف ، بالاضافة الى الاعتداء على الحق الادبي وهو نسبة البرنامج الى مؤلفه او مبرمجه[71]

وهذه الطريقة منتشرة بين المحاكم في اغلب الحالات اذ تفضل عدم اعطاء تفاصيل لنواحي الضرر الواجب التعويض وبالتالي تحديد مبلغ التعويض الذي يتناسب مع كل ضرر من هذه الاضرار فالتعويض يحدد عن كل الاسباب التي ادت الى الاضرار بصورة متصلة ومتداخلة اذ ان من اجل ان يتجنب القضاة

كل نقد ويتلافون كل صعوبة في التقدير يلجأون الى تحديد التعويض بهذه الصورة دون ايضاح اي من ادعاءات المضرور قد تم تعويضها وايها قد تم ابعادها .[72]

ويلاحظ ان التعويض الجزافي معرض للانتقاد بالرغم مما فيه من ايجابيات وخاصة في حالة الضرر المتغير فقد يكون مبلغ التعويض النقدي وقت الحكم معادلا لقيمة الضرر الا انه قد يصبح غير معادله له وقت سداد قيمة التعويض سواء ذلك سببه تغيير قيمة النقد للتضخم النقدي في العملة او موقف الاطراف انفسهم قد يتراخى محدث الضرر في تنفيذ الحكم القضائي بالتعويض وتزامن ذلك مع انخفاض القيمة الشرائية للعملة المحكوم بها لحظة الوفاء بالتعويض عنها.[73]

ثانيا : التعويض العادل:

وعلى اساس هذه الطريقة يصدر الحكم بالتعويض بصورة تفصيلية موضحاً فيه مطالب المضرور بالتعويض عن الاضرار التي استجابت لها المحكمة سواء أكانت مادية او ادبية والاضرار التي لم تستجب لها المحكمة مع تحديد مبلغ التعويض لجبر كل ضرر من الاضرار ، وهذه الطريقة تؤدي الى ان تصبح الاحكام اكثر اتزاناً واقرب للعدالة وذلك لكون القضاء يلجأ الى التحديد التفصيلي لكل عنصر من عناصر التعويض كما انها تؤدي الى ان يكون المضرور على بينةٍ من الامر بحيث يمكنه رفض الحكم في جزئية من جزيئاته فقط دون العناصر الاخرى التي رضي الدائن بالتعويض المحدد لها[74]

الخاتمة:

بعد ان انتهينا من بحثنا الموسوم (أثر التصيد الاحتيالي في الاعتداء على الخصوصية في المجال الرقمي) توصلنا الى النتائج والتوصيات الاتية:

اولا: النتائج:

١- خلو التشريعات محل المقارنة (باستثناء المشرع الفرنسي)من وجود اي تعريف للقرصنة الالكترونية انما كانت تعريفات فقهية تصدت الى وضع تعريف مناسب للقرصنة الالكترونية لذا قمنا بوضع تعريف مناسب وهو((اختراق جهاز آلي او موقع الكتروني مملوك للغير من قبل شخص غير مخول في دخوله بقصد المساس بالسرية وسلامة المحتوى او تعطيل قدرة وكفاءة الجهاز او الموقع او التأثير على سلامته او اتلافها بواسطة وسائل الكترونية معدة مسبقاً لهذا الغرض)).

٢- نجد ان المشرع العراقي كان متأخرا بشكل كبير عن التشريعات محل المقارنة في معالجة الخروقات الامنية الماسة بالبيانات الشخصية للأفراد اذ لم تستطيع الشريعات النافذة من وضع جدار امني لمنع

اختراق المعلومات الخاصة بالأفراد او بالدولة بشكل عام فما زالت المحاكم العراقية تستند الى قانون العقوبات العراقية في المواد (٤٣٠-٤٣٢) الخاصة بالابتزاز وكذلك المادة(٤٥٢) الخاصة بالاحتيال . فبالرغم من صدور قوانين تخص الاتصالات والمعاملات الالكترونية الا انها لم تفِ بالغرض واقتصرت في البعض منها على الجانب العلاجي دون الوقائي رغم الاهمية الكبرى للتدابير الوقائية في منع وصد عمليات التصيد الاحتيالي

ثانياً: التوصيات:

١- نقترح على المشرع العراقي اقتباس النص الفرنسي الوارد ذكره في المادة(٩) من القانون المدني الفرنسي ، اذ اكد على حق المتضرر في الحصول على التعويض العيني اذا ما تعرض للمساس بالحياة الخاصة اذ نص ((لكل فرد الحق في احترام حياته الخاصة. يجوز للقضاة ، دون المساس بالتعويض عن الضرر الذي لحق بهم ، أن يفرضوا جميع التدابير ، مثل الحراسة والمصادرة وغيرهما ، القادرة على منع أو وضع حد لانتهاك خصوصية الحياة الخاصة: ويجوز أن تكون هذه التدابير ، إذا كان هناك حاجة ملحة ، أمر بإجراءات موجزة))

٢- نوصي المشرع العراقي بمواكبة التطورات التقنية بإحاطة البلد بسياج تقني بمنع الاختراقات الالكترونية التي قد تعرض امن البلد واقتصاده للخطر فيما لو تعرضت مواقعه الرسمية وحساباته المصرفية للاختراق الالكتروني الاحتيالي عبر نصوص تشريعية منظمة ودقيقة.

٣- البدء في اقرار مشاريع القوانين الخاصة بالتصدي للاختراقات الاحتيالية خاصة مشروع قانون جرائم المعلوماتية العراقية الذي لم ير النور لغاية الان .

الهوامش:

١-محمد احمد المعداوي،حماية الخصوصية المعلوماتية عبر شبكات مواقع التواصل الاجتماعي، بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون ، جامعة طنطا، العدد(٣٣) ، الجزء ٤، ٢٠١٨، ص ١٩٦٥

ويعرف الهاكرز: مجموعة من المبرمجين المحترفين في مجال الالكترونيات والهاكرز مصطلح لوصف المتخصص في مجال الحاسوب و المعلومات دون ان يبيت نية ارتكاب فعل غير مشروع، لكن تميزهم في الاختراق يعد نجاح لقدرتهم ومهارتهم. غير أن القوانين عدتهم دخلاء استطاعوا دخول مواقع الكترونية غير مرخص لهم دخولها. واداء ذلك يعد وسيلة اختيارية يتاكد فيها الهاكرز من قدراته بعد ان يظهر بأسم مستعار. ولكن بعضهم استغلها بصورة غير مشروعه لحذف بيانات والبعض الآخر استغلها لاغراض تجارية ولأغراض تجسس أو السرقة. مأخوذ من موقع وكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki/ تاريخ الدخول الى الموقع٢٠٢٢/١٢/٢

٢- سامر سلمان عبد الجبوري، جريمة الاحتيال الالكتروني، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون، جامعة النهرين،ص٢٠١٤،ص٢٥

3- د. سليمان بن عبد الرزاق ، صور جرائم الابتزاز الالكتروني ودوافعها والاثار النفسية المترتبة عليها من وجهة نظر المعلمين ورجال الهيئة والمستشارين النفسيين ، بحث منشور في مجلة البحوث الامنية ، كلية الملك فهد الامنية ، المجلد(٢٧)، العدد(٦٩)، ٢٠١٨، ١٧٥

(4) art (34)loi n° 78 -17 du 6 Janvier 1978 relqtive à l' informatique, aux fichiers et aux libertés

(5) Article R10-12 code Des Postes et Des Communications Electroniques(Modifié par Décret N°2021-1361 Du 20 octobre 2021 - art. 2) << les données de trafic et De localisation , mentionnées aux IV Et V De l'article R. 10-13 et à l'article R. 10-14, s'entendent Des informations Rendues Disponibles Par les Procédés De Communication électronique, Susceptibles d'être Enregistrées Par l'opérateur à l'occasion Des Communications électroniques dont il assure La transmission .>>

(6) Article R10-13 Modifié par décret N°2021-1361 Du 20 octobre 2021 - art. 3((-les Informations Relatives à l'identité Civile De l'utilisateur, au sens Du 1° du II bis De l'article L. 34-1 , que Les Opérateurs De Communications électroniques Sont Tenus De Conserver, sont :

1° Les nom et prénom, la date et le lieu de naissance pour une personne physique ou la raison sociale, ainsi que les nom, prénom, date et lieu de naissance de la personne agissant en son nom, lorsque le compte est ouvert au nom d'une personne morale ;

2° La ou Les A dresses Postales A ssociées ;

3° La ou les A dresses De Courrier électronique De l'utilisateur et Du ou Des Comptes A ssociés Le Cas échéant ;

4° Le ou les numéros de téléphone.

II.-les Autres Informations Fournies Par l'utilisateur Lors De La Souscription d'un Contrat ou De la création d' un Compte, mentionnées au 2° Du II Bis De l'article L. 34-1, que Les opérateurs de Communications Electroniques Sont Tenus De Conserver, sont :

(7) Article D98-5 Code Des Postes Et Des Communications électroniques (

Modifié par décret N°2021-1281 Du 30 septembre 2021 - art. 4)<< les A dministrations Veillent à la Confidentialité Des Informations qui Leur Sont Communiquées. toutefois, Lorsqu'il est D'utilité Publique De divulguer Les Faits, Le Ministre De l'intérieur Peut en Informer le Public ou Demander A l'opérateur en Cause De le Faire.

Lorsque l'incident De Sécurité a un impact significatif dans un ou des autres Etats membres de l'Union européenne, le ministre chargé des communications électroniques informe les autorités compétentes des Etats membres. Dans le cas d'un incident d'origine informatique L'autorité Nationale De Défense Des Systèmes D 'Information Informe L'Agence Européenne Chargée De la Sécurité Des réseaux Et De L'information Des Atteintes Survenues.

Ces incidents de sécurité font l'objet d'un rapport annuel remis par le ministre chargé des communications électroniques à la Commission européenne et à l'Agence européenne chargée de la sécurité des réseaux et de l'information>>.

(8) Art L34-5 code des postes et des communications électroniques<Modifié par LOI n°2020-901 du 24 juillet 2020 - art. 8><<il Est interdit D'émettre, à Des Fins De Prospection directe , Des Messages Au Moyen de Système Automatisé De Communications électroniques Au Sens Du 6° De l'article l. 32, Télécopieurs et Courriers électroniques , Sans Indiquer De Coordonnées Valables Auxquelles Le Destinataire Puisse Utilement Transmettre une Demande Tendant à obtenir Que Ces Communications, Cessent Sans, Frais Autres, que Ceux, liés à La Transmission De Celle-ci. Il est également Interdit de Dissimuler l'identité De la Personne Pour le Compte De laquelle La Communication Est émise Et de Mentionner un, Objet sans, Rapport Avec la Prestation Ou le service Proposé>>

(٨) المادة (٢٩) قانون رقم (٢) لسنة ٢٠٠٢ بشأن المعاملات والتجارة الالكترونية لامارة دبي

المادة(١٢) القانون الاتحادي الاماراتي رقم (٥) لسنة ٢٠١٢ بشأن مكافحة جرائم تقنية المعلومات

(٩) المادة (٤٣٠) قانون العقوبات العراقي رقم(١١١) لسنة ١٩٦٩ "يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات او بالحبس كل من هدد آخر بارتكاب جناية ضد نفسه او ماله او ضد نفس او مال غيره او باسناد امور مخدشة بالشرف او افشائها وكان ذلك مصحوبا بطلب او بتكليف بامر او الامتناع عن فعل او مقصودا به ذلك.

٢ – ويعاقب بالعقوبة ذاتها التهديد اذا كان التهديد في خطاب خال من اسم مرسله او كان منسوبا صدوره الى جماعة سرية موجودة او مزعومة"

وايضا المادة (٤٣١) " يعاقب بالحبس كل من هدد آخر بارتكاب جناية ضد نفسه او ماله او ضد نفس او مال غيره او باسناد امور خادشة للشرف او الاعتبار او افشائها بغير الحالات المبينة في المادة ٤٣٠."

وكذلك المادة (٤٣٢) " كل من هدد آخر بالقول او الفعل او الاشارة كتابة او شفاها او بواسطة شخص آخر في غير الحالات المبينة في المادتين ٤٣٠ و٤٣١ يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنة واحدة او بغرامة لا تزيد على مائة دينار."

والمادة(٤٥٢) " يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنين او بالحبس من حمل آخر بطريق التهديد على تسليم نقود او اشياء اخرى غير ما ذكر في المادة السابقة.

٢ – وتكون العقوبة مدة لا تزيد على عشر سنين اذا ارتكبت الجريمة بالقوة او الاكراه."

(١٠) م (٢) القانون رقم (٦) الصادر في ٢٠٠٨ قانون منع اساءة استعمال اجهزة الاتصالات في اقليم كوردستان . العراق اذ تنص " يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر ولا تزيد على خمس سنوات و بغرامة لا تقل عن مليون دينار و لا تزيد على خمسة ملايين دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من أساء استعمال الهاتف الخلوي أو أية أجهزة اتصال سلكية أو لاسلكية أو الانترنيت أو البريد الالكتروني و ذلك عن طريق التهديد أو القذف أو السب أو نشر أخبار مختلقة تثير الرعب وتسريب محادثات أو صور ثابتة أو متحركة أو الرسائل القصيرة (المسج) المنافية للأخلاق والآداب العامة أو التقاط صور بلا رخصة أو أذن أو إسناد أمور خادشة للشرف أو التحريض على ارتكاب الجرائم أو أفعال الفسوق والفجور أو نشر معلومات تتصل بأسرار الحياة الخاصة أو العائلية للأفراد و التي حصل عليها بأية طريقة كانت ولو كانت صحيحة إذا كان من شأن نشرها وتسريبها وتوزيعها الإساءة إليهم أو إلحاق الضرر بهم"

(١١) قانون تصديق الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات رقم(٣١) بسنة ٢٠١٣ المنشور في الوقائع العراقية العدد(٤٢٩٢) لسنة ٢٠١٣

(١٢) المادة (٢) ((يهدف هذا القانون الى حماية الافراد والمجتمع من الجرائم الالكترونية.

مكافحة الجريمة الالكترونية والتي تشكل تهديداً لامن الدولة وسلامتها. زيادة الوعي العام بمخاطر الجريمة الالكترونية. تطوير قدرات العاملين على انفاذ هذا القانون وتقديم الدعم التقني للسلطة القضائية لمواكبة اخر التطورات الحاصلة بمجال الجرائم الالكترونية.))

م (٥) "جرائم التعدي على سرية وسلامة البيانات والمعلومات الالكترونية ونظم المعلومات

اولاً – يعاقب بالحبس مدة لاتقل عن سنة واحدة ولاتزيد على سنتين وبغرامة لاتقل عن (١٠٠٠٠٠٠) مليون دينار عراقي ولاتزيد على (٣٠٠٠٠٠٠) ثلاثة ملايين دينار عراقي كل من تنصت لأي رسائل عن طريق شبكة المعلوماتية أو اجهزة الحاسوب او مافي حكمها او التقطها او اعترضها دون تصريح بذلك من الجهة المختصة او الجهة المالكة.

ثانيا– يعاقب بالحبس مدة لاتقل عن سنتين ولاتزيد على خمس سنوات وبغرامة لاتقل عن (٣٠٠٠٠٠٠) ثلاثة ملايين دينار عراقي ولاتزيد على (٥٠٠٠٠٠٠) خمسة ملايين دينار عراقي كل من دخل عمداً دون ان يكون مصرحاً له موقعاً الكترونياً او نظاماً معلوماتياً او احد اجهزة الحاسوب او مافي حكمها وقام بالاطلاع على محتواها او نسخها او قام بألغاء البيانات او المعلومات المملوكة للغير او قام بحذفها او تدميرها او افشائها او تغيرها.

ثالثاً– يعاقب بالسجن مدة لاتقل عن سبع سنوات ولاتزيد على عشرة سنوات وبغرامة لاتقل عن (٥٠٠٠٠٠٠) خمسة ملايين دينار عراقي ولاتزيد على (١٠٠٠٠٠٠٠) عشرة ملايين دينار عراقي كل من دخل عمداً موقعاً او نظاماً او اجهزة حاسوب او مافي حكمها بقصد الحصول على بيانات او معلومات تمس الامن القومي او الاقتصاد الوطني للبلد او قام بألغاء بيانات او معلومات تمس الامن القومي للبلد او الاقتصاد الوطني او حذفها او تدميرها او تغييرها.

رابعاً– تطبق العقوبة الاشد في حال كان مرتكب الجريمة موظفاً اومكلفاً بخدمة عامة."

(13) art (34)loi n° 78 -17 du 6 Janvier 1978 relqtive à l' informatique, aux fichiers et aux libertés((Sécurité des données à caractère personnel collectées

Aviti Met en œuvre Des Mesures de Sécurité adaptées au Degré De Sensibilité des Données, à caractère Personnel Pour les, protéger, contre toute, Intrusion Malveillante, Toute perte, Altération ou Divulgation à des Tiers Non autorisés.

Aviti délivre des autorisations d'accès à son système d'information aux seules personnes qui en ont besoin pour exercer leur fonction.

Aviti Sensibilise Ses Collaborateurs, à la protection, Des Données à Caractère Personnel, mises à Leur Disposition ,dans Le cadre De leurs Fonctions Et s'assure qu'ils Respectent Les règles en Vigueur et la Déontologie d'Aviti.

Aviti Effectue Des Audits, pour ,vérifier la bonne, application, opérationnelle de Ces règles.

Aviti Impose à ses Prestataires Et/ou sous-Traitants De se Conformer à Ces Principes De Sécurité.))

Article R10-13 Modifié par décret N° 2021 -1361 Du 20 Octobre 2021 - art. 3((-les Informations Relatives à l'Identité Civile De l'Utilisateur, au sens Du 1° Du II bis de l'Article L . 34-1, que Les Opérateurs De Communications ,électroniques sont, tenus de conserver, sont :

1° Les nom et prénom, la date et le lieu de naissance pour une personne physique ou la raison sociale, ainsi que les nom, prénom, date et lieu de naissance de la personne agissant en son nom, lorsque le compte est ouvert au nom d'une personne morale ;

2° La Ou Les adresses Postales Associées ;

3° La ou Les A dresses De Courrier, électronique, de L'utilisateur et du ou Des Comptes Associés le cas échéant ;

4° Le ou les numéros de téléphone.

II.-Les Autres Informations, Fournies par l'utilisateur Lors de La Souscription, d'un Contrat Ou de la Création d'un Compte, mentionnées au 2° Du II Bis De L'article L. 34-1 , que les Opérateurs De Communications ,électroniques sont tenus de conserver, sont :

المادة (٢/ تاسعا) قانون تصديق الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات رقم(٣١) بسنة ٢٠١٣ المنشور في الوقائع العراقية العدد(٤٢٩٢) لسنة ٢٠١٣

المادة(١/سادساً) مشروع قانون مكافحة الجرائم الالكترونية العراقي اذ تنص "البطاقة الإلكترونية : بطاقات الائتمان او الدفع او السحب وأية بطاقة اخرى تصدر عن جهة مرخصة قانوناً."

(١٤) خالدة خالد الحمصي، عقد الخدمة المعلوماتية ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق ، جامعة حلب، ٢٠١٥، ص٤٦

(١٥) نهلا عبد القادر، الجرائم المعلوماتية ، دار الثقافة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ١٩٤

(١٦) د. سمير قط–صباح كزكز اثر الجرائم الالكترونية على امن واستقرار الدول ((قرصنة الموقع الالكتروني لوكالة الانباء القطرية نموذجا))، بحث منشور في مجلة الناقد للدراسات السياسية ، كلية الحقوق، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد(٣) ، ٢٠١٨، ص١٣٢

(١٧) نهلا عبد القادر، المصدر السابق، ص١٩٤

(١٨) بحاش نصيرة ، القرصنة الالكترونية للعلامة التجارية ، بحث منشور في مجلة الاستاذ للدراسات القانونية والسياسية ، العدد(٩)، المجلد(١) ، ٢٠١٨،ص١٩٢

(١٩) د. ليتميم فتحية– ليتيم نادية، الامن المعلوماتي للحكومة الالكترونية ورهاب القرصنة، بحث منشور في مجلة المفكر، كلية الحقوق والعلوم السايسية ، جامعة محمد قنيطر بهكرة، العدد(١٢) ، ص٢٤٣

(٢٠) عجيل فطيمة الزهرة ، التهديدات الالكترونية والامن القومي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق، جامعة محمد بوضياف المسيلة، ٢٠١٩، ص٤٢

(٢١)) د. ليتميم فتحية– ليتيم نادية، المصدر السابق، ص ٢٤٦. عجيل فطيمة الزهرة، المصدر السابق، ص٤٢

(٢٢) د. ليتميم فتحية– ليتيم نادية، المصدر السابق، ص٢٤٧

(٢٣) القرار مشار اليه عند: احمد جعفر شاوي،، المسؤولية التقصيرية الناشئة عن استعمال الانترنت، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية القانون، جامعة بغداد، ٢٠١٦، ص٨٥

(٢٤) قصي علي عباس ، الحماية القانونية لحق الخصوصية لمستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي ، بحث منشور في مجلة الكوفة، العدد(٤٤)، المجلد(١)، ٢٠١٩،ص٢٦١. د. سمير قط–صباح كزكز، المصدر السابق، ص١٢٩

(٢٥) القرار مشار اليه عند:د. احمد جعفر شاوي، المصدر السابق، ص٨٨

(٢٦) بن دنينة سعيد– بوعكاز عامر، سبل ووسائل حماية المستهلك الالكتروني من مخاطر الاقتصاد الرقمي ، بحث منشور في مجلة البناء الاقتصادي ، جامعة الجلفة ، العدد(١)، ٢٠١٨، ص٧٥. د. سمير قط–صباح كزكز، المصدر السابق، ص١٣٢

(٢٧) نهلا عبد القادر، المصدر السابق، ص١٩٦

(٢٨) المادة (١٨٦) من القانون المدني العراقي ((اذا اتلف احد مال غيره او انقص قيمته مباشرة او تسببا يكون ضامنا اذا كان في احداثه هذا الضرر قد تعمد او تعدى٢– واذا اجتمع المباشر والمتسبب ضمن المتعمد او المتعدي منهما فلو ضمنا معا كانا متكافلين في الضمان))

المادة (٢٠٢) من القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١((كل فعل ضار بالنفس من قتل او جرح او ضرب او اي نوع اخر من انواع الايذاء يلزم بالتعويضات من احدث الضرر.))

م (٢٠٤) " كل تعد يصيب الغير باي ضرر اخر غير ما ذكر في المواد السابقة يستوجب التعويض"

م (٢٠٥) "١– يتناول حق التعويض الضرر الادبي كذلك فكل تعد على الغير في حريته او في عرضه او في شرفه او في سمعته او في مركزه الاجتماعي او في اعتباره المالي يجعل المتعدي مسؤولا عن التعويض.

٢ – ويجوز ان يقضي بالتعويض للازواج وللاقربين من الاسرة عما يصيبهم من ضرر ادبي بسبب موت المصاب.

٣ – ولا ينتقل التعويض عن الضرر الادبي الى الغير الا اذا تحددت قيمته بمقتضى اتفاق او حكم نهائي."

(٢٩) م (٤٥٦) قانون العقوبات "يعاقب بالحبس كل من توصل الى تسلم او نقل حيازة مال منقول مملوك للغير لنفسه او الى شخص آخر وذلك باحدى الوسائل التالية:

أ – باستعمال طرق احتيالية.

ب – باتخاذ اسم كاذب او صفة غير صحيحة او تقرير امر كاذب عن واقعة معينة متى كان من شأن ذلك خدع المجنى عليه وحمله على التسليم.

٢ – ويعاقب بالعقوبة ذاتها كل من توصل باحدى الطرق السابقة الى حمل آخر على تسليم او نقل حيازة سند موجد لدين او تصرف في مال او ابراء او على أي سند آخر يمكن استعماله لاثبات حقوق الملكية او أي حق عيني آخر. او توصل باحدى الطرق السابقة الى حمل آخر على توقيع مثل هذا السند او الغائه او اتلافه او تعديله."

(٣٠) د. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي ، الجزء الاول (مصادر الالتزام) ، العاتك لصناعة الكتاب، ص٢١٥

(٣١) المادة (١٩١) من القانون المدني العراقي "اذا اتلف صبي مميز او غير مميز او من في حكمهما مال غيره لزمه الضمان في ماله.

٢ – واذا تعذر الحصول على التعويض من اموال من وقع منه الضرر ان كان صبيا غير مميز او مجنون جاز للمحكمة ان تلزم الولي او القيم او الوصي بمبلغ التعويض على ان يكون لهذا الرجوع بما دفعه على من وقع منه الضرر.

٣ – عند تقدير التعويض العادل عن الضرر لا بد للمحكمة ان تراعي في ذلك مركز الخصوم."

يقابل ذلك م (١٦٤) من القانون المدني المصري١٣١ لسنة ١٩٤٨. د. سليمان مرقس ، الوافي في شرح القانون المدني– ٢– (الالتزامات)، المجلد الثاني، الطبعة الخامسة،بدون مكان طبع، ١٩٨٨ ، ص ٢٤٩

(٣٢) . د. سليمان مرقس، المصدر السابق، ص١٨٨

(٣٣) د. احمد جعفر شاوي ، المصدر السابق، ص٧٨

(٣٤) د. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، المصدر السابق، ص١٦٥

(٣٥) د. عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط، في شرح القانون المدني، الجزء الاول دار احياء التراث العربي، لبنان،، ص٨٨٤. د. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، المصدر السابق، ص٢١٦. د. سليمان مرقس، المصدر السابق، ص٢٠٣

(٣٦) القرار مشار اليه عند: د. احمد جعفر شاوي، المصدر السابق، ص ٨٢

(٣٧) د. سليمان مرقس مصدر سابق، ص ٢٥٩ . الدكتور. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، مصدر سابق، ص ٢٤١.

(٣٨)) د. سليمان مرقس، مصدر سابق، ص ١٣٣ . د. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، مصدر سابق، ص ٢١٢

(٣٩) د. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، مصدر سابق، ص ٢١٢

(٤٠)د. احمد جعفر، المصدر السابق، ص ١٤٥

(٤١) د. سليمان مرقس، مصدر سابق، ص ١٣٧ . د. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، مصدر سابق، ص ٢١٢

(٤٢) يُعرف حق النسيان فقهاً بانه: حق الفرد في بقاء ماضيه محاطاً بسياج من الكتمان وعدم خروجه بعد مرور فترة زمنية معينة الى العلن . بوخلوط الزين، الحق في النسيان الرقمي، بحث منشور في مجلة المفكر ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر، العدد(١٤)، ٢٠١٧، ص٥٨١

(٤٣) د. سليمان مرقس، المصدر السابق، ص ١٣٩

(٤٤) المادة (٢٠٧) من القانون المدني العراقي ((تقدر المحكمة التعويض في جميع الاحوال بقدر ما لحق المتضرر من ضرر وما فاته من كسب بشرط ان يكون هذا نتيجة طبيعية للعمل غير المشروع.

٢ – ويدخل في تقدير التعويض الحرمان من منافع الاعيان ويجوز ان يشتمل الضمان على الاجر)) د. سليمان مرقس، مصدر سابق، ص ١٤٩ . د. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، مصدر سابق، ص ٢١٤

(٤٥) د. احمد جعفر شاوي، المصدر السابق، ص ١٥٦

(٤٦) . د. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، مصدر سابق، ص ٢١٤

(٤٧) . د. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، مصدر سابق، ص ٢٣٩ . الدكتور. سليمان مرقس، مصدر سابق، ص ٤٥٧

(٤٨) المادة (٢١١) القانون المدني العراقي((اذا اثبت الشخص ان الضرر قد نشا عن سبب اجنبي لا يد له فيه كافة سماوية او حادث فجائي او قوة قاهرة او فعل الغير او خطا المتضرر كان غير ملزم بالضمان ما لم يوجد نص او اتفاق على غير ذلك.)). تقابلها م(١٦٥) من القانون المدني المصري وايضا: د. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، المصدر السابق، ص٢٤٢. د. سليمان مرقس، المصدر السابق، ص٤٧٧

(٤٩) د. سليمان مرقس، المصدر السابق، ص٤٨٦ د. احمد جعفر شاوي، المصدر السابق، ص١٦٥

(٥٠) د. احمد جعفرشاوي، مصدر سابق، ص ١٦١

(٥١) د. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، مصدر سابق، ص ٢٤٤

(٥٢)د. محمود جمال الدين زكي ، مشكلات المسؤولية المدنية، الجزء الاول، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٨ص٦٦. د. حسين عامر ، القوة الملزمة للعقد، الطبعة الاولى، مطبعة مصر ، ١٩٤٩. ص٢٠٧

(٥٣) د. حسين عامر ، المصدر السابق، ص٢٠٧

(٥٤) د. حسين عامر ، المصدر السابق، ص٢٠٥

(٥٥) د. عصمت عبد المجيد بكر، المسؤولية التقصيرية في القوانين المدنية العربية.ةالطبعة الاولى، مكتبة زين الحقوقية، ٢٠١٦، ص٢٩٦

(٥٦) القرار مشار اليه عند: ا.د. شروق عباس فاضل– كاظم حمدان صرخان، تطبيقات الاعتداء على حقوق الشخصية بواسطة النشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بحث منشور ، مجلة كلية الحقوق، جامعة النهرين، المجلد (١٩)، العدد (٢) ، ٢٠١٧، ص ١٧٨

(٥٧) ا.د. شروق عباس فاضل– كاظم حمدان صرخان، المصدر السابق، ص١٧٨

(٥٨) م(٩) من القانون المدني الفرنسي، م(١٧٤) من القانون المدني العراقي، م(٢٠٩) من القانون المدني المصري

(٥٩) ا.د. شروق عباس فاضل– كاظم حمدان صرخان، المصدر السابق، ص١٧٢–١٧٣

(٦٠)) ا.د. شروق عباس فاضل– كاظم حمدان صرخان، المصدر السابق، ص١٧٢–١٧٣

(٦١) د. احمد جعفر الشاوي، المصدر السابق، ص٢٠٥

(٦٢)م (٢٠٩) القانون المدني "تعين المحكمة طريقا التعويض تبعا للظروف ويصح ان يكون التعويض اقساطا او ايرادا مرتبا ويجوز في هذه الحالة الزام المدين بان يقدم تامينا.

٢ – ويقدر التعويض بالنقد على انه يجوز للمحكمة تبعا للظروف وبناء على طلب المتضرر ان تامر باعادة الحالة الى ما كانت عليه او ان تحكم باجاء امر معين او برد المثل في المثليات وذلك على سبيل التعويض."

(٦٣)م (١٧١) من المدني المصري "يُعيّن القاضي طريقة التعويض تبعاً للظروف. ويصح أن يكون التعويض مقسطاً كما يصح أن يكون إيراداً مرتباً، ويجوز في هاتين الحالتين إلزام المدين بأن يقدّم تأميناً. ٢– ويقدّر التعويض بالنقد، على أنه يجوز للقاضي، تبعاً للظروف وبناءً على طلب المضرور، أن يأمر بإعادة الحالة إلى ما كانت عليه، أو أن يحكم بأداء أمر معين متصل بالعمل غير المشروع، وذلك على سبيل التعويض"

(64) Art 9. Code Civil francois

<<Chacun A droit Au Respect De Sa Vie privée, Les juges Peuvent, sans, préjudice de ,la réparation Du Dommage Subi, prescrire toutes, Mesures, Telles que Séquestre, Saisie et Autres, Propres à Empêcher ,Ou faire Cesser Une Atteinte à l'intimité De la vie Privée : Ces Mesures Peuvent, s'il y a Urgence, être Ordonnées ,en référé>>

(65) art (43)loi n° 78 -17 du 6 Janvier 1978 relqtive à l' informatique, aux fichiers et aux libertés

(٦٦)د. احمد جعفر الشاوي، المصدر السابق، ص٢٠٥

(67) Article R10-12 Code Des Postes Et Des Communications électroniques(Modifié par Décret N°2021-1361 Du 20 Octobre 2021 - art. 2)

(٦٨) ا.د. شروق عباس فاضل– كاظم حمدان صرخان، المصدر السابق، ص١٧٦

(٦٩)منشور عند: د. احمد جعفر الشاوي ، مصدر سابق، ص٢٠٥

(٧٠) د. عبد المجيد الحكيم– الاستاذ عبد الباقي البكري– الاستاذ محمد طه البشير، مصدر سابق (الجزء الثاني)، ص ١٩

(٧١) د. احمد جعفر الشاوي ، المصدر السابق، ص٢١٢

(٧٢)هدى سمير داود ، المسؤولية المدنية عن اختراق مواقع التواصل الاجتماعي ، بحث منشور في مجلة الامام جعفر الصادق ، العدد(١)، المجلد(١)، ٢٠٢١، ص٢٧٦

(٧٣) د. عصمت عبد المجيد بكر، المصدر السابق، ص٢٩٦

(٧٤) د. احمد جعفر الشاوي، المصدر السابق، ص٢١٣

المصادر:

اولا: المؤلفات

١– احمد جعفر شاوي،، المسؤولية التقصيرية الناشئة عن استعمال الانترنت، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية القانون، جامعة بغداد، ٢٠١٦

٢– بحاش نصيرة ، القرصنة الالكترونية للعلامة التجارية ، بحث منشور في مجلة الاستاذ للدراسات القانونية والسياسية ، العدد(٩)، المجلد(١) ، ٢٠١٨

٣– بن دنينة سعيد– بوعكاز عامر، سبل ووسائل حماية المستهلك الالكتروني من مخاطر الاقتصاد الرقمي ، بحث منشور في مجلة البناء الاقتصادي ، جامعة الجلفة ، العدد(١)، ٢٠١٨

٤– بوخلوط الزين، الحق في النسيان الرقمي، بحث منشور في مجلة المفكر ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر، العدد(١٤)، ٢٠١٧

٥– د. حسين عامر ، القوة الملزمة للعقد، الطبعة الاولى، مطبعة مصر ، ١٩٤٩

٦– خالدة خالد الحمصي، عقد الخدمة المعلوماتية ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق ، جامعة حلب، ٢٠١٥

٧– د. سليمان مرقس ، الوافي في شرح القانون المدني–٢– (الالتزامات)، المجلد الثاني، الطبعة الخامسة،بدون مكان طبع، ١٩٨٨

٨– د. سمير قط–صباح كزكز اثر الجرائم الالكترونية على امن واستقرار الدول ((قرصنة الموقع الالكتروني لوكالة الانباء القطرية نموذجا))، بحث منشور في مجلة الناقد للدراسات السياسية ، كلية الحقوق، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد(٣) ، ٢٠١٨

٩– سامر سلمان عبد الجبوري، جريمة الاحتيال الالكتروني، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون، جامعة النهرين،ص٢٠١٤

١٠– د. سليمان بن عبد الرزاق ، صور جرائم الابتزاز الالكتروني ودوافعها والاثار النفسية المترتبة عليها من وجهة نظر المعلمين ورجال الهيئة والمستشارين النفسيين ، بحث منشور في مجلة البحوث الامنية ، كلية الملك فهد الامنية ، المجلد(٢٧)، العدد(٦٩)، ٢٠١٨

١١- ا.د. شروق عباس فاضل- كاظم حمدان صرخان، تطبيقات الاعتداء على حقوق الشخصية بواسطة النشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق، جامعة النهرين، المجلد(١٩)، العدد(٢) ، ٢٠١٧

١٢- د. عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط، في شرح القانون المدني، الجزء الاول دار احياء التراث العربي، لبنان

١٣- د. عبد المجيد الحكيم- الاستاذ عبد الباقي البكري- الاستاذ محمد طه البشير، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي ، الجزء الاول (مصادر الالتزام) ، العاتك لصناعة الكتاب

١٤- عجيل فطيمة الزهرة ، التهديدات الالكترونية والامن القومي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق، جامعة محمد بوضياف المسيلة، ٢٠١٩

١٥- قصي علي عباس ، الحماية القانونية لحق الخصوصية لمستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي ، بحث منشور في مجلة الكوفة، العدد(٤٤)، المجلد(١)، ٢٠١٩

١٦- د. ليتميم فتحية- ليتيم نادية، الامن المعلوماتي للحكومة الالكترونية ورهاب القرصنة، بحث منشور في مجلة المفكر، كلية الحقوق والعلوم السايسية ، جامعة محمد قنيطر بهكرة، العدد(١٢)

١٧- د. محمود جمال الدين زكي ، مشكلات المسؤولية المدنية، الجزء الاول، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٨

١٨- محمد احمد المعداوي،حماية الخصوصية المعلوماتية عبر شبكات مواقع التواصل الاجتماعي، بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون ، جامعة طنطا، العدد(٣٣) ، الجزء ٤، ٢٠١٨

١٩- ، هدى سمير داود ، المسؤولية المدنية عن اختراق مواقع التواصل الاجتماعي ، بحث منشور في مجلة الامام جعفر الصادق ، العدد(١)، المجلد(١)، ٢٠٢١

ثانيا : مواقع الانترنيت:

١- https://ar.wikipedia.org/wiki/

ثالثا: القوانين:

١- القوانين العراقية والعربية

١- قانون رقم (٢) لسنة ٢٠٠٢ بشأن المعاملات والتجارة الالكترونية لامارة دبي

٢- القانون الاتحادي الاماراتي رقم (٥) لسنة ٢٠١٢ بشأن مكافحة جرائم تقنية المعلومات

٣- قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩

٤- قانون تصديق الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات رقم(٣١) بسنة ٢٠١٣ المنشور في الوقائع العراقية العدد(٤٢٩٢) لسنة ٢٠١٣

٥- القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١

٦- القانون المدني المصري١٣١ لسنة ١٩٤٨

ب: القوانين الفرنسية:

1- loi n° 78 -17 du 6 Janvier 1978 relqtive à l' informatique, aux fichiers et aux libertés

2- code des postes et des communications électroniques(Modifié par Décret n°2021-1361 du 20 octobre 2021 - art. 2

3. code civil francois

النمذجة في الإعلان
دراسة مسحية لتأثير الشخصية الظاهرة في الإعلان على الشاب العراقي

م.د. علياء هاشم عبد الامير*

الكلمات المفتاحية: النمذجة في الإعلان، الشخصية الظاهرة، اقناع الجمهور

Modeling in advertising
A survey study of the impact of the personality appearing in advertising on Iraqi youth

Keywords: modeling in advertising, apparent personality, persuading the audience

المستخلص:

تعد الشخصية الظاهرة في الإعلانات من العناصر الأكثر أهمية في تصميمها، وهي أداة فاعلة في تحقيق الأهداف الاتصالية لانها تعتمد في كثير من الأحيان عملية تحفيز دوافع المتلقي ،نحو محاكاة هذه الشخصية ، اي انها تسهم في تعلمه للسلوك الاستهلاكي الذي تظهره امام شاشات التلفاز، وهذا من ضمن اهم الأسباب التي تدفع المعلنين اللجوء إلى المشاهير من الفنانين ولاعبي كرة القدم أو الرياضيين أو الشخصيات الكارتونية المشهورة فضلا عن توظيفهم الشخصيات من ذوي الاختصاص العلمي للتأثير في المتلقي واقناعه بأهمية شراء المنتج المعلن عنه. فالشخصية الظاهرة في الإعلان تعد محور الإعلان والمتلقي ينجذب و يتاثر ويتذكر الإعلان بناء على الشخصية التي تقدمه ، هذا فضلا عن محاكاته لسماته الشخصية وملبسه وافعاله بغض النظر عن ملائمته لعادات المتلقي للرسالة الإعلانية واعرافه وقيمه ، لذا انطلق هذا البحث من مشكلة تتمثل في التعرف على الدور الذي تلعبه الشخصية الظاهرة في الإعلان بوصفه نموذجا يسعى إلى التأثير على السلوك الاستهلاكي للجمهور عن طريق المحاكاة لسلوك الشخصية المعلنة في استهلاك المنتج المعلن عنه ، وبذلك يهدف البحث للتعرف على دور هذه الشخصية في نقل الرسالة الإعلانية وفي قدرتها على جذب الانتباه واثاره الاهتمام وحفظ المعلومات والتاثير على تفضيلات الجمهور فضلا عن تعلم الجمهور كيفيه استهدافه والاستفادة من منتجات المعلن عنها وبذلك تدفع الجمهور لشراء السلعة والخدمة المعلن عنها .

أما أهم ما توصلت اليه هذه الدراسة ان الشخصية الظاهرة في الإعلان تجعل المنتج أكثر جاذبية وتساعد في تذكره للإعلان لاسيما وقت مشاهدة المنتج المعلن عنه معروضاً في الاسواق وإنَّ لهذه الشخصية دورا مهما في تعلم المتلقي كيفيه استعمال المنتج. أما أبرز ما يجذب المتلقي في سمات الشخصيات الظاهرة في الإعلان هي الشكل و الملابس التي ترتديها هذه الشخصية .

Abstract :

* كلية الامام الكاظم (عليه السلام)
media.lecturer8@alkadhum-col.edu.iq

The Person appearing in advertisements is one of the most important elements in with regard to its design, and it is an effective tool in achieving communication goals because it often depends on the process of stimulating the recipient's motives towards emulating this character. The most important reasons that drive advertisers to resort to famous artists, football players, athletes, or famous cartoon characters, as well as their recruitment of persons with scientific competence to influence and persuade the recipient of the importance of purchasing the advertised product

The personality appearing in the advertisement is the core of the whole advertisement, and the recipient is attracted, affected, and remembers the advertisement based on the personality that presents it, in addition to its simulation of their personal characteristics, clothes, and actions, regardless of their suitability to the habits, customs, and values of the recipient of the advertising message. This Played by the personality appearing in the advertisement considered as a model that seeks to influence the consumer behavior of the public by simulating the behavior of the personality in consuming the advertised product.

With that being said, the research aims to identify the role of this personality in conveying the advertising message and in its ability to attract attention, arouse interest, preserve information and influence the audience's preferences, as well as learn the public how to target it and benefit from the advertised products, thus prompting the public to buy the advertised good and service.

The most important finding of this study is that the personality shown in the advertisement makes the product more attractive and helps in remembering the advertisement, especially at the time of seeing the advertised product displayed in the markets, and that this personality has an important influence in learning the recipient how to use the product. As for the most prominent thing that attracts the recipient in the features of the characters shown in the advertisement, is the appearance and clothes that this character.

الفصل الاول :الجانب المنهجي للبحث

اولا: مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في (التعرف على الدور الذي تلعبه الشخصية الظاهرة في الإعلان بوصفه نموذجا يسعى إلى التأثير على السلوك الاستهلاكي للجمهور عن طريق المحاكاة لسلوك الشخصية المعلنة في استهلاك المنتج المعلن عنه)

ثانيا: تساؤلات البحث

يركِّز البحث على الاجابة عن التساؤلات التالية المستلة من العمليات المرتبطة بنظرية النمذجة :

اولا: ما خصائص الشخصية الظاهرة في جذب انتباه الجمهور و اهتمامه بالإعلان؟

ثانيا: ما مدى تأثير الشخصية الظاهرة في الإعلان؟

ثالثا: ما مدى تأثير الشخصية الظاهرة في الإعلان في دفع الجمهور لتذكر المنتج الإعلاني والإحتفاظ به؟

رابعاً: ما مدى تأثير الشخصية الظاهرة في الإعلان وسلوكها في استرجاع الجمهور للرموز في الرسالة الإعلانية؟

خامسا: ما مدى تأثير الشخصية الظاهرة في الإعلان في اقناع الجمهور وخلق دافعية نحو شراء السلعة أو الخدمة المعلن عنها .

ثالثا : أهمية البحث:

تبرز اهمية البحث في اكثر من جانب :

- تتبع اهمية البحث من أهمية الإعلان نفسه بوصفه أحد الأساليب المهمة الذي بات يقدم بطرق فنية احترافية هدفها التأثير في الجمهور المستهدف عن طريق توظيف المشاهير والشخصيات المحببة جماهيرا في تقديم الرسالة الإعلانية ما يجعلها اكثر تقبلا. إنَّ تسويق الرسالة الإعلانية عن طريق المشاهير ما هي إلا خطوة اولى، يسعى عن طريقها المعلن إلى تسويق رسالته بطريقة عاطفية تارة أو اقناعية تارة آخرى لدفع الجمهور لمحاكاة سلوكها في الاستهلاك.

أنَّ أهميَّة البحث تكمن في الفائدة التي يضيفها في إثراء المكتبة الإعلامية عامة والإعلان خاصة عن طريق المساهمة في إدراك الأساليب الفنيَّة المختلفة و فهمها ،التي يستعملها المعلن في تنميَّة السلوك الشرائي من خلال عمليّة جذب المستهلك وإحساسه بالحاجة الماسّة لمثل تلك السلع باستعمال هذه الشخصيات الإعلانية .

رابعا : اهداف البحث:

تكمن اهدف هذا البحث في :

١- التعرف على دور الشخصية الظاهرة في الإعلان في نقل الرسالة الإعلانية.

٢- التعرف على قدرة الشخصيات الظاهرة بوصفها نموذجاًفي الإعلان على جذب الانتباه واثارة الاهتمام.

٣- التعرف على قدرة الشخصيات الظاهرة بوصفها نموذجاً في الإعلان في ترسيخ المعلومات الإعلانية في ذاكرة الجمهور

٤- التعرف على قدرة الشخصيات الظاهرة بوصفها نموذجاً في الإعلان في التأثير على تفضيل الجمهور.

٥- التعرف على قدرة الشخصيات الظاهرة بوصفها نموذجاً في الإعلان على تعليم الجمهور كيفية الاستهلاك الامثل للمنتجات المعلن عنها والاستفادة منها.

٦- التعرف على قدرة الشخصيات الظاهرة بوصفها نموذجاً في الإعلان على دفع الجمهور لشراء السلعة أو الخدمة المعلن عنها .

خامسا منهج البحث :

يعد هذا البحث من البحوث الاستكشافية إذ تم انتخاب المنهج المسحي للدراسة بوصفه المنهج الأنسب للدراسة والذي يتصف بدراسة الأحداث والظواهر والمواقف والآراء وتحليلها (حجاب، ٢٠٠٣، صفحة ٧٨) ، في الوصول إلى أهدافه عن طريق جمع التاثيرات المختلفة للإعلانات وتحليلها التي تعتمد توظيف الشخصيات المشهورة بوصفها نموذجاً إعلانية المنشورة عن طريق التلفاز أو شبكة الانترنت ودورها في تنميّة السلوك الشرائي لدى الجمهور؛ وذلك بتطبيق البحث ميدانيّاً على عيِّنة من جمهور الإعلانات.

خامسا منهج البحث :

يعد هذا البحث من البحوث الاستكشافية إذ تم انتخاب المنهج المسحي بعده المنهج الانسب للدراسة والذي يتصف بدراسة الأحداث والظواهر والمواقف والآراء وتحليلها (حجاب، ٢٠٠٣، صفحة ٧٨) ، للوصول إلى أهداف البحث عن طريق جمع وتحليل التاثيرات المختلفة للإعلانات التي تعتمد توظيف االشخصيات المشهورة كنماذج إعلانية والمنشورة عن طريق التلفاز أو عبر شبكة الانترنت ودورها في تنميّة السلوك الشرائي لدى الجمهور؛ وذلك بتطبيق البحث ميدانيّاً على عيِّنة من جمهور الإعلانات.

سادسا: مجتمع البحث

تم تحديد مجتمع الدراسة بطلبة الجامعات العراقية بعدهم الشريحة العمرية التي تتناسب مع موضوع الدراسة، فضلا عن امتلاكهم الوعي والثقافة مما يجعلهم المجتمع الأنسب للبحث، ونظرا لاتساع حجم المجتمع المتمثل بكثرة الجامعات العراقية تم تحديد المجتمع بثلاث جامعات عراقية ممن يتابعون الإعلانات وهي: طلبة جامعة بغداد ، وطلبة جامعة المستنصرية، وطلبة كلية الإمام الكاظم (ع) .

سابعا: عينة البحث

تم اختيار عينه عشوائية بلغت ١٥٠ طالب من طلبة ثلاث جامعات عراقية ممن يشاهد الإعلانات وكان توزيعهم كما يلي :

١- جامعة بغداد(٥٠ طالب)

٢- الجامعة المستنصرية(٥٠ طالب)

٣- كلية الامام الكاظم (٥٠ طالب)

وتم توزيع استمارة الاستبيان عليهم ، وبعد استبعاد عدد من الاستبانات غير المستوفية للشروط، اصبح عدد عينة البحث ١٢٥ طالب.

ثامنا: حدود البحث

الحدود الزمنية: جمعت المعلومات في الفترة من ٢٠٢٠/٥/١ إلى ٢٠٢٠/٥/٣٠

الحدود المكانية: وزعت الاستمارة على عدد من طلبة الجامعات في محافظة بغداد.

تاسعا: المفاهيم

اولا :النمذجة : عرف البرت باندورا صاحب نظريه التعلم الاجتماعي بالملاحظة وهو أول من اطلق هذا المفهوم على عمليه التعلم بالنمذجه بقوله " إنّها عمليه التعلم الاجتماعي التي يقوم بها الفرد عن طريق ملاحظه سلوك الاخرين"

وهي تعلم الاستجابات أو الانماط السلوكيه جديده عن طريق ملاحظه سلوك الآخرين أو من خلال ملاحظه النماذج ، يسمى في هذه الحاله التعلم القائم على الاقتداء بالنموذج (الرافعي، هـ١٤٢٤، صفحة ٥).

ثانيا :الإعلان التلفزيوني : (مجموعة الجهود الاتصالية والإعلامية المدفوعة الثمن، التي يتم نشرها أو إذاعتها عن طريق التلفزيون ويتم من خلالها ظهور شخصية المُعلِن، الذي يهدف إلى تعريف جمهور معين وحثه على القيام بسلوك محدد .) (العالم، ٢٠٠٤، صفحة ١٧)

الفصل الثاني: الجانب النظري للبحث

اولا :نظرية التعلم بالملاحظة (النمذجة)

تعد نظرية التعلم عن طريق النموذج أو الملاحظة التي وضعها العالم الكندي **البرت باندورا** من النظريات الحديثة للتعلم، إذ يتأثر الجمهور المتلقي لوسائل الإعلام بالنموذج المعروض للإعلانات التلفزينية ويحاول ان يحاكي ويتقمص سلوك الشخصية الظاهرة في امتلاكها للسلعة المعروضة.

وتعد هذه النظرية من المساهمات المهمة لمعرفة دور وسائل الاعلام في التطور الاجتماعي للفرد، ومن المناسب تقديم بعض التجارب التي قام بها (باندورا) وزملائه لاختبار نظرية التعلم بالملاحظة ، والتي زعم من خلالها أنَّ الجمهور يهتمون بالشخصيات الظاهرة في الإعلانات أو السلوك القائم على المحاكاة الذي يستثيره العنف المقدم في التلفزيون، سواء اكان ينتج عن هذا العنف مكفأة ام عقاب ، وفي احدى التجارب التي عقدها باندورا على مجموعة من الأطفال يشاهد بعض منهم فيلما لشخص يقوم بالاعتداء على دمية كبيرة، اذ يهاجمها ويضربها بعنف، وتشاهد مجموعة اخرى فيلم لا يتسم بالعنف، وبعد انتهاء التجربة تم احباط جميع الأطفال بنحو متعمد وتمت ملاحظة سلوك الأطفال نحو دمية مشابهة للتي كانت في الفيلم فوجد ان الأطفال الذين تعرضوا للفيلم العنيف قلدوا السلوك العدواني نفسه تجاه الدمية، وخلص باندورا إلى ان الأطفال تعلموا السلوك العدواني من مشاهدة الفيلم التلفزيوني ، ولاحظ ان الذكور كانوا اكثر تقمصا لسلوك العنف من الاناث (حسن عماد مكاوي و ليلى حسين السيد، ٢٠٠٤، صفحة ٣٧٨).

والتقمص أو المحاكاة هو محاولة لإندماج شخصية الفرد في شخصية فرد آخر، أو شخصية جماعة نجحت في الإستحواذ على سمات واهداف يفتقدها الشخص، أو للتخفيف من صراع نفسي، وقد يكون التقمص ظاهرة طبيعية وصحية، أو يكون ظاهرة مرضية انحرافية إذ يحاول بعض الأطفال تقمص

شخصيات منحرفة يشاهدونها في السينما أو التلفزيون فيقدمون على سلوك انحرافي (الاجرامي، ١٩٨٣، صفحة ٢١٢)

يبدأ الانسان في السنوات الاولى عملية التعلم عن طريق المحاكاة والتقليد، فهو يقلد من غير وعي أو فهم أو ادراك، يقلد والديه وأخوته ومع نموه حين يصبح في سن المدرسة فالشخصيات التي تجذبه ويقلدها هم الاباء والمعلمين أو احد افراد المدرسة أو الشخصيات التي يراها عن طريق شاشات التلفزيون سواء كانت شخصيات حقيقية أو كارتونية خيالية هذا التقليد يكون معقد، مع التكرار ومرور الزمن يثبت ويرسخ (خلدون، ٢٠١٠، صفحة ٧١)

إنَّ التقليد لهذه الشخصيات لاتقتصر فقط على سلوكهم وتصرفاتهم اوتعليقاتهم، وانما يشمل الملابس التي يرتدونها والطعام الذي يفضلونه (الهيتي، ٢٠٠٧، صفحة ١٢٥)

وهذا ما استثمره بعض المعلنين في عرضِ شخصيات مشهورة ومحبوبة من قبل الاغلبية للقيام بتقديم الإعلان وذكر مميزات السلع أو الخدمات المعلن عنها، ليستعملوها ويفضلونها على المنتجات الأخرى.

و قد وضع البرت باندورا نظريته على اساس التعلم عن طريق النموذج أو بالمحاكاة لأنَّ جانباً كبيراً من التعلم يعتمد على ملاحظة الفرد لسلوك غيره من افراد مجتمعه، إذ أن جانباً كبيراً من سلوك الانسان يتم عن طريق ملاحظة غيره من الناس، و إنَّ كثيراً من استجابات البشر الايجابية والسلبية تكتسب عن طريق ملاحظة تصرفات الاخرين وافعالهم (بول مسن، جون كونجر، جيروم كاجان، ٢٠٠١، صفحة ٢٦٣)

ويعد التلفزيون من اكثر المجالات التي يمكن عن طريقها التعلم بالملاحظة أو بالنموذج، اذ اصبح مصدرا مهما للتعلم الاجتماعي والاخلاقي، نظرا لما يتميز به من امكانية نقل معظم المعرفة المتعلقة بالسلوك المختلف، وامكانيته لعرض سلوكيات لا يمكن ملاحظتها في الواقع بنحو تفصيلي وواضح. و يؤدي التلفزيون دوراً مهما في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل نظرا لما يقوم به من دور اساسي في غرس القيم الاجتماعية والاخلاقية وتعميقها لاسيما عند الأطفال (السوداني، ٢٠٠٩، صفحة ٧٣) ، فالأطفال الذين يلاحظون شخصيات التلفزيون وهم يسلكون سلوكا عدوانيا، فانهم اقرب إلى احتمالية تقليد العدوانية التي شاهدوها، كما ان رؤية شخصيات التلفزيون وهم يسلكون سلوكا فيه مساعدة وتعاون قد تجعلهم اكثر ميلا للمساعدة والتعاون (بول مسن، جون كونجر، جيروم كاجان، ٢٠٠١، صفحة ٢٦٣).

تعتمد عملية التعلم بالنمذجة من خلال التلفزيون على: (السوداني، ٢٠٠٩، صفحة ٧٤):

١. التمثيل الصوري المتحرك أو الثابت
٢. الوصف اللفظي.

مما أعطى عملية النمذجة عن طريق التلفزيون قدرةً اكبر في التاثير من وسائل الإعلام الأخرى التي يمكن من خلالها حدوث التعلم بالنمذجة وهو الاتصال بالكلمة المسموعة فقط عن طريق الإذاعات مثلا،

أو الصورة المكتوبة والمطبوعة في الصحف والمجلات والكتب، اذ إنَّ هذه الانواع أقل إثارة للانتباه وجاذبية من الشخصيات الظاهرة في الإعلانات المتحركة وأقل منها تاثير.

اذ يرى باندورا أنَّ هناك ثلاثة مبادئ تحكم عملية التعلم الاجتماعي تتمثل في : (عماد زغلول ،علي الهنداوي، ٢٠١٤، الصفحات ٢٢١-٢٢٢)

١- العمليات الابدالية : يشير هذا المبدأ إلى امكانية تعلم الخبرات وانماط السلوك المختلفة بنحو بديلي عن طريق ملاحظة افعال الاخرين في المواقف المختلفة ومحاكاتها من غير الحاجة إلى مرور الفرد بهذه الخبرات على نحو مباشر ، فكثير من الانماط السلوكية التي تظهر لدى الأفراد في بعض المواقف لم يتم تعلمها في الأصل من خلال التجارب والخبرات الشخصية ، وانما جاءت نتيجة ملاحظة ممثلي الإعلانات تعرض مثل هذا السلوك ، فملاحظة سلوك الاخرين وما ينتج عنها من نتائج تعزيزية تثير دافعية لدى الفرد في تعلم هذه الانماط السلوكية.

٢- العمليات المعرفية : ينطوي هذا المبدأ على الارتباطات التي يتم تشكيلها بين الاستجابات والمثيرات ، التي لا تتم بنحو آلي وانما تتدخل فيها العمليات الداخلية، كالاستدلال و التمثيل الرمزي والتوقع والادراك والاعتقاد ، فالمواقف والمثيرات التي يواجهها الشخص تخضع إلى المعالجة المعرفية من اجل تفسيرها واعطاءها المعاني الخاصة بها وتحديد شكل السلوك المناسب حيالها .

٣- عمليات التنظيم الذاتي : يشير هذا المفهوم إلى قدرة الفرد على تنظيم الانماط السلوكية التي يقوم بها في ضوء النتائج التي يتوقعها جراء القيام بمثل هذه الانماط. فتوقع النتائج المترتبة على السلوك هو الذي يحدد امكانية تعلم هذا السلوك أو عدمه فضلا عن ان التوقع يلعب دورا بارزا في ممارسة هذا السلوك واستعماله عندما تقتضي الحاجة إلى ذلك.

أما أهم العمليات المرتبطة بالتعلم بالملاحظة فهي : (محمد، ٢٠٠٤، الصفحات ٢٣٥-٢٣٦)

اولا الانتباه :

الانتباه هو (محاولة التوقف في لحظة من سريان الوعي والحياة) (عزي، ٢٠٠٣، صفحة ٢٣)

و يعد الانتباه شرطا ضروريا لحدوث عملية التعلم والاكتساب، اذ من غير توفر هذا العامل لا تحدث عملية التعلم من التعلم ويرجع السبب في ذلك إلى عدم توجيه الانتباه وتركيز الاهتمام لبعض انماط السلوك التي تقوم بها النماذج . لا سيما في حالة نماذج الاشخاص العاديين أو اؤلئك الذين لا يمتازون بخصائص عينة تجذب الآخرين (عماد زغلول ،علي الهنداوي، ٢٠١٤، صفحة ٢٢٦).

ويتوقف الانتباه على توافر عدد من العوامل منها ما يتعلق بخصائص المثيرات والبعض الآخر يرتبط بخصائص الفرد ومستوى الدافعية لديه. هذا وان مجرد وجود النموذج امام الملاحظ قد لا يؤثر عليه ولا يضمن حدوث التعلم ما لم يتنبه الشخص بطريقة ما . (شرام، ١٩٦٥، صفحة ٤٤)

ويرى باندورا أنَّ الانتباه إلى موقف أو حدث ما يتأثر بعاملين :-

أ. خصائص النموذج :

ويقصد بها الخصائص المرتبطة بالموضوع النموذج ومدى قدرته على جذب الانتباه، إذ يتميز الإعلان التلفزيوني باحتواءه على موضوعات بسيطة قادرة على جذب الانتباه بيسر وبالتالي يمكن للمتلقي ملاحظتها، هذا و إنَّ تكرار ملاحظة النماذج يتيح فرص أكبر للتعلم من ممثلي الإعلانات (مزيد، ٢٠٠٨، صفحة ١٤٥).

ب. خصائص المتلقي :

ويتمثل في قدرة الفرد على التعامل مع ما يتعرض له من معلومات، و ترتبط هذه القدرة بعوامل مختلفة تتمثل بالسن والجنس ومستوى الذكاء ، التي بتفاعلها يمكن للفرد من ان يتعلم الخبرات والمعارف التي يلاحظها فضلا عن الخصائص الادراكية التي تحددها الحاجات والتجارب.

ثانيا. الاحتفاظ (التذكر):

إنَّ عملية الإحتفاظ بما تعلمه الفرد عن طريق الملاحظة وتقليد النموذج لا تظهر بنحو مباشر في سلوك الافراد بعد الانتهاء من ملاحظة النموذج، وانما تتم عملية التعلم بالاحتفاظ بهذه المعلومات بالذاكرة ومن ثم اللجوء اليها عندما تقتضي الحاجة إلى ذلك، وعليه فان عملية التعلم تتطلب توفر قدرات معرفية معينة عند الافراد ، كالتخزين في الذاكرة والاستدعاء. وهذا يتطلب من الافراد القدرة على ترميز السلوكيات التي يلاحظونها على نحو رموز لفظية أو صورية أو حركية أو تعبيرية، فضلا عن القدرة على تذكرها وإستدعائها عند الحاجة (عماد زغلول ،علي الهنداوي، ٢٠١٤، صفحة ٢٢٧).

ثالثا .الانتاج أو الاداء : لا يمكن الحكم على أنَّ التعلم من خلال الملاحظة قد حدث لدى الأفراد ما لم يتم عكس هذا التعلم في اداء ظاهري (سلوك) قابل للملاحظة والقياس، لذا يتطلب هذا النوع من التعلم توفر قدرات لفظية وحركية لدى الافراد كي يتسنى لهم اداء السلوك الذي تم تعلمه من خلال الملاحظة والمحاكاة، هذا ويلعب التدريب دورا هاما بهذا الشأن لأتاحة فرصة للافراد في ملاحظة الانماط السلوكية لاكثر من مرة وتشجيعهم على ممارسة مثل هذه الانماط السلوكية، فضلا عن ان التعاطي من قبل المعلن مع التغذية الراجعة يسهم في اتقان هذا التعلم (عماد زغلول ،علي الهنداوي، ٢٠١٤، صفحة ٢٨).

ونجد أنَّ في اغلب الإعلانات تدريباً نظرياً لكيفية الاستفادة من السلعة أو الخدمة يسهل التطبيق الفعلي بعد اقتناءهم عنها ، أي يسهل الاداء لما تعلمة عن طريق ملاحظته للنموذج المعروض بالإعلان وذلك عن طريق :

١. لما تحتويه الإعلانات من شروحات لكيفية استهلاك السلعة أو الخدمة المعلن عنها.
٢. التكرار في عرض الإعلان وتشجيع المشاهدين باستهلاك السلعة أو الخدمة المعلن عنها.
٣. عرض مقابلات مع مستهلكين سابقين للسلعة أو الخدمة المعلن عنها مبينين مدى الاستفادة منها.

رابعا . الدافعية :-

يتوقف التعلم من خلال الملاحظة والتقليد على وجود دافع لدى الأفراد لتعلم انماط سلوكية معينة، والدافع هو "حالة داخلية يتم فيها تعبئة الطاقة وتوجيهها بصورة انتقائية نحو أهداف تقع في البيئة الخارجية في معظم الاحوال" وهو "كل ما يدفع إلى القيام بنشاط ما سواء اكان ذهنيا ام حركيا . وبعض الدوافع فطري، بينما يكون بعضها الاخر مكتسبا " (رمضان محمد القذافي ، عبد السلام بشير الدويبي، ٢٠١٠ ، صفحة ١٩٠)

وتعتمد الدافعية في نظرية التعلم بالملاحظة على التعزيز والتدعيم سواء كان داخلي ام خارجي (حسن عماد مكاوي و ليلى حسين السيد، ٢٠٠٤، صفحة ٣٨١)

ويلعب التوقع دورا حاسما في ذلك فعندما يتوقع الافراد أنَّ محاكاتهم لانماط سلوكية معينة من شأنه ان يشبع حاجاتهم ودوافعهم، فان دافعيتهم للانتباه لذلك السلوك وتعلمه تزداد الأمر الذي يسهم في تعلمه وممارسته، اما في حالة توقع عدم تحقيق اية مكاسب من تعلم هذا السلوك، عندها تكون دافعية الافراد نحو تعلم هذا السلوك منخفضة (عماد زغلول ،علي الهنداوي، ٢٠١٤، صفحة ٢٢٨).

وكلما كان الدافع قويا كانت فعالية المتعلم أكبر ولكن في بعض الاحيان يكون الدافع سببا في الفشل في التعلم ، فمثلا الخوف قد يكون دافعا للتعلم الا أنَّ كثرته قد تؤدي إلى شل امكانات المتعلم، ويكون الدافع أكثر فعالية اذا اقترن بنتائج أو بغايات هامة يروم الشخص الحصول عليها (الدلفي، ٢٠١٤، صفحة ٢٧٠)

والدافع الفطري يمرُّ بمدة لا يخضع فيها لإرادة ، ويسمى في هذه الحالة بالحافز. فاذا ما ظهر في شكل سلوك ما لارضاء الرغبات البيولوجية سمي الدافع حاجة (مراد، ١٩٥٤، صفحة ١٤٤).

ثانيا :الشخصيات الظاهرة في الإعلان:

وهم الشخصيات الرئيسيه التي يعتمد عليها الإعلان في تقديم الرسالة سواء باسلوب مباشر أو غير مباشر، و يشكل ممثل الإعلان عنصرا مهم من عناصر التصميم واساسا في تحقيق غايات العمليه الاتصاليه الإعلانيه، إذ تساعد الشخصية الظاهرة في عمليه جذب الانتباه واثارة اهتمام المتلقي للرساله الإعلانيه مما يدفعه إلى محاكاه هذه الشخصية الإعلانية في استهلاك السلعة أو الخدمة المعلن عنها.

فاللجوء إلى مشاهير الرياضة والفن والغناء ممن لديهم جمهور معجب بهم ويرغب في تقليدهم وستنتقل الاعجاب من هذه الشخصيات إلى السلعة أو الخدمة التي تستهلكها هذه الشخصيات ويرجع اهميه هذه الشخصيات الإعلانية إلى تفسير الانسان لسلوك الآخرين عن طريق اسناد ما يراه إلى سماتهم حتى يعرف كيف يتواصل معهم .

انواع الشخصيات الظاهرة في الإعلانات :

اولا :الشخصيات لرئيسية:

و هي الشخصيات الرئيسية التي يعتمدها في تقديم الرسالة الإعلانية بنحو رئيس ومباشر أو عن طريق تقديم نصيحة بنحو غير مباشر من خلال موقف درامي ، والنماذج الاساسية أو الرئيسية هي التي يعتمدها مصمم الإعلان في عرض الرسالة الإعلانية باسلوب مباشر أو غير مباشر، فالاسلوب المباشر يتمثل بتقديم عرض أو تقديم نصيحة ، اما الاسلوب غير المباشر فيكون عن طريق مشهد تمثيلي، وهذا ما نجده في كثير من الإعلانات التي توظف بعض المشاهير في تقديم مشهد تمثيلي يبين اهمية السلعة اوالخدمة المعلن عنها . سواء كانت هذه الشخصية من ذوي اختصاص ام من مشاهير السينما أو الغناء أو الرياضة ، فالشخصية ذات الاختصاص لها تاثيرها الكبير في الاقناع لشراء السلعة أو الخدمة المعلن عنها ،و يستعمل المعلن هذا الإسلوب لإشباع الحاجة العقلية للمتلقي في التأكد من المعلومة في اثناء العملية الشرائية على أنَّه لن يخطيء، و أنَّه سيشتري المنتج الذي سوف ينال رضاه .

اما عن اشكال الشخصيات الرئيسيه الظاهرة في الإعلان: (يوسف، ٢٠٠٧، صفحة ٨٥)

١.المشاهير

هم من نجوم الفن والطرب و الرياضة المعروفين ممن لديهم جمهور واسع من المتابعين والمعجبين باعمالهم، ويتم اختيارهم في الإعلان بضوابط لا تتعلق بطبيعة المنتج و اتجاهات الجمهور أو الرسالة المقدمة فحسب ، بل تتعلق بشخصية المشهور نفسه و قدرته في تحقيق النجاح في مجاله، فعلى سبيل المثال فأنَّ نجاح في مسلسل لفنانة ما يجعلها احدى المرشحات في تقديم عدد من الإعلانات ، كما إنَّ فوز احد لاعبي كرة القدم بميدالية معينة يمكن ان يكون مرشح للظهور في الإعلانات ، و هذا الاسلوب منتشر في كثير من اعلانات المؤسسات الكبيرة التي قد تلجا إلى التعاقد مع بعض المشاهير للقيام بسلسة من الإعلانات الخاصة بمنتجاتها كما يظهر ذلك في اعلانات شركتي الاتصال (اسيا سيل، وكورك) عندما تعاقدتا مع الفنانين كاظم الساهر ورحمة رياض في تقديم اعلاناتهما .

٢.الشخصيات الكارتونية. بعض المؤسسات بدلاً من الاعتماد على أحد شخصيات المشاهير تلجا إلى الشخصية الكارتونية بوصفها شخصية رئيسية في اعلاناتها لا سيما في الإعلانات الموجهة للطفل فالصورة المتحركة اكثر من مجرد مثير بصري ، وهذا ما نجده في بعض اعلانات لشركات مهمة مثل \ شخصية الأرنب الموجودة في منتجات نسكويك لشركة (نستلة).

٣.الشخصيات ذات الاختصاص: للشخصية الإعلانية ذات الاختصاص تاثير عقلي في اقناع المتلقي لزيادة الاقبال على شراء المنتج أو الخدمه المعلن عنها و يستعمل هذا الاسلوب لاشباع الحاجة العقلية للمتلقي و رغبته في التاكد من أنَّ المعلومة التي يتضمنها الإعلان صحيحة وأنَّه في اثناء العملية الشرائية لا يخطا وانه سيشتري المنتج الذي سوف ينال رضاه.

٤. الشخصيات غير المعروفة : قد تلجا الشركات المعلنة إلى الاعتماد على شخصيات غير معروفة لتكون مرتبطة فقط بالسلعة أو الخدمه المعلن عنها و ذلك عن طريق الإعلان عن الحاجة إلى شخصيات تمثل في اعلان معين ليتقدم عدد من المرشحين ويتم اختيار احد منهم بما يتلاءم السلعة والخدمة المعلن عنها وبذلك تكون هذه الشخصيات مرتبطة ارتباطا مباشرا في السلعة أو الخدمة في اذهان الجمهور .مثال على ذلك اعلانات شركة(فيري لغسيل الصحون) الذي اعتمد في تقديم اعلاناتها شخصيات غير معروفة تقدم سلسة من الإعلانات التمثيلية لايضاح مزايا المنتج.

ثانيا: االشخصيات الفرعية :وهم الأشخاص المساندون للشخصية الرئيسة الذين يختلفون تبعاً للافكار الإعلانية وقد تقدم هذه الشخصيات بصورة حقيقية أو كارتونية، ويمكن أنَّ يكونوا شخصاً واحداً أو أشخاصٍ عدة . والشخصيات الفرعية لها دور اساس، لأنها تعطي المصداقية للإعلان من خلال الجو العام. و هناك بعض الإعلانات التي تقدم من خلال مجموعة من الشخصيات الفرعية من غير اللجوء إلى شخصية رئيسة. وغالباً ما يتم اختيار ممثلي الإعلانات بنحو منمط تبعاً للمنتج والجمهور ، فعلى سبيل المثال يتم اختيار الشخصيات الإعلانية من النساء للإعلانات المقدمة للمرأة، كمستحضرات التجميل والعطور ، أما الإعلانات المقدمة للأطفال فلابُد أن تحتوى على ممثلي الإعلانات من الأطفال لنفس المرحلة العمرية وقد تظهر الأم أو الأب أو كلاهما حسب نوع المنتج المقدم.

عند تصميم الشخصية الإعلانية يجب مراعاه ما يلي: (شرتيح، ٢٠١٧، صفحة ١٧٠)

١. التركيز على دراسات بحوث التسويق لمعرفة الجانب الافضل للمتلقي وقياس قدرة الإعلان على التاثير عليهم .

٢. الاهتمام بالتفاصيل لاسيما المتعلقة بتصميم النماذج الإعلانية مع مراعاة قيم المجتمع .

٣. صياغة شخصية وتصميمها بنحو جاذب للنظر لتتمكن من حمل الرسائل الإعلانية بطريقة تحقق تاثيرا ايجابيا.

محاور دراسة الشخصيات الظاهرة في الإعلان : (خليل، ٢٠١١، صفحة ١٣٣)

المتلقي للرسالة الإعلانية كثيرا ما يتعاطف مع شخصيات المشاهير وذات الاختصاص التي تظهر في الإعلانات ويتاثر بها ، فعلا صعيد الشكل الخارجي كالملبس والمأكل أو السيارة التي يركبها ، أو يتاثر بالحالة المزاجية كالفرح والحزن ، فيفرح معهم ويحزن معهم ويقلق لقلقهم، هذا ما يستغله المُعلِن في اظهار الشخصيات الإعلانية وهي تشعر بالفرح نتيجة استهلاكهم للسلعة أو الخدمة المعلن عنها أو بالحزن والقلق نتيجة عدم حصولهم عليها . هذا فضلا عن تاثرهم بالجانب السلوكي من تصرفات وافعال. وهذا ما يسمى بظاهرة التعاطف النفسي التي تقوم على مشاركة الآخرين فيما يشعرون به، وله صورة بدائية وهو التعاطف الجسدي الذي يقوم على انتقال الحركات والأفعال من شخص إلى آخر بالتقليد

العفوي أو العدوى كالمشاركة في الضحك والتصفيق، وله أيضاً صورة نفسية مصحوبة بالوعي، كاشتراك شخصين أو أشخاص في حالات نفسية متماثلة كالخوف أو السرور أو الغضب." ومن هنا نستعرض اهم الجوانب أو المحاور التي يتاثر بها المتلقي للرسالة الإعلانية اوالملاحظ للنموذج والشخصية الظاهرة في الإعلان:

اولا: المحور البنائي: (المليجي، ٢٠٠١، صفحة ١٦)

ويقصد بها التكوينان البنائي و الشكلي للنموذج الإعلاني :

١- البنائي: ويراد به النوع والعمر و الطول والحجم وملامح الممثلين والإحساس و نظرة العين ونبرة الصوت فضلا عن الانطباع العام المتكون عنهم عند رؤيتهم كالشر والطيبة أو والتهور و الهدوء والرزانة .

٢- الشكلي: هو ما يضفي على الممثلين من مصداقية وتأكيد الصفات كالملابس والمكياج ، إذ يتم اختيار الملابس الشخصية كالطبيب أو العامل، والمكياج لاضفاء الواقعية على الشخصيات كمكياج المهرج أو مكياج لتكبير سن الشخصية .

ثانيا: المحور اللفظي: (عويضة، ١٩٩٦، صفحة ٣٧)

ويقصد بها الالفاظ التي يستعملها ممثلو الإعلانات في تقديم الإعلان التي ترتبط بالمحور البنائي والشكلي للشخصية فالكلمات والمصطلحات التي يستعملها طبيب تختلف عما يستعمله فلاح وتختلف عما يستخدمه مدرس ، وكذلك المرحلة العمرية تؤثر في الكلمات المنطوقة اذ يختلف كلام الطفل عن البالغ . اذ ان اللغة هي أحد اسس تكوين الشخصيات الظاهرة في الإعلانات مما يحيل اعتمادها كأداة في بناء شخصية إيجابية تعد أمراً لا مفر منه .

ثالثا : المحور السلوكي: (المليجي، ٢٠٠١، صفحة ١٨)

- ويراد بها التصرفات التي تؤديها الشخصيات الظاهرة في الإعلانات . فالسلوك في الغالب يكون مدروس ، اذ ان الإعلانات التلفزيونية قد تستغني عن الكلمات باللجوء إلى سلوك ممثلي الإعلانات وحركاتهم للتعبير عن مضمون الرسالة الإعلانية ، مع الاخذ بعين الاعتبار العادات والتقاليد والاعراف لان السلوك هو في الغالب اكثر ما يؤثرة في المشاهد.

ويمكن اجمال التاثيرات للشخصيات الظاهرة في الإعلان على المتلقي بما ياتي:

١- للشخصيات الإعلانية دوركبير في جذب الانتباه واثارة الاهتمام نحو الإعلانات اذ اثبتت عدد من الدراسات اهمية الشخصيات الظاهرة في الإعلان على جذب الجمهور واثارة اهتمامه منها دراسة فاطمة شعبان صالح الذي توصلت إلى ان اكثر من ٦٦%من جمهور المراهقين يجذبهم في الإعلان ويثير اعجابهم ممثلي الإعلانات ، بل ان نسبه كبيرة من هؤلاء المبحوثين تبلغ ٣٠% متقبلين فكرة ان يصبحوا ممثلي اعلانات في المستقبل (صالح، ٢٠٠٤)

٢- للشخصية الإعلانية دور أساسي ومهم في سرد القصة الإعلانية وتطور الأحداث ونقل الأفكار (بوجز، ١٩٩٥ ، صفحة ٩٠)

٣- هنالك أشكال إعلانية تجعل من مقدم الإعلان احد العلامات المميزة للمنتج المعلن عنه ، فيرتبط شكل الشخصية بنحو المادة المعلن عنها ، وذلك بتكرار الإعلان لمدة من الزمن وبنفس الشخصية المقدمة للإعلان. (رضوان، ١٩٩٩ ، صفحة ١٧)

٤- تلعب الشخصية الظاهرة في الإعلان دورا رئيسيا في مدى تعلم المتلقي من الإعلان اذ إنَّ اكثر ما يعلق في الذاكرة هو حركات الشخصية الظاهرة في الإعلان ورقصاتها بحسب اراء ٥١% من مبحوثي احدى الدراسات . (علاونة، ٢٠١١، صفحة ٢٠٦٧)

٥- إشباع الحاجة العقلية للمتلقي في التأكد من المعلومة اثناء العملية الشرائية على انه على صواب ، و انه سيشتري المنتج الذي سوف ينال رضاه على حسب امكانياته عن طريق توظيف الشخصيات من ذوي الاختصاص . (يوسف، صناعة الإعلان في العالم العربي، ٢٠٠٧، صفحة ٨٥)

الفصل الثالث :الجانب التطبيقي للبحث

اولا : تاثير الشخصية الظاهرة في الإعلان على جذب الانتباه :

اظهرت نتائج اجابات المبحوثين ان اكثر ما يجذب الانتباه في الإعلان هي الشخصية الظاهرة، إذ أظهرت النتائج أنَّ من ينجذبون بين الحين والاخر بـ(٥٦%) من المبحوثين، فيما ظهرت فئة من ينجذبون بنحو دائم بـ(٣٩.٢%) من المبحوثين، بينما اجاب(٤.٨%) فقط من المبحوثين بنادرا. **وهذا يؤشر ان النسبة الأكبر ينجذبون إلى الشخصية الظاهرة في الإعلان.**

كما اثبتت الدراسة ان نسبة (٤٧.٢%) من المبحوثين يرون ان جاذبية المنتجات الإعلانية تعتمد على اسلوب تقديم الشخصية الظاهرة في الإعلان ، ونفس النسبة اجابوا (٤٧.٢%) من المبحوثين انهم يتأثرون بذلك بين الحين والاخر ، فيما اجاب (٥.٦%) فقط من المبحوث هم نادرا ما يفعلون ذلك. **وهذا يؤشر ان أهمية اسلوب التقديم للشخصية الظاهرة في الإعلان.**

كذلك اظهرت اجابات المبحوثين ان (٤٦.٤%) احيانا يثيرهم ظهور الشخصيات المشهورة في الإعلان ، بينما اجاب (٤٣.٢%) من المبحوثين يثيرهم بنحو دائم، بينما (١٠.٤%) فقط من المبحوث هم نادرا مان يهتموا بظهور الشخصيات المشهورة في الإعلان. **وهذا يؤشر ان النسبة الأكبر يثيرهم ظهور الشخصيات المشهورة الإعلان.** انظر الجدول رقم (١).

جدول رقم (١)

جذب الانتباه	دائما	%	احيانا	%	نادرا	%	مجموع	
اكثر ما يجذبني في الإعلانهو الشخصية الظاهرة فيه	٤٩	٣٩.٢	٧٠	٥٦	٦	٤.٨	١٢٥	١٠٠
الشخصية الظاهرة في الإعلان تجعل المنتج جذابا	٥٩	٤٧.٢	٥٩	٤٧.٢	٧	٥.٦	١٢٥	١٠٠
اعلانات المشاهير هي الجزء الاكثر اثارة بين الإعلانات	٥٤	٤٣.٢	٥٨	٤٦.٤	١٣	١٠.٤	١٢٥	١٠٠

اما عن ابرز النقاط جذبا للانتباه في الشخصية الظاهرة في الإعلان بحسب اجابات المبحوثين هو المحور البنائي للشخصية، اذ اجاب (٥٧.٦%) من المبحوثين أنَّ شكل الشخصية الظاهرة في الإعلان وملابسها هو اكثر ما يجذب انتباههم في الشخصية الإعلانية .كما هو موضح في الجدول رقم (٢).

جدول رقم (٢)

يبين اكثر ما يجذب المبحوثين في الشخصية الظاهرة في الإعلان

ت	اكثر ما يجذبني في الشخصية الظاهرة في الإعلان	التكرار	%
١	شكله وملابسه	٧٢	٥٧.٦
٢	سلوكه	٢٥	٢٠
٣	ما يقوله	٢٣	١٨,٤
المجموع		١٢٥	٪١٠٠

ثانيا: تذكر الشخصية الظاهرة في الإعلان :

اثبتت الدراسة ان اغلب المبحوثين وبنسبة (٥٢.٨%) يتذكرون الإعلان والشخصية الظاهرة في الإعلان عندما يرون السلعة المعلن عنها معروضة في الاسواق، بينما اجاب (٤١.٦%) من المبحوثين انهم يتذكرون ذلك احيانا، فيما اجاب ب (٥.٦%) فقط من المبحوث هم نادرا ما يفعلون ذلك. **وهذا يؤشر ان النسبة الأكبر يتذكرون الشخصية الظاهرة في الإعلان.**

واثبتت الدراسة ان اغلب المبحوثين وبنسبة (٥٦%) احيانا يكونون انطباعا جيدا عن المنتج الإعلاني بسبب الشخصية التي قدمته في الإعلان، بينما اجاب (٢٥.٦%) من المبحوثين انهم دائما ما يفعلون ذلك، ونسبة (١٨.٤%) من المبحوث هم نادرا ما يتأثرون بالشخصية الظاهرة في الإعلان، واثبتت ان اغلب المبحوثين وبنسبة (٥٥.٢%)% احيانا يحفظون الاغناني المرفقة بالإعلان في حال اعجابهم بالشخصية الإعلانية، بينما اجاب (١٨.٤%) من المبحوثين انهم يقومون بذلك بنحو دائم ، ونسبة

(٢٦.٤%) فقط من المبحوثين هم نادري حفظ الاغاني المرفقة بالإعلانات. كما هو موضح في جدول رقم (٣).

جدول رقم (٣)

يبين **مدى تذكر الشخصية الظاهرة في الإعلان**

التذكر	دائما	%	احيانا	%	نادرا	%	مجموع	
عندما ارى سلعة أتذكر الإعلان والشخصية التي عرضت الإعلان	٦٦	٥٢.٨	٥٢	٤١.٦	٧	٥.٦	١٢٥	١٠٠
الشخصية الظاهرة في الإعلان تساعدني في تكوين انطباع جيد عن المنتج	٣٢	٢٥.٦	٧٠	٥٦	٢٣	١٨.٤	١٢٥	١٠٠
احفظ و أردد مقاطع الاغاني من الإعلان اذا كانت مغناة من شخصية معروفة	٢٣	١٨.٤	٦٩	٥٥.٢	٣٣	٢٦.٤	١٢٥	١٠٠

ثالثا :تاثير الشخصية الظاهرة في الإعلان على استرجاع الجمهور الحركي للرموز:

اثبتت الدراسة ان اغلب المبحوثين وبنسبة (٥٨,٤%) يتعرفون على خصائص المنتج عن طريق الشرح والتوضيح الذي تقدمه الشخصية الظاهرة في الإعلان احيانا، فيما اجاب (٢٧,٢%) من المبحوثين انهم دائما ما يقومون بذلك في حين اجاب (١٤,٤%) فقط من المبحوثين بأنهم نادرا ما يعتمدون على الشخصيات الإعلانية في اكتشاف المنتج واثبتت الدراسة ان اغلب المبحوثين وبنسبة(٥٥,٢%) دائما ما يتعلمون كيفية استهلاك المنتج سواء كان سلعة ام خدمة المعلن عنها من خلال الشخصية الظاهرة في الإعلان، بينما اجاب (٣٥,٢%) من المبحوثين انهم احيانا يتعلمون بهذه الطريقة ،في حين ان (٩,٦%) فقط من المبحوثين بأنهم نادرا ما يعتمدون على الشخصيات الإعلانية ذلك في حين اثبتت الدراسة ان اغلب المبحوثين (٣٦,٨%) يكتشفون نتائج استعمال أو عدم استعمال المنتج بناءً على توضيح الشخصية الظاهرة في الإعلان بنحو دائما سواء عن طريق باستعمال المنتج امام الشاشة أو مقابلة بعض من الا فراد ممن استهلكوا المنتج سابقا، بينما اجاب (٤٧,٢%)من المبحوثين انهم احيانا ما يقومون بذلك، في حين اجاب (١٦%) فقط من المبحوثين بأنهم نادرا ما يعتمدون على الشخصيات الإعلانية في ذلك. كما هو موضح في جدول رقم (٤).

جدول رقم (٤)

يبين مدى تاثير الشخصية الظاهرة في الإعلان في استرجاع الجمهور الحركي للرموز

استرجاع الجمهور الحركي	دائما	%	احيانا	%	نادرا	%	مجموع	

للرموز								
الشخصيات الظاهرة في الإعلان لها دور في مساعدتي على اكتشاف خصائص المنتج	٣٤	٢٧.٢	٧٣	٥٨.٤	١٨	١٤.٤	١٢٥	١٠٠
الشخصيات الظاهرة في الإعلان تعلمني كيفية استعمال السلعة	٦٩	٥٥.٢	٤٤	٣٥.٢	١٢	٩.٦	١٢٥	١٠٠
الشخصية الظاهرة في الإعلان تعرفني على نتائج استعمال أو عدم استعمال المنتج	٤٦	٣٦.٨	٥٩	٤٧.٢	٢٠	١٦	١٢٥	١٠٠

رابعا: تاثير الشخصية الظاهرة في الإعلان على الاقناع :

اثبتت الدراسة ان اغلب المبحوثين (٥٢,٨%) احيانا ما يصدقون بما جاء في الإعلان حين يثقون بالشخصية الظاهرة فيه ، بينما اجابوا (٣٢%) من المبحوثين انهم نادرا ما يقومون بذلك، في حين اجاب (١٥,٢%) فقط من المبحوثين بأنهم دائما ما يعتمدون على ثقتهم بالشخصيات الإعلانية في اكتشاف المنتج اثبتت الدراسة ان اغلب المبحوثين (٤٩,٦%) دائما يقتنعون بما يتضمنه الإعلان، اذا تم تقديمه من قبل شخصية من ذوي التخصص، بينما اجاب (٤٠,٨%) من المبحوثين انهم احيانا ما يقومون بذلك في حين اجاب (٩,٦%) فقط بأنهم نادرا ما يعتمدون على الشخصيات الإعلانية في الاقتناع بالمنتج. واثبتت الدراسة ان اغلب المبحوثين (٤٦,٤%) احيانا يندفعون نحو شراء المنتج الإعلاني ويفضلونه على المنتجات الاخرى اذا تم تقديمه من قبل شخصية محبوبة من المشاهير، بينما اجاب (٢٧,٢%) من المبحوثين انهم نادرا ما يقومون بذلك، في حين اجاب (٢٦,٤%) بأنهم نادرا ما يعتمدون الشخصيات الإعلانية في اتخاذ قرار الشراء أو تفضيل المنتج. كما هو موضح في جدول رقم (٥).

جدول رقم (٥)

يبين مدى تاثير ظهور الشخصيات عالاقناع

الاقناع	دائما	%	احيانا	%	نادرا	%	مجموع	
اصدق ما في الإعلان حين اثق بالشخصية الظاهرة فيه	١٩	١٥.٢	٦٦	٥٢.٨	٤٠	٣٢	١٢٥	١٠٠
الإعلانات التي تظهر فيها شخصيات ذات اختصاص أكثر إقناعا	٦٢	٤٩.٦	٥١	٤٠.٨	١٢	٩.٦	١٢٥	١٠٠
الإعلان التي تظهر فيه شخصية	٣٣	٢٦.٤	٥٨	٤٦.٤	٣٤	٢٧.٢	١٢٥	١٠٠

مشهورة يدفعني نحو شراء سلعة على حساب السلع الاخرى								

سادسا : الاجابة على تساؤلات البحث

للتعرف على أبرز تأثيرات الشخصية الظاهرة في الإعلان من وجهة نظر عينة البحث تم تطبيق أستبانة سمات الشخصية الظاهرة في الإعلان على عينة قوامها (125) ، ومن ثم تم اعتماد مؤشر الاهمية النسبية لاجابات افراد عينة البحث على كل فقرة من فقراتالاستبانة وكما موضح في الجدول رقم (6):

جدول (٦)

الاوساط المرجحة والاوزان المئوية لفقرات تأثيرات الشخصية الظاهرة في الإعلان من وجهة نظر عينة البحث

	تسلسل الفقرة في المقياس	الفقرة	البدائل	التكرار	النسبة	الوسط المرجح	الانحراف المعياري	الوزن المئوي	الرتبة
الإتباع	1	اكثر ما يجذبني في الإعلان هو الشخصية الظاهرة فيه	نادرا	6	4.8	2.34	0.57	78	3
			أحيانا	70	56				
			دائما	49	39.2				
	2	الشخصية الظاهرة في الإعلان تجعل المنتج جذابا	نادرا	7	5.6	2.42	0.6	80.67	2
			أحيانا	59	47.2				
			دائما	59	47.2				
التذكر	3	عندما ارى سلعة أتذكر الإعلان والشخصية التي عرضت الإعلان	نادرا	7	5.6	2.47	0.6	82.33	1
			أحيانا	52	41.6				
			دائما	66	52.8				

	4	الشخصية الظاهرة في الإعلان تساعدني في تكوين انطباع جيد عند رؤية السلعه	**نادرا**	23	18.4	2.07	0.66	69	8
			أحيانا	70	56				
			دائما	32	25.6				
	5	أحفظ و أردد مقاطع الاغاني من الإعلان	**نادرا**	33	26.4	1.92	0.67	64	10
			أحيانا	69	55.2				
			دائما	23	18.4				
استرجاع حركي للرموز	**6**	الشخصيات الظاهرة في الإعلان لها دور في مساعدتي على اكتشاف خصائص المنج	**نادرا**	18	14.4	2.13	0.63	71	7
			أحيانا	73	58.4				
			دائما	34	27.2				
	7	لشخصية الظاهرة في الإعلان تعلمني على كيفية استعمال المنتج	**نادرا**	12	9.6	2.26	0.62	75.33	5
			أحيانا	44	35.2				
			دائما	69	55.2				
	8	الإعلان يعرفني على نتائج استعمال أو عدم استعمال المنتج	**نادرا**	20	16	2.21	0.7	73.67	6
			أحيانا	59	47.2				
			دائما	46	36.8				

الفقرة	9	اصدق ما في الإعلان حين اثق بالشخصية الظاهرة فيه	**نادرا**	40	32	1.83	0.67	61	11
			أحيانا	66	52.8				
			دائما	19	15.2				
	10	الإعلانات التي تظهر فيها شخصيات ذات اختصاص أكثر إقناعا	**نادرا**	12	9.6	2.31	0.64	77	4
			أحيانا	51	40.8				
			دائما	62	49.6				
	11	الإعلان التي تظهر فيه شخصية مشهورة يدفعني نحو شراء سلعة على حساب السلع الاخرى	**نادرا**	34	27.2	1.99	0.74	66.33	9
			أحيانا	58	46.4				
			دائما	33	26.4				

من الجدول أعلاه يتبين أن الفقرات (عندما ارى سلعة أتذكر الإعلان والشخصية التي عرضت الإعلان، الشخصية الظاهرة في الإعلان تجعل المنتج جذابا ، اكثر ما يجذبني في الإعلان هو الشخصية الظاهرة فيه) جاءت بالمراتب الثلاث الاولى بحسب أعلى الاوزان المئوية اي ان للشخصية الظاهرة في الإعلان لها تاثير اكبر في عمليتي جذب الانتباه و حفظ الإعلان بالذاكرة ، كما تبين أن من الجدول أن الفقرات (الإعلان التي تظهر فيه شخصية مشهورة يدفعني نحو شراء سلعة على حساب السلع الاخرى، أحفظ مقاطع الاغاني من الإعلان و أرددها ، الإعلان التي تظهر فيه شخصية مشهورة يدفعني نحو شراء سلعة على حساب السلع الاخرى) أحتلت أدنى المراتب بحصولها على أقل الاوزان المئوية اي ان تاثير الإعلان في عمليتي الاقناع والاسترجاع الحركي لسلوك الشخصية هو قليل .

الاستنتاجات

١- اثبتت الدراسة أنَّ الشخصية الظاهرة في الإعلانات تجعل المنتج اكثر جاذبية، اذ ان النسبة الأكبر من المبحوثين ينجذبون إلى الشخصية الظاهرة في الإعلان وهذا يفسر انشغال شركات ووكالات الإعلان باسلوب التقديم للشخصية الظاهرة في الإعلان.

٢- اثبتت الدراسة أنَّ النسبة الأكبر من المبحوثين يثير انتباههم ظهور الشخصيات المشهورة الإعلان، وهذا يفسر لجوء وكالات الإعلان إلى دفع الاموال الطائلة كأجور إلى المشاهير لا سيما في شهر رمضان المبارك .

٣- اثبتت الدراسة أنَّ شكل وملابس الشخصية الظاهرة وشكها في الإعلان هو اكثر ما يجذب انتباه المتلقين، وهذا يفسر اهتمام المعلنين بالازياء التي تظهر فيها الشخصية الإعلانية لما لها من دلالة لابد ان تنسجم مع موضوع الإعلان .

٤- اثبتت الدراسة أنَّ الشخصية الظاهرة في الإعلان تساعد الجمهور على تذكر الإعلان لاسيما عند رؤية المنتج المعلن عنه معروض في الاسواق.

٥- االثبتت الدراسة أنَّ الشخصية الظاهرة في الإعلان لها دور كبير في تعليم المتلقي كيفية استعمال المنتج والاستفادة القصوى من مميزاتة واستعمالته الاخرى، فالمتلقي يستقبل المعلومة من الرسائل الإعلانية بنحو اسهل عن تلك التي لاتظهر فيها إعلانات.

٦- اثبتت الدراسة أنَّ اغلب الجمهور لا يصدق ما في الإعلان حتى لو كان معجب بالشخصية الظاهرة فيه، وهذا يدل على وعي المبحوثين وادراكهم أنَّ مثل هذه الشخصيات تظهر في الإعلانات لخدمة مصالحهم الشخصية ومنفعتهم المادية وليس لمصلحة المشاهد.

٧- اثبتت الدراسة أنَّ لإعلانات االتي تظهر فيها شخصيات متخصصة أكثر إقناعا، وهذا يفسر لجوء اغلب الإعلانات لاسيما اعلانات مواد التنظيف أو معاجين الاسنان إلى اظهار بعض الأطباء والعلماء لاضفاء مصداقية على ما يظهر في الإعلان من معلومات.

٨- اثبتت الدراسة أنَّ الشخصية الظاهرة في الإعلان تلعب دورا مهما في التأثير في مجال جذب الانتباه وحفظ الإعلان بالذاكرة، لكن دورها محدود في مجال الاقناع والاسترجاع الحركي لسلوك الشخصية .

مصادر البحث

١. بول مسن، جون كونجر، جيروم كاجان، اسس سايكلوجية الطفولة والمراهقة ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١.

٢. جوزيف بوجز ،ترجمة :وداد عبد الله ،فن الفرجة على الأفلام الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،١٩٩٥ .

٣. حاتم سليم علاونة، واخرون دور الإعلانات التلفزيونية في التنشئة الاجتماعية لأطفال ما قبل المدرسة دراسة ميدانية على عينة من أولياء الأمور في محافظة ، إربد، بحث منشور موقع كلية الإعلام، جامعة اليرموك، اربد ،٢٠١١.

٤. حسن عماد مكاوي ، ليلى حسين السيد ، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية واللبنانية للنشر، القاهرة ،٢٠٠٤.

٥. حلمي المليجي ،علم نفس الشخصية: دار النهضة العربية للطباعة والنشر :بيروت ، ٢٠٠١

٦. حنان يوسف، صناعة الإعلان في العالم العربي، (القاهرة: دار اطلس للنشر والانتاج الاعلامي) ، ٢٠٠٧

٧. حنان يوسف، صناعة الإعلان في العالم العربي، (القاهرة: دار اطلس للنشر والانتاج الاعلامي) ، ٢٠٠٧.

٨. خلدون عبد الله ، الاعلام وعلم النفس ، دار اسامة، عمان ، ٢٠١٠

٩. رمضان محمد القذافي ، عبد السلام بشير الدويبي ،علم النفس الاجتماعي ،المكتب الجامعي الحديث ،الاسكندرية – مصر ،٢٠١٠ م

١٠. ريم عمر شرتيح ، لإعلان الالكتروني مفاهيم واستراتيجيات معاصرة ، دار التربية الحديثة – دمشق ،2017 ،

١١. سهير فارس السوداني ، البرامج التلفزيونية وقيم الأطفال ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٩
١٢. صفوت العالم ، عملية الاتصال الإعلاني ، مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر / ط٦، القاهرة، ٢٠٠٤
١٣. عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال، مركز دراسات الوحدة العربية،عمان ،٢٠٠٣
١٤. عفراء ابراهيم خليل العبيدي، طبيعة العلاقة الارتباطية بين التعاطف والسلوك العدواني "دراسة ميدانية لدى عينة من طلبة المرحلة المتوسطة في مدارس بغداد الرسمية" بحث منشور، مجلة جامعة دمشق –المجلد ٢٧ – العدد الثالث و الرابع– ٢٠١١.
١٥. عماد زغلول ،علي الهنداوي ، مدخل إلى علم النفس ، دار الكتاب الجامعي ،2014
١٦. فاطمة شعبان محمد حسن صالح، دور الإعلان التلفزيوني في توجيه سلوك المراهقين، دراسة تطبيقية على المراهقين المصريين، رسالة ٦ ماجستير، قسم الدراسات الإعلامية، معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٤.
١٧. كامل محمد محمد عويضة ،علم نفس الشخصية ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٩٩٦.
١٨. محسن علي الدلفي ، الشامل في التربية وعلم النفس ، مكتبة المجتمع العربي ، عمان ، ٢٠١٤
١٩. محمد جاسم محمد ، نظريات التعلم ، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤
٢٠. محمد رضوان ،(دراسة حول الإعلانات التجارية في المؤسسات التلفزيونية) مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية ،عدد خاص ،تونس ،١٩٩٩ .
٢١. محمد منير حجاب : أساسيات البحوث الإعلامية و الإجتماعية ، القاهرة ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣ م ، ص ٧٨ .
٢٢. محمود احمد مزيد : التلفزيون والطفل (اثر الإعلانات في اكساب الأطفال ماقبل المدرسة لبعض المارات الاجتماية) الدار العالمية للنشر والتوزيع ،القاهرة ، ٢٠٠٨
٢٣. مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، ط٤، القاهرة ، ٢٠٠٤
٢٤. نبيل محمد توفيق السمالوطي ، الدراسة العلمية للسلوك الاجرامي ، جدة : دار الشروق ، ١٩٨٣.
٢٥. هادي نعمان الهيتي ، الاعلام والطفل ، عمان: دار أسامة للنشر، ٢٠٠٧
٢٦. ولبر شرام واخرون ، التلفزيون واثره في حياة اطفالنا ن ترجمة زكريا سيدحسن ، الدار المصرية للنشر ، القاهرة ،١٩٦٥.
٢٧. يحيى الرافعي، نظريه بندوره لتعلم المعرفي بالملاحظة، اطروحة الدكتوراه في علم النفس غير منشوره، جامعة ام القرى ،١٤٢٤هـ.
٢٨. يوسف مراد ، مبادئ علم النفس العام ، دار المعارف ، القاهرة،ط٢ ، 1954م

الرقابة القضائية على سلطات الضبط الإداري في الظروف العادية

Judicial oversight of administrative control authorities in normal circumstances

د. تامر محمد إبراهيم*

المستخلص:

إنَ وظيفة الضبط الإداري من الوظائف القديمة قدم الدولة ذاتها، فهي من أقدم الوظائف التي تضطلع بها الدولة منذ قدم التاريخ وحتى عصرنا الحالي، وأيضاً ٬ تعد من الوظائف الضرورية واللازمة لحماية المجتمع ككل، وأيضاً من الوظائف التي تستعمل لحماية النظام العام داخل الدولة ووقايته، سواء كان ذلك في الظروف العادية أو في الظروف الاستثنائية، إذْ انه بدون وظيفة الضبط الإداري تعم الفوضى ويسود الاضطراب ويختل التوازن في المجتمع .وقد توسعت وظيفة الضبط الإداري في العصر الحديث، سواء للدول النامية التي تعد الضبط الإداري إلى حد كبير هو أداة الحكم، أو للدول المتقدمة التي أصبح الضبط الإداري فيها وسيلة الإدارة لضمان احترام الأفراد لنظم الدولة وقوانينها، فوظيفة الضبط الإداري٬ تعد من أولى واجبات الدولة وأهمها، إذْ تعد وظيفة الضبط الإداري ضرورة اجتماعية نلمسها في كلَ المجتمعات الحديثة، ويرجع ذلك إلى أنَ الوقاية من الضرر أنجح من علاجه بعد وقوعه.

Abctract:

The function of administrative control is one of the old jobs as old as the state itself, as it is "one of the oldest functions carried out by the state since ancient history until know time, and also" it is one of the necessary and necessary functions to protect society as a whole, and also one of the functions that are used to protect and protect public order within the state. , whether in normal circumstances or in exceptional circumstances, since without the function of administrative control, chaos prevails, turmoil prevails, and the balance is disturbed in society. The function of administrative control has expanded in the modern time, both for developing countries that "administrative control is largely a tool of governance, and as for the developed countries in which administrative control has become a means of management to ensure that individuals respect the state's systems and laws, the function of administrative control is one of the first The duties of the state and the most important of them, as "the function of administrative control is a social necessity that we see in all modern societies, and this is due to the fact that preventing harm is more successful than treating it after it has occurred.

* كلية الرشيد الجامعة

المقدمة

من المبادئ المسلم بها إنَ الدولة تقوم بوظائف ثلاث هي ,التشريعية ,التنفيذية ,والقضائية ,وهذه الوظائف الثلاث تباشرها سلطات محددة ,هي السلطة التشريعية ,السلطة التنفيذية ,والسلطة القضائية ,وتمارس هذه السلطات وظائفها طبقاً لمقتضيات مبدأ الفصل بين السلطات ,ولكن الفصل بين هذه السلطات الثلاث ليس فصلاً جامداً أو تاماً ,وإنما هو فصل مرن ,وهو ما يعنى وجود تعاون بين هذه السلطات ,ووجود نوع من الرقابة المتبادلة بينهما وتمارس الدولة في إلا طار التنفيذي نوعين من النشاط، النشاط الأولَ يتمثل في المرفق العام، والنشاط الثاني يتمثل في الضبط الإداري .

إشكالية البحث:

إنَ وظيفة الضبط الإداري من الوظائف القديمة قدم الدولة ذاتها، فهي ُتعد من أقدم الوظائف التي تضطلع بها الدولة منذ قدم التاريخ وحتى عصرنا الحالي، وأيضاً ُ تعد من الوظائف الضرورية اللازمة لحماية المجتمع ككلَ، وأيضاً من الوظائف التي تستعمل لحماية النظام العام داخل الدولة ووقايته، سواء كان ذلك في الظروف العادية أو الاستثنائية، إذْ انَه من غير وظيفة الضبط الإداري تعم الفوضى ويسود الاضطراب ويختل التوازن في المجتمع، ونظرا لذلك فان للرقابة القضائية دورا مهم في تحديد مشروعية الإجراءات المتخذة من قبل الإدارة لما في ذلك من تحجيم لحرية الأفراد بالمجتمع مع ما يمنحه الدستور والقانون للأفراد من حريات وحقوق أحيانا في نطاق سلطات الضبط الإداري الذي تمارسه الإدارة اتجاه الأفراد بالمجتمع .

نطاق البحث:

لقد توسعت وظيفة الضبط الإداري في العصر الحديث، سواء للدول النامية التي ُ تعد إلى حد كبير هي أداة الحكم، أو للدولة المتقدمة التي أصبح الضبط الإداري فيها وسيلة الإدارة لضمان احترام الأفراد لنظم الدولة وقوانينها، فوظيفته ُ تعد من أولى واجبات الدولة وأهمها، حيث ُ تعد ضرورة اجتماعية نلمسها في كلَ المجتمعات الحديثة، أنَ الوقاية من الضرر أنجح من علاجه بعد وقوعه، فالضبط الإداري يشمل كلَ ما يتصل بحماية النظام العام وكفالة الاطمئنان ورفاهية المواطنين، ومن خلال وسائلة يستطيع تحقيق أغراض جليلة للمجتمع، وهى الأمن العام والصحة العامة والسكينة العامة، والآداب العامة، كما أنَه عن طريقه ُيشعر الأفراد بالراحة والاطمئنان.

فرضية البحث:

مما لا شك فيه إنَ ممارسة الإدارة العامة لوظيفة الضبط الإداري تنعكس آثارها بطريقة أو بأخرى على الحريات العامة للأفراد، إذْ توجد صلة وثيقة بين الضبط الإداري والحريات العامة 0لأنَنا نستطيع أن نقف على مدى سلطة الضبط الإداري من واقع طبيعة الحرية ذاتها وأسلوب صياغتها وكيفية حمايتها، وقد يترتب على

ممارسة الأفراد لحرياتهم العامة أن يحدث إخلال بالنظام العام أو تهديد بالإخلال به، وهنا لا جدال في تدخل سلطات الضبط الإداري لحماية النظام العام أو إعادته إلى نصابه، ممَا قد يؤدى في أحيان كثيرة إلى المساس بحريات الأفراد بطريقة أو بأخرى، سواء في الظروف العادية أو الاستثنائية التي تتعرض لها الدولة، ونتيجة لذلك قد تتعرض الحريات العامة لاعتداءات جسيمة من جانب سلطات الضبط الإداري من غير أن يكون هناك مبرر لذلك من الواقع أو القانون، لذلك اتجه الفقه والقضاء إلى إرساء حدود وضوابط معينة يتعين على سلطات الضبط الإداري الالتزام بها ومراعاتها، وإلا كانت إجراءاتها غير مشروعة ومعرضة للإلغاء من القضاء .

مشكلة البحث :

إن الرقابة القضائية تشكل دورا أساسي في إجراءات الإدارة بنطاق لضبط الإداري ، إذ تعد الجهة التي يمكن لها حصرا القيام بالإلغاء لأعمال الضبط الإداري الموجهة للأفراد في حال عدم مشروعيتها لذا فقد وجدت سلطات الضبط الإداري نفسها أمام معادلة صعبة، حدد القانون غاياتها، وذلك بالحفاظ على النظام العام، الذي يتمثل بالأمن العام والصحة العامة والسكينة العامة. حيث نجد أن القضاء يدرك بلا شك من خلال القوانين التي وضعها المشرع أنَ الأمن لا يتحقق في واقع الناس إلا بمنع كلَ فرد أو جماعة من الأفعال التي يمكن أن تخل بالنظام العام داخل الدولة، وتتخذ السلطات ضد الفرد أو الجماعة جميع وسائل القوة المشروعة لإيقاف هذا الإخلال، وفى ذلك تقييد لحرية الأفراد، في حين أن الأمن لا يتحقق إلا بأمرين متناقضين، هما حرية الأفراد بما تحويه من حقَ الاختيار ، والنظام العام بما يحويه من منع كل إنسان يريد أن يتخذ من الأفعال التي يعتقد أنها من صميم حريته، وهى تعد إخلالاً بالنظام العام ,وهذه هي المعادلة الصعبة للضبط الإداري، فالنظام العام بمعناه الواسع ؛ هو الأمن العام والسكينة العامة والأخلاق والآراء العامة من ناحية، والتزام السلطات في الدولة بمبدأ المشروعية من ناحية أخرى، من خلال قيام الجهات الرقابية القضائية بالوقوف على إتباع الإدارة في كافة إجراءاتها للمشروعية، ومن خلال مشكلة البحث التي سنحاول جاهدين معالجتها، والتي شغلت على مدى سنوات طويلة فقهاء وفلاسفة القانون، كذلك شغلت المجتمعات العربية في مصر والعراق وغيرها من الدول.

منهج البحث:

سنقوم بمشيئة الله تعالى من خلال دراستنا لموضوع البحث باستعمال المنهج التحليلي الإستقرائى ، إذ إنَ الدراسة اعتمدت على تحليل النصوص القانونية الخاصة بالموضوع، من خلال الاستعانة بأدوات البحث المختلفة من مصادر أساسية ومراجع معاصرة ومؤلفات قانونية، وفقهية لفقهاء معاصرين للوصول إلى إجابات لإشكالية الدراسة.

خطة البحث :

تتكون خطة البحث من مبحثين :

المبحث الأولَ :الرقابة القضائية على السبب في أعمال الضبط الإداري.

المبحث الثاني :الرقابة القضائية على الغاية في أعمال الضبط الإداري.

المبحث الأوَل

الرقابة القضائية على السبب في أعمال الضبط الإداري

تعتمد رقابة القضاء الإداري سواء في فرنسا أو مصر أو العراق لتحقيق مشروعية أعمال سلطات الضبط الإداري، على مراقبة ركن السبب في القرارات الإدارية الضبطية، إذ تلزم الإدارة بالاستناد إلى أسباب واقعية أو قانونية في اتخاذ قراراتها الضبطية، وتتحقق هذه الرقابة من صحة وجود حالة التهديد للنظام العام، وتدقيق صحة التكييف القانوني لها، كما تتحقق من سلامة التناسب بين مقدار التهديد وبين الإجراء الضبطي المتخذ([1]).

وسنتناول رقابة القضاء الإداري على السبب في سلطات الضبط الإداري في مطلبين، نبحث في المطلب الأول حدود الرقابة القضائية على السبب في قرارات الضبط الإداري، ونتناول في المطلب الثاني سلطة القاضي الإداري في إحلال السبب وفي إلزام الإدارة بالإفصاح عن أسباب القرارات الضبطية، وذلك على النحو الأتي:

المطلب الأوَل

حدود الرقابة القضائية على السبب في قرارات الضبط الإداري

يراقب القضاء الإداري قرارات الضبط الإداري من خلال فحص ركن السبب فيها، إذ يعرف السبب بأنَه الحالة القانونية أو الواقعية التي تدفع رجل الإدارة إلى إصدار القرار الإداري، فهو حالة موضوعية تحدث قبل إصدار القرار الإداري تحمل الإدارة على إصداره، ويكون السبب غير مشروع عندما يثبت للقضاء عدم وجود الحالة الواقعية أو القانونية المسببة لاتخاذ القرار الإداري أو عدم صحة التكييف القانوني للوقائع التي بني عليها القرار (٢).

وعلى هذا الأساس فإنَ رقابة القضاء الإداري على أعمال سلطات الضبط الإداري المتعلقة بركن السبب في قراراته الضبطية، تنصب على الوجود المادي للوقائع، وعلى صحة تكييفه القانوني لها، وعلى أهمية وخطورة السبب، وهذا ما سنتناوله تباعا:

أوَلا :رقابة القضاء الإداري على الوجود المادي للوقائع.

يمارس القضاء الإداري رقابته على السبب كركن في القرارات الإدارية الضبطية من خلال فحصه للوقائع التي استندت إليها سلطة الضبط كسبب لاتخاذ قرارها، والتحقق من الوجود الفعلي لها، فإذا ثبت له عدم وجودها قضى بإلغاء هذه القرارات لعدم مشروعيتها([3]).

ففي فرنسا رفض مجلس الدولة في البداية مراقبة ركن السبب في القرار الإداري، لكنَه عدل عن هذا الموقف وبدأ بمراقبة ركن السبب في القرارات الصادرة عن الإدارة(٤)، وأصبح يقرر إلغاء القرار الإداري في حالة ثبوت استناد الإدارة في إصدار قرارها إلى وقائع غير صحيحة أو غير ملائمة، باستثناء القرارات الضبطية الصادرة وفقا للقوانين الاستثنائية أو قوانين الاستعجال والضرورة، لكنَه تراجع عن هذا الاستثناء بسبب الانتقادات وقرر إخضاع جميع القرارات الضبطية لرقابة ركن السبب عموما ورقابة الوجود المادي للوقائع خصوصا ومدى ملائمتها في هذه القرارات بلا استثناء()، فقد قضى مجلس الدولة بأنَه " إذا كان العمدة مكلفاً بالمادة 97 من

قانون /5 ابريل 1884 /يحفظ النظام في بلدته، فعليه أن يوافق بين أداء مهمته وبين احترام الحريات التي كفلها القانون، وان لمجلس الدولة عند نظر طعن تجاوز السلطة في قرار صدر تطبيقاً للمادة سالفة الذكر،أن يبحث ليس فقط ما إذا كان هذا القرار ورد على محل داخل في الاختصاصات المقررة للسلطة البلدية، ولكن أن يقدر حسب ظروف القضية، ما إذا كان العمدة في واقعة الحال لم يستعمل سلطاته استعمالا لا يجيزه القانون "(٥).

أمَا في مصر فإنَ مجلس الدولة فرض رقابته على ركن السبب والوجود المادي للوقائع في القرارات الضبطية منذ نشأته()، ففي حكم لمحكمة القضاء الإداري فرضت المحكمة رقابتها على الوجود المادي لوقائع القرار الإداري الضبطي وقررت في (30/6/1959)بان .." القرار المطعون فيه قد خلا من الأسباب أي الوقائع المعينة التي تثبت قيام الصلة الروحية والمادية بين المطعون ضدها وبين إسرائيل حتى تصبح في نظر القانون صهيونية، ومن ثم يكون القرار باطلا لمخالفته للقانون..." (٦). وفي العراق يؤيد القضاء والفقه الإداري وجوب استناد القرار الإداري الضبطي إلى سبب حقيقي وصحيح من الناحيتين المادية والقانونية(٧) إذ قضت محكمة القضاء الإداري بإلغاء القرار الإداري المتضمن منع المدعي من السفر إلى خارج العراق بسبب وجود قضايا تحقيقيه تتعلق بفقدان مركبة حكومية كانت بعهدة المدعي التي انتزعت منه بالقوة تحت تهديد السلاح في منطقة داقوق وإقامته للشكوى بذلك وقيامه بتسديد مبلغ المركبة من قبله، وتم تصديق الحكم من قبل المحكمة الاتحادية العليا) عندما كانت جهة التمييز لقرارات محكمة القضاء الإداري(، وجاء في القرار التمييزي ما يأتي .." إنَه صحيح وموافق للقانون ذلك إن منع سفر المدعي) المميز عليه (لا سند له من القانون وفيه تقييد لحرية السفر إلى خارج العراق والعودة إليه وإنَ أحكام الفقرة (1) من المادة (83)من قانون المرافعات رقم 83 لسنة 1969 المعدل التي بني المميز الطعن عليها لا تحكم هذه الواقعة إذ لم يكن للمدعي يد في الحادثة ومنعه من السفر يعدُ تجريداً من حقوقه الأساسية التي صانتها القوانين العراقية لذا يكون الحكم المميز القاضي بإلغاء الفقرة (1) من كتاب الدائرة الإدارية في وزارة العدل صحيحاً وموافقاً للقانون" (٨).

ثانيا :رقابة القضاء الإداري على التكييف القانوني للوقائع.

تخضع عملية التكييف القانوني للوقائع من جانب الإدارة كقاعدة عامة لرقابة القضاء الإداري، وذلك عندما تجد الإدارة في هذه الوقائع ما يدفعها إلى اتخاذ قرار إداري، إذ يراقب القضاء مدى اتفاق تلك الوقائع مع الوصف القانوني الذي حدده المشرع ليكون سببا في اتخاذ قراراتها(٩).

وقد استقر القضاء الإداري في كلَ من فرنسا ومصر والعراق على مراقبة صحة التكييف القانوني للوقائع بالنسبة للقرارات الإدارية الضبطية.

إذ فرض مجلس الدولة الفرنسي رقابته على التكييف القانوني للوقائع في قرارات الضبط الإداري من خلال فحص هذه الوقائع وتدقيق مدى ملائمتها قانونا لتتخذ سبباً في اتخاذ القرار الإداري الضبطي الهادف لمنع الإخلال بالنظام العام، حيث قضى مجلس الدولة ب .." إلغاء القرار الإداري الذي أصدرته سلطة الضبط والمتضمن منع قداس في الهواء الطلق في ميدان "parais dechail" وذلك لأنَ الاحتفال المذكور لم يكن من

طبيعة تهدد النظام العام بحيث تعجز معها سلطات الضبط في مواجهتها من خلال تدابير الضبط المتاحة أمامها.. "([١٠])، وبذلك ألغى المجلس القرار المذكور بسبب خطأ الإدارة في تكييف واقعة القداس بأنها من الوقائع التي تشكل تهديدا للنظام العام .

أمَا في مصر، فقد قضت المحكمة الإدارية العليا في احد أحكامها بالآتي..." إنَ وجود أحد المواطنين في بيروت من غير أنْ تتوفر لديه نفقات العودة إلى أرض الوطن، مما تطلب ترحيله على نفقة الدولة وإكثاره من التنقل بين دولتي سوريا ولبنان أبان اشتعال الحرب الأهلية في لبنان، لا يمثل أسبابا تبرر لوزير الداخلية سحب جواز السفر ,لأن واقعة وجود المواطن بالخارج من غير أنْ يكون معه مصاريف العودة لا تحمل بذاتها معنى الإساءة إلى الوطن أو الإضرار بسمعة البلاد ...فما كان هناك موجب لتقييد حريته بإصدار قرار سحب جواز سفره وعدم تسليمه له.."([١١]).

وفي العراق قررت الهيئة العامة لمجلس شورى الدولة) مجلس الدولة حاليا، وتنظر بتمييز أحكام محكمة القضاء الإداري حاليا المحكمة الإدارية العليا (بأنَ..." المدعي" المميز عليه"، كان قد قدم مسودة كتابه الموسوم الأديان والمعتقدات وجزاء الثواب والعقاب في الحياة الدنيا، إلى وزارة الثقافة والإعلام ؛ لغرض الموافقة على نشره، إلاَ إنَ هذه الوزارة لم توافق على ذلك بسبب الملاحظات التي أبداها الخبير الذي عرضت علية مسودة الكتاب المذكور ...لذلك طلبت محكمة القضاء الإداري من وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ترشيح ثلاثة خبراء من الثقاة المختصين بالعلوم الإسلامية والشرعية ..الذين بينوا في تقريرهم المقدم إلى المحكمة المذكورة بان الكتاب)مفيد للقراء وأنَه يحذر المجتمع من غائلة إرتكاب الموبقات أو مخالفة شرع الله، وأنَه ليس فيه ما يتقاطع مع مبدأ السلامة الفكرية أو ما يشم فيه رائحة الإخلال بنظام المجتمع أو إحداث الشقاق والتفرقة بين شرائحه ويصلح للنشر(، إذ إن للمحكمة أن تستعين برأي الخبراء إذا اقتضى موضوع الدعوى ذلك ...كما إنَ لها أن تتخذ من تقرير الخبراء سببا للحكم في الدعوى تطبيقاً لحكم المادة /140 من قانون الإثبات ,لذلك يكون الاستنباط الذي توصلت إليه محكمة الموضوع سائغاً ويتفق مع الأصول المقررة قانوناً، إذ إنَ القرار المميز القاضي بإلغاء أمر منع نشر الكتاب الصادر من وزارة الثقافة والإعلام صحيح وموافق للقانون..."([١٢])، وعليه فإنَ المحكمة ألغت قرار الإدارة بسبب الخطأ في تكييفها القانوني لأنَ مسودة الكتاب لا تشكل إخلالا بنظام المجتمع.

ثالثا :رقابة القضاء الإداري على ملائمة الوقائع .

تعرف رقابة الملائمة بأنَها " رقابة القاضي لأهمية الوقائع المكونة لركن السبب ومدى تناسبها مع مضمون القرار الصادر"([١٣])، وينكر البعض على القضاء الإداري سلطته في مراقبة عنصر الملائمة في سبب القرار الإداري لأن ذلك يشكل تجاوزا على اختصاصات الإدارة العامة(١٤)، بيد إنَ القضاء الإداري في كلَ من فرنسا ومصر والعراق مارس هذه الرقابة حفاظا على الحريات العامة من التجاوزات التي قد تتعرض لها بسبب قرارات الضبط الإداري(١٥).

واستقر مجلس الدولة الفرنسي منذ حكمه في قضية(Benjamin)على مراقبة أهمية الوقائع ومدى تناسبها مع إجراءات الضبط الإداري في حماية النظام العام(١٦)، ففي حكم له قرر المجلس " إنَه إذا كان ينبغي

بالسلطات البوليسية اتخاذ إجراءاتها حفظا للنظام العام، فيجب عليها أنْ تقيم التوازن بين إجراءاتها احترام حريات النشر، فحتى مع التسليم بادعاء الإدارة بأنَ عرض الجريدة وتوزيعها في الطرق العامة يمثل بسبب طبيعتها وطبيعة المقالات التي تنشرها خطرا على النظام العام، فإنَه لا يتضح من ملف الدعوى إنَ هذا الخطر كان من شأنه إن يبرر قانونا ذلك القرار المانع من العرض والتوزيع على كلَ المنطقة من غير تحديد لوقت سريانه "(١٧).

أمَا في مصر فقد قررت محكمة القضاء الإداري في قرار لها..." ولئن كانت الإدارة في الأصل تملك حرية وزن مناسبات العمل وتقدير أهمية النتائج التي تترتب على الوقائع الثابت قيامها إلا حيثما تختلط مناسبة العمل الإداري بمشروعيته، ومتى كانت هذه المشروعية تتوقف على حسن تقدير الأمور، لاسيما فيما يتعلق بالحريات العامة، وجب أن يكون تدخل الإدارة لأسباب جدية تبرره، فالمناط والحالة هذه في مشروعية القرار الذي تتخذه الإدارة هو أن يكون التصرف لازما لمواجهة حالات معينة مع دفع خطر جسيم يهدد الأمن والنظام، يعدَ هذا الإجراء الوسيلة الوحيدة لمنع الخطر، وللقضاء الإداري حق الرقابة على قيام هذا المسوغ أو عدم قيامه "(١٨).

وفي حكم آخر أقرت المحكمة توجه الإدارة برفض منح ترخيص لبناء كنيسة بعد ما تأكدت المحكمة ملائمة القرار الضبطي مع متطلبات المحافظة على النظام، إذ جاء في الحكم..." قد يؤدي بناء كنيسة في مكان غالبيته من المسلمين إلى الاحتكاك بين الطوائف، وهو الأمر الذي قصدت الإدارة تلافيه عندما وضعت القواعد المنظمة للترخيص بإقامة الكنائس والمعابد، وإذا كان الثابت إنَ الإدارة قدرت ما في الأمر من خطورة فتدخلت بموجب سلطتها الأصلية في حفظ الأمن ودرء كلَ ما قد يتولد عنه الإخلال به فرفضت الترخيص بإقامة الكنيسة الجديدة في المكان المقترح، لما استبان لها من ظروف الحال توقع حصول احتكاك بسبب بناء كنيسة في وسط آهل بالسكان المسلمين في بلد كأسيوط، الأمر الذي بدرت بوادره منذ التفكير في حفظ الأمن والنظام، وحرصا على إشاعة السلام بين الطوائف، بعد إن عجزت عن إقناع المدعين ببناء الكنيسة في أي مكان آخر أو ترميم الكنيسة القديمة أو هدمها وإقامة أخرى جديدة مكانها لاسيما أنَها لا تبعد عن المكان الجديد بأكثر من خمسين مترا، كَل ذلك يجعل قرارها في عدم الترخيص مشروعا تقتضيه ظروف الأحوال، ما دام قائما على ما يبرره من أسباب تتصل بالأمن والنظام العام وهي أسباب حقيقية مستمدة من أصول تنتجها.."(١٩).

أمَا في العراق فقد بسطت محكمة القضاء الإداري رقابتها على عنصر الملائمة في ركن السبب في قرارات الضبط الإداري، ففي قرار لها جاء فيه بأنَ..." ترحيل أصحاب محلات بيع اليابسات (البقوليات) بالجملة من منطقة الميدان في الموصل بسبب الازدحام الذي تسببه هذه المحلات من زخم مروري في وسط المدينة كان بتوجيه من مجلس الشعب المحلي في قضاء الموصل إلى المنطقة الصناعية القديمة بعد إنشاء علاوي متخصصة لأصحاب هذه المحلات ...إذ إنَ استعمال الأبنية يكون بموافقة البلدية استناداً لأحكام المادة (32)من نظام الطرق والأبنية رقم 44 لسنة 1945 لذا فلا يعد مدير بلدية الموصل متعسفاً في منع المدعي من العمل في محلة الواقع في منطقة الميدان وسط الموصل والمعد لبيع اليابسات بالجملة ومن حقه تخصيص علاوي خاصة لهذا الغرض في منطقة لا تسبب ازدحاماً أو زخماً مرورياً وليس من حقَ المدعي عدم الاستجابة لأمر الترحيل

لاسيما وإنَ مجلس الشعب المحلي قد أوصى بذلك..عليه قرر الحكم برد دعوى المدعي.... "(٢٠)، وفي قرار للهيئة العامة لمجلس شورى الدولة في2010 /7/4 ، الذي قضى فيه بأنَ " العقوبة يقتضي أن تتناسب مع جسامة الفعل المرتكب ومسؤولية الموظف المباشرة عن المخالفة من خلال تنزيل العقوبة من العزل إلى إنقاص الراتب لكي تتناسب مع الفعل"(٢١).

المطلب الثاني

سلطة القاضي الإداري في إحلال السبب والإفصاح عنه

لا تقتصر سلطة القضاء الإداري عند رقابته للقرارات الضبطية من خلال ركن السبب فيها على الوجود المادي للوقائع أو تكييفها القانوني أو على ملائمة السبب للقرار، بل يتعدى ذلك إلى إحلال الأسباب التي يراها صحيحة لقرارات الإدارة وإلزامها بالإفصاح عن أسباب قراراتها الضبطية رغم عدم إلزام القوانين لها بهذا الإفصاح.

وبذلك سنتناول هاتين السلطتين على النحو الأتَي :

أَوَلا :سلطة القاضي الإداري في إلغاء السبب غير المشرع وإحلال السبب المشروع.

كانت القاعدة العامة هي إنَ القاضي الإداري إذا وجد أنَ السبب غير مشروع في القرار الإداري قضى بإلغائه، لكنه لا يستطيع السبب مشروع محله، وإلا اعتبر ذلك تدخلا في عمل الإدارة العامة(٢٢)، بيد إن مجلس الدولة الفرنسي خالف هذه القاعدة وقرر إحلال السبب المشروع محل السبب غير المشروع في القرار الإداري إذا وجد لذلك سبيلا، كون هذا التوجه يعدُ تأكيدا يعدَ القاضي الإداري حاميا للمشروعية، على فرض إنَ الإلغاء إذا ما صار رغم وجود سبب صحيح يستطيع القاضي الإداري إحلاله محل السبب غير الصحيح، قد يقود إلى عزوف الإدارة عن اتخاذ نفس قرارها بسبب صحيح، وهذا يشكل إخلالا بالعمل الإداري.

كما إنَ الإدارة إذا عادت واتخذت نفس القرار ولكن بسبب صحيح فهذا يشكل مضيعة للوقت والجهد، حتى بالنسبة للقضاء الإداري، إذ من الممكن أن يطعن الطاعن الأوَل مرة ثانية بهذا القرار، وعليه فان عدم جدوى الإلغاء القضائي لهذا القرار ولدوافع عملية أخرى، اتخذ مجلس الدولة الفرنسي هذا التوجه (٢٣).

ومن تطبيقات الاتجاه أعلاه قرار مجلس الدولة الفرنسي برد دعوى الإلغاء المقدمة لإلغاء القرار الإداري الصادر عن السلطة الضبطية والمتعلق بهدم أحد العقارات الآيلة للسقوط استناداً للقانون المؤرخ13/2/1902 ، ودفع الطاعن بحقَ بأنَ القانون المذكور لا يمثل سببا قانونيا يجيز للإدارة اتخاذ هذا القرار، وبدلا من إلغاء القرار لعدم مشروعية السبب القانوني قام المجلس بإحلال السبب القانوني الصحيح للقرار وهو نص المادة (97) من قانون /5 ابريل1884 /، الذي يجيز لسلطة الضبط الإداري المختصة اتخاذ القرار المذكور(٢٤).

أمَا في مصر فقد حاولت محكمة القضاء الإداري انتزاع حقَ إحلال السبب في القرار الإداري لنفسها عند ممارسة الإدارة اختصاصا تقديريا استنادا إلى انه " إذا أمكن حمل القرار الإداري على وقائع كشفت عنها أوراق الدعوى غير تلك التي على أساسها صدر كان كافيا لصحة ذلك القرار "(٢٥).

بيد إنَ المحكمة الإدارية العليا رفضت الإقرار للقاضي الإداري بسلطة إحلال السبب المشروع محل السبب غير المشروع في القرار الإداري، إذ قضت بأنَه .." ما كان يسوغ على أية حال أن يقوم القضاء الإداري مقام الإدارة في إحلال سبب آخر محل السبب الصحيح الذي قام عليه القرار ...ذلك أنَه متى كان الأمر متعلقاً بسلطة تقديرية يترك فيها القانون للجهة الإدارية قدراً من الحرية تزن على مقتضاها ملائمة منح الترخيص أو رفضه، لم يجز للقاضي أن يترجم عنها إحساسها واقتناعها بتحقق أو عدم تحقق الاعتبارات الموضوعية التي بنيَّ عليها تصرفها التقديري، ولا أن يصادر حريتها في اختيار الأسباب التي يقوم عليها قرارها، لأنَ هذا المسلك من شأن الإدارة وحدها ولا يجوز فيه قيام القضاء مقامها، فيما هو حريَّ بتقديرها ووزنها، وعلى ذلك يقتصر دور القضاء الإداري على مراقبة صحة السبب الذي تذرعت به الإدارة في رفضها للترخيص، فإذا كانت من الأسباب الداخلة ضمن المبررات التي تحتم رفضها للترخيص استناداً إلى سلطتها المقيدة، لم يصح له بعد ذلك أن يتعداها إلى ما وراء ذلك، بافتراض أسباب ظنية أخرى قد تحمل عليها سلطتها التقديرية، بل تقتصر ولايته على رقابة صحة السبب المزعوم، فإذا تبين له عدم صحته وجب الحكم بإلغاء القرار الذي قام على هذا السبب "(٢٦).

وفي العراق فإنَ أحكام القضاء الإداري درجت على إلغاء القرارات الإدارية المشوبة بعيب السبب، بيد أنَ جانباً من الفقه العراقي يرى بأنَ " المشرع العراقي أُسند لمحكمة القضاء الإداري في قانون مجلس شورى الدولة رقم (65) لسنة 1979 المعدل في المادة/7) ثانيا/ط (سلطة ردَ الطعن بالقرار الإداري أو إلغاءه أو تعديله مع إمكانية الحكم بالتعويض إن كان له مقتضى بناء على طلب المدعي، وإذا كانت محكمة القضاء الإداري تمتلك سلطة تعديل القرار الإداري فإنَ المشرع لم يبين لأي شيء يعدل القرار، وبما إنَ المطلق يجري على إطلاقه فان المحكمة تمتلك سلطة تغيير سبب القرار الإداري"(٢٧).

ونتفق مع هذا الرأي وندعو القضاء الإداري العراقي إلى بسط رقابته في إحلال السبب المشروع محل السبب غير المشروع في القرارات الإدارية الضبطية مراعاة للدوافع العملية التي استند إليها مجلس الدولة الفرنسي .

ثانيا:إلزام الإدارة بالإفصاح عن السبب في القرار الإداري الضبطي.

على الرغم من أنَ الأصل عدم إلزام الإدارة بتسبيب قراراتها الإدارية إَلا إذا ألزمها القانون، إَلا إنَ الطابع الايجابي للقاضي الإداري في توجيه الإجراءات، خرقت هذا الأصل من خلال إلزام القاضي للإدارة بالإفصاح عن سبب قرارها الإداري حتى يتسنى له النظر في مدى مشروعيته(٢٨).

ففي فرنسا مارس مجلس الدولة الدور الايجابي له من خلال مطالبة الإدارة العامة بالإفصاح عن ركن السبب في قراراتها الإدارية، وتجلى هذا الدور في حكمه بقضية السيد باريل سنة()1954 ، وكذلك حكمه في قضية (Balnce)، إذ ألزم المجلس الإدارة بالإفصاح عن سبب رفض مجموعة من المتقدمين للالتحاق بمدرسة الإدارة الوطنية، إذ سكتت الإدارة في قرارها عن ذكر الأسباب التي دفعتها لاتخاذه، كما خلى القرار من أي قرائن أو ملابسات تساعد المدعي في إثبات دعواه، واكتفى بالادعاء بأنَ قرار استبعاده قد جاء لأسباب سياسية، لذلك مارس المجلس دوره الايجابي وطالب الإدارة بالإفصاح عن الأسباب التي دفعتها إلى إصدار قرارها فلما امتنعت الإدارة عن إجابة المجلس حكم بإلغاء القرار الإداري(٢٩).

أمَا في مصر فقد سار القضاء الإداري بنفس الطريق الذي اختطه القضاء الإداري الفرنسي، إذ ذهبت محكمة القضاء الإداري إلى أنَ " من المبادئ المقررة في القرار الإداري إذا لم يشتمل على ذكر الأسباب التي استند إليها يفترض فيه أنَه صدر وفقا للقانون وأنَه يهدف لتحقيق المصلحة العامة وهذه القرينة التي تصحب كلَ قرار إداري إذا لم تذكر أسبابه تبقى قائمة إلى أن يثبت المدعي أنَ الأسباب التي بني عليها القرار المطعون فيه هي أسباب غير مشروعة ولا تمت بصلة إلى المصلحة العامة، وللمحكمة كامل السلطات في تقدير الدليل الذي يقدمه المدعي في هذا الصدد ولها إذا أرادت وجها لذلك أن تطلب بيان المبررات التي بني عليها القرار المطعون فيه، وهذا عن طريق اعتبار الدليل الذي قدمه المدعي كافيا في الأقل لزحزحة قرينة المشروعية التي يتمتع بها القرار الإداري فينتقل عبء الإثبات عن عاتق المدعي إلى عاتق الحكومة "([٣٠]).

وفي العراق يرى جانب من الفقه بان القضاء الإداري ساير توجه القضاء الإداري الفرنسي والمصري، من حيث إلزام الإدارة بالإفصاح عن أسباب قراراتها الإدارية وتقديم الوثائق والمستندات المتعلقة بالدعوى، وفي حالة امتناعها عدَ حجة عليها يبرر الحكم بإلغاء قراراتها، ولهذا التوجه سند من القانون، فقد نصت المادة التاسعة من قانون الإثبات رقم 107 لسنة 1979 المعدل على أنَ " للقاضي أن يأمر أيا من الخصوم بتقديم دليل الإثبات الذي يكون بحوزته، فإذا امتنع عن تقديمه جاز عد امتناعه حجة عليه"، أَما قانون المرافعات المدنية رقم 83 لسنة 1969 المعدل فقد جاءت المادة 49/2 من قانون المرافعات المدنية رقم 83 لسنة 1969 المعدل لتنص "على الخصم أن يجيب على الدعوى بعد تبليغه بعريضتها وقبل حلول الجلسة المحددة لنظرها، وللمحكمة أن تتلخص من عدم إجابته قرينة تساعدها على حسم الدعوى"([٣١]).

وما يؤيد هذا الرأي هو ما ذهبت إليه محكمة القضاء الإداري في قضية لها بقولها" وعند دعوة المدعى عليه)مدير بلدية بعقوبة (للحضور في المرافعة تخلف عن الحضور رغم التبليغ، وطلبت المحكمة منه إرسال نسخة من التعليمات الخاصة بالبناء في منطقة بعقوبة فلم يستجب ولم يبين للمحكمة المنابة) محكمة بداءة بعقوبة (عند إجراء الكشف على دار المدعي، ماهية هذه التعليمات والسند القانوني لتوجيه الإنذار للمدعية فاضطرت هذه المحكمة إلى مفاتحة مديرية البلديات العامة لإرسال نسخة من التعليمات إن وجدت، رغم وصول الطلب بدفتر اليد والتأكيده ثلاث مرات، فلم تستجب مديرية البلديات العامة لطلب المحكمة...لذا تتلخص المحكمة واستنادا إلى أحكام المادة (49/2) من قانون المرافعات المدنية قرينة تساعدها على حسم الدعوى وهذه القرينة هي الإنذار المشار إليه في أعلاه الصادر من المدعي عليه ولم يكن له سند من القانون وكان المدعى عليه متعسفا في إصداره" ([٣٢]).

المبحث الثاني

الرقابة القضائية على الغاية في أعمال الضبط الإداري

تمثل غاية القرار الإداري الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه، والقاعدة العامة في غاية القرار الإداري هي تحقيق المصلحة العامة، بيد إنَ غاية القرار الإداري الضبطي هي الحماية الوقائية للنظام العام([٣٣]).

ويراقب القضاء الإداري الغاية من اتخاذ الإدارة العامة لقراراتها الضبطية مراقبة موضوعية من خلال البحث والتحري في البواعث النفسية التي دفعتها لإصدار هذه القرارات، ولصعوبة إثبات هذا العيب فقد استقر قضاء مجلس الدولة الفرنسي على عدَه سببا احتياطيا للإلغاء لا يلزم القاضي الخصوم بإثباته إلا إذا تعذر إثبات عيب أخر في القرار محل الطعن([٣٤]).

ففي قرارات الضبط الإداري يجب أن تكون الغاية هي المحافظة على أغراض النظام العام(٣٥)، فإذا عجز المدعي عن إثبات عدم مشروعية أحد العيوب الأخرى، فحص القاضي الإداري ركن الغاية في هذا القرار ليتأكد من عدم الانحراف في استعمال السلطة من جانب الإدارة، بأن تكون غاية هذا القرار هو المحافظة على النظام العام، فإذا ثبت من خلال وقائع الدعوى أنَ الإدارة سعت لهدف آخر عدَ عملها مخالفاً لمبدأ المشروعية ([٣٦])، وهذا يعني أنَ سلطات الضبط الإداري مقيدة بقاعدة تخصيص الأهداف، بالنظر إلى أن القانون حصر غايتها في المحافظة على النظام العام([٣٧]).

ومن خلال ما تقدم نبين أنَ حالات الانحراف بسلطات الضبط الإداري تأتي في إحدى صورتين نتناولهما تباعا في مطلبين، نخصص المطلب الأول لبحث استعمال سلطات الضبط الإدارية لغايات بعيدة عن المصلحة العامة، وفي المطلب الثاني نتناول استعمال سلطات الضبط الإداري بنحو مخالف لقاعدة تخصيص الأهداف.

المطلب الأوَل

استعمال سلطات الضبط الإدارية لغايات بعيدة عن المصلحة العامة

قد تلجأ الإدارة الضبطية إلى استعمال سلطات الضبط الإداري لغايات لا علاقة لها بتحقيق المصلحة العامة أو حفظ النظام العام، رغم أنَ الإدارة تدعي استهداف المصلحة العامة، لكنها تسعى لتحقيق غايات أخرى قد تتضمن نفع شخصي أو محاباة أو انتقام أو غايات سياسية غير مشروعة، وبذلك تعد القرارات الضبطية المستهدفة للغايات الأخيرة غير مشروعة وعرضه للإلغاء من جانب القضاء الإداري([٣٨]).

كما إنَ استهداف سلطات الضبط الإداري لغاية أخرى بعيدة عن غايات النظام العام والمصلحة العامة تفقد رجل الإدارة وصفه الوظيفي، كما تزيل الوصف القانوني عن أعماله وتجعلها مجرد أعمال مادية(٣٩)، ولذلك استقر القضاء الإداري على عدَ هذه الأعمال غير مشروعة مهما كانت الغاية التي تستهدفها([٤٠]).

ففي فرنسا أكد مجلس الدولة هذا التوجه في العديد من قراراته، ففي قراره المؤرخ في 26 نوفمبر 1875 في قضي Pariset جاء فيه ..." أنه يتضح من خلال التحقيق، أنَ المحافظ بأمره غلق مصنع الكبريت المملوك للسيدPariset ، إستادا إلى سلطاته الضبطية المستمدة من القوانين والتنظيمات المتعلقة بالمنشآت الخطيرة، لم يهدف إلى تحقيق الأغراض التي قصدت هذه القوانين والتنظيمات حمايتها، بل تصرف تنفيذا لتعليمة صادرة من وزير المالية، على إثر صدور قانون 2 مايو 1872 ولصالح مؤسسة مالية تابعة للدولة، وعليه فإنه أستعمل سلطاته الضبطية المستمدة من القوانين المتعلقة بالمنشآت الخطيرة لتحقيق هدف غير الهدف الذي منحت له هذه السلطة من أجل تحقيقه وبالتالي، فإن السيد PARISET محق في طلب إلغاء قرار المحافظ، تطبيقا لقانون ٧ أكتوبر ١٧٩٠ وقانون ٢٤ مايو ١٨٧٢ "([٤١])، وتتلخص وقائع هذه القضية في " أنَ الحكومة الفرنسية

أرادت في سنة 1872 أن تحتكر صناعة عيدان الثقاب لكي تضيف موردا جديدا للدولة، وكان هذا الإجراء يستلزم أن تنتزع الحكومة ملكية المصانع القائمة في فرنسا في ذلك الوقت التي تباشر هذا النوع من الصناعة، ولما رأى وزير المالية أن ذلك سيكلف الدولة مبالغ طائلة، قرر أن يلجأ إلى طريقة ملتوية توفر على الخزينة العامة الكثير من المبالغ، لذلك جعل الإدارة تأمر بناءً على سلطات البوليس بإغلاق المصانع التي لم تكن قد حصلت على ترخيص سليم بمباشرة أعمالها، وهو إجراء يدخل في الظروف العادية في سلطة البوليس الإداري، ولكن في الظروف التي أشرنا إليها، لم يكن مقصودا به إلا الرعاية المالية للإدارة على حساب الأفراد، لذلك ألغاه مجلس الدولة"([٤٢]).

كذلك قضى مجلس الدولة الفرنسي في 14 يناير..." 1910 إلغاء قرار العمدة بتعليق منح ترخيص إقامة احتفال بأحد الأعياد على شرط عدم تعيين شخص معين ثبت أنَه أحد خصومه في وظيفة أمين عام لصندوق اللجنة المنظمة للاحتفال..."(٤٣).

كما قرر مجلس الدولة في 4 جويلية ..." 1924 إلغاء القرار الصادر من العمدة بمنع خلع المستحمين لملابسهم على الشواطئ إلاَ داخل وحدات خلع الملابس التابعة للمؤسسات الخاصة بالاستحمام حماية للأخلاق العامة، لكن تبين من الوقائع إنَ هذا التدبير هو من أجل مصلحة مالية لأصحاب مؤسسات الاستحمام والبلدية التي تحصل على رسوم، مما يعني انحراف بالسلطة "([٤٤]).

وفي قرار آخر صدر في 11 يناير .." 1957 إلغاء القرار الضبطي المتضمن منع جمعية موسيقية من أداء بعض القطع الموسيقية في الطريق العام، إذ تبين أنَ الغرض من القرار لم يكن الحفاظ على النظام العام كما ادعت الإدارة وإنما كان لمنع جذب الأصوات لصالح حزب سياسي..."(٤٥).

كما قرر مجلس الدولة في 23 نوفمبر ..." 1951 إلغاء القرار الضبطي المتضمن حضر اجتماع ؛لأنَ الاجتماع ينظمه حزب غير الحزب الحاكم "..وكذلك .." إلغاء القرار الضبطي الذي يمنع بيع جريدة في الطريق العام ؛ لأنَ هذه الجريدة تحمل أفكاراً معارضة "([٤٦]).

وفي حكم آخر له في 22 يناير 1975 قضى فيه .." إلغاء قرار العمدة بمنع الباعة المتجولين من ممارسة تجارتهم إلاَ في السوق المخصص لهم في الميدان العام بالبلدة وفي صباح كلَ أسبوع فقط، إذ تبين أنَ القرار كان يبغى حماية مصالح تجار المنطقة وليس الحفاظ على المرور والنظام البلدة..."(٤٧).

أمَا في مصر فقد سار مجلس الدولة على نفس خطى مجلس الدولة الفرنسي في مراقبة ركن الغاية في القرارات الضبطية، ففي قرار له صدر في 4 مارس 1978 قضى فيه " أنَ رقابة القضاء الإداري على غاية الإجراء الضبطي رقابة دقيقة ومشددة إذ يبحث في نوايا مصدر القرار وبالتالي يلغي كلَ القرارات الإدارية الضبطية التي تخرج عن الغرض المحدد والمتمثل في حماية وصيانة النظام العام..."([٤٨]).

كما قررت محكمة القضاء الإداري في .." 8/12/1956 عدم مشروعية قرار الضبط الإداري على أساس إنَ المكلفين بالحفاظ على الأمن قد انحرفوا بالسلطة التي خولها لهم القانون ابتغاء صيانة الأمن واستغلوها ليشفوا أحقادا شخصية.."(٤٩).

وفي حكم للمحكمة الإدارية العليا قررت فيه ..." إلغاء القرار الضبطي المتضمن إغلاق سوق خاصة يوم الاثنين من كلَ أسبوع، ذلك أن القرار مصاب بعيب الانحراف بالسلطة لأنَ القرار كان يستهدف رواج سوق مجلس قروي أصابه الركود"...، كما قررت المحكمة..." إلغاء القرار الضبطي المتضمن ترخيص سوق عمومي يستهدف مصلحة مالية بتحويل المرخص له تحصيل مقابل إشغال الطريق العام للمجلس المحلي.."([٥٠]).

وفي حكم آخر لها بتاريخ 26/11/1966 قررت فيه .." عدم مشروعية القرار الصادر بإلغاء تراخيص ممنوحة لبعض الأفراد، إذ تبين أنَ القرار انطوى على تمييز بعض الناس على حساب الآخر ولم يبغ النظام العام كما كانت تدعي الإدارة.."(٥١).

أما في العراق فقد ساير القضاء الإداري قضاء مجلس الدولة في فرنسا ومصر، ففي قرار للهيئة العامة لمجلس شورى الدولة) سابقا (جاء فيه .." السلطة التقديرية للإدارة ليست مطلقة وإنَما تخضع لرقابة القضاء لفحص قراراتها والتأكد خلوها من التعسف في استعمال هذه السلطة.."([٥٢]).

ولكن على الرغم من صلاحية القضاء الإداري في العراق في مراقبة ركن الغاية في القرارات الإدارية الضبطية، بيد إن قراراته في هذا المجال تكاد تكون معدومة، والسبب في ذلك هو حداثتة في العراق، إذ إنَ محكمة القضاء الإداري أنشأت عام1989 ، كما إنَ النظام القانوني العراقي كان قبل دستور 2005 ، يتضمن الكثير من الاستثناءات على الولاية العامة للقضاء الإداري، وعلى الرغم من وجود نص المادة 100 من دستور 2005، التي جاء فيها " يحظر النص في القوانين على تحصين أي عمل أو قرار أداري من الطعن" ، إَلا إنَ بعض الإدارات لا زالت تعمل بنصوص تبيح تحصين القرارات الإدارية من الطعن، كالقرارات السياسية والسيادية مثلا.

المطلب الثاني

استعمال سلطات الضبط الإداري بنحو مخالف لقاعدة تخصيص الأهداف

إنَ الهدف العام لممارسة الإدارة العامة سلطاتها الضبطية هو تحقيق المصلحة العامة من خلال المحافظة على النظام العام، بيد إنَ القوانين قد تحدد أهدافا معينة بذاتها في إطار حماية النظام العام، إذ لا تستطيع الإدارة أن تمارس سلطة تقديرية في هذا الشأن فتبقى سلطتها مقيدة الأهداف والغايات المذكورة، فإذا ما خرجت في أعمالها عن قاعدة تخصيص الأهداف عدت هذه الأعمال مخالفة لمبدأ المشروعية، ويلجأ على القضاء الإداري إلغائها، حتى لو كانت غاية مصدر القرار تحقيق المصلحة العامة، وحتى لو ثبت للقاضي الإداري أنَه حسن النية في استعمال سلطات الضبط الإداري في غير الأهداف المخصصة لها([٥٣]).

فإذا اتخذت الإدارة الضبطية قراراتها لتحقيق غايات غير التي خصصها المشرع حتى ولو كانت هذه الغايات تتصل بالمصلحة العامة، تعد قراراتها غير مشروعة، كونها خرجت عن الإطار المحدد لها والهدف

الخاص والذي يدور في إطار المحافظة على النظام العام بعناصره المعروفة الأمن العام والصحة العامة والسكينة العامة(٥٤).

فلا يجوز مثلا أن تجبر الإدارة الضبطية الأفراد على التبرع لمشروع خيري تحقيقا للمصلحة العامة، حتى لو ثبت صدق نيتها، إذ تعد هذا الإجراء انحرافا في السلطة وانتهاكا لقاعدة تخصيص الأهداف([٥٥]).

وعليه تظهر هذه الحالة من حالتي عيب الغاية في القرارات الضبطية في صورتين نتناولهما في ما يأتي:

الصورة الأولى :أن تكون الغاية غير المشروعة للقرار الضبطي تستهدف هدفاً متصلاً بالمصلحة العامة وليس بأحد أغراض النظام العام(٥٦).

وقد تواترت أحكام القضاء الإداري في فرنسا ومصر والعراق على إلغاء مثل هذه القرارات.

ففي فرنسا قضى مجلس الدولة في حكمه الصادر بتاريخ 30 أبريل 1863 بإلغاء قرار يقضي بمنح احتكار لبلدية "Boulogne" بتسيير عربات للشاطئ، وهذا بقصد تحقيق غايات مالية([٥٧]).

كما ألغى المجلس قرار عمدة إحدى البلديات بمنع مرور الشاحنات الثقيلة على طرق معينة بهدف تنظيم المرور، لكن تبين للمجلس أنَ الهدف الحقيقي من المنع هو تقليل نفقات صيانة هذه الطرق([٥٨]).

ويرى جانب من الفقه أنَ مجلس الدولة الفرنسي أقر منذ عام 1930 مبدأ جديدا، شكل تحولا قضائيا في موقفه، وقرر في العديد من أحكامه أنَ حماية المصلحة المالية للهيئات العامة من خلال سلطات الضبط الإداري لا تعد انحرافا في السلطة، إذ قضى في حكم " Rolquin " الصادر بتاريخ 05/06/1931 بأنَ " القرار الصادر بجعل المرور في إحدى الطرق على عربات النقل العام التي لا تزيد عن ثقل معين ؛ لحماية للطريق إنما هو قرار مشروع "([٥٩])،إذ يرى هذا الرأي بأنَ سلطة الضبط الإداري استهدفت مصلحة مالية تمثلت في حماية الطريق من الضرر وليس هدفها أحد أغراض الضبط الإداري، كما يرى بأنَ الإدارة الضبطية ينبغي ألآ تقتصر على الهدف المالي في قراراتها الضبطية، وإلاعدت غير مشروعة، أما إذا أخذت بعين الاعتبار كلا الهدفين، عدت أعمالها مشروعة([٦٠]).

والواقع إن هذا الرأي محل نظر، فلا نعتقد بوجود أي تحول في موقف مجلس الدولة الفرنسي، وكلَ ما حدث وسيحدث، انه في بعض الحالات تجتمع غايتين في نفس القرار، كما حصل في القرار أعلاه، فتجتمع الغاية الضبطية مع الغاية المالية، وهنا يستحيل على القاضي الإداري فصلهما، أو ترجيح أحدهما في ذهنية مصدر القرار الضبطي، لذلك يبقى القرار مشروعا ولا يمثل انحرافا في السلطة.

أمَا في مصر فقد تواترت أحكام القضاء الإداري على إلغاء القرارات الضبطية التي تنتهك قاعدة تخصيص الأهداف في المجال الضبطي، إذ قضت محكمة القضاء الإداري بحكمها الصادر بتاريخ 8/4/1969 بأنَه " لا يجوز اتخاذ أي من التدابير أو الإجراءات التي يجيزها الشارع، لتحقيق هدف آخر مغاير للهدف الأساس الذي قصد إليه الشارع، ولو كان هذا الهدف محققا للصالح العام بمعناه الشامل، وذلك تطبيقا لقاعدة أصولية هي المصطلح على تسميتها قاعدة تخصيص الأهداف ...وجزاء مخالفة تلك القاعدة أنَه إذا أصدرت الهيئة التي خولها الشارع قرارات تتضمن أيا من تلك التدابير والإجراءات في حدود ما فرضت فيه وقصدت من ذلك إلى

تحقيق هدف يجاوز نطاق الغاية التي قصد إليها الشارع، كانت تلك القرارات مشوبة بعيب الانحراف بالسلطة، الذي يتمثل في عدم احترام الإدارة، باعدها معبرة عن رأي الشارع، لركن الغاية من التشريع، ومن ثم تكون تلك القرارات باطلة "([٦١]).

أما في العراق فقد صادقت المحكمة الاتحادية العليا على قرار محكمة القضاء الإداري بإلغاء قرار وزارة العدل المتضمن منع موظف) المدعي (من السفر خارج العراق بحجة إنَ له علاقة بحادثة وقعت في دائرته، فقررت " إنَ منع سفر المدعي) المميز عليه (لا سند له من القانون وفيه تقييد لحرية السفر لخارج العراق والعودة..."([٦٢]).

إذ يتبين أنَ قرار المنع هو من سلطات الضبط الإداري، ولكن تم استعماله في غير محله حتى لو كانت الغاية في إطار المصلحة العامة، لذلك صدر الحكم بإلغائه.

الصورة الثانية :عيب الانحراف بالإجراءات.

يحدث هذا العيب في إجراءات الضبط الإداري عندما تستعمل الإدارة العامة إجراءات غير الإجراءات المحددة في القانون، وهذا يشكل انتهاكا لمبدأ المشروعية، إذ يراقب القاضي الإداري هذا الانحراف ويكشفه بشكل أسهل من صور الانحراف الأخرى، كونه لا يبحث في نية مصدر القرار ومقصده، إنَما يكون الانحراف في الإجراء هو الدليل على الانحراف في استعمال السلطة([٦٣]).

وعلى رغم أنَ الإدارة الضبطية تستهدف في الإجراءات غير المشروعة غايات مشروعة تتمثل بالمحافظة على النظام العام، لكَنها باستعمالها إجراءات غير تلك المنصوص عليها في القانون تعد متجاوزة على القانون بهدف تجنب الإجراءات المعقدة أو لتوفير الوقت أو المال، علما أنَ هذا الانحراف لا علاقة له بعيب الشكل والإجراءات في القرار الإداري، ذلك إنَ القرار الضبطي محل الرقابة القضائية يكون سليما ومشروعا في ركن الشكل والإجراءات، لكن الخلل يبرز في إنَ هذه الشكليات والإجراءات المشروعة استعملت لغير الغايات التي حددها القانون لها، ولذلك فان علاقة هذه العيب بعيب الغاية تظهر في أنَ الإدارة بهذا السلوك كانت لها غاية داخلية غير مشروعة تمثل انحرافا في السلطة([٦٤]).

وقد يحدث الانحراف بالإجراءات في صور عدة كما في استعمال وسائل الضبط القضائي لتحقيق أغراض الضبط الإداري، إذ قرر مجلس الدولة الفرنسي في قضية" Frampar" ، " أنَه على الرغم من إشارة قرار محافظة الجزائر بحجز أعداد الجريدة إلى نص قانون الإجراءات الجنائية المتعلقة بسلطات المحافظين في إثبات الجرائم المرتكبة ضد أمن الدولة وتقديم مرتكبيها للمحاكمة، ونص قانون العقوبات المتعلق بهذه الجرائم ورغم إحالة المحافظ الأوراق إلى النائب العام خلال الأربع والعشرين ساعة التالية طبقا للقانون، إَلا إنَ مجموع الوقائع وظروف الحال تدل بجلاء على أنَ إجراء المصادرة لم يكن يستهدف جنايات أو جنحا ضد أمن الدولة الداخلي أو الخارجي وتسليم مرتكبيها للمحكمة المختصة لتوقيع العقاب، وإنَما كان يستهدف منع نشر مقال تضمنه العدد المصادر من الجريدة لتوقي ما قد يحدث من اضطراب في النظام العام من جراء ذلك النشر "(٦٥).

كما قد يكون الانحراف من خلال استعمال سلطات الضبط الإداري لتحقيق غاية تتعلق بالنظام العام لكَنها ليست الغاية التي حددها القانون لهذه السلطات، فقد قرر مجلس الدولة الفرنسي وجود انحراف في الإجراءات في قرار صدر وفق إجراءات سلطة ضبط المسطحات المائي، يمنع التزحلق على الماء في المنطقة، لكن ليس بغرض المحافظة على مجرى المياه، وإنَما غايته كانت حماية الأمن العام([٦٦]).

ويذهب جانب من الفقه إلى القول إنَ عيب الانحراف بالإجراءات يعدُ في قضاء مجلس الدولة الفرنسي عيباً مستقلاً من عيوب الانحراف بالسلطة، أمَا في قضاء مجلس الدولة المصري، فقد اختلف الرأي بين من يعتقد أنَه تعدُ الانحراف بالإجراءات يمثل إحدى صور مخالفة قاعدة تخصيص الأهداف وليس عيبا مستقلا(٦٧)، ومن يرى بعض الفقه أنَ قضاء مجلس الدولة المصري ساير قضاء مجلس الدولة الفرنسي في توجهه([٦٨]).

أمَا في العراق فقد قررت الهيئة العامة لمجلس شورى الدولة) سابقا (إلغاء قرار المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار المتضمن إعفاء أحد المشرفين التربويين من وظيفته وإعادته إلى مدرس بناء على مقتضيات الصالح العام، إذ جاء في القرار" المدعي يعمل كاختصاص تربوي في المديرية العامة لتربية) ذي قار (التابعة إلى المدعى عليه الأَول وإنَ المدعى عليه قد اصدر الأمر الوزاري ...بناء على كتاب تربية ذي قار ...يقضي بإعفائه من منصب اختصاصي تربوي وإعادته إلى مدرس كونه عضوا عاملا في حزب البعث المنحل ...ومشمولا بإعفائه من منصب قيادي كما يدعي وكيل المدعى عليه الثاني باللائحة المؤرخة في7/2/2006 ، إذ إنَ قرار الهيئة الوطنية العليا لاجتثاث البعث ...قد حددت المناصب الخاصة والمسؤولية التي لا يجوز منحها لمن كان بدرجة عضو فرقة فما فوق أو ما يعادلها من المستشارين والخبراء من النظام السابق ولم تكن من بين هذه الوظائف وظيفة المشرف التربوي أو الاختصاصي، لذلك فان تغيير المدعى عليه لعنوان المدعي من اختصاص تربوي إلى مدرس لا سند له من القانون، وتأسيسا على ما تقدم قرر المجلس بالاتفاق إلغاء قرار المدعى عليه فضلاً عن وظيفته ...والكتاب المرقم ...القاضيان بتغيير عنوان المدعي من اختصاصي تربوي إلى مدرس والمشار إليهم في التسلسل "([٦٩]).

إذ يتبين لنا أنَ موضع الاجتثاث ذات طبيعة أمنية، والسلطات الممنوحة للإدارة تعد من قبيل سلطات الضبط الإداري، والاجتثاث هو هدف مشروع في القانون العراقي الحالي، لكن القضاء العراقي ألغى قرار الإدارة بسبب الانحراف في الإجراءات بسبب عدم التطابق بينهما.

الخاتمة

تمارس الإدارة العامة وظيفة الضبط الإداري من خلال مجموعة من السلطات في سبيل حماية النظام العام، وتستمد هذه السلطات من التشريعات العادية، وأحيانا يمنحها الدستور هذه السلطات في إطار ما يعرف بالأنظمة المستقلة، وبغض النظر عن الأساس القانوني لهذه السلطات، فإنَها تبقى مقيدة في إطار تحقيق المصلحة العامة عموما والمحافظة على النظام العام خصوصا، وقد خلصنا إلى مجموعة من النتائج والتوصيات نتناولها على النحو الآتي:

أولا :النتائج.

١-الأصل أنَ الحريات العامة لها الأولوية في الممارسة من قبل الأفراد، وأنَ تقييدها لمقتضيات الضبط الإداري هو الاستثناء، لذلك يجب أن لا يتم التوسع في هذا التقييد.

٢-يجب أن تمارس سلطات الضبط الإداري في إطار المحافظة على النظام العام بأغراضه فقط، من غير التوسع في المجالات التي تقود إلى استعمالها في تصفية حسابات سياسية أو شخصية.

٣-يجب على المشرع العادي إقامة التوازن بين ممارسة الحريات العامة استعمال سلطات الضبط الإداري في المحافظة على النظام العام.

٤-يجب على القاضي الإداري أن يكون الحارس الأمين بما يضمن الترجمة العملية للتوازن الذي يقره المشرع العادي سلطات الضبط الإداري ممارسة الحريات العامة.

٥-إنَ سلطات الضبط الإداري سلطات وقائية هدفها حماية النظام العام من الاعتداء، لذلك لا ينبغي استعمالها كوسائل عقابية، وإلا أصبحت قراراتها مخالفة لمبدأ المشروعية .

٦- تستعمل الإدارة العامة سلطتها في إصدار القرارات الإدارية التنظيمية والفردية في المجال ألضبطي، بهدف انجاز وظيفتها في مجال الضبط الإداري لحماية النظام العام، وتتخذ سلطة الإدارة العامة في إصدار القرارات المتعلقة بالضبط الإداري عدة أشكال من القرارات الإدارية تتمثل بإصدارها القرارات الإدارية التنظيمية الضبطية، والقرارات الإدارية الفردية الضبطية.

ثانيا : التوصيات .

١-ندعو القضاء الإداري في العراق إلى بسط رقابته بنحو أكثر بما ينسجم وحجم القرارات الضبطية الصادرة عن سلطات الضبط الإداري.

٢-ندعو المشرع العراقي إلى ترجمة حقيقية لتطبيق المادة 100 من الدستور في منع تحصين أي قرار إداري لاسيما في المجال الضبطي - من الطعن القضائي.

٣-كما ندعو السلطات الضبطية عدم الخلط بين الضبط الإداري والضبط القضائي، وحذف فقرة " فرض غرامات مالية على المخالفين للحظر وحجز المركبات المخالفة طيلة مدة الحظر"، من قرار فرض حظر التجول.

٤-ندعو سلطات الضبط الإداري في العراق إلى تحقيق المساواة في التعامل مع أغراض الضبط الإداري المختلفة السعي إلى تحقيقها، وعدم التركيز على غرض بعينه كالأمن العام.

المصادر

المصادر العربية

أولا:الكتب

-احمد كمال الدين موسى، نظرية الإثبات في القانون الإداري، ١٩٧١.

-أنسام فالح حسن حمزة الأحمدي، السلطات غير التقليدية للقاضي الإداري(دراسة مقارنة)، الطبعة الأولى، المركز العربي للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٨.

-ثروت عبد العال احمد، الرقابة القضائية على ملائمة القرارات الإدارية، دار النهضة العربية، ٢٠٠٢.

-جاسم كاظم كباشي العبودي، سلطة القاضي الإداري في تقدير عيوب الإلغاء في القرار الإداري، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية القانون، ٢٠٠٥.
-جمال الدين، قضاء الملائمة والسلطة التقديرية للإدارة، دار النهضة العربية، ١٩٩٢.
-حلمي الدقدوقي، رقابة القضاء على المشروعية الداخلية لأعمال الضبط الإداري، مصر، دار المطبوعات الجامعية، ١٩٨٩.
-حمدي ياسين عكاشة، موسوعة القرار الإداري في قضاء مجلس الدولة، الكتاب الأول، ماهية القرار الإداري وأحكامه، ، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع،٢٠١٨.
-رمضان بطيخ، الاتجاهات المتطورة في قضاء مجلس الدولة الفرنسي للحد من سلطة الإدارة التقديرية وموقف مجلس الدولة المصري منها، دار النهضة العربية، ١٩٩٤.
-سليمان الطماوي، النظرية العامة للقرارات الإدارية، ط ٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦.
-سليمان الطماوي، نظرية التعسف في استعمال السلطة "الانحراف بالسلطة"، بدون دار للنشر، ١٩٨٧.
-طارق فتح الله خضر، القضاء الإداري، مبدأ المشروعية – تنظيم القضاء الإداري – دعوى الإلغاء، بدون دار نشر، ٢٠٠٢.
-طارق فتح الله خضر، دعوى الإلغاء، دار النهضة العربية، ٢٠٠٢.
-طعيمة الجرف، مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الإدارة العامة للقانون، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٦.
-عادل أبو الخير، الضبط الإداري وحدوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥.
-عادل أبو الخير، الضبط الإداري وحدوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.
-عادل أبو الخير، الضبط الإداري وحدوده، شركة مطابع الطوبجي التجارية، القاهرة، ١٩٩٣ .
-عبد الحكم فوده، الخصومة الإدارية، -دراسة تحليلية على ضوء الفقه وأحكام القضاء الإداري، ديوان المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥ .
-عبد الرؤوف هاشم بسيوني، نظرية الضبط الإداري في النظم الوضعية المعاصرة والشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ٢٠٠٨.
-عبد العزيز عبد المنعم خليفة، الانحراف بالسلطة كسبب لإلغاء القرار الإداري ، دار الفكر العربي، مصر،٢٠٠١.
-عبد الغني بسيوني عبد الله، الوسيط في القانون الإداري، مطبعة السعدني، ٢٠٠٧.
-عبد الفتاح عبد الحليم البر، الانحراف في استعمال الاجراءات في قضاء مجلس الدولة، مجلة العلوم الإدارية، العدد الثاني، السنة ٢٢، ديسمبر ١٩٨٠.
علاء صبري التميمي، قرارات وأراء المحكمة الاتحادية العليا مع بعض متون القوانين ذات العلاقة، بغداد، ٢٠٠٩.

-عمر محمد الشوبكي،القضاء الإداري(دراسة مقارنة)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٧.
-ماجد راغب الحلو، القانون الإداري، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤ .
-محسن خليل، قضاء الإلغاء، دار المطبوعات الجامعية، ١٩٨٩.
-محمد الوكيل، حالة الطوارئ وسلطات الضبط الإداري، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣.
-محمد حسنين عبد العال، رقابة مجلس الدولة لقرارات الضبط الإداري، دار النهضة العربية، ١٩٩١.
-محمد رفعت عبد الوهاب، القضاء الإداري، الكتاب الثاني، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٣.
-محمد علي جواد، القضاء الإداري، العاتك، بغداد،بدون سنة نشر.
-محمد محمد بدران، رقابة القضاء على أعمال الإدارة، دار النهضة العربية، طبعة سنة ١٩٩٩.
-محمود سعد الدين الشريف، أساليب الضبط الإداري والقيود الواردة عليه، مجلة مجلس الدولة، القاهرة، السنة الثانية عشر، ١٩٦٤.
-محمود عاطف البنا، الوسيط في القانون الإداري، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٢.
-محمود عاطف البنا، الوسيط في القضاء الإداري، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٩.
-محي أحمد، المنازعات الإدارية، ترجمة بيوض خالد، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٣.
-مصطفى ممدوح محمد، الضبط الإداري- الوظيفة الإدارية للشرطة، الطبعة الثانية، مطبعة كلية الشرطة،١٩٩٧.
-يعقوب يوسف الحمادي، القضاء ومراقبة السلطة التقديرية للإدارة (دراسة مقارنة)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠١٢ .

ثانيا :الرسائل

-خظر عكوبي يوسف، موقف القضاء العراقي من الرقابة على القرار الإداري، رسالة ماجستير، مطبعة الحوادث، بغداد، ١٩٧٦.
-قروف جمال، الرقابة القضائية على أعمال الضبط الإداري، رسالة ماجستير، كلية الحقوق ، قسم القانون العام / جامعة باجي مختار، ٢٠٠٦.

ثالثا: البحوث

-علي احمد حسن، سلطة القاضي الإداري إزاء التكييف القانوني الخاطئ للوقائع في مجال تأديب الموظفين، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق، جامعة النهرين، المجلد ١٤، العدد ٢، بغداد، ٢٠١١.
-ماهر صالح الجبوري، غلط الإدارة البين في تقدير الوقائع / معياره ورقابة القضاء عليه، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية مجلد التاسع، عدد١-٢،١٩٩٠.
-محمد سعد الدين شريف، فلسفة العلاقة بين الضبط الإداري وبين الحريات، مجلة مجلس الدولة، مصر، ١٩٧٩.

-محمود سلامة جبر، الرقابة على تكييف الوقائع في قضاء الإلغاء، بحث منشور بمجلة إدارة قضايا الحكومة، السنة ٢٨، العدد الرابع ديسمبر ١٩٨٤.

رابعا: مجموعة الأحكام والفتاوى

-قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة العراقي لعام ٢٠٠٦.

-مجموعة أحكام المحكمة الإدارية العليا، السنة ١٢.

-مجموعة أحكام محكمة القضاء الإداري، السنة ٧.

المصادر الأجنبية

-L'arrêt laumonier , cariol, Rec, 1875.

-VINCENT-LEGOUX (M-N), L'ordre public, étude de droit comparé interne, thèse pour le doctorat en droit, Université de Bourgogne, Faculté de droit et des Sciences Politique, 1996-1997 .

الهوامش

(١) د.أنسام فالح حسن حمزة الأحمدي، السلطات غير التقليدية للقاضي الإداري(دراسة مقارنة)، الطبعة الأولى، المركز العربي للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٨، ص ٩٥ .

(٢) د.محمد علي جواد، القضاء الإداري، العاتك، بغداد، دون سنة نشر، ص٨٢.

(٣) د.أنسام فالح حسن حمزة الأحمدي، المرجع السابق، ص ٩٩ .

(٤) مشار اليه عند ، د.رمضان بطيخ، الاتجاهات المتطورة في قضاء مجلس الدولة الفرنسي للحد من سلطة الإدارة التقديرية وموقف مجلس الدولة المصري منها، دار النهضة العربية، ١٩٩٤، ص٧٤.

(5) C.E19 ,FEVR, 1909, ABBE, Olivier, rec.181.M.long et outres،p.122.

(٦) حكم محكمة القضاء الإداري في القضية رقم ٢٣٤ لسنة ١٢ ق، الصادر بجلسة ١٩٥٩/٦/٣٠، س١٣، ص١٢٣٤.

(٧) د.ماهر صالح الجبوري، غلط الإدارة البين في تقدير الوقائع / معياره ورقابة القضاء عليه، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية مجلد التاسع، عدد١-٢،١٩٩٠، ص٢٠٧ وما يليها.

(٨) قرار المحكمة الاتحادية العليا العراقية المرقم ٣/ اتحادية / تمييز /٢٠٠٦ في ٢٠٠٦/٣/٢٩ غير منشور.

(٩) د.محمود سلامة جبر، الرقابة على تكييف الوقائع في قضاء الإلغاء، بحث منشور بمجلة إدارة قضايا الحكومة، السنة ٢٨، العدد الرابع ديسمبر، ١٩٨٤، ص١١٤.

(١٠) قرار مجلس الدولة الفرنسي المؤرخ ١٩٤٧/٧/٢، أشار إليه د. محمد الوكيل، حالة الطوارئ وسلطات الضبط الإداري، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٤٢١.

(١١) حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية، في الطعن رقم ٢٥٧ لسنة ٢٦ ق، الصادر بجلسة ٢٧ /١٩٨٢/١، س٢٧، ص٣٥٩.

(١٢) قرار الهيئة العامة لمجلس الدولة العراقي المرقم ٨١/قضاء إداري /٢٠٠٥ في ٢٠٠٦/١/١٨ / غير منشور.

(١٣) د. محمد رفعت عبد الوهاب، القضاء الإداري، الكتاب الثاني، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٣ص٢١١

(١٤) د.ثروت عبد العال احمد، الرقابة القضائية على ملائمة القرارات الإدارية، دار النهضة العربية، ٢٠٠٢، ص١٨٤.

(١٥) د.سامي جمال الدين، قضاء الملائمة والسلطة التقديرية للإدارة، دار النهضة العربية، ١٩٩٢، ص٢١٨.

(١٦) مشار اليه عند د.رمضان بطيخ، المرجع السابق، ص١٥٢.

(١٧) أشار إليه د.عبد الرؤوف هاشم بسيوني، نظرية الضبط الإداري في النظم الوضعية المعاصرة والشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ٢٠٠٨ ، ص٢١٢.

(١٨) حكم محكمة القضاء الإداري المصرية في القضية رقم ١٠٢٦ لسنة ٦ ق، والصادر بجلسة ١٩٥٣/٣/٢٩، س٢٧.

(١٩) حكم محكمة القضاء الإداري المصرية في القضية رقم ٨٩١ لسنة ٦ ق، والصادر بجلسة ١٩٥٦/١٢/١٤، س١٠.

(٢٠) قرار محكمة القضاء الإداري العراقية المرقم ٤/إداري/تمييز/١٩٩٣، غير منشور.

(٢١) قرار الهيئة العامة لمجلس شورى الدولة العراقي (مجلس الدولة حاليا) رقم ١٣٦ / انضباط /٢٠١٠ في ٢٠١٠/٤/٧، قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١٠، وزارة العدل.

(٢٢) د. طارق فتح الله خضر، القضاء الإداري، مبدأ المشروعية – تنظيم القضاء الإداري – دعوى الإلغاء، بدون دار نشر، ٢٠٠٢، ص٤٣٢ .

(٢٣) مشار اليه عند د. سامي جمال الدين، المرجع السابق، ص٥٣٤.

(٢٤) قرار مجلس الدولة الفرنسي المؤرخ ١٩٦٩/٦/٢٧، أشار إليه، د. عادل أبو الخير، الضبط الإداري وحدوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، ص٤٥٠.

(٢٥) حكم محكمة القضاء الإداري المصرية، في القضية رقم ١٢٠٣ لسنة ٥ق، الصادر بجلسة ١٩٥٣/٣/٢٦، مجموعة أحكام محكمة القضاء الإداري، السنة ٧، ص٧٦٦ .

(٢٦) حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية، في القضية رقم ٦٢٠، لسنة ١١ق، الصادر بجلسة ١٩٦٦/١٢/١٩ مجموعة أحكام المحكمة الإدارية العليا، السنة ١٢، ص٢٢٩ .

(٢٧) د.علي احمد حسن، سلطة القاضي الإداري إزاء التكييف القانوني الخاطئ للوقائع في مجال تأديب الموظفين، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق، جامعة النهرين، المجلد ١٤، العدد ٢، بغداد، ٢٠١١، ص٤٧ .

(٢٨) د. احمد كمال الدين موسى، نظرية الإثبات في القانون الإداري، ١٩٧١، ص٢٤١.

(29) C. E 31 Decembre ،1960 ،prymier minister vlcat ،Balnce ،D. 1961 p.221 . notc chapns .

(٣٠) حكم محكمة القضاء الإداري المصرية في ١٩٤٩/٦/٧، ذكره حمدي ياسين عكاشة، موسوعة القرار الإداري في قضاء مجلس الدولة، الكتاب الأول، ماهية القرار الإداري وأحكامه، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع،٢٠١٨، ص٥٢٠.

(٣١) جاسم كاظم كباشي العبودي، سلطة القاضي الإداري في تقدير عيوب الإلغاء في القرار الإداري، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية القانون، ٢٠٠٥، ، ص١٣٧.

(٣٢) حكم محكمة القضاء الإداري العراقية المرقم ١١٦، قضاء إداري ٩٤ في ١٩٩٤/١٢/٢٤ أشار إليه، جاسم كاظم كباشي العبودي، المرجع السابق، ص ١٣٨ .

(33) VINCENT-LEGOUX (M-N), L'ordre public, étude de droit comparé interne, thèse pour le doctorat en droit, Université de Bourgogne, Faculté de droit et des Sciences Politique, 1996-1997 , P.6 .

(٣٤) مشار اليه عند د.طعيمة الجرف، مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الإدارة العامة للقانون، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٦، ص ٢٥٩ .

(٣٥) د.سليمان الطماوي، النظرية العامة للقرارات الإدارية، ط ٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦، ص٣٥١.

(36) C.E, 13 Fevrier 1953 , Hvbert de ternay , L 60 .

(٣٧) محمد سعد الدين شريف، فلسفة العلاقة بين الضبط الإداري وبين الحريات، مجلة مجلس الدولة، مصر، ١٩٧٩، ص ٢٩ .

(٣٨) عادل أبو الخير، الضبط الإداري وحدوده، شركة مطابع الطوبجي التجارية، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٤٦٥ .

(٣٩) د.سليمان الطماوي، نظرية التعسف في استعمال السلطة "الانحراف بالسلطة"، بدون دار للنشر، ١٩٨٧، ص٣٣٨ .

(٤٠) د.ماجد راغب الحلو، القانون الإداري، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ٥١٤ .

(41) C.E, 26 novembre 1875, PARISET, WEIL (P) et autres, Les GAJA, 16 : éme éd, p. 25.

(42) L'arrêt laumonier , cariol, Rec, 1875, P. 937.

(٤٣) قرار مجلس الدولة الفرنسي، أشار إليه ، د.مصطفى ممدوح محمد، الضبط الإداري– الوظيفة الإدارية للشرطة، الطبعة الثانية، مطبعة كلية الشرطة،١٩٩٧، ص١٠٢.

٤٤) قرار مجلس الدولة الفرنسي، أشار إليه، محي أحمد، المنازعات الإدارية، ترجمة بيوض خالد، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٣، ص ١٩٣ .

(٤٥) قرار مجلس الدولة الفرنسي ، أشار إليه، د.مصطفى ممدوح محمد، المرجع السابق، ص١٠٣.

(٤٦) قرار مجلس الدولة الفرنسي، أشار إليه، حلمي الدقدوقي، رقابة القضاء على المشروعية الداخلية لأعمال الضبط الإداري، مصر، دار المطبوعات الجامعية، ١٩٨٩، ص ٣٣٨

(٤٧) قرار مجلس الدولة الفرنسي ، أشار إليه، د.مصطفى ممدوح محمد، المرجع السابق، ص١٠٢.

(٤٨) قرار مجلس الدولة المصري، أشار إليه، د.يعقوب يوسف الحمادي، القضاء ومراقبة السلطة التقديرية للإدارة (دراسة مقارنة)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠١٢ ، ص ٢١٢.

(٤٩) حكم محكمة القضاء الإداري المصرية في القضية رقم ٢١ لسنة ٢ق، الصادر بجلسة ١٩٥٦/١٢/٨، س ١٢، ص١٧٧.

(٥٠) حكم المحكمة الإدارية العليا في مصر، أشار إليه، د.عبد العزيز عبد المنعم خليفة، الانحراف بالسلطة كسبب لإلغاء القرار الإداري ، دار الفكر العربي، مصر، ٢٠٠١، ص ١٨٩.

(٥١) حكم المحكمة الإدارية العليا، في القضية رقم ١٣٦٢ لسنة ١٠ق، الصادر بجلسة ١٩٥٦/١٢/٢٦، س١٢، ص٢٨٢.

(٥٢) قرار الهيئة العامة لمجلس شورى الدولة في العراق رقم الدعوى التمييزية /٢٤ انضباط/تمييز ف ٦/٢ ي / ٢٠٠٦، وهو غير منشور .

(٥٣) عبد العزيز عبد المنعم خليفة، المرجع السابق، ص ١٨٥ .

(٥٤) د.محمود عاطف البنا، الوسيط في القانون الإداري، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٦٤.

(٥٥) د. عمر محمد الشوبكي،القضاء الإداري(دراسة مقارنة)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٧، ص٣٥٤.

(٥٦) د.محمود سعد الدين الشريف، اساليب الضبط الاداري والقيود الواردة عليه، مجلة مجلس الدولة، القاهرة، السنة الثانية عشر، ١٩٦٤، ص١٣٧.

(57)C. E. 30 Avril 1863, ville de boulogne, Rec. 404.

(58) C. E. 15 Nov 1927, Bellescize, rec 1048

(59) C. E. 05 Juin 1931, Rolquin et autres, rec 396, 5, 1932. 3. 69

(٦٠) قروف جمال، الرقابة القضائية على أعمال الضبط الإداري، رسالة ماجستير، كلية الحقوق /قسم القانون العام / جامعة باجي مختار، ٢٠٠٦، ص ١٠٢ .

(٦١) حكم محكمة القضاء الإداري المصرية، أشار إليه، د. عبد الغني بسيوني عبد الله، الوسيط في القانون الإداري، مطبعة السعدني، ٢٠٠٧، ص ٢٨١ . وحكم محكمة القضاء الإداري المصرية، أشار إليه، د. عادل أبو الخير، الضبط الإداري وحدوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٦٣٨.

(٦٢) حكم محكمة القضاء الإداري العراقية، العدد ٤/اتحادية /تمييز /٢٠٠٦ في ٢٠٠٦/٣/٢٩، أشار إليه علاء صبري التميمي، قرارات وأراء المحكمة الاتحادية العليا مع بعض متون القوانين ذات العلاقة، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٤٤.

(٦٣) د.محسن خليل، قضاء الإلغاء، دار المطبوعات الجامعية، ١٩٨٩، ص ٣٧٥ .

(٦٤) خظر عكوبي يوسف، موقف القضاء العراقي من الرقابة على القرار الإداري، رسالة ماجستير، مطبعة الحوادث، بغداد، ١٩٧٦، ص٣٧٤ .

(٦٥) قرار مجلس الدولة الفرنسي، أشار إليه، د.محمد محمد بدران، رقابة القضاء على أعمال الإدارة، دار النهضة العربية، طبعة سنة ١٩٩٩، ص٣١٥.

(٦٦) قرار مجلس الدولة الفرنسي، أشار إليه، حلمي الدقدوقي، المرجع السابق، ص ٣٣١ .

(٦٧) د.عبد الفتاح عبد الحليم البر، الانحراف في استعمال الاجراءات في قضاء مجلس الدولة، مجلة العلوم الإدارية، العدد الثاني، السنة ٢٢، ديسمبر ١٩٨٠، ص٢١٥ وما بعدها .

(٦٨) د.محمود عاطف البنا، الوسيط في القضاء الإداري، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٩، ص٢٣٦.، دعبد الحكم فوده، الخصومة الإدارية، –دراسة تحليلية على ضوء الفقه وأحكام القضاء الإداري، ديوان المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٦٢ .

(٦٩) قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة العراقي لعام ٢٠٠٦، في الطعن المرقم ٤٤٢، انضباط / تمييز في ٢٠٠٦/١٢/٧، ص٤٥٩ .

عدم تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية كعارض من عوارض تحقيق الأمن القضائي

كلمات مفتاحية (القضاء ، الأمن القضائي ، المنازعات الضريبية)

Failure to identify the judiciary competent to hear tax disputes is one of the symptoms of achieving judicial security

Keywords (judiciary, judicial security, tax disputes)

م.م. لقاء عبد الساده جالي*

بلال سعد قاسم**

المســـــتخلص : منـــذ ان اهتـــدى الإنســـان للقضـــاء كوســـيلة لحـــل المنازعـــات ، وهـــو يســـعى بنحـــو دؤوب إلـــى احاطـــة بهـــذه الوســـيلة بمبـــادئ وضـــمانات تعززهـــا ، وتنـــئ بهـــا عـــن أي شـــائبة أو شـــبهة تـــؤدي إلـــى اضـــعاف الثقـــة فيهـــا أو تكـــون ســـبباً للطعـــن أو التشـــكيك بهـــا ، ومـــن هنـــا ظهـــرت العديـــد مـــن المبـــادئ التـــي عـــدت بمثابـــة التـــرس الـــذي يحصـــن القضـــاء ويصـــونه مـــن أي شـــبهة او شـــائبة ، وكـــان مبـــدأ الامـــن القضـــائي أحـــد تلـــك المبـــادئ أن لـــم تكـــن ابرزهـــا ، فعلـــى الـــرغم مـــن حداثـــة ظهـــوره إلا أَنـــه جـــاء محمـــلاً بأثار ونتائج تعود بالإيجاب على القضاة والمتقاضين على حد سواء .

ولمـــا كانـــت الضـــرائب تعـــد مـــن أهـــم الامـــور التـــي تـــؤثر علـــى المركـــز المـــالي للأفـــراد ، فـــإن مســـألة الاهتمـــام بوجـــود قضـــاء مســـتقل ومحايـــد مـــن المســـائل التـــي فرضـــت نفســـها بقـــوة عنـــد الحـــديث عـــن مـــدى إمكانيـــة تحقيـــق مبـــدأ الأمـــن القضـــائي داخـــل البيئـــة القضـــائية الضـــريبية ومـــن هـــذا المنطلـــق ارتأينـــا فـــي هـــذا البحـــث الحـــديث عـــن أهميـــة وجـــود جهـــة قضـــائية تخـــتص بالفصـــل فـــي المنازعـــات الضـــريبية بوصـــفها مـــن أهـــم الضـــمانات التـــي نادى بها المبدأ المذكور .

Abstract :

Since man created the judiciary as a means of resolving disputes, and striving diligently to surround this means with principles and guarantees that promote and clear it of any suspicion that weaken its confidence or a reason to object or question it, hence many principles that came back as a shield which immunizes the judiciary and protects it from any suspicion or impurity. The principle of judicial security was one of those principles, and perhaps, without exaggeration,

* (الجامعة المستنصرية / كلية القانون) Liqaa649@gmail.com

** (وزارة العمل والشؤون الاجتماعية)bilsaad90@gmail.com

we could say that it is one of the most prominent ones, despite the recent appearance of this principle, it came with effects and results that positively affect judges and litigants alike.

Since taxes are one of the most important matters that affect the financial position of individuals, the issue of existence of an independent and impartial judiciary is one of the issues that has imposed itself strongly when talking about the extent to which the principle of judicial security can be achieved within the tax judicial environment. On the importance of having a competent judicial body to settle tax disputes, as it is one of the most important guarantees advocated by the aforementioned principle.

التعريف بموضوع البحث

لعلنا لا نعدو الحقيقة بقولنا إن الضرائب تعدُ من بين أهم الإيرادات العامة واقدمها وأداة تستعين بها الدولة ، لبلوغ الغايات التي يرنوا إليها بصرها في شتى الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وانطلاقاً من اهمية الضرائب كان لا بد من وجود آليات واضحة تتولى فرضها وجبايتها ومن هنا ظهرت التشريعات الضريبية بوصفها الأداة الامثل لتحقيق هذا الغرض .

هذا ولما كانت الضرائب تؤثر بنحو مباشر على المركز المالي للفرد ، فمن المحتمل جداً أن تنشب نزاعات بشأنها سواء تعلقت هذه المنازعات بفرضها ام جبايتها ، لذلك كان من الضروري وجود جهة قضائية مستقلة ومحايده هدفها الفصل في هذه المنازعات تكون قادرة على إصدار قرارات وأحكام توازن بين المصالح المتعارضة من غير أَن تخل بنصوص القوانين ذات العلاقة ، لذا كان من الضروري احاطة هذه الوسيلة بمبادئ وضمانات تعززها وتنئ بها عن أي شائبة أو شبهة تؤدي الى اضعاف الثقة بها أو تكون سبب للطعن أو التشكيك فيها ، ومن هنا ظهرت العديد من الضمانات التي عدت بمثابة الترس الذي يحصن القضاء ويصونه من أي اعتداء أو تدخل ، ومن أهمها مبدأ الأمن القضائي فعلى الرغم من حداثة ظهوره إلا إنه جاء محملاً بآثار ونتائج تعود بالإيجاب على القضاة والمتقاضين على حد سواء .

ومن هنا تبرز أهمية مبدأ الأمن القضائي في المجال الضريبي بوصفه مبدأ يشكل ضمانة هامة للمتقاضين ، عليه وجدنا ضرورة البحث في موضوع تحديد القضاء المختص في نظر المنازعات الضريبية وعلاقته بمبدأ الأمن القضائي ،

والتساؤل عما إذا كان عدم تحديد القضاء المختص بتلك المنازعات يعد عارض او عائق في وجه عمل المبدأ المذكور

مشكلة البحث

يثير موضوع البحث تساؤلاً محورياً يتجسد حول بيان " آثر عدم تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية على تحقيق مبدأ الأمن القضائي " .

أهمية البحث

إنَّ أهمية الموضوع تنبع من أهمية وجود قضاء مستقل ومحايد للفصل في المنازعات التي تحدث بين الأفراد ، وفي ذلك ضمان لحقوقهم الدستورية وتعزيز ثقتهم بالسلطات العامة ، ولا يخفى على أحد ضرورة وجود مثل هذا القضاء في الجانب الضريبي ، كون المكلف يشعر بأن الضريبة سرقه لأمواله عنوه من دون وجه حق ، كما بات وجود الدولة القانونية يقتضي مراعاة العديد من المبادئ أهمها مبدأ الأمن القضائي ، لذلك رأينا من الازم وجود قضاء مستقل ومحايد للفصل في المنازعات الضريبية لتعزيز ثقة المكلف بالإدارة الضريبية من ناحية ، وتحقيق مبدأ الأمن القضائي في القضاء الضريبي من ناحية أخرى .

منهجية البحث

يحتم موضوع البحث اتباع المنهجين الآتيين :

- المنهج الاستقرائي والذي سنحاول من خلاله تتبع النصوص والبيانات المتاحة واستقرائها والتي تتصل بموضوع البحث ومحاولة جمعها ودراستها بهدف الوصول إلى الحقائق ذات العلاقة بموضوع البحث .

- المنهج التحليلي وذلك من خلال جمع وتحليل النصوص ذات العلاقة والوقوف على مضمونها واستعراض العيوب التي تشوبها والعراقيل التي تواجه تطبيقها .

خطة البحث

سنقسم بحثا إلى مطلبين ، نخصص الأول للتعريف بمبدأ الأمن القضائي ، في حين سنكرس الثاني لبيان أثر عدم تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية بالأمن القضائي ، وفي النهاية سنختم بحثنا بإيراد مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات المتواضعة .

المطلب الأول

التعريف بالأمن القضائي

يُعد مبدأ الأمن القضائي من المبادئ القانونية الحديثة الجديرة بالدراسة والتحليل لذا سنتطرق في هذا المطلب إلى تحديد مفهومه (الفرع الأول) ، ثم نعرج على بيان ضماناته في الجانب الضريبي (الفرع الثاني) .

الفرع الأول

مفهوم الأمن القضائي

إنَ من الصعوبة اعطاء تعريف محدد لمبدأ الأمن القضائي ، كونه يحمل العديد من الأَوجه وله ابعاد نفسية واجتماعية واقتصادية ويختلط مع مجموعة من المصطلحات الأخرى [١] .

وعلى الرغم من ذلك فقد ذهب البعض إلى تعريفه بأنه : " تعبير كاشف عن مدى ممارسة الفرد لحريته بكافة اشكالها كحرية التعبير ، التنقل ، الشفافية في الصفقات العمومية قوانين استثمارية عادلة ، حماية العمل السياسي ، تأمين مبدأ الثقة في القضاء والقضاة " [٢] .

كما ذهب جانب من الفقه إلى أن هناك تعريفين له أَحدهما موسع والآخر ضيق فالتعريف الموسع يذهب إلى أنه " الثقة بالمؤسسة القضائية والاطمئنان إلى ما ينتج عنها وهي تقوم بمهمتها في تطبيق القانون وتحقيق العدالة ، من خلال الوصول إلى حكم قضائي عادل الذي تتطابق فيه الحقيقة الواقعية مع الحقيقة الفعلية " [٣] .

أَمـا تعريفـه الضـيق فقـد ربـط بالثقـة بوظيفـة المحـاكم العليـا المتمثلـة بصـفة اساسـية فـي السـهر علـى توحيـد الاجتهـاد وخلـق وحـدة قضـائية ، بمعنـى آخـر يمكـن القـول أن الأمـن القضائي وفقاً لهذا التعريف يعمل على تأمين نقطتين أَساسيتين :

الأولى : تأمين إلانسجام القانوني والقضائي .

الثانيـــة : تـأمين الجـودة ، وهـو مـا تعبـر عنـه اغلـب الدراسـات والكتابـات بتعبيـرات تتمحور عن مبادئ محددة وهي :

- واجب القاضي في البت طبقاً للقوانين المطبقة يوم تقديم الطلب .
- عدم رجعية القواعد القانونية .
- الآثار الملزمة لاتفاقات الأطراف .
- التأويل في اضيق نطاق للنصوص الجزائية .
- احترام أجل الطعون .
- احترام حجية الأمر المقضي به .
- حماية مبدأ الثقة المشروعة [٤] .

فـي ضـوء مـا تقـدم يمكننـا أن نعـرف الأمـن القضـائي فـي المجـال الضـريبي بالتحديـد بأنَّـه " مبـدأ مـن المبـادئ العامـة للقـانون يهـدف إلـى أشـاعه الثقـة بالمؤسسـة القضـائية الضـريبية وذلـك لتـوفير القـدر المناسـب مـن الأمـن للمكلـف الضريبي والاطمئنان إلى ما ينتج عن هذه المؤسسة من أحكام " .

الفرع الثاني

ضمانات الأمن القضائي في المجال الضريبي

إنَّ الأمـن القضـائي هـو انعكـاس للثقـة فـي السـلطة القضـائية والقضـاة ، فضـلاً عـن تحقيـق الاطمئنـان لمـا تصـدره هـذه السـلطة مـن أحكـام أو قـرارات قضـائية ، بوصـفها السـلطة المنـاط بهـا مهمـة حمايـة الحقـوق والحريـات ، وهـذه المهمـة لا يمكـن تحقيقهـا إلا بوجـود مجموعـة مـن الضـمانات التـي تسـهم بـدورها فـي تفعيـل الوظيفـة

القضائية وبالتالي تعزيز مبدأ الأمن القضائي ، وعليه سنتولى في هذا الفرع بيان أهم ضمانات مبدأ الأمن القضائي في المجال الضريبي من خلال البيان الآتي :

اولاً : استقلال القضاء الضريبي :

يراد باستقلال القضاء (عموماً) استبعاد أي رقابة من جانب سلطات الدولة واعطائها سلطة دستورية مستقلة عن السلطتين التشريعية والتنفيذية ، والتزامها بتطبيق القانون النافذ بوصفها إحدى سلطات الدولة فلا يجوز لها أن تتخذ طريقاً للعدالة غير ما رسمه لها القانون النافذ [٥] .

إنَّ استقلال القضاء أمر لا غنى عنه لتأكيد سيادة القانون وحمايته ، ولإقامة مجتمع يواجه خطر الإرهاب وأشكال القهر السياسي والاجتماعي ، وتأمين تطبيق حكم القاعدة القانونية على صعيد الحاكم والمحكوم . ولابد لتحقيق السلام الاجتماعي في الدولة من قضاء مستقل فلا توجد قوة رادعة اكثر قدرة من القضاء المستقل لضمان حكم القاعدة القانونية. فلا يمكننا الحديث عن دولة أو قانون إذا انعدم هذا الاستقلال للسلطة القضائية [٦] .

وبما إنَّ الضرائب هي عبارة عن اقتطاع جزء من أموال المكلف لذا يجب أن يكون ذلك وفقاً لما يقتضيه القانون وما يقرره من أحكام ، وفي هذا الإطار أن اعتور نشاط الإدارة الضريبية أي سلوك مخالف له كان من حق المكلفين أن يطالبوا بتقويم هذا السلوك من خلال اللجوء إلى القضاء الحامي الأول والأخير لحقوقهم وحرياتهم ، ولكي يكون القضاء قادراً على إرجاع الحق إلى أصحابه ورد غوائل الإدارة الضريبية لابد أن يتمتع بالاستقلال الذي يفترض توافره في كل جهة قضائية ، فلا تتدخل السلطة التنفيذية بأي شكل من الأشكال في هذا الأمر، كما لا يجوز أن تتدخل السلطة التشريعية أيضاً في شؤون القضاء الضريبي بأن تسن قوانين تهدر قوة الشيء المقضي به التي تتمتع بها أحكامه أو تمنع المكلفين من اللجوء إلى قاضيهم الطبيعي في استحصال حقوقهم إزاء الإدارة الضريبة [٧] .

ثانياً : حياد القضاء الضريبي :

يراد بمبدأ حياد القضاء هو إلا يميل القاضي عند نظره في نزاع معين إلى أي جانب من الخصوم وأنَّ عليه أن يطبق القواعد القانونية التي تحقق العدالة حسبما يقتضيه النظام القانوني المحدد لهذه القواعد ، ولا يقتصر حياد القاضي على

الخصوم لوحدهم بل وحتى في مواجهة موضوع النزاع ذاته ، فعلى القاضي أن يفصل فيه بكل موضوعية وتجرد من غير أن يتأثر حكمه بمصلحة أو رأي سابق أو أي مؤثر آخر مهما كان [٨] .

يعد حياد القضاء من المبادئ الدستورية العامة إذا لم ينص عليها الدستور صراحة فهذا المبدأ يمكن استخلاصه من مبدأ استقلال القضاء وذلك بوصف أن هذا الاستقلال يقرر ضمانة لقيام القضاء بدوره في حماية الحريات ، فإن لم يقم بهذه الحماية قضاء محايد فلا معنى لاستقلاله فميدان القضاء ميدان محايد لا يعرف في أداء رسالته انصياع لغير ما يفرضه القانون من أحكام ولذلك لا يتاح له وهو في خضم ممارسته لوظيفته أن يستند إلى أسس غير موضوعية كالمفاضلة بين المتخاصمين والتفريق بينهم في المعاملة بسبب المركز السياسي أو الاقتصادي [٩] .

إما فيما يتعلق بمبدأ حياد القضاء الضريبي فيلزم لتحقيقه أن يتوافر له كيان مستقل لا تتدخل في عمله السلطة التنفيذية ، وأن يكون القاضي الضريبي بعيداً عن كل ميل أو هوى أو تبعية للجهة التنفيذية عند إصدار حكمه ، والا سيتقوض هذا الكيان وينهار أو على الأقل سينال منه التصدع والأود بحيث لا يمكن أن يوفر الضمانة الكافية للمكلف في الحفاظ على حقوقه من افتئات الإدارة الضريبية [١٠] .

ثالثاً: تخصص القضاء الضريبي :

يقصد بتخصص القضاء[١١] قصر العمل القضائي على فئات معينة مؤهلة تأهيلاً قضائياً وقانونياً خاصاً ، ولديها من الخبرة والتجربة القضائية والمزايا الشخصية ما يمكنها من أداء مهمة القضاء ، وهذا الأمر اصبح حاجة ملحة في الوقت الحاضر لتعدد فروع القانون وتشعبها وتعقد أحكامها ، فالتخصص والخبرة هي التي تكون ضمير القاضي وتولد لديه العقلية القانونية .

وعلى هذا الاساس اذا تولى القضاء رجل غير متخصص فلن يحسن القيام بعمله لضعف درايته بكل تفاصيله ، فإذا كان من غير الممكن أن يقوم غير الأَطباء بمعالجة المرضى فإن الأَمر ينطبق على رجال القانون ، فمهمة القاضي لا تقتصر على تطبيق القانون بل تشمل تفسير وسد ثغراته كذلك ، بل قد تتصرف إلى انشاء القاعدة القانونية في حال غياب النص القانوني ، إذ يتعذر عليه في هذه الحالة الامتناع عن الحكم ، لأنه سيعد ممتنع عن احقاق الحق [١٢] .

ولعَّلنا لانعدو الحقيقة بقولنا أن عنصر التخصص يحتل مكانة مهمة بالنسبة للقضاء الضريبي ، لاحتواء القوانين الضريبية على مفاهيم معقدة وأحكام متنوعة من الصعب أن يحيط بها ، إلا من تمرست عقليته على استيعابها وتشربت ملكته القانونية بتفرعاتها وتعقيداتها ، لذا ذهب البعض إلى القول بأنه يجب أن يتوافر في القاضي شكلان من التخصص :

الأول : التخصص في المسائل القانونية (وهو الاهم) .

الثاني : التخصص في المسائل الضريبية [١٣] .

المطلب الثاني

أثر عدم تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية بالأمن القضائي

إنَّ من أهم المقتضيات التي يسعى لتحقيقها مبدأ الأمن القضائي وفي المجال الضريبي بالتحديد ، هو إيجاد جهة قضائية مختصة بنظر المنازعات الضريبية لتوفير أكبر قدر من الثقة بين المكلف والسلطة القضائية ، وبالنتيجة الوصول إلى بيئة قانونية يتحقق فيها القدر المناسب من الأمن والاستقرار ، وعلى خلاف ذلك فإن عدم تحديد ذلك سيكون له آثر سيء على المكلفين ، لعدم وجود قضاء مستقل ومحايد مختص ينظر منازعاتهم الضريبية ، وهذا ما يؤثر بالنتيجة على المتطلبات التي يقتضيها مبدأ الأمن القضائي داخل البيئة القضائية السليمة .

وفي ضوء ما تقدم سنتولى تقسيم هذا المطلب على فرعين ، سنخصص الأول لبيان موقف المشرع العراقي من تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية ، في حين الثاني سنكرسه لبيان الآثار التي تترتب على عدم تحديد القضاء المختص بنظر هذه المنازعات .

الفرع الأول

موقف المشرع العراقي من تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية

يعد موضوع تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية في العراق من المواضيع الشائكة التي اشتد الخلاف الفقهي حولها ، ويرجع أساس هذا إلى نص المادة (١٠٠) من دستور جمهورية العراق النافذ لسنة ٢٠٠٥ [١٤] التي نصت

على : " يحظر النص في القوانين على تحصين أي عمل او قرار إداري من الطعن " ، وهو نص صريح وواضح بوجوب اخضاع كافة القرارات الصادرة من الجهات الإدارية لرقابة المحاكم المختصة وهوما يتعارض مع قانون إلغاء النصوص القانونية لتي تمنع المحاكم من سماع الدعاوى رقم (١٧) لسنة ٢٠٠٥ [١٥] فهذا القانون تضمن مجموعة من الاستثناءات أبعد بموجبها طائفة من الدعاوى من ولاية القضاء وذلك في المادة الثالثة منه التي نصت على أن : " تستثنى قوانين وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة التربية والضرائب ... من احكام هذا القانون " ، وفي محاولة من قبل المشرع لرفع هذا التعارض اصدر قانون التعديل الأول لقانون إلغاء النصوص القانونية التي تمنع المحاكم من سماع الدعاوى رقم (٣) لسنة ٢٠١٥ [١٦] الذي أشار في مادته الأولى بأن : " يلغى نص المادة (٣) من قانون إلغاء النصوص القانونية التي تمنع المحاكم من سماع الدعاوى رقم (١٧) لسنة ٢٠٠٥ وتسري أحكام هذا القانون بأثر رجعي " أن صدور القانون الأخير أدى إلى حدوث موجه من التفسيرات والآراء المتناقضة انتهت بالطعن به امام المحكمة الاتحادية العليا من قبل وزير المالية / اضافة لوظيفته ، إلا أن المحكمة الاتحادية العليا قد عدت قانون رقم (٣) لسنة ٢٠١٥ خياراً تشريعياً لا غبار عليه ، وبذلك ردت الطعن المتعلق بإلغاء النصوص الخاصة بمنع المحاكم من سماع الدعاوى المتعلقة بالضرائب الوارد في القانون المذكور [١٧] .

يلاحظ من خلال القانونين أَعلاه أنّه بإمكان القضاء النظر بالمنازعات الضريبية ، وعلى الرغم من أنَّ هذا المسلك سليم ويتفق مع ما جاء به دستور جمهورية العراق النافذ لسنة ٢٠٠٥ [١٨] ، إلا أنَّ المشرع العراقي عندما سمح للقضاء بالنظر في المنازعات الضريبية لم ينص على القضاء المختصة بنظر تلك المنازعات ، ولم ينشئ محكمة خاصة للنظر فيها وهو ما يعد ثغرة تشريعية تسببت في احتدام الخلاف بين الفقهاء في تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية وتعددت الآراء لذلك ، إذ يرى البعض أن القضاء الإداري هو المختص بنظر المنازعات الضريبية على اعتبار أن ما يصدر عن الإدارة الضريبية هو قرار إداري بطبيعته ، بينما ذهب البعض الآخر إلى أن سكوت المشرع هنا يعيدنا إلى القواعد العامة ، فبما أن كل أنواع الضرائب في العراق – عدا ضريبة المبيعات – قد رسم المشرع طريقاً للطعن فيها ، لذا فإنها تخرج عن اختصاص محكمة القضاء الإداري وبالتالي تدخل في اختصاص القضاء العادي الذي له الولاية العامة في نظر جميع الدعاوى

وفقاً لقانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل النافذ الذي اشار في مادته (٢٩) بأن : " تسري ولاية المحاكم المدنية على جميع الاشخاص الطبيعية والمعنوية بما في ذلك الحكومة وتختص بالفصل في كافة المنازعات إلا ما استثني بنص خاص " ، وبما إنه لا نص يمنع القضاء العادي من النظر في هذه الدعاوى أو يجعلها من اختصاص قضاء آخر وجب على القضاء العادي نظر منازعاتها [١٩] .

هذا فضلاً عن أنَّ قانون رقم (٣) لسنة ٢٠١٥ لم يحدد مصير اللجان الإدارية ذات الاختصاص القضائي التي تم تشكيلها بموجب القوانين العراقية الخاصة بالضرائب فهل انتهى دورها بعد السماح للقضاء بالنظر في تلك المنازعات أم انها ستكون مرحلة أولية للطعن يمكن للمكلف الضريبي التوجه إليها قبل لجوئه للقضاء ؟ كل تلك المسائل اصبحت مجهولة للمكلف الضريبي فبات في حيرة من أمره لا يعلم إلى من يتوجه بطعنه ، وقد أدى هذا التخبط والغموض إلى فقدان المقتضيات التي يتطلبها مبدأ الأمن القضائي في القضاء الضريبي العراقي .

يترشح لنا ممّا تقدم أنَّه كان الأجدر بالمشرع العراقي عند إقرار قانون التعديل الأول لقانون إلغاء النصوص القانونية التي تمنع المحاكم من سماع الدعوى رقم (٣) لسنة ٢٠١٥ أن يحدد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية ويبين ما إذا كان القضاء العادي أم الإداري هو القضاء المختص بالنظر في تلك المنازعات ، فضلاً عن إجراء تعديلات على قوانين الضرائب النافذة لتحديد مصير اللجان المختصة بنظر المنازعات الضريبية وذلك أما بإلغائها أو عدها مرحلة أولية يمكن للمكلف اللجوء إليها قبل التوجه بطعنه أمام القضاء .

إنَّ عدم إجراء أي تعديل على تلك القوانين سيؤدي إلى فتح باب التفسيرات والآراء المتضاربة على مصراعيه عند التطبيق العملي ، وما لذلك من آثار وخيمة على استقرار البيئة الضريبية ، فعدم معرفة المكلف لأي قضاء يتوجه بطعنه يمثل طعنة مباشرة توجه صوب المقتضيات الاساسية التي يتطلبها مبدأ الأمن القضائي في البيئة القضائية الضريبية .

الفرع الثاني

آثار عدم تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية

إنَّ القانون يعد ضرورة اجتماعية لا غنى عنها لحفظ كيان المجتمع ، إذ أن وظيفته تكمن في العمل على التوفيق بين مصالح أفراد الجماعة المتعارضة ورغباتهم بما يحفظ الأمن والنظام في المجتمع ، ومتى ما تم نشوب نزاع يشكل خللاً في المجتمع فإن من حق هذا المجتمع وواجبه ايضاً أن يضع له نهاية ، وهنا تظهر بجلاء وظيفة القضاء في إزالة عوارض المراكز القانونية عن طريق إصدار أحكام وقرارات عادلة يطمئن لها الأفراد وهذا ما يمثل بدوره ثمرة العمل القضائي والهدف الذي يسعى الخصوم والقضاة للوصول إليه [٢٠] ، إذ يمارس القضاء دوراً هاماً في إرساء المبادئ القانونية وإزالة أي غموض يعتري التشريعات الضريبية ، هذا وقد اجاز المشرع للمكلف الضريبي حق اللجوء إلى القضاء للدفاع عن حقوقه كما وكفلته كافة الدساتير وضمنت حيادته واستقلاله لتحقيق العدالة داخل المجتمع ، إذ تنبع أهمية القضاء في المجال الضريبي بالتحديد من الأهداف أو الغايات التي يسعى إلى تحقيقها [٢١] ، وهي كثيرة ومتنوعة أبرزها (حماية مبدأ المشروعية والرقابة على نشاط الإدارة الضريبية ، و ضمان الحرية المالية ومساهمته في تأصيل مبادئ القانون الضريبي هذا فضلاً عن اهميته في إكمال النقص التشريعي الذي يعتري القوانين الضريبية) .

ونظراً لأهمية القضاء في الحفاظ على حقوق الأفراد فإن عدم تحديد الجهة القضائية المختصة بنظر المنازعات الضريبية في العراق له آثار عديدة منها :

اولاً : فقدان الثقة بالقضاء :

وهي نتيجة طبيعية لعدم قيام المشرع ببيان الجهة القضائية التي ينبغي على المكلف الضريبي اللجوء إليها عند تقديم طعنه بالقرارات الصادرة من الإدارة الضريبية ، وبالتالي تردده بين القضاء العادي والقضاء الإداري عند تقديم طعنه والخشية من عدم إصدار قرارات قضائية تضمن حقه الذي يدعيه .

ثانياً : اللجوء إلى الطرق الملتوية بغية التخلص من دفع الضرائب :

إنَّ عدم وضوح جهة الطعن في قرارات الإدارة الضريبية والتخوف من عدم صدور قرارات قضائية تراعي حقوق المكلفين ، سيشكل ذريعة لدى عدد منهم تؤدي إلى التحايل على القوانين النافذة واستغلال الارباك التشريعي بغية التهرب من دفع الضرائب أو تجنبها .

ثالثاً : تعارض الأحكام القضائية :

إنَّ عدم تحديد الجهة القضائية المختصة بالبت في الطعون المقدمة ضد قرارات الإدارة الضريبية سيدفع بعض المكلفين إلى الطعن أمام القضاء العادي في حين سيطعن البعض الآخر أمام القضاء الإداري ، وهو ما سيؤدي إلى صدور قرارات من كلا القضائيين تتضمن أحكاماً متعارضة الأمر الذي ينتج عنه اضطراب النظام القانوني بأكمله حتى ولو أمكن علاج هذا التعارض فيما بعد – فالمتناقضان لا يجتمعان – فإن كان اتهام فكر معين بالتناقض يعد امراً سيئاً بغير جدال ويسعى صاحبه جاهداً إلى التبرأ منه ، فإن الأسوء من ذلك أن يوجه هذا الاتهام للقضاء [٢٢] .

رابعاً : الاضرار بالخزينة العامة :

إنَّ عدم وجود جهة قضائية تختص بالنظر في طعون المكلفين سيشكل ذريعة لدى عدد كبير منهم للتهرب من دفع الضرائب المستحقة عليهم ، وذلك باستعمال وسائل غير قانونية وهو ما سيؤدي إلى نقص بإيرادات الدولة الضريبية كأثر حتمي لذلك التهرب ومن ثم الأضرار بالخزينة العامة الدولة .

إنَّ الآثار الناتجة عن عدم تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية والتي ذكرنا بعضها فيما سبق تعدُّ بلا شك أسباباً كافية لقيام المشرع العراقي بإعادة النظر بالنصوص الوارد في القانون رقم (١٧) لسنة ٢٠٠٥ والقانون رقم (٣) لسنة ٢٠١٥ وتعديل تلك القوانين بإضافة نصوص تتضمن تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية هذا فضلاً عن تعديل النصوص المتعلقة باللجان الضريبية الواردة في مختلف القوانين النافذة ذات العلاقة ، وذلك أما بإلغاء تلك اللجان أَو عدَّها مرحلة أولية للطعن يجوز للمكلف اللجوء إليها قبل الطعن أمام القضاء ، لكون ذلك يمثل خطوة مهمة في سبيل تحقيق مبدأ الأمن القضائي وإزالة عائق مهم وخطير يحول دون تطبيقه على النحو الصحيح .

الخاتمة

وفي ختام بحثنا الموسوم بـ " عدم تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية كعارض من عوارض تحقيق الأمن القضائي " توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات والتوصيات المتواضعة نقف عليها من خلال الآتي :

اولاً : الاستنتاجات :

١- إنَّ مبدأ الأمن القضائي من المبادئ القانونية الحديثة الذي تسلل ليكون بجانب المبادئ القانونية الأخرى ، ويراد به وبشكل مبسط : الثقة لما تصدره المؤسسة القضائية الضريبية من أحكام وقرارات .

٢- جاء مبدأ الأمن القضائي لتحقيق الثقة بين المكلف والسلطة القضائية ، وهذا يتطلب وجود مجموعة من المقتضيات الأساسية الازم توافرها داخل البيئة القضائية الضريبية لتكون بمثابة البيئة السليمة التي يسعى مبدأ الأمن القضائي للوصول إليها .

٣- فيما يتعلق بالعراق وبعد صدور قانون التعديل الأول لقانون إلغاء النصوص القانونية التي تمنع المحاكم من سماع الدعاوى رقم (٣) لسنة ٢٠١٥ يلاحظ أنه سمح للقضاء النظر بالمنازعات الضريبية ، لكن من غير تحديد أي من القضاء العادي أم الإداري هو المختص بالنظر في هذا النوع من المنازعات ، ممّا شكل قصوراً تشريعياً واضحاً انعكس بشكل سلبي على ثقة المكلف بالمؤسسة القضائية .

٤- إنَّ عدم تحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية في العراق أدى إلى ظهور مجموعة من الآثار السلبية التي من بينها : فقدان الثقة بالقضاء واللجوء إلى الطرق الملتوية بغية التخلص من دفع الضرائب ، وتعارض الأحكام القضائية و الاضرار بالخزينة العامة .

ثانياً : التوصيات :

١- نظراً للضمانات العديدة التي يحملها مبدأ الأمن القضائي نوصي المشرع العراقي بأن يكون السباق في الاشارة الصريحة لهذا المبدأ المهم لدعم الثقة بالمؤسسة القضائية .

٢- نوصي المشرع العراقي بتعديل قانون رقم (١٧) لسنة ٢٠٠٥ والقانون رقم (٣) لسنة ٢٠١٥ وذلك بتحديد القضاء المختص بنظر المنازعات الضريبية .

٣- نوصي المشرع العراقي بتعديل قوانين الضرائب النافذة على نحو يحدد مصير اللجان المختصة بنظر المنازعات الضريبية ، وذلك اما بإلغائها أو عدها مرحلة أولية للطعن يمكن للمكلف اللجوء إليها قبل التوجه للقضاء .

الهوامش

(١) د. محمد الخضراوي ، الأمن القضائي في التجربة المغربية ، مقال متاح على الموقع الالكتروني http://press.maroc.net/ (تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٧/١٩) .

(٢) بلحمزى فهيمة ، الأمن القانوني للحقوق والحريات الدستورية ، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة عبد الحميد ابن باديس – مستغانم – كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر ، ٢٠١٧ – ٢٠١٨ ، ص ٧٦ .

(٣) د. مازن ليلو راضي ، الأمن القضائي وعكس الاجتهاد في القضاء الإداري ، بحث منشور في المجلة السياسية والدولية المجلد ٤٢ ، العدد ٤١ ، ٢٠١٩ ، ص ١٢٧ .

(٤) د. عبد المجيد لخذاري وفطيمة بن جدو ، الأمن القانوني والأمن القضائي ، بحث منشور في مجلة الشعاب، المجلد ٤ ، العدد ٢ ، ٢٠١٨ ص ٣٩٣ – ٣٩٤ .

(٥) د. رزكار محمد قادر ، استقلال القضاء كونه ركيزة من ركائز المحاكمات العادلة – دراسة مقارنة في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية ، بحث منشور في مجلة الرافدين للحقوق ، المجلد ١١، العدد ٣٩ ، ٢٠٠٩ ، ص ٢١٧ .

(٦) فاروق الكيلاني، استقلال القضاء، الطبعة الثانية ، المركز العربي للمطبوعات ، ١٩٩٩ ، ص ٨ – ١٠ .

(٧) رائد ناجي احمد الجميلي ، القضاء الضريبي ومجالاته في ظل القانون العراقي ، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الحقوق – جامعة النهرين ، ٢٠٠٤ ، ص ١٦ – ١٧ .

(٨) شهيرة بولحية ، الضمانات الدستورية للمتهم في مرحلة المحاكمة ، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة محمد خيضر بسكرة – كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر ، ٢٠١٥ / ٢٠١٦ ، ص ٩٢ .

(٩) انتصار حسن عبد الله ، الحماية الدستورية لاستقلال السلطة القضائية ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون – الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٩ ، ص ١٢٠ .

(١٠) رائد ناجي احمد الجميلي ، مصدر سابق ، ص ١٨ .

(١١) يختلف تخصص القضاء عن تخصيص القضاء اذ أن الأول يعد عنصراً من عناصر القضاء يقوم على حصر ولاية القضاء برجال قانونين مؤهلين لهذا العمل. اما تخصيص القضاء فهو تقيد القاضي بنظر فئة معينة من القضايا المدنية أو التجارية أو الجنائية...الخ لتعدد أنواع المشاكل القضائية وتعقدها) . ينظر : د . حاتم بكار، حماية حق المتهم في محاكمة عادلة ، إسكندرية ، منشاة المعارف ، ١٩٩٧، ص ١٣٨ .

(١٢) د. ماجد راغب الحلو، النظم السياسية والقانون الدستوري ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ٢٠٠٥، ص٧٧٧ .

(١٣) رائد ناجي احمد الجميلي ، مصدر سابق ، ص ٢٠ .

(١٤) نشر دستور جمهورية العراق في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤٠١٢) في ٢٨ / ١٢ / ٢٠٠٥ .

([١٥]) نشر هذا القانون في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤٠١١) في ٢٢ / ١٢ / ٢٠٠٥ .

([١٦]) نشر هذا القانون في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤٣٥٤) في ٢/ ٣ / ٢٠١٥ .

([١٧]) قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم (٦٨ / اتحادية / ٢٠١٥) منشور على الموقع الإلكتروني للمحكمة : www.iraqfsc.iq تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٨/٦ .

([١٨]) تنظر المادة (١٠٠) من دستور جمهورية العراق الدائم لسنة ٢٠٠٥ .

([١٩]) ينظر : د. حيدر وهاب عبود القضاء الضريبي ضمانة ناجعة لحماية حقوق المكلفين (دراسة مقارنة بين النظم الوضعية والشريعة الإسلامية) ، بحث منشور في مجلة دراسات قانونية بيت الحكمة ، بغداد العدد ٣١ ، ٢٠٢١ ، ص ٩- ١٨ . كذلك د. احمد خلف حسين الدخيل ، القضاء الضريبي بين التشريع والقانون ، بحث منشور في السجل العلمي للمؤتمر الدولي للقضاء والتحكيم ، المجلد الثاني ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ، ٢٠١٥ ، ص ١٥٩٢ . وينظر كذلك كل من : بان صلاح عبد القادر الصالحي الطعن بقرار تقدير ضريبة الدخل – دراسة مقارنة رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون جامعة بغداد ١٩٩٩ ، ص ١٠٣ . و رائد ناجي احمد الجميلي ، القضاء الضريبي ومجالاته في ظل القانون العراقي رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الحقوق – جامعة النهرين ، ٢٠٠٤ ، ص ٦٥ – ٧٥ .

([٢٠]) بتول حسن قعفراني ، التعارض بين الاحكام القضائية والقرارات التحكيمية ، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بيروت العربية ، لبنان ، ٢٠٢٠ ، ص ٢ .

([٢١]) د. محمد علوم محمد ، التقاضي الضريبي كضمانة دستورية للمكلف بدفع الضريبة ، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية كلية القانون – جامعة بغداد ، العدد الخاص الثالث – الجزء الثاني ، ٢٠١٧ ، ص ١٠٦ .

([٢٢]) د. احمد خليل ، التعارض بين الاحكام القضائية : مفترضات التعارض ، وسائل الوقاية ، العلاج وسائله وكيفيته ، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، ص ١٣٧ .

قائمة المصادر والمراجع

اولاً : الكتب

١. د. احمد خليل ، التعارض بين الاحكام القضائية : مفترضات التعارض ، وسائل الوقاية العلاج وسائله وكيفيته ، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ .
٢. د . حاتم بكار، حماية حق المتهم في محاكمة عادلة ، إسكندرية ، منشاة المعارف ، ١٩٩٧ .
٣. فاروق الكيلاني، استقلال القضاء، الطبعة الثانية ، المركز العربي للمطبوعات ، ١٩٩٩ .
٤. د. ماجد راغب الحلو، النظم السياسية والقانون الدستوري ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ٢٠٠٥ .

ثانياً : الأطاريح والرسائل الجامعية

١- اطاريح الدكتوراة

- بتول حسن قعفراني ، التعارض بين الاحكام القضائية والقرارات التحكيمية ، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بيروت العربية ، لبنان ، ٢٠٢٠ .

- بلحمزى فهيمة ، الأمن القانوني للحقوق والحريات الدستورية ، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة عبد الحميد ابن باديس – مستغانم – كلية الحقوق والعلوم السياسية الجزائر ، ٢٠١٧ – ٢٠١٨ .
- رائد ناجي احمد الجميلي ، القضاء الضريبي ومجالاته في ظل القانون العراقي اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الحقوق – جامعة النهرين ، ٢٠٠٤ .
- شهيرة بولحية ، الضمانات الدستورية للمتهم في مرحلة المحاكمة ، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة محمد خيضر بسكرة – كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر ، ٢٠١٥ / ٢٠١٦ .

٢- رسائل الماجستير

- انتصار حسن عبد الله ، الحماية الدستورية لاستقلال السلطة القضائية ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون – الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٩ .
- بان صلاح عبد القادر الصالحي الطعن بقرار تقدير ضريبة الدخل – دراسة مقارنة رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون – جامعة بغداد ، ١٩٩٩ .
- رائد ناجي احمد الجميلي ، القضاء الضريبي ومجالاته في ظل القانون العراقي رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الحقوق – جامعة النهرين ، ٢٠٠٤ .

ثالثاً : <u>البحوث والمقالات</u>

– د. احمد خلف حسين الدخيل ، القضاء الضريبي بين التشريع والقانون ، بحث منشور في السجل العلمي للمؤتمر الدولي للقضاء والتحكيم ، المجلد الثاني ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ، ٢٠١٥ .

– د. حيدر وهاب عبود القضاء الضريبي ضمانة ناجعة لحماية حقوق المكلفين (دراسة مقارنة بين النظم الوضعية والشريعة الإسلامية) ، بحث منشور في مجلة دراسات قانونية بيت الحكمة ، بغداد العدد ٣١ ، ٢٠٢١ .

– د. رزكار محمد قادر ، استقلال القضاء كونه ركيزة من ركائز المحاكمات العادلة – دراسة مقارنة في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية ، بحث منشور في مجلة الرافدين للحقوق ، المجلد ١١، العدد ٣٩ ، ٢٠٠٩ .

– د. محمد علوم محمد ، التقاضي الضريبي كضمانة دستورية للمكلف بدفع الضريبة بحث منشور في مجلة العلوم القانونية ، كلية القانون – جامعة بغداد ، العدد الخاص الثالث – الجزء الثاني ، ٢٠١٧ .

– د. عبد المجيد لخذاري وفطيمة بن جدو ، الأمن القانوني والأمن القضائي ، بحث منشور في مجلة الشعاب المجلد ٤ ، العدد ٢ ، ٢٠١٨ .

– د. مازن ليلو راضي ، الأمن القضائي وعكس الاجتهاد في القضاء الإداري ، بحث منشور في المجلة السياسية والدولية ، المجلد ٤٢ ، العدد ٤١ ، ٢٠١٩ .

- د. محمد الخضراوي ، الأمن القضائي في التجربة المغربية ، مقال متاح على الموقع الالكتروني : http://press.maroc.net/ .

رابعاً : <u>الدساتير والقرارات القضائية</u>

- دستور جمهورية العراق النافذ لسنة ٢٠٠٥ .
- قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم (٦٨ / اتحادية / ٢٠١٥) منشور على الموقع الإلكتروني للمحكمة : www.iraqfsc.iq .

خامساً : <u>الجريدة الرسمية</u>

- جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤٠١١) في ٢٢ / ١٢ / ٢٠٠٥ .
- جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤٠١٢) في ٢٨ / ١٢ / ٢٠٠٥ .
- جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤٣٥٤) في ٢/ ٣ / ٢٠١٥ .

publication is returned to the owners to make the required changes to it and does not return the search to the owner if it is not accepted for publication.

1. It is necessary to publish the research obtained from the master's thesis
2. and doctoral dissertations a written approval from the supervisor of research according to the model adopted in the magazine, (approval of the supervisor).

The research published in the journal reflects the opinion of its owners, not the opinion of the magazine.

18- The researcher is obliged to pay the specified publication fees (50,000) fifty thousand dinars for internal researcher and (100000) hundred thousand dinars for the external researcher.

19 - The research submitted for publication in the magazine can be submitted as follows:

A – In person at the headquarters of the magazine at Imam Al-Kadhum University College for Islamic Sciences / Iraq-Baghdad-Ur quarter.

B - Download the search on the electronic mail of the magazine as follows:

Journalalimamalkadhum@alkadhum-col.edu.iq

title of the research , the name of the researcher and his place of work in Arabic as well.

7- Arabic research should be written on a (Microsoft Word) program and (Arabic simplified) kind of writing. (Times New Roman) for English researches, size is 14 and 16 (bold) for headings and subheadings. The distance of the footnotes is 2.54 cm and the line space is (1),

8- The journal shall adopt an (APA) for the documentation of scientific publication and the researcher should follow the rules of quotation, documenting the sources and the rules of scientific research in accordance with this system.

9- The sources of research are written on a separate page or pages arranged according to:
the author's sure name, the name of the book, year of publication, title of the book, edition number (3), publisher, place of publication (city), see (APA system for documentation of sources)

10- If the Arabic sources (or any other language other than English) have a certified English translation, they must be adopted. Sources that do not have a certified English translation (eg, الكافي), they should be translated literally in English letters.

11- The journal applies the Plagiarism System using a program (Turnitin) and the publications that are much more than the universally standards of plagiarism will be rejected.

12-The research subjects to an initial examination by the editorial board of the journal to determine the eligibility of the research for arbitration, and it is entitled to apologize for accepting the research without presenting the reasons.

13- The journal follows the double-blind pear review of the validity of the research for publication. The research submitted for publication is presented to two arbitrators who are specialists, one from inside the college and the other from outside the college, and they are chosen in absolute secrecy. As well as presenting the research to a linguistic expert to assess its linguistic truth.

14- Submit (a short biography) for the research does not exceed (4) lines and a file (Word) separate from the search on the same disk.

15 - Research proposed by the reviewers to make changes to be valid for

made by the editorial board and those that need to be modified by the author himself.

Instructions for Publication in the Journal of Imam Al-Kadhum College for Islamic Sciences

The Editorial Board of the Journal of Imam Al-Kadhum College welcomes the publication of scientific research that is characterized by scientific sobriety and cognitive value according to the conditions set forth below:

1-The research should be original and unpublished in a previous journal and should not be part of a previously published research or from a thesis. The researcher must sign a pledge form in this regard and agree to transfer the rights of publication of the research to the journal if the research is accepted for publication. (Pledge form)

2- The author shall be given exclusive rights to the journal, including publication, paper and electronic distribution, storage and reuse of the research.

3-The name of the researcher or any reference in the research shall not be mentioned in the body to ensure the confidentiality and neutrality of the arbitration process.

4- Write in the center of the first page the following:

A- The title of the research
B- Name, degree and certificate of the researcher
C- The address of the researcher
D- Mail of the researcher
E- Key words

5- The researcher provides a(CD)with 4 copies of paper (A4), the number of search pages should not be less than 15 pages and not more than 25 pages.

6- Research that are written in Arabic and other languages other than English should contain a summary of the research (abstract), not exceeding 200 words preceded by the title of the research, the researcher's name and place of work in English as well as keywords. And that the researches that are written in English should contain a written summary in Arabic (abstract) of not more than 200 words preceded by the

Reviewers' Guide

Prior to the review process, the reviewer is urged to ascertain whether the research sent to him/her falls within his/her scientific specialization or not. If the research is within his scientific specialization, does the reviewer have enough time to complete the review process, as the review process should not exceed ten days? After the reviewer approves the review process and completes it during the specified period, please carry out the review process according to the following criteria:

1. Is the research original and important to be published in the journal.
2- whether the research conforms to the general standards of the journal and its publishing regulations.
3- Is the idea of the research discussed in previous studies? If yes, please refer to those studies.
4 - The title of the research expresses the research itself and its content.
5- Whether the abstract of the research clearly describes the content and the idea of the research.
6- Does the introduction in the research describe what the author wants to reach and clarify it precisely , and whether the author explained what the problem he studied.
7- The author's discussion of the conclusion of his research in a scientific and convincing manner.
8- The review process must be blind-review and the author is not viewed of any aspect of it.
9- If the reviewer wishes to discuss the research with another reviewer, the editor shall be notified.
10. There should be no direct communication and discussion between the reviewer and the author in relation to his published research, and the reviewer's comments should be sent to the author through the editor of the journal.
11. If the reviewer considers that the research is based on previous studies, the reviewer must reveal these studies to the editor in the journal.
12- The reviewer's observations and recommendations will depend on them, mainly in the decision to accept the research for publication or not. The reviewer is also requested to make a specific reference to the paragraph that requires a minor modification that may be

Copy Editors (Arabic)

Asst. Prof. Dr. Hadeel H. Abbas

Dr. Zahraa A. Khudair

Copy Editors (English)

Asst. Prof. Dr Rasim T. Jehjooh

Asst. Prof. Issa A. Salman

Electronic Website

Asst. Prof. Amjed A. Ahmed

Lecturer Hassan N. Muslim

Journal Unit

Abtesam G. Mohammed

Murtadha M. Sheb

Kamal D. jumaa

Editor -in-Chief

Prof. Dr. Abdul Sattar J. Addai

Managing Editor

Asst. Prof. Dr. Haider K. Jasim

Editorial Board

No.	Name	University -or- College	Specialty
1	Prof. Dr. Nabeel Mahdi Althabhawi	UKM University	Civil Law
2	Prof. Dr. Muqdad A. Baqir Al-Fayadh	Kufa University College of Education	Modern and Contemporary History
3	Prof. Dr. Haider K. Jasim	Imam Al-Kadhum College	Educational and Psychological Sciences
4	Prof. Dr. Christopher Green	Kyoung Song University	International Studies
5	Prof. Dr. Rafid M. Saeedan	University of Thi-Qar	Arabic Language
6	Prof. Dr. Huda A. Qanbar	Baghdad University	Information and Libraries
7	Prof. Dr. Adnan Al-Muqrani	Pontificai Universitas Gregoriana /Roma	Islamic Studies
8	Prof. Dr. Deena Hany Al-Mawla	Islamic University of Lebanon	Law
9	Prof. Dr. Ahmed Q. Abed	Mustansiriya University College of Arts	English Language
10	Asst. Prof. Dr. Muhamad K. Gumar	Imam Al-Kadhum College	Islamic History
11	Asst .Prof. Dr. Nirmeen Maged	Al-Sudan University	Curriculum and Teaching Methods
12	Asst. Prof. Dr. Ahmad A. Zuwair	Imam Al-Kadhum College	Philosophy of Religion
13	Asst. Prof. Dr. Abed K. Sumoom	Wasit University	Educational and Psychological Sciences
14	Asst. Prof. Dr. Hussain N. Hussain	Imam Al-Kadhum College	Arabic Language
15	Asst. Prof. Dr. Mukhlis M.Hussain	Imam Al-Kadhum College	Law

Republic of Iraq
Shiite Endowment Diwan
Imam Al-Kadhum
University College for
Islamic Sciences

ISSN (Print) : 2518-9182

ISSN (Online) : 2708-1761

Journal of
Imam Al-Kadhum College

Quarterly Refereed Journal for Humanistic Studies

Published by

Imam Al-Kadhum University College

National Library Logging No. (2261) in 2017AD

Volume 7 Issue 1 March Year 2023 AD /1444 AH